جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الشريعة الإسلامية

الشنقيطى ومنهجه فى التفسير

فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن

رسالة ماجستير

أعدها
أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمى
المعيد بالقسم

إشراف
الأستاذ الدكتور
أحمد يوسف سليمان
أستاذ الشريعة بالقسم

الجزء الأول

القاهرة
١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتَاحِيَّة

أساتذتــــى العلماءُ الأجــــلاء

أهلى وضيوفى الأعزاء الفضلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بحمد الله وحوله وقوتــه نستفتح ، وبالصــــلاة والسلام على رسوله نستدفع ونستشفع ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الآية[1] ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الآية[2] ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ الآيات[3] .

أما بعد : فيقول ربُّ العزة والجلال فى محكم التنزيل : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية[4] ويقــول تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ الآية[5] ويقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[6] .

كما يقول رسول الله ﷺ فى الحديث النبوى : «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» أى السنَّة المطهَّرة - الحديث[7] ويقول ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتابَ الله ، وسنَّةَ نبيه » الحديث[8] .

---

(١) الممتحنة : ٤ . (٢) الأعراف : ٨٩ . (٣) طه : ٢٥ - ٢٨ (أربع آيات) .

(٤) النحل : ٤٤ . (٥) الأنعام : ٣٨ . (٦) الحجر : ٩ .

(٧) أخرجه أبو داود فى سُننه (كتاب) السنَّة (باب) فى لزوم السُّنَّة - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٧٢٢) - (طبع بيروت) .

(٨) أخرجه مالك ضمن بلاغاته من رواية عمرو بن عوف - انظر الموطأ (كتاب) الجامع (باب) النهى عن القول بالقَدَر - (طبع بيـروت) - كما أخرجه ابن عبـد البر من رواية أبى هريرة ﷺ عن رسـول الله ﷺ قال : «إنى قـد خلفت فـيكم اثنتين لن تضلوا بعدهمـا أبداً : كتـاب الله وسنتى» - ثم أورد رواية مالك المذكورة معقباً عليها بقوله : وهذا الحـديث محفوظ مشهور عن رسول الله ﷺ شهرة يكاد يستـغنى بها عن الإسناد - انـظر (التمهـيد) : لأبى عـمر يوسف بن عبـد الله بن عبـد البَرّ - ٢٤/ ٣٣١ - تحقيق : (مـصطفى بن أحمد العلوى) مع (محـمد عبد الكبيـر البكرى) - وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

وأخرجه مسـلم ضمن حديث طويل عن جابر بن عبد الله عن رسـول الله ﷺ أنه قال: «وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصتم به : كتاب الله » - انظر صحيح مسلم (كتاب) الحج (باب) حجة النبىّ ﷺ - (طبع بيروت) .

شكرٌ واجِبٌ

وطلباً لمزيد فضل الله تعالى الذى وعد به عباده الشاكرين من حيث قوله : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية[1] وتخلقاً بأدب رسولنا الكريم ﷺ من حيث قوله : «مَنْ لا يشكر الناس لا يشكر الله » الحديث[2] .

فإننى أرى لزاماً علىّ أن أزجى جزيل شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الجليل ، والداعية الإسلامى الكبير ، أستاذى الدكتور عبد الله شحاته على ما أولانى به من الرعاية والعناية والتوجيه منذ أن كان هذا البحث فى مراحله الأولى بالأمس البعيد ، وها هو فضيلته يشرفنى اليوم بقَبُول مناقشتى رغم ضيق وقته ، وكثرة مشاغله ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، لأستاذى الدكتور إبراهيم عبد الرحيم لتفضله بقَبُول مناقشتى، مشيداً بما عهدته فيه من قربه ووده ، وطيب نفسه ، وكريم طبعه ، فضلاً عن دماثة خلقه ، ورحابة صدره ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الكبير ، أستاذى الدكتور محمد بلتاجى ، وكذا أستاذى الدكتور محمد نبيل غنايم ، وأستاذى الدكتور محمد إبراهيم شريف، وأستاذى الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب ، ثم المرحوم أستاذى الدكتور إسماعيل سالم ، على ما قدموه لى من العون ، وذللوه لى من الصعاب ، أثناء مراحل البحث المختلفة ؛ فجزاهم الله تعالى عنى خير الجزاء .

أما الشكر كُلُّ الشكر ، والتقدير جُلُّ التقدير ، فلأستاذى الجليل ، وصاحب الفضل الكبير ، أستاذى الدكتور أحمد يوسف سليمان ، الذى رعانى ووجهنى ، ثم أكرمنى وشرّفنى ، بقبوله الإشراف علىّ ، وقد علم الله تعالى أنى كنت أطرق بابه ليلاً ونهاراً ؛ فلا أجد منه إلاّ خيراً وترحاباً ، فضلاً عن احتفائه بى ، وكرمه لى ، مع حسن قوله ، وجميل فعله ، وهذا ما يؤكد تواضعه الجَمّ ، وخلقه الكريم ،الذى يعرفه عنه ، ويلمسه فيه ، كل مَنْ تقرّب منه ، أو تعامل معه .

ولو ذهبت لأُعَدِّدَ مكرماته ، وأُعَرِّفَ بصفاته ؛ فلن أوفيه حقه ، ولن أقدره قدره ،

---

(١) إبراهيم : ٧ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سُننه من حديث أبى هريرة ﷺ (كتاب) البر والصلة (باب) ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك - (طبع بيروت) - وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - كما أخرجه أبو داود فى سُننه (كتاب) الأدب (باب) فى شكر المعروف - (طبع بيروت) - وكذا أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (٧٨٧٩) - (طبع بيروت) .

ولكن يكفينى والحـال هذه أن أدعو الله تعالى أن يطيل فى عمره ، وأن يـحسن فى عمله ، وأن يجزيه عنى وعن طلاب العلم خير ما جزى به أستاذاً عن طلابه ، وعالماً عن دينه .

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخـالص شكرى وتقديرى ، وعظيم امتنانى وعرفانى ، لوالدىّ الكريميْن ، ولجميع أهلى وإخوانى ، وسائر أساتذتى وزملائى وطلابى ، كما أخص بالشكر والتقـدير كل مَنْ قدّم لى عـوناً ، أو أَسْدَى لى نصحـاً ، سائلاً الله تعـالى أن يجزى عنى الجميع خير الجزاء ، وأن يجعله فى ميزان حسناتهم يوم اللقاء .

إهـــداء

... ...

= وأجتزأ الترمذى حديث جابر المذكور بما يناسب موضوع الباب قائلاً : عن جابر قال : رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : «يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعِتْرَتِى أهل بيتى» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه - انظر سنن الترمذى (كِتَاب) المناقب (باب) مناقب أهل بيت النبىّ ﷺ - (طبع بيروت) .

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى وزيد بن أرقم ﷺ قالا : قال رسول الله ﷺ : «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخرِ : كتابُ الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يتفرّقا حتى يَرِدَا علىَّ الحوضَ ؛ فانظروا كيف تخلفونى فيهما» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب - انظر سُنَن الترمذى (كتاب) المناقب (باب) مناقب أهل بيت النبى ﷺ - (طبع بيروت) - وقد أخرج أحمد نفس الحديث من رواية أبى سعيد الخدرى ﷺ - انظر مسند أحمد (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (١١١٦٧) - (طبع بيروت) .

كما أخرج السيوطىّ ما رواه ابن أبى شيبة فى (مُسْنَده ومُصَنَّفه) وما رواه ابن جرير الطبرىّ فى (تفسيره) عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» - انظر (جامع الأحاديث) : السيوطىّ - ٥/٥٦ - حديث رقم (١٥٦٣٩) - جمع وترتيب ومراجعة مجموعة من العلماء بإشراف : د. حسن عباس زكى - تقديم : د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر - الطبعة ١ - مطبعة خطّاب - القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

إلى أساتذتى من العلماء الأجلاء ، وأصحاب الفضل علىّ من الكرماء النبلاء ، الذين أضاءوا لى الطريق ، وكانوا لى على درب العلم خير معين وصديق .

إلى طلاب العلم المخلصين ، وباحثيه المثابرين الراضيين ، الذين عرفوا قدره ومقداره العظيم ؛ فوصلوا نهارهم بليلهم ، ويقظتهم بمنامهم ، باذلين فى سبيله النفس والنفيس ، والغالى والرخيص ؛ حتى كانوا به وله .

إلى شهداء الحق فى كل بقعة على ظهر هذه البسيطة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، الذين لتلبية نداء ربهم سبقونا ، وإلى اللحاق بهم أرادونا ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

إلى والدىّ الكريميْن ، ثم إلى رفقاء دربى ، وشركاء عمرى ، أعنى زوجتى وأولادى ، الصابرين الأحباء ، المضحين الأوفياء .

إليهم جميعاً :

أهدى هذا العمل المتواضع عرفاناً وتقديراً ، وإجلالاً وتعظيماً ، وما هو إلا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، عساه يَرُدُّ إليهم ، بعض ما لهم ، وعسانا وإياهم لرضا ربنا نحوز ، وبجنته نفوز ، إنه على ما يشاء قدير ، وبإجابة الدعاء جدير .

المُقَدِّمَة

المحمود هو الله جلّ جلاله ، والمُصلَّى عليه هو محمد وآله ، إنّ ما قَلَّ وكفى خير مما كثر وألهى ، و ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الآية(١) ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الآية(٢) ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ الآية(٣) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية(٤) .

وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ الإنسان علَّمه البيان(٥) وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفيّه من خلقه وحبيبه ، آخرُ مَنْ تلقى هَدْيَ السماء إلى الأرض ، ولسانُ الصدق الذى بلّغ عن الحق مراده إلى الخلق ؛ فكان تاج النبيين وإمامهم ، وسيدالمرسلين وخاتمهم ، أُرْسلُوا إلى أقوامهم خاصة ، وأرسله ربه إلى الناس عامة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية(٦) .

أيده ربه بالمعجزة الكبرى ، وأسبغ عليه النعمة العظمى ، فأوحى إليه قرآنه العظيم ، وأودع قلبه ذكره الحكيم ؛ فكان أول شارح ومفسِّر ، وأعظم مبيِّن ومعلّم ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية(٧) وقال رسوله ﷺ : «ألا إنى أوتيتُ القرآن ومثلَه معه» الحديث(٨) أى سُنَّتَه المطهّرة ، مفسِّرة القرآن وشارحتهُ ، ومبيِّنةُ مراده وموضِّحتُه .

لم تلبث الجنَّة أن انتهت إلى هذا القرآن حتى آمنت به وصدَّقته ، واهتدت بِهَدْيه واتبعته ، قال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الآيتان(٩) .

كما لم يلبث أئمة الكفر أن استمعوه حتى اعترفوا به رغم إنكارهم ، وحكموا بصدقه رغم تكذيبهم ؛ فأقروا وهم لا يقصدون ، وشهدوا وهم لا يشعرون ، وها هو الوليد بن المغيرة يصف هذا القرآن العظيم قائلاً : (إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر

(١) الأنعام : ١٣٤ .
(٢) البقرة : ٣٢ .
(٣) يوسف : ٧٦ .
(٤) الإسراء : ٨٥ .
(٥) هذا اقتباس من قوله الله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن : ١ - ٤ (أربع آيات) .
(٦) سبأ : ٢٨ .
(٧) النحل : ٤٤ .
(٨) سبق تخريج الحديث ص ٥ من هذا البحث .
(٩) الجن : ١ - ٢ (آيتان) .

أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته)[1] .

ومن ثم ؛ فقـد تحدّى به الحقُّ جمـيعَ الخَلْق ، إنسهم وجنهم ، كبـيرهم وصغـيرهم ، شاعرهم وفصيحهم ، قال تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الآية[2] بل وأقل من ذلك حـينما يتحداهم بقـوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية[3] وأخيـراً ومبالغـة أيضاً بما هو أقل من ذلك حينما يتحداهم بقوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية[4] .

وهـو الأمر الذي تحـقق به عجزهم وافتـقارهم ، وتحدَّد معـه مآلهم ومصيـرهم ، قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الآية[5] وذلك فـضلاً عن ظهـور عـداوتهم وأحقـادهم، ووضـوح جحـودهم

---

(١) عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة قَـبَّحَه الله قد جـاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليـه القرآن فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جـهل لعنه الله فأتاه ، فقـال : يا عم إن قومك يرون أن يجمـعوا لك مالاً ، قال : لِمَ ؟ قال : لِيُعْطُوكَهُ ؛ فإنك أتيت محـمداً لتعرض لما قِبَلَه ، قال : قد عَلِمَتْ قريش أني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول ؟! فوالله ما فـيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم بِرَجَزٍ ولا بقصـيدة مني ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يشـبه الذي يقـول شيـئاً من هذا ، ووَالله إنّ لقـوله الذي يقول حـلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليـعلو وما يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته ! قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقـول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر ؛ فلما فـكر قال : هذا سحر يؤثر ، يأثره من غيره ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ المدثر : ١١ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرّجاه - انظر المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبد المعروف بالحـاكم النيسابورى - ٢/ ٥٥٠ - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م .

وقد أورد هذا الخبر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ - ٩٢٣م) فى تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) : ٢٩/ ١٢٧ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

كمـا أورده أيضاً أبـو عـبد الله القـرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) فى تفـسيره (الجـامع لأحكام القرآن) : ١٩/ ٧٤ أحمـد عبد العليم البردونى - الطبعـة ٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢م .

(٢) الإسراء : ٨٨ .
(٣) هود : ١٣ .
(٤) البقرة : ٢٣ .
(٥) البقرة : ٢٤ .

واستكبارهم ، وهو ما أثبته الله لهم ، وسجّله عليهم ، من حيث قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الآية(1) .

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ، يقوِّم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، كما ينطق بذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية(2) لذا فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة، تماماً تمامهما، لم يدع من شئونهما صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيّنه ودلّ عليه ، قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية(3) وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية(4) وكما يصفه رسول الله ﷺ : بذلك فى وصفه الجامع المانع قائلاً : «كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ مَنْ قبلكم ، وخبر مَنْ بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه من جبَّار قيمه الله ، ومَنْ ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» الحديث(5) .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لابد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصراطاً يستحيل أن يَرِدَ عليه أيُّ شتات ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان(6) بل إن الحق سبحانه قد تكفل بحفظه إلى أن يرث الأرض ومَنْ عليها كما يشهد بذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية(7) .

ومن هنا كانت الأمة مأمورة بالتزامه ، ومطالبة بتطبيقه ؛ حتى تعصم من الزَّلل ، ولا تتفرق بها السُّبل ، وهو ما يوصيها به ربها فى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية(8) كما يحذرها من الإعراض عنه فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ الآيات(9) .

(1) الأنعام : ٣٣ . (2) الإسراء : ٩ .
(3) الأنعام : ٣٨ . (4) النحل : ٨٩ .
(5) وسيأتى هذا الحديث بتمامه مع شرحه وتخريجه ص من هذا البحث .
(6) فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) . (7) الحجر : ٩ . (8) الأنعام : ١٥٣ .
(9) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .

غير أنه لن يتأتى للأمة هذا دون معرفتها بأوامـره ونواهيه ، وعلمها بتعاليمه وتكاليفه ، وذلك من خلال شرحه وتفسـيره ، على مستوى مفرداته وتراكيبه ؛ لذا كـانت حاجتها إلى التفسـير حاجةً ماسّـةً متجددةً بتـجدد الحياة ذاتها ، وإزاء هذا فـقد انبرى كثيـر من العلماء الأعلام ، وقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم .

وذلك على امتداد مسيرة التفسير التى تتوزع بين حقبتين أساسيتين ، تبدأ أولاهما بنزول الوحى وتنتهى بـنهاية الاستـشهاد بأقوال الـتابعين فى أواخر القـرن الثانى الهجـرى (الثامن الميلادى) وتشـمل تفسـير النبى ﷺ ثـم تفـسير الصـحابة والتابعين رضـوان الله عليهم أجمعين .

فى حين تبدأ ثانيـتهما بعـصر تابعى التابعين فى أوائـل القرن الثالث الهجـرى (التاسع الميلادى) وتسـتمر حتى عـصرنا الحاضر ، بل وسـتظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليهـا ، وقد أفرزت هذه الحـقبة مخـتلف أنواع التفاسـير التى صَنَّفَهـا أصحابهـا فى شتى الأعصار والأمصار وفقاً لتمكنهم واقتدارهم فى هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نحصـرها فى عشرة أنواع توزعت بين تفـاسير كل من : (المحـدِّثين - القرّاء - الفقـهاء - المتكلمين - الفِرَق - المؤرخين - اللغويين - العِلْمِيين - الاجتماعيين - المثقفين) .

وعلى الرغم من تنوع هذه التفسير وكثرتها ، واخـتلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلا أن التفسـير على امتداد مـسيرته ، واختلاف مـراحله ، قد ظل مفتقـراً حتى يومنا هذا إلى صياغة (نظريَّة عامَّة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيرىّ) لهذا المفسِّر أو ذاك ؛ بما يرسم حدوده ، ويوضح معالمه .

ولأن (تحديد المنهج يحقق الهـدف من التفسير) والذى يتمثل فى (إحـداث عمليّة الفهم الشامل للنص القرآنى على مـستوييْه الإفرادىّ والتركيبىّ) وبما يـتأدّى عنه النجاة فى الدنيا ، والفوز برضـا الله تعالى فى الآخـرَة ، وهو الهدف الأسـمى ، والغاية العظمى ؛ لذا فـقد استهدف هذا البحث التعريف بواحد من أعلام المـفسرين فى العصر الحديث ، وبيان منهجه فـى التفسـير ؛ ومن ثم فقد جـاء موسوماً بعنوان : (الشنقـيطى ومنهجه فى التفـسير ، فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) .

وفيمايلى أوجز التعريف بهذا الموضوع، مع ذكر أهم الأسباب التى دعتنى إلى اختياره ، ثـم بعض الصعـوبات التى واجهتنى ، وأخـيـراً منهج البحث وخطتـه ، وذلك على النحو التالى :

أولاً: التعريف بالموضوع :

ويشمل التعريف بالشنقيطىّ ، ثم التعريف بمنهجه التفسيرىّ :

١- التعريف بالشنقطىّ:

وهو محمد الأمين بن محمد المختار الجكنىّ الشنقيطىّ ، ولد بمسقط رأسه (شنقيط) أو ما يعرف الآن بـ (جمهوريّة موريتانيا الإسلاميّة) عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ثم رحل إلى بلاد الحجاز فى أول خروج له من بلاده لاداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) .

وكان خروجه آنذاك على نية رجوعه إلى بلاده بعد فراغه من أداء مناسك الحج ، غير أن الله تعالى قدَّر له المقام بمدينة رسول الله ﷺ حيث اشتغل هناك بالتدريس فى كل من الحرم النبوىّ الشريف ، ثم بالجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) كما تنقل بين كل من الرياض العاصمة مدرساً بكلياتها ومعاهدها العلمية المختلفة ، وكذا مكة المكرمة حيث كان عضواً مؤسساً برابطة العالم الإسلامىّ ، وداعية بارزاً فى مؤتمر الحج السنوىّ .

وذلك فضلاً عن رحلته للدعوة فى عشرة من الأقطار الإفريقية التى انتهت ببلاده موريتانيا ، حيث كان على رأس البعثة الصيفيّة التى تنظمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى إطار برنامجها السنوى الذى تُكَلَّفُ به كبار العلماء للدعوة تباعاً فى شتى أنحاء العالم انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية[1] .

وبعد عمر حافل بالعطاء العلمىّ قارب ثمانية وستين عاماً هجرياً ، توزعت بين القضاء والإفتاء ببلاده ، ثم التدريس والدعوة بالحجاز ، حَطَّ الشنقيطى عصا الترحال ليلقى ربه سبحانه عقب أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وليدفن بمقبرة (المَعْلاة) بمنطقة (رَبْع الحُجُون) التى تضم بين جنباتها مثوى أمِّ المؤمنين خديجة ﵂ ببلد الله الحرام بمكة المكرمة التى بدأ مقامه فى أرض الحجاز بها ، ثم انتهت حياته بأرض الحجاز فيها .

٢- التعريف بمنهجه التفسيرىّ:

يقوم بناء منهج الشنقيطى فى التفسير على ثلاث ركائز أساسية ، تمثل كل منها سمة بارزة ، وترسم مَعْلَماً واضحاً ، من سمات هذا المنهج ومعالمه ، والتى تمثلت فى كل من :

(١) آل عمران : ١٠٤ .

- **الجمع بين المأثور والمعقول :**

حيث يبدأ الشنقيطى إزاء ما يعرض له من الآيات بالتفسير بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذى يشمل تفسير النبى ﷺ وكذا تفسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يثنى بعد ذلك بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المعقول ، والذى يشمل رأى كل مَنْ سبقه من عامة المفسِّرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

- **التأصيل للعلوم العربيّة والإسلاميّة :**

وبعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فينعم فيه النظر ، ويجيل فيه الفكر ؛ ليوصله فى النهاية من خلال إدراجه تحت موضوعات أحد العلوم السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

- **التحليل السائر ما يَعْرِض له :**

وبعد الجمع والتأصيل يعمد الشنقيطى إلى تحليل ما جمعه وأصَّلَه من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من : المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذى يشمل نقد الشنقيطى كلاً من : (الإسرائيليات - المفسِّرين - المحدِّثين - الأصوليين - الفقهاء - الفِرَق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) .

ثم يأتى المحور الثانى المتمثل فى (الاستنباط) والذى يلجأ إليه الشنقيطى عندما لا ينتهى من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خفاءَه ، ويزيل إشكاله ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل فى (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطى عندما يفتقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرته الذاتية ، ويُنْتِجُ على هَدْيه رأيه الخاص ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفقَ ضوابطه المعتبرة كذلك .

والناظر إلى هذه الركائز الأساسية التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ؛ لَيتبين له مدى ما تتسم به من المنهجية والشمولية ، أما المنهجية فتبدو واضحة من خلال هذا التسلسل المنطقىّ ، وذلك التعاقب العلمىّ ، والذى يجمع بين هذه المراحل الثلاث ، والتى

تبدأ بالجمع ويعقبه التأصيل ، ثم يعقبـه التحليل ، وفى هذا ما فيه من المنهجية بحيث تُسْلِمُ كل مرحلة منها إلى ما بعدها ، وترتبط فى الوقت ذاته بما قبلها .

وأما الشمولية فتبدو واضحـة من خلال هذا الاستيعاب ، وتلك الإحاطة ، والتى تجمع بين المأثور والمعقــول ، ثم تـوَصُّل لمختلف العلوم العربيـة والإسلامية ، وأخـيراً تحلُّل ذلك كله نقداً واستنباطاً واجتهاداً ، بما يمكن للشنقـيطى معه أن يمتلك زمام المسألة التى يتناولها ، ويسيطر على حدود القضية التى يعرض لها .

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع :

وأما عن أهم الأسباب التى دعتنى إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن إيجازها فيما يلى :

١- أهمية تفسيـر الشنقيطى المتمثلة فى شموله وموسوعيتـه ، وذلك نظراً لتأخره وحداثته ؛ الأمر الذى كفل له استـيعاب جهود السالفين قبله ، سواء من العلمـاء المعتبرين المعنيين بالقرآن وتفسيره خاصة ، أو من المعنيين بسائر العلوم العربية والإسلامية عامة .

٢- عناية الشنقيطى بعلم الأصول إلى الحد الذى يُوَجِّهُ على أساسه ما يَعْرِضُ له من الآيات بالتفسيـر ، فضلاً عن احتكامه إليه كضابط رئيس إزاء مـا يرجحه من قول ، أو يذهب إليه من رأى ؛ الأمر الذى يبشر باتجاه جديد فى التفسير يعتمد فى المقام الأول على علم الأصول وقواعده ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : (الاتجاه الأصُولىّ فى التفسير) .

٣- الرغبة الملحة فى إظهار هذا التـفسير ، وبيان منهج صاحبه فيه ، بما يبرز قـيمته العلمية للباحثين والدارسين خـاصة ، وغيرهـم من طلاب العلم عامـة ؛ وذلك إتماماً للفائدة ، وتعميماً للنفع ، بهذه (الموسوعة التفسيريَّة الشاملة) التى ينبغى أن يستفاد بها على النحو الذى يناسب قيمتها .

ثالثا : الصعوبات التى واجهت الموضوع :

وأما عن أهم الصعوبات التى واجهتنى حال اختيارى هذا الموضوع فتتلخص فيمايلى :

١- ندرة المصادر التى عُنِيَتْ بالـشنقيطى وتفسيـره ؛ خاصة وأنه لم يكن يرضى أثناء حـياته بالكتابة عن نفسه أو بكتابة غيـره عنه ، سواء من أولاده وأقرانه والمقربين إليه خاصة ، أو من تلاميذه وغيرهم ممن يعرفونه عامة .

٢- تَأَخُّر الاستفادة بتلك المصادر النادرة التى عنيت بالشنقيطى وتفسيره إلى ما بعد رحيله ؛ وذلك احتراماً من أصحابها لرغبته التى عرفوها عنه فى حياته .

٣- عدم كفاية ما اشتملت عليـه هذه المصادر النادرة من معلومات وفوائد ؛ وذلك إلى الحد الذى لا يمكن معه الاستغناء بها عن غيرها إزاء ترجـمة الشنقيطى ، أو التعريف بمنهجه التفسيرى .

غيــر أن الله تعالى قد أعاننى بفضله وتوفـيقه على تذليل هذه الصعاب من خلال ثلاث مراحل متعاقبة ، بدأتها بمطالعة تلك المصادر النادرة وما اشتملت عليه من معلومات يسيرة ، ثم تلوتها بمراسلة الشيخ عطية محمد ســالم أخص تلاميذ الشنقيطى وأقربهم إليه ، وكان أنْ ختـمتهــا أخيــراً بملاقاته مع ولدىْ الشنقـيطى وبعض أقاربه خاصــة ، وكذا بعض تلامـيذه ومعارفه عامة ، وذلك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

رابعاً: منهج البحث :

وأما عن منهجى فى هذا البحث فقد سكلت إزاءه جملة الخطوات المنهجية التالية :

١- قسَّمتُ البحث قسمين وخمسة أبواب وأربعة وعشرين فصلاً ، ووسمت كلاً منها بعنوان يدل على مضمونها ، ويناسب محتواها .

٢- عرضتُ لكل مســألة بالشرح والتحليل ، ثم المناقشة والترجـيح ، وذلك فى إطار أدلتها الشرعية ، ووفق ضوابطها المعتبرة ؛ وصولاً بها لأصوب الآراء ، وأعدل الأقوال .

٣- بيَّنتُ رأى كــل مذهب فقهى من كتب أتباعه المعـتمدة ؛ وذلــك تحاشياً لنقله من كتب المذاهب الأخرى ، حرصاً على المنهجية ، وطلباً للموضوعية .

٤- قمتُ بتـخريج الآيات القرآنية بتـرتيب مواضعهــا فى سورها ، كما خـرَّجت الأحاديث النبويّة فى كتب السُّنة المختلفــة ؛ وذلك توخياً لبيان درجتها والحكم عليهــا ، ثم لتمييز صحيحها من ضعيفها .

٥- شرحتُ بعض المفردات الغامضة ، وترجمتُ لبعض الأعلام الواردة ، وذلك كلما دعت الضرورة ، واقتضاه المقام .

٦- ذيَّلتُ البحــث بخاتمة تُبيِّن أهم النتائج التى توصّل إليها ، وبعـض التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .

٧- وأخيراً فقد حرصت على أن ألحق بالبحث فهارسه الفنية الشاملة ، والتى بَدَأَتْ بفهرس الآيات القرآنـية والأحاديث النبـوية ، وانتهتْ بفـهرس المراجع العلمـية والموضــوعات التفصيلية ؛ وذلك لقناعتى التامة بأن فهرس البحث إنما يعد مِفتاحاً له ، ومدخلاً إليه ،

وما أصــدق ما وصــفه به شيخ العربيــة أستاذنا أبو فــهر محــمود شاكر ، حيــنما نبَّه على أهميته ، وأوصى بالبَدْءِ به ؛ فــقال : (مِفتاح كل كتاب فهرسٌ جامعٌ ؛ فــاقرأ الفهرس قبل كل شيء)[1] .

هــذا ، وقد التــزمت الموضوعيــة وسع طاقتى ، وسلكت كل سبــيل إلى المنهجيــة قدر إمكانــى ؛ فلم أتحيز لقول شخص بعــينه ، ولم أتعصب لرأى مذهب بذاته ، وذلك بقصــد إصــابــة الحــق فى كــل مــا عرضــت لــه ، وبهـــدف الوصول إلى الصــواب فى سائر مــا ذهبت إليه .

خامساً: خطة البحث :

وأما عن خطتى فى هذا البــحث فقد انتظمتْ قمــسين وخمسة أبواب وأربعــة وعشرين فصلاً ، تسبقها المقدمة والتمهيــد ، وتعقبها الخاتمة والفهارس ، وجاءت موزعة على النحو التالى :

المقدمة :

وتتناول التعريف بالموضــوع ، وأهم الأسباب الداعية إلى اختيــاره ، ثم الصعوبات التى واجهته ، وأخيراً منهج البحث وخطته .

التمهيد :

ويتناول تاريخ التفسير منذ نشأته وحتى عصر الشنقيطى ، وذلك من خلال الحديث عن شمول القرآن وتمامه ، وحاجة الأمة المتجددة إلى تفسيره ، ثم بيان أنه على الرغم من تطور مراحل التفــسير وتعـــدد أنواعه ؛ إلا أننا لا نزال نفــتقر إلــى منهج تفســيرىّ واضح المعالم يمكن أن يحقق الهدف من التفسير ، ويؤتى الثمرة المرجوة منه .

القسم الأول : الترجمة :

ويُعْنَى بسيرة الشنقيطى من حــيث حياته الشخصية ، ومسيــرته العلمية ، وينتظم البابين التاليين :

(١) انظر الغلاف الداخلى لكتاب (المتنبى) ومــعه (رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا) : لشيخ العــربية أستاذنا أبى فهر محمود محمد شاكر - الطبعة ١ - الناشر : (دار المدنى بجدة) مع (مكتبة الخانجى بمصر) - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م .

الباب الأول : حياته الشخصية :

وينتظم ستة فصول ، تحدثت فى الفصل منها عن قبيلة الشنقيطى وأسرته ، وفى الفصل الثانى عن اسمه ولقبه ، وفى الفصل الثالث عن مولده ونشأته ، وفى الفصل الرابع عن صفاته الخِلْقية والخُلُقية والعِلْمية ، وفى الفصل الخامس عن زواجه وأولاده ، وأخيراً فى الفصل السادس عن وفاته ورثائه وحُسْن خاتمته .

الباب الثانى : مسيرته العلمية :

وينتظم أيضا ستة فصول ، تحدثت فى الفصل الأول منها عن شيوخه من أهله ومن غير أهله ، وفى الفصل الثانى عن أقرانه ومعاصريه ، وفى الفصل الثالث عن تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة ، وفى الفصل الرابع عن نشاطه فى بلاده وخارج بلاده ، وفى الفصل الخامس عن رحلاته للحج والدعوة والعلاج ، وأخيراً فى الفصل السادس عن مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

القسم الثانى: المنهج :

ويُعْنَى بالسمات العامة للمنهج الشنقيطى فى التفسير ، وينتظم الأبواب الثلاثة التالية :

الباب الأول : الجمع بين المأثور والمعقول :

وينتظم فصلين ، تحدثت فى الفصل الأول منهما عن تفسير القرآن بالمأثور ، وفى الفصل الثانى عن تفسير القرآن بالمعقول ، ويمثل هذا الباب السمة الأولى من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الباب الثانى : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وينتظم سبعة فصول ، تحدثت فى الفصل الأول منها عن علوم القرآن ، وفى الفصل الثانى عن علوم الحديث ، وفى الفصل الثالث عن علم الأصول ، وفى الفصل الرابع عن علم الفقه ، وفى الفصل الخامس عن علم الكلام ، وفى الفصل السادس عن علوم العربية ، وأخيراً فى الفصل السابع عن علم التاريخ ، ويمثل هذا الباب السمة الثانية من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الباب الثالث : التحليل السائر ما يَعرِضُ له :

وينتظم ثلاثة فصـول ، تحدثت فى الفصل الأول منها عن (الانـتقاد) من حيث تقـعيده النظرىّ عند الشنقيطى ، ثم تطبيقه العملىّ علـيه من خلال نقده كلا من : (الإسرائيليات ، والمفـسِّرين، والمحـدِّثين، والأصـوليِّين، والفـقـهـاء ، المتكلمِّين ، واللغـويِّين ، وأخـيـراً المؤرِّخين) .

ثم تحدثت فى الفـصل الثانى منها عن (الاسـتنباط) على مسـتوى تقعـيده النظرى عند الشنقيطى من حيث ماهيَّـة وحُجيَّة وضرورة وشروط وضوابط ومجال ومـعجم الاستنباط ، ثم على مسـتوى تطبيقه العـلمى على ذلك من خلال جملة من الشواهد فى مـختلف فنون العلم وفروعه مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

وأخيراً فقد تحـدثت فى الفصل الثالث منها عن (الاجتهاد) على مسـتوى تقعيده النظرى عند الشنقـيطى مـن حيـث ماهيَّـة وحُجِّـيَّة وضـرورة وشـروط وضـوابط ومجـال ومعـجم الاجتهـاد ، ثم على مستوى تطبيـقه العملىّ علـى ذلك من خلال جـملة من الشواهد فى مخـتلف فنون العلم وفروع مما فى ثنايا تفـسيره المخـتلفة ، ويمثل هذا البـاب السمة الثـالثة والأخيرة من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الخاتمة :

وتأتى فى نهاية البـحث لتوجز مـلخصه ، ولِتَعْـرِضَ لأهم النتائج التى توصل إليـها ، ولترصد أهم التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .

الفهارس :

وتأتى بعد الخاتمة لتحتوى فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ثم المراجع العلمية والموضوعات التفصيلية .

* * *

وأخيراً:

فهـذا هو جُهْدُ المُقلّ ، وهذه هى خطوة المُبْـتَدِىء ؛ فإن كنت قـد أصبت فيـما صنعت فبفـضل الله وتوفيقه ، وإن كنت قد قصّـرت فيما أتيت فحـسبى أن الكمال لله الحقّ ، وأن النقص من لوازم الخَلْق[1] .

(١) وما أشهر مـا يشير إليه العماد الأصـفهانى فى مقدمة ديوان رسائله الكبـير قائلا : (إنى رأيت أنه لا =

ولا يسعــنى فى الختام إلا أن أتوجه إلى الله العلىّ القدير أن يجعل عملنا هــذا خالصاً لوجهــه الكريم ، وأن يرزقنا الإخلاص فى السرِّ والعَلَن ، وأن يجنبـناً الخطأ والزلل ، كمـا أضرع إليه سبحــانه أن يغفر لنا ما مضى وأن يسترنا فيمـا بقى ، وأن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ الآية[1] .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين فى الأوّلين والآخرِين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

= يكتب إنسـان كـتاباً فى يومـه إلا قـال فى غده : لو غُـيِّـرَ هذا لكان أحـسن ، ولو زيد هذا لكان يُسْتَـحْسَن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفـضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العـبَر ، وهو دليل على استيـلاء النقص على كافة البشر) وسـيأتى ذكر ديوانه هذا ضمن ترجمـته المفصَّلَة ص ٦١ من هذا البحث .

(١) آل عمران : ٨ .

التَّمهيد

يتبلور تاريخ التفسير ، وتتضح مدى حاجة الأمة إليه ، من خلال الوقوف على مراحله المتطورة ، وذلك عبر مسيرته الممتدة من لدن بَدْء نزول الوحى على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، تلك المراحل التى تُسْلِمُ كل منها إلى ما بعدها ، وتترتب كل منها على ما قبلها ؛ بحيث تبدو مترابطة موضوعياً ، ومتعاقبة تاريخياً ، فى إطار تسلسل يُبِينُ عن ماهية هذا التطور ، ويكشف النقاب عن أهمية دوره الفاعل فى تاريخ التفسير .

فشمول القرآن وتمامه قد بعث على حاجة الأمة الماسة إلى تفسيره ؛ وهو الأمر الذى أدّى بدوره إلى نشأة التفسير ، ثم كان أن تطوّر بعد ذلك عبر مراحله المختلفة من خلال تعدد التفاسير وتنوعها ، وعلى الرغم من ذلك لم تظفر الأمة بمنهج تفسيرى واضح المعالم ، بل ظلت مفتقرة إلى تحديد منهج يحقق لها الهدف من التفسير ، والذى يتمثل فى وقوفها على مراد ربها سبحانه فى كتابه الخالد ، ودستوره الدائم ، المتحقق قرآنه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(١) .

ولبيان هذا فإننا نعرض فيما يلى لتاريخ التفسير ومسيرته الممتدة من خلال نشأته ومراحل تطوره ومدى حاجة الأمة إليه ، وذلك من خلال المطالب الستة التالية :

المطلب الأول

شمول القرآن وتمامه

ليس ثَمَّةَ شَكٌّ فى أن القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ؛ يقوِّم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، فيبشر المؤمنين ، وينذر المخالفين ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** الآيتان(٢) .

ومن ثم ؛ فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة ، تماماً تمامهما ، لم يدع من شئونهما صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيَّنَهُ ودلّ عليه ، وهو ما يشير إليه قول الله تعالى : **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** الآية(٣) وقوله تعالى : **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ**

(١) هذا اقتباس من وصف الله سبحانه قرآنه العظيم فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصّلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٢) الإسراء : ٩ - ١٠ (آيتان) .

(٣) الأنعام : ٣٨ .

الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[1] .

كما يُبيّن رسول الله ﷺ شمول القرآن وتمامه بهذا الوصف الجامع المانع الذى رواه عنه علىٌّ بن طالب ﷺ حيث يقول : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتنٌ كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله، وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله تبارك وتعالى ؛ فيه نبأ مَنْ قبلكم ، وخبر مَنْ بعدكم ، وحكمُ ما بينكم ، هو الفَصْل ليس بالهزل ، مَنْ تركه مِنْ جبّار قصمه الله ، ومَنْ ابتغى الهُدَى فى غيره أضلّه الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَمَلُّه الأتقياء ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّدِّ [2] ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجنُّ إذْ سمعَتْهُ أنْ قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً)[3] مَنْ عَلِمَ عِلْمَه سَبَق ، ومَنْ قال به صَدَق ، ومَنْ حَكَمَ به عَدَل ، ومَنْ عَمِلَ به أُجِر ، ومَنْ دَعَا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم» الحديث[4]

---

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) خَلَقَ وخَلُقَ وخَلِقَ وأخْلَقَ واخْلَوْلَقَ : أصابه البِلَى ونالَ منه القِدَمُ ؛ فصار قديماً بالياً - انظر مادة (خَلَقَ) فى كل من لسان العرب : ٢/ ١٢٤٣ - مختار الصحاح : ص ١٨٧ - المعجم الوسيط : ١/ ٢٦٠ .

والمراد بـ (ولا يَخْلَقُ على كثرةِ الرَّدِّ) : أى لا تذهبُ جِدّتُهُ ، ولا تقلّ قيمتُهُ ، بتكرار تلاوته ، وكثرة مراجعته ، على مَرِّ الأعصار ، واختلاف الأمصار ، بل وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

(٣) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن : ١-٢ (آيتان) .

(٤) أخرجه الترمذىّ من رواية الحارث الأعور عن علىٍّ بن أبى طالب ﷺ ثم عقب عليه بقوله : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفى الحارث مقال - انظر سُنن الترمذى (كتاب) فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ (باب ١٤) ما جاء فى فضل القرآن - ٥/ ١٥٨ - حديث رقم (٢٩٠٦) - تحقيق : كمال يوسف الحوت - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م .

كما أخرجه الدارمىّ من رواية الحارث أيضاً - انظر سُنن الدارمى ت (٢٥٥ هـ = ٨٦٩م) - (كتاب) فضائل القرآن (باب) فضل مَنْ قرأ القرآن - ٢/ ٤٣٥ - طبع بعناية : محمد أحمد دهمان - ونشرته : دار إحياء السُّنة النبوية - (بدون ذكر بلد الطبع وتاريخه) .

وقد أورد الألبانىّ إسناد الترمذىّ لهذا الحديث (عن عبد بن حميد، عن حسين بن علىّ الجعفىّ، عن حمزة الزيّات ، عن أبى المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور) ثم حكم بـ (ضعف هذا الحديث بعد أن ساق حكم الترمذى السابق عليه) - انظر (ضعيف سُنن الترمذى) : ص ٣٤٨ - (أبواب) فضائل القرآن (باب ١٤) ما جاء فى فضل القرآن - حديث رقم (٥٥٤) فى الضعيف - ورقم (٣٠٨٢) فى السُّنن - ضعَّف أحاديثه : محمد ناصر الدين الألبانىّ - =

وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» الحديث[1] .

المطلب الثانى

حاجة الأمة المتجددة إلى التفسير

لما أراد الله تعالى أن يجعل قرآنه دستور هذه الأمة الخالد ، وقانونها الثابت ؛ لذا فقد عصمه من العبث والتبديل ، وصانه عن الهَوَى والتحريف ، وهذا ما ينطق به قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[2] .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لابد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصراطاً يستحيل أن يرد عليه أى شتات، وما أصدق وَصْفَ الحقِّ الذى يشهد لقرآنه بهذا فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان[3] وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية[4] .

وأمام هذه الوصية باتباع القرآن ؛ كان التحذير أيضاً من خطر الإعراض عنه ، والذى نبّه إليه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ الآيات[5] .

إذن فالأمة مأمورة بالتزام هذا الدستور ، ومطالبة بتطبيق هذا القانون ، وأنَّى لها هذا دون معرفتها بأمره وتكليفه ، وعلمها بنهيه وتحذيره ؟! ومن هنا ؛ كانت حاجة الأمة ماسة إلى فهم هذا القرآن العظيم ؛ لتسير على هَدْيه فى الدنيا ، ولتنال به رضا الله تعالى فى الآخرة ؛ وإزاء هذا كان السلف رضوان الله عليهم يصرفون جُلَّ اهتمامهم لِتَعَرُّفِ مقاصد القرآن ، بل ويشهدون بالفضل لِمَنْ عَلِمَ شيئاً من تفسيره .

وليس أدلَّ على ذلك مما يورده أبو عبد الله القرطبىّ من أنّ عَلِيَّ بن أبى طالب ﷺ

= وأشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش - الطبعة ١ - طبع المكتب الإسلامىّ - عمّان - الأردن - ١٤١١ هـ = ١٩٩١م .

(١) سبق تخريج هذه الرواية ص ٥ من هذا البحث .

(٢) الحجر : ٩ .

(٣) فصّلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٤) الأنعام : ١٥٣ .

(٥) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .

لما ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم ؛ عندئذ قال له رجل : جُعِلْتُ فداءَك ! تصف جابراً بالعلم ، وأنتَ أنتَ! فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ الآية[1] .

وقال مجاهد : أَحَبُّ الخلقِ إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل ، وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلاّ أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعنى بها ، وقال الشعبى : رحل مسروق إلى البصرة فى تفسير آية ، فقيل له : إنّ الذى يفسرها رحل إلى الشام ؛ فتجهّز ورحل إلى الشام حتى عَلِمَ تفسيرها .

وقال عكرمة فى قوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية[2] طلبت اسم هذا الرجل أربعَ عشرةَ سنة حتى وجدته ، وقال ابن عبد البر : هو ضمرة بن حبيب .

وقال ابن عباس : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ما يمنعنى إلاّ مهابته ، فسألته ؛ فقال : هى حفصة وعائشة .

وقال إياس بن معاوية : مَثَلُ الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كَمَثَلِ قوم جاءهم كتابٌ مِن مَلِكِهم ليلاً وليس عندهم مصباح ؛ فتداخلتهم رَوْعةٌ ولا يدرون ما فى الكتاب ، ومَثَلُ الذى يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباحٍ فقرأوا ما فى الكتاب[3] .

ولئن كان السلف قد وجّهوا اهتمامهم إلى التفسير ، وأدركوا مدى حاجتهم إليه ، فإن هذا قد سار أيضاً واستمر فيمن بعدهم ، بل وسيظل متواصلاً مطرداً كذلك على تعاقب الأجيال ، وتتابع الدهور ؛ ومن هنا كانت حاجةُ الأمة إلى التفسير حاجة ماسة متجددة بتجدد حياتها ذاتها ، والتى سُداها ولُحمتها كتاب ربها الذى فيه نبأ ما قبلها ، وحكم ما بينها ، وخبر ما بعدها .

وإذن فلن تقف هذه الأمة على ما ضيها بما ينير حاضرها ويستشرف مستقبلها ؛ إلا مِن خلال فهمها لقرآنها وتعاليمه ، والتزامها أحكامه وتكاليفه ، والتى تحمل لنا الحياة كل يوم بفصولها المتجددة ما يؤكد جِدَّةَ القرآنِ ويؤيد حَدَاثَتَه التى تتفق وجدّة وحداثة هذا الكون من

---

(1) القصص : ٨٥ .

(2) النساء : ١٠٠ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارىّ القرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) - ١/ ٢٦ (من المقدمة) - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

لدن خَلق الله تعالى له وإلى أن تقوم الساعة ، وما أحسن وصف السيوطى للتفسير حينما توجّه بفكره الناضج إلى تصنيف العلوم فقال : النحو علم نضج واحترق ، والفقه علم نضِج ولم يحترق ، وأما التفسير فعلم لا نَضِج ولا احترق(1) .

فالقرآن العظيم رغم عمومه وشموله ، وتمامه وكماله؛ إلا أنه سيظل دوماً غضاً ثرياً ، معطاء سخياً ، وتبعاً لهذا فسيظل تفسيره متصفاً بذلك أيضاً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ؛ لأنه بتجدد الحياة ؛ يتجدد التفسير ، وبتجدد التفسير تتجدد حاجة الأمة إليه ، وفى هذا برهان صدقه ، ودليل إعجازه ، والذى ينطق به قول الله تعالى : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** الآية(2) بل وأبعد من ذلك حينما يعجز إدراكنا المحدود ، عن كُنْه وحقيقة ما يحمله لنا الغيب المطلق ، والذى يقرره الحق سبحانه فى قوله تعالى : **﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** الآية(3) .

المطلب الثالث

نشأة التفسير ومراحل تطوره

مَرَّ تفسير القرآن الكريم على امتداد تاريخه الطويل بمراحل عدة ، وأطوار مختلفة ، منذ بدأت عناية المسلمين به من لدن نزول الوحى على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، وستظل عناية الأمة قائمةً به ، ومتجهة إليه ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ؛ لأن دوام العناية به هو من دوام حفظ الله له ، وهذا ما تكفل به سبحانه فى قوله تعالى : **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** الآية(4) وتتنازع تلك الرحلة الطويلة التى قطعها التفسير منذ بَدْءِ الوحى وحتى يومنا هذا حقبتان أساسيتان يمكننا تسميتهما فيمايلى :

- **الحقبة الأولى : منذ بَدْءِ الوحى وحتى نهاية عصر التابعين :**

وتشمل تفسير النبى ﷺ أول مفسرٍ للقرآن الكريم ومُبَيِّنٍ له ، ثم تفسير صحابته من بعده ، وأخيرًا تفسير التابعين من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين وذلك حتى نهاية عصرهم الذى ينتهى بآخر تابعى يمكن الاستشهاد به والرجوع إليه حتى نهاية القرن الثانى

(1) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت (911 هـ = 1505م) - 2/325 - شرحه وضبطه وعَنْوَنَ موضوعاته وعلّق حواشيه : (محمد أحمد جاد المولى بك - على محمد البجاوى - محمد أبى الفضل إبراهيم) - الطبعة 3 - دار التراث - القاهرة - 1416 هـ = 1996م .

(2) فصلت : 53 . (3) النحل : 8 . (4) الحجر : 9 .

الهجرى تقريباً [1] .

- **الحقبة الثانية : منذ بَدْءِ عصر تابعى التابعين وحتى عصرنا الحاضر :**

وتشمل مختلف التفاسير التى وضعها العلماء فى بداية عصر تابعى التابعين فى ختام القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث الهجرى ، ثم مروراً بمختلف أعصار الأمة وأمصارها على امتداد تاريخها الذى يحفل بأحداثه وأحاديثه ، ويزخر بمواقفه وطرائفه ، ويمتد حتى يومنا هذا ، بل ويستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

- **آراء العلماء فى مراحل التفسير وأطواره المختلفة :**

ذهب كثير من علمائنا سواء من القدامى أو المحدثين إلى تقسيمات أخرى بشأن المراحل التى قطعها التفسير ، والأطوار التى مَرَّ بها ، على امتداد تاريخه الطويل من لدن نزول الوحى وحتى عصرنا الحاضر ، وفى حين نرى بعض هذه التقسيمات تصدر عن رؤية خاصة بأصحابها أحياناً ، إلاّ أننا نرى بعضها الآخر يصدر عن محاكاة آراء السابقين والأخذ بها أحيانا أخرى ، وهذا ما نعرض له فيما يلى :

١- من العلماء القدامى :

ونمثل لهم باثنين من أبرزهم مكانة ، وأكثرهم شهرة ، مِمَّن كانت لهم عناية بتفسير القرآن والتأريخ له ، ألا وهما :

(١) وعلى وجه التحديد فإن عصر الاستشهاد بالتابعين والرجوع إليهم ينتهى بآخرهم موتاً وهو (خلف بن خليفة) الذى توفى عام (١٨٠ هـ = ٧٩٧م) وقيل : عام (١٨١ هـ = ٧٩٨م) . فى حين كان أولهم موتاً هو (أبو زيد مَعْمَر بن زيد) الذى قتل بـ (خراسان) وقيل : بـ (أذربيجان) عام (٣٠ هـ = ٦٥١م) - راجع فى ذلك كلاً من :

- تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية : الشيخ محمد نجيب المطيعى - ص ١٩٧ - مطبعة حسَّان - القاهرة - ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م .
- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - ص ٥١٩- سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٦٤) - دار المعارف - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .
- الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث : د. محمد محمد أبى شهبة - ص ٥٤٨ - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

- **شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) :**

حيث يمر التفسير عنده بأربعة مراحل هى : تفسير النبى ﷺ ثم تفسير الصحابة من بعده ، ويليه تفسير التابعين وتابعيهم ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك[١] .

- **الحافظ جلال الدين السُّيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥م) :**

ويمر التفسير عنده بأربعة مراحل مغايرة قليلاً عما ذهب إليه ابن تيمية حيث تتمثل فى : تفسير النبىّ ﷺ ثم تفسير الصحابة ، ويليه تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك[٢] .

٢- من العلماء المُحْدَثين :

ونمثل لهم باثنين من أهل الأختصاص من علمائنا المعاصرين المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ، ألا وهما :

- **الأستاذ الدكتور محمّد حُسين الذهبىّ ت (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) :**

حيث يرى أن التفسير قد مَرَّ بثلاث مراحل تتمثل فى : تفسير النبى ﷺ وصحابته ، ثم تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعدهم حتى يومنا هذا[٣] .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية - ص (٤٢ - ٥٠) - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
وانظر هذه المقدمة أيضاً بتحقيق كل من :
- د. عدنان زرزور: (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة ببيروت لبنان) - ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م .
- أبى حذيفة إبراهيم بن محمد : (مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير) - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - (٢/٢٩٧ - ٣٢٤) على مدار سبع وعشرين صفحة كاملة - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(٣) راجع فى ذلك للدكتور الذهبى كلاً من :
- الإسرائيليات فى التفسير والحديث: ص٢٠ - نشر: مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة - ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م .
- التفسير والمفسرون : ١/٣٣ - ملتزم الطبع والنشر : دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.
- علم التفسير: ص ١٣ - سلسلة (كتابك) - الكتاب رقم (٩) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

- **أستاذنا الدكتور عبد الله شحاته :**

ويذهب إلى حصر المراحل التى مَرّ بها التفسير فى خمسة أدوار ذكرها على النحو التالى :

١- **دور النشأة** : ويمتد من البعثة المحمدية إلى سنة (١٠٠هـ = ٧١٩م) .

٢- **دور النضج** : ويمتد من سنة (١٠٠ هـ = ٧١٩م) إلى سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) .

٣- **دور بداية التقليد** : ويمتد من سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) إلى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م).

٤- **دور التقليد المطلق والجمود** : ويمتد من سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) إلى ظهور المجلة العدلية سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) .

٥- **دور اليقظة والنهضة** : ويمتد من سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) حتى الوقت الحاضر(١) .

- **رأى البحث :**

والحق أننا نذهب مذهباً آخر إزاء تلك التقسيمات التى ذهبت إليها قدامى علمائنا ، فضلاً عن مُحْدَثيهم ، بشأن ما ذكروه من المراحل والأدوار التى قطعها التفسير عبر مسيرته الطويلة ، والتى امتدت من لدن عصر التنزيل وحتى يومنا هذا .

حيث نرى أن مسيرة التفسير تتنازعها حقبتان زمنيتان أساسيتان ، تكاد تتحدد مصادر كل حقبة منهما ، وتتصل روافدها ؛ لتنهل من مَعين واحد ، ولتسيل بعد ذلك فى جداول تكاد تكون متشابهة ، من حيث طبيعة مسالكها ودروبها ، وحقيقة مآلها ومصيرها .

ويتضح ذلك من خلال فهمنا لواقعية الحقبة الأولى من هاتين الحقبتين وموضوعيتها ، والتى تمتد من لدن تفسير النبى ﷺ وتنتهى بتفسير تابعى التابعين أواخر القرن الثانى الهجرى ؛ فتابعو التابعين اعتمدوا فى تفاسيرهم على نقل المأثور عن التابعين ، والتابعون اعتمدوا بدورهم على المأثور عن الصحابة ، والصحابة نهلوا ولاشك من مَعين رسول الله ﷺ الذى تلقى عن أمين وحى السماء جبريل عليه السلام ، والذى تلقى بدوره عن ربٍّ العزة سبحانه ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان(٢) .

---

(١) التفسير بين الماضى والحاضر : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - ص ١٨ - دار الاعتصام - القاهرة - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٢) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

حتى إن الدكتور الذهبيّ نفسه يذهب إلى ما هو أبعد من عصر تابعى التابعين حين يقرر حصر التفاسير واقتصارها على المأثور دون غيره ، فيتجاوز بهذا القرن الثالث الهجرى كله ، ليستقر به المقام عند ابن جرير الطبريّ الذى توفى أوائل القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى عام (٣١٠ هـ = ٩٢٣م).

وفى هذا يقول الدكتور الذهبيّ ما نصه : انفصل التفسير عن الحديث فأصبح علماً قائماً بذاته ، ووُضِعَ التفسيرُ لكل آية من القرآن على حسب ترتيب المصحف ، وقد تم ذلك على أيدى طائفة من العلماء منهم : ابن ماجه القزوينى ت (٢٧٣ هـ = ٦٤٨م) وابن جرير الطبرى ت (٣١٠هـ = ٩٢٣م) وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وليس فى واحد منها شىء من التفسير أكثر من التفسير المأثور[١] .

أما الحقبة الزمنية الثانية والتى تمتد بالتفسير من بعد عصر تابعى التابعين مع بداية القرن الثالث الهجرى وحتى يومنا هذا ، فتكاد تتشابه خصائصها ، وتتقارب ملامحها ؛ لتجسد لنا فى النهاية صورة حقيقة لما عليها واقع التفسير فى هذه الحقبة الممتدة ، والذى يعتمد أولاً وآخراً على موروث الحقبة الأولى ، فيعمد إلى تحليله وإعمال النظر فيه ؛ بهدف توجيهه أو ترجيح بعضه على بعض ، مع ما يكون من زيادة عليه من فنون العلم ، وفروعه المختلفة ، حسبما تدعو إليه الحاجة ، وتقتضيه الضرورة ، وما فِعْلُ الطبريّ وغيره من العلماء حتى اليوم عنا ببعيد !

ولئن كان قدامى علمائنا ومحدثوهم قد لجأوا إلى تقسيم مسيرة التفسير (تقسيماً تاريخياً) إلى مراحله المذكورة ، وأدواره السابقة ، حيث أجملوا بعضها أحياناً ، وفصّلوا بعضها أحياناً أخرى ، إلا أننا نرى أن تقسيمها (تقسيماً موضوعياً) إلى الحقبتين المذكورتين ، يرقى لأن يشكل أساساً جوهرياً ، ويرسم ملمحاً واضحاً ؛ يمكننا بناءً عليه أن نفرّق بين هذه المرحلة أو تلك ، ونميّز بين هذا الطور أو ذاك ، وهو ما لا ينهض به تقسيمها التاريخى المشار إليه[٢] .

---

(١) علم التفسير : د. محمد حسين الذهبى ص ٣٦ .

(٢) ومما يؤكد هذا التداخل الحادث بين مراحل التفسير وأطواره المختلفة التى ذهب إليها كثير من العلماء المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ؛ فإننا نكتفى بذكر الشاهد التالى :

فعلى الرغم من أن الدكتور محمد حسين الذهبيّ رحمه الله قد أكثر من ذكر مصادر التفسير فى كل مرحلة من مراحله التى ذهب إليها ، ثم أشار إلى أشهر مفسريها ، وكذا قيمة التفسير ومميزاته أثناءها ، إلاّ أن ما ينطبق على هذه المرحلة أو تلك يتكرر بذاته فى غيرها ، إلا من بعض الاختلاف =

وبهذا يتأكد لنا ما ذهبنا إليه بصدد كل من الحقبتين الزمنيتين الأساسيتين اللتين نرى أنهما تتنازعان مسيرة التفسير من لدن عصر التنزيل ، مروراً بعصرنا الراهن ، بل واستمراراً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

المطلب الرابع
تعدد التفاسير وتنوعها

اتسع مجال التفسير ، وانداحت دائرته ؛ ليستوعب شتى أنواع التفاسير على تعددها ، وليشمل مختلف طوائف المفسرين على تنوعها ، إلى الحد الذى عمد فيه كل مفسر إلى الفن الذى يمتلك زمامه ، أو المذهب الذى يعتقد صحته ، فيضعه نصب عينيه ، ويجعله غالباً فى تفسيره ، ومهيمناً عليه ؛ وبناءً على ذلك فقد أفرز هذا الاتساع فى مجال التفسير العديد من التفسير التى جاءت تبعاً لتمكن أصحابها واقتدارهم فى هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذى يمكننا معه إيجاز تلك الأنواع فيما يلى :

١ - تفاسير المُحَدِّثين :

ويقتصرون فيها على رواية الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ والخاصة بتفسير آيات الذكر الحكيم ، ويأتى على رأس هؤلاء أمير المؤمنين فى الحديث محمد بن إسماعيل البخارىّ ت (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) الذى أفرد فى صحيحه كتابين مستقلين للتفسير وحده وَسَمَهُمَا بعنوانىْ : (كتاب التفسير) و(كتاب فضائل القرآن)(١) .

ويشير الأستاذ أمين الخولى إلى أن هذين الكتابين يشغلان حيزاً واضحاً من (صحيح البخارىّ) تقدر نسبته بما يقرب من ثُمُنِ هذا الصحيح(٢) .

= اليسير الذى لا يرقى لأنْ يشكل فارقاً واضحاً يمكن على أساسه الفصلُ أو التمييز بين هذه المراحل على النحو المذكور ؛ وهذا ما يؤكد ذلك التداخل الذى أشرنا إليه .

- راجع فى ذلك (علم التفسير) : د. الذهبى ص ١٣ - ٣٩ (على مدار سبع وعشرين صفحة كاملة) .

(١) انظر هذين الكتابين على الترتيب فى (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) كما يلى :

- كتاب التفسير : الجزء السابع عشر كاملاً ص (١ - ٣١٠) والجزء الثامن عشر كاملاً أيضاً ص (١ - ٤١٦) .
- كتاب فضائل القرآن : بعضٌ من الجزء التاسع عشر ص (١ - ١٢٣) وبهذا يبلغ مجموع هذين الكتابين وحدهما ما يقترب من ثمانمائة وخمسين صفحة من شرح هذا الصحيح .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٣٤٩/٥ - مادة (تفسير) - وضع : مجموعة من المستشرقين - تعليق : أمين الخولى - طبع دار الشعب - القاهرة - (د.ت) .

٢- تفاسير القُرَّاء :

ويهتمون برواية القراءات الثابتة عن شيوخهم ؛ بحيث لا يَدَعون دقيقاً ولا جليلاً يتعلق بذلك إلاّ أتوا به[١] ومن هؤلاء الحسن البصريّ ت (١١٠هـ = ٧٢٩م) صاحب إحدى القراءات الأربع الشاذة[٢] .

٣- تفاسير الفقهاء :

وفيها يصرفون عنايتهم إلى إيراد الأحكام الفقهية ، مع الترجيح بين الآراء ، فضلاً عن مقارنة المذاهب ، والرد على مخالفيهم ، ومن هؤلاء أبو بكر الجَصَّاص الحنفى ت (٣٧٠ هـ = ٩٨١م) ثم عماد الدين الطبرىّ المعروف بـ (إلْكِيَا الهَرَّاس) الشافعى ت (٥٠٤ هـ = ١١١١م) وأخيراً المالكيان : القاضى أبو بكر بن العربى ت (٥٤٣ هـ = ١١٤٩م) وأبو عبد الله القرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م)[٣] .

٤- تفاسير المتكلمين :

وهم الذين يعمدون إلى تناول الآيات المتعلقة بأسماء الله وصفاته ، فضلاً عن إقحام أقوال الحكماء ، وإيراد شُبَه الفلاسفة ؛ بهدف تفنيدها والرد عليها من خلال التفسير ، ومن هؤلاء فخر الدين الرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠م)[٤] .

---

(١) الفوز الكبير فى أصول التفسير : ولى الله الدهلوى ص ١٧ - (بتصرف يسير) - عَرَّبَه عن الفارسية : سلمان الحسينى الندوى - الطبعة ٢ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م .

(٢) ستأتى ترجمة الحسن البصرىّ مفصَّلة ضمن تراجم القرَّاء الأربعة عشر ص من هذا البحث .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أحكام القرآن : الجصّاص - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- أحكام القرآن : إلْكِيَا الَهرَّاس - تحقيق : (موسى محمد على - د. عزت عطية) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د.ت) .
- أحكام القرآن : ابن العربى - تحقيق : على محمد البجاوى - دارالمعرفة - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- الجامع لأحكام القرآن : القرطبى - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة - الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

(٤) راجع فى ذلك تفسيره المسمى بـ (التفسير الكبير) والمشهور بـ (مفاتيح الغيب) : لفخر الدين بن عمر ابن الحسين القرشى البكرى الطبرستانى - الطبعة ٢ - نشر : دار الكتب العلمية - طهران - إيران - (د. ت) .

٥- تفاسير الفِرَق :

ومن خلالها يحرص أتباع هذه الفِرَق على ترويج مبادئهم ، ونشر آرائهم ؛ بهدف زيادة مؤيدهم، وتكثير سواد أنصارهم ، وتتعدد هذه الفِرَق ؛ كما تتنوع وفقاً لها تفاسير أتباعها ، وفيما يلي ذكر مفسرى بعض هذه الفرق ، مع ذكر ما لهم من تفاسير ، على اختلاف أعصارهم ، وتباين أمصارهم :

- **الصوفية :**

ومنهم سهل التسترى ت (٢٨٣هـ = ٨٩٦م) وأبو عبد الرحمن السُّلَمِىّ ت (٤١٢هـ = ١٠٢٢م) وأبو محمد الشيرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠م) ومحى الدين بن عربى ت (٦٣٨هـ = ١٢٤١م)(١) .

- **المعتزلة :**

ومنهم القاضى عبد الجبَّار ت (٤١٥هـ = ١٠٢٤م) وجار الله الزمخشرى ت (٥٣٨ هـ = ١١٤٤م)(٢) .

- **الشيعة :**

وتشمل عدة طوائف نكتفى بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفتين منها ، ألا وهما :

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- تفسير القرآن العظيم : لأبى محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَرِىّ - (بدون بيانات) .
- حقائق التفسير : لأبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ - (بدون بيانات) .
- عرائس البيان فى حقائق القرآن : لأبى محمد الشيرازى - (بدون بيانات) .
- الفتوحات المكية: لمحيى الدين بن عربى - تحقيق وتقديم : د. عثمان يحيى - تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مدكور - إصدار : (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الإجتماعية بمصر) بالتعاون مع (معهد الدراسات العليا فى السوربون بفرنسا) - طبع الهيئة المصرية العامة لكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :
- تنزيه القرآن عن المطاعن : إملاء قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبّار بن أحمد - على نفقة : محمد سعيد الرافعى صاحب المكتبة الأزهرية - طبع المطبعة الجمالية - القاهرة - ١٣٢٩هـ = ١٩١١م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل : لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى - وبهامشه (حاشية السيد شريف الجرجانى ، وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكى ، وكتاب تنزيل الآيات لمحب الدين أفندى ، وبأعلاه النص القرآنى برسم وضبط الدورى) - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - (د.ت) .

أ - الإماميَّة الاثنا عشريَّة :

ومنهم أبو على الطبـرسى ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣م) ومُلاً مـحسن الكاشـى ت (أواخر القرن الحادى عشري الهجرى السابع عشر الميلادى)[١] .

ب - الزيـديـّة :

ومنهم عطية بن محمد النجرانى ت (٦٦٥هـ = ١٢٦٧م) ومحمد بن على الشوكانى ت (١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م)[٢] .

- **الخوارج :**

ويشملون عدة طوائف نكتفى بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفة منها ، ألا وهى :

الإبَاضيّة :

ومنهم هود بن مـحكم الهوارىّ من علمـاء القرن الثـالث الهجـرىّ التاسع المـيلادىّ ، ومحمد بن يوسف إطفيش ت (١٣٣٢هـ = ١٩١٤م)[٣] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- مجمع البـيان فى تفسير القـرآن : لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسىّ - طبع مكتبـة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م .
- تفسير الكاشى : لملا محسن الكاشى - (بدون بيانات) .

(٢) فيما يتعلق بالنجرانى راجع :
- الفهرست : ابن النديم ص ٢٣ - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م .

ويشير ابن النديم إلى هذا التفسير بقوله : (وقد قيل عنه : إنه تفسير جليل ، جمع فيه صاحبه علوم الزيدية) ويعقب الدكتور الذهبىّ على ذلك بقوله: (لم أقف عليه) - انظر (علم التفسير): ص ٦٨ .
وفيما يتعلق بالشوكانى راجع :
- فتح القدير الجامع بين فنىْ الرواية والدراية فى علم التفسير : لمحمد بن على بن محمد الشوكانى - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م .

(٣) فيما يتعلق بالهوارى راجع :
- علم التفسير : د. الذهبىّ ص ٦٩ - حيث ذكر ما نصه : (وهذا التفسير متداول بين الإباضية فى المغرب ، وقد اطلعت على بعض أجزائه الأربعة لدى الشيخ إبراهيم إطفيش رحمه الله) .

وفيما يتعلق بمحمد إطفيش راجع :
- هِمْيَان الزاد إلى دار المعـاد : محمد بن يوسف إطفيش - (بدون بيانات) - و(الهِـمْيَان) : كيس يوضع فيـه المال ، ويشده صاحبـه على وسطه بحزام محكم أو نحـوه ، وهو مُعَرَّب ، وجمـعه (هَمَايَن وهَمَايين) - انظر مادة (هَمَى) فى كل من مختار الصحاح: ص ٦٩٩ - المعجم الوسيط : ١٠٣٦/٢ .

٦- تفاسير المؤرخين :

وفيها يصرف أصحابها همتهم إلى إيراد القصص ، وذكر أخبار مَنْ سلف ، بقطع النظر عن صحة ذلك ، أو عدم صحته ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبى ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦م) وعلاء الدين الخازن ت (٧٢٥هـ = ١٣٢٥م)[١] .

٧- تفاسير اللغويين :

وهم الذين يشتغلون ببيان لغة القرآن وإعرابه ، فضلاً عن كشف لطائفة البيانية ، واستخراج نكاته البلاغية ، أما النحاة : فنذكر منهم كلاً من أبى الحسن الواحدى ت (٤٦٨هـ = ١٠٧٦م) وأبى حيان الأندلسى ت (٧٤٥هـ = ١٣٤٤م)[٢] وأما البيانيون فرائدتهم الدكتورة عائشةعبد الرحمن المعروفة بـ (بنت الشاطىء) ت (١٤٢٠هـ =

---

(١) فيما يتعلق بالثعلبى راجع :

- الكشف والبيان فى تفسير القرآن : الثعلبى - مخطوط فى أربعة مجلدات تحت رقم (١٣٦ / ٢٠٥٦) - مكتبة مخطوطات الجامع الأزهر بالقاهرة - كما توجد نسخ متفرقة منه فى كل من : دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧ تفسير) - ومعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (مصورة على مخطوطة الأزهر) .

وفيما يتعلق بالخازن راجع :

- لباب التأويل فى معانى التنزيل : لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن - وبهامشه (تفسير معالم التنزيل) : لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ت (٥١٦هـ = ١١٢٢م) - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

(٢) فيما يتعلق بالواحدى راجع كلاً من :

- البسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣ تفسير) - وفهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية - الجزء الأول (التفسير) - ص ١٣ - المخطوط رقم (٢٨٢) .
- الوسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (١٣١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٦٣٥) - (التفسير) - كما هو مبين بفهرس المخطوطات .
- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤) - (التفسير) .

وقد أشار الدكتور جودة المهدى إلى أن (الوجيز) هو التفسير الوحيد المطبوع للواحدى ، حيث طبع على هامش (التفسير المنير لمعالم التنزيل) بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة عام (١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م) - كما تتبع الدكتور المهدى تفاسير الواحدى الثلاثة (البسيط - الوسيط - الوجيز) فَحَصَرَ نسخها وعَرَّف بها من خلال بحثه الموسوم بعنوان :

- الواحدى ومنهجه فى التفسير : د. جودة محمد محمد المهدى ص (٨٦ - ٩٣) - الطبعة ١ - لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م . =

١٩٩٩م)[1] .

٨- تفاسير العِلْميين :

وفيها يعمد أصحابها إلى تفسير آيات القرآن بناءً على معطيات النظريات الحديثة ، ووفقاً للبحوث العلمية الجديدة ، وقد يُحَمِّلُون بعض الآيات ما لا تحتمل ، ويلزمونها ما لا يلزم ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ طنطاوى جوهرى ت (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م)[2] .

٩- تفاسير الاجتماعيين :

وهم الذين يوجهون عنايتهم إلى إصلاح المجتمع ، ويجندون طاقتهم لمعالجة أدوائه ، من خلال توثيق صلة الناس بدينهم ؛ بما يقوِّم حاضرهم ، ويستشرف مستقبلهم ، فضلاً

= وفيما يتعلق بأبى حيان راجع كلاً من :

- البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسىّ الغرناطىّ - وبهامشه (تفسير النهر المادّ من البحر لأبى حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه تاج الدين الحنفى النحوى ت ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) - الطبعة ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - طبع القاهرة - (بدون بيانات) .

(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : للشيخ طنطاوى جوهرى - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) - ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طنطاوى جوهرى قد ابتدأ هذا التفسير العلمى منذ كان مدرساً بمدرسة (دار العلوم) حيث كان الأمل معقوداً عليه لبيعث الأمة على درس مختلف العلوم ، وشتى الفنون ؛ بالقدر الذى يجعل من أبنائها مَنْ يفوقون الفرنجة فى الطب والهندسة والفَلَك والزراعة والصناعة وغيرها ، بل ويرى أن الاشتغال بهذه العلوم أفضل من الاشتغال بعلوم الفرائض ؛ ومن ثم ينحو باللائمة على المفسرين السابقين لإهمالهم تلك العلوم على الرغم من أهميتها ، وأنه بتفسيره هذا يمحو وصمة التقصير فى كتبهم .

ولعل كثرة ما وُجِّهَ إليه من نقد توحى بأن هذا المسلك مذموم فى تفسير القرآن ، والحق ليس كذلك ؛ لأن ما عيب عليه إنما هو تكلفه البغيض ، وسوء تأويله ، أما هذا المسلك العلمى فليس مذموماً على إطلاقه ؛ لأن القرآن على الرغم من ثباته إلاّ أنه يلائم كل زمان ومكان ، ويساير التقدم العلمى جنباً إلى جنب ، فيجمع الماضى البعيد والحاضر القريب ، ويفسر علم اليوم بما يكشف عنه البحث فى الغد ، وفى هذا دليل قوته ، وبرهان إعجازه .

راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

- دراسات حول القرآن : د. إسماعيل أحمد الطحان ١/ ٢٢٠ - الطبعة ١- مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- العلم الحديث فى خدمة فهم القرآن : د. عبد الحافظ حلمى - مجلة (من ثمار الفكر) - الموسم الخامس - إصدار جامعة قطر - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

عن إرشادهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا ، وفوزهم فى الآخرة ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء كل من : الشيخ رشيد رضا ت (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) والأستاذ سيد قطب الذى استشهد عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م)(١) .

١٠- تفاسير المثقفين :

وهم أولئك النفر المعاصرون من غير أهل الاختصاص الذين يلجأون إلى تفسير القرآن الكريم ؛ وفقاً لمعارفهم العامة ، وتبعاً لميولهم الذاتية ، وتجدهم فى ذلك أخلاطاً شتى ، حيث يتوزعون بين أهل الطب والهندسة والفَلَك ، وكذا الصحافة والاقتصاد والقضاء ، فضلاً عن المعنيين منهم بالعلوم البحتة والتجريبية ، وغيرهم من ذوى القدرات العقلية الخاصة ، والمواهب النادرة المتميزة ، مِمَّنْ تراودهم فكرة التفسير ، وتلح عليهم الرغبة فى ارتياده .

---

(١) فيما يتعلق بالشيخ رشيد رضا راجع كلاً من :

- (تفسير القرآن الحكيم) المعروف بـ (تفسير المنار) : الإمام محمد عبده مع السيد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ .
- رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة : لأمير البيان شكيب أرسلان - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٥٥هـ = ١٩٣٧م .
- منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

وفيما يتعلق بالشهيد سيد قطب راجع كلاً من :

- تفسير (فى ظلال القرآن) : بقلم سيد قطب - الطبعة ٢ - طبع دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى - القاهرة - (د. ت) .
- وكذلك الطبعة الشرعية الثالثة عشر من نفس التفسير الصادرة عن دار الشروق - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م - وقد كتب على غلافها ما نصه : (الطبعة الجديدة المشروعة التى تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى مع المراجعة الشاملة والتصويت الدقيق) .
- سيد قطب (الشهيد الأعزل) : محمد على قطب (المؤلف) - تقديم : محمد قطب (الأخ) - مطابع المختار الإسلامى - القاهرة - (د. ت) .
- سيد قطب (صفحات مجهولة) : محمد سيد بركة - الطبعة ١ - (مطبعة المنار الجديد) مع (دار الاعتصام) - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .
- أثر الواقع الثقافى فى التفاسير الحديثة للقرآن الكريم : بزوى أحمد الضاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - وقد عرض الباحث من خلال ذلك للمنهج التفسيرى لكل من : (رشيد رضا - سيد قطب - محمد عَزَّة دروزة) مقارناً بينهم وبين غيرهم من المفسرين السابقين عليهم إزاء مناهجهم التى سلكوها فى تفاسيرهم .

ولتحقيق هذا الهدف ، وتلبية تلك الرغبة ؛ تراهم يورّطون أنفسهم ويتكلفون مالا يطيقون ، ويَهُونُ عليهم ذلك كلُّه فى سبيل أن يدلوا بدلوهم ، ويجرّبوا حظهم ؛ إلا أن هذا يُسْقِطُ الكثيرين منهم فى دائرة الحرج والمخالفة ، وينأى بهم عن جادة الحق والصواب ، مما كان عليه سلف هذه الأمة وخلفها ، ونكتفى فى التمثيل لهم بأشهرهم من المعاصرين لنا وهو الدكتور مصطفى محمود فى كتابه المسمى (القرآن : محاولة لفهم عصرى)[1] .

المطلب الخامس

الافتقار إلى منهجٍ تفسيرىّ واضحِ المعالم

رأينا كيف أن هذه التفاسير قد بلغت عشرة أنواع ، كما رأينا كيف اعتمد أصحاب كل نوع منها على ما برعوا فيه من فن ، أو استمسكوا به من مذهب ؛ ومن ثم جاء كل تفسير منها مقصوراً على هذا الفن ، أو محصوراً فى ذاك المذهب ، وعلى الرغم من تنوع هذه التفاسير وكثرتها ، واختلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلاّ (أننا لم نظفر بقانون نظرى محدد ، أو منهج نظرى واضح المعالم ، قد واكب هذه التفاسير وعاصر نشأتها ، بل إن المحاولات الأولى لصياغة بعض المناهج النظرية لم تظهر إلاّ متأخرة جدًا ، وإنْ كانت قد طبقت فى بعض الأعمال التفسيرية على نحو أو آخر)[2] .

ومن هنا افتقر التفسير على امتداد مسيرته ، واختلاف مراحله ، حتى يومنا هذا إلى

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- القرآن (محاولة لفهم عصرىّ) : د. مصطفى محمود - الطبعة ٧ - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .
- مصطفى محمود (حياتى وفكرى - آرائى ومواقفى) : مجموعة حوارات أجراها معه : مأمون غريب - الطبعة ١ - دار سَلْمَى للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

وجدير بالذكر أن هذا التفسير قد تعرض لنقد كثير من العلماء المعنيين ، فضلاً عن غيرهم من المهتمين بالتفسير خاصة ، والدراسات الإسلامية عامة ، ونكتفى فى التمثيل لهم بكل من :

- القرآن والتفسير العصرىّ : دة. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)- دار المعارف- القاهرة - ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م .
- شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن : د. عبد المتعال الجابرى - دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف يسير :

- محاضرات فى تاريخ تفسير القرآن الكريم (اتجاهاته ومناهجه) : لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف ص ٢٣٣ - ألقيت على طلاب الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم بجامعة اقاهرة - نشر : دار العروبة بالكويت - إشراف : دار الفصحى بالقاهرة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

صياغة (نظرية عامة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيرى) لهذا المفسِّر أو ذاك ؛ فيرسم حدوده ، ويوضح معالمه ، وبهذا نتوقى التداخل ، ونأمن الخلط ، الذى ينجم من جراء تناول مختلف هذه التفاسير ، فى محاولة للاقتراب من أصحابها بما يكشف عن مسلكهم ، وينبىء عن منهجهم .

المطلب السادس

تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير

انبرى كثير من العلماء الأعلام ، فوقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم ، والكل فى سَعْى حثيث ، وجهد دؤوب ؛ لفهم هذا القرآن والكشف عن معانيه ، بل ومحاولة الاقتراب من مراد الله فيه .

ومن ثم ؛ فإننا (نجد أن أسلوب التفسير يتجدد مع كل مفسِّر ، وكذا مع كل عصر بحسبه ، وذلك أمر طبيعى ، لأن المفسرين إنما يصورون ما فهموا من كتاب الله ، وأداة فهمهم هى عقولهم ، كما أن مادة علمهم هى بيئاتهم ومعارف عصرهم ؛ فكان لزاماً أن يظهر ذلك كله جلياً فى نفثات أقلامهم ، ومعرض آرائهم)[1] .

ومن هنا ؛ فقد اختلفت (معالجة المفسرين للكشف عن معانى القرآن الكريم ، فلم تَجْرِ على نمط واحد ، ولم تكن على مستوى واحد من الفهم والإدراك ، وتلك طبيعة كل كائن حىّ يحيا حياة حسية أو معنوية ، وكان بدهيًا أن يبدأ التفسير على صورة ضيقة ؛ لأن القوم وقت نزوله كانوا عَرَبًا خُلَّصاً ، يعرفون اللسان العربى ، ولا يخفى عليهم من معانيه إلاّ النزر اليسير ، والذى لا يلبث أن ينجلى لهم برجوعهم إلى رسول الله ﷺ ثم اتسعت دائرة التفسير متدرجةً شيئاً فشيئاً بناءً على زيادة الغموض الذى اعترى الناس بسبب بُعدهم عن مَعِين العربية التى نزل بها القرآن العظيم ؛ ولهذا ستظل حاجة الناس فى ازدياد إلى التفسير بقدر زيادة هذا الغموض ، وكلما زاد ابتعادهم عن عصر النزول)[2] .

غير أن ما ينبغى الالتفات إليه ، ويجب التنبيه عليه ، هو أن جهود المفسرين من

(١) مقاصد القرآن الكرم (مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل البقرة) : الإمام الشهيد حسن البناص ١٣ - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م - (بتصرف يسير) .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :
- علم التفسير : د. الذهبى ص ١٢ .
- التفسير والمفسرون : د. الذهبى ١/ ١٠٠ .

السابقين واللاحقين ، لن تُثْمِرَ ثَمَرَها ، ولن تُؤْتِيَ أُكُلَهَا ؛ إلاّ من خلال تحديد المنهج التفسيرى الذى ينبغى أن يلتزمه هذا المفسر أو ذاك ، إزاء كشفه عن معانى القرآن ، وتجليتها للأفهام ؛ فتحديد المنهج يؤدى بالضرورة إلى تحديد خط السير الذى يلتزمه الناظر فى التفسير ؛ فيسير على هداه ، ويترسم خطاه ، ليأخذ بيديه فى النهاية إلى تحقيق هدفه الكلىّ ، والذى يتمثل فى إحداث الفهم الشامل لكلمات القرآن وآياته ، وذلك دون أن يكلفه مؤنة البحث وما فيه من المشقة ، أو يجشمه إهدار الوقت وما فيه من المضرّة .

لأجل هذا ؛ كان (تحديد المنهج التفسيرىّ) من الأهمية بمكان بحيث تتوقف عليه (عمليَّة الفهم الشامل للنص القرآنى) سواء على مستوى (الإفراد) أو على مستوى (التركيب) والذى بدون تحديده نظل نفتقد الوسيلة الفعليّة التى تُوَصِّلُنَا لتحقيق الهدف المنشود من التفسير .

* * *

وبعد : فقد اقتضت رغبتنا فى الوقوف على ضرورة وجود منهج تفسيرىّ ؛ أن نعرض من خلال هذا التمهيد لمسيرة التفسير ومراحل تطوره ومدى الحاجة إليه ؛ وذلك بقصد التنبيه على أهمية مثل هذا المنهج وفائدته ، والتى تتبلور من خلال تحديد موقعه ، وتوصيف دوره ، الذى يقوم به لإتمام عملية التفسير ، والتى يرتبط شمولها بشمول القرآن ذاته ، بل وتتجدد الحاجة إليها بتجدد الحاجة إلى فهم القرآن ذاته .

وعليه فإنه يمكن لهذه الأمة أن تَتَّبِعَ ما فى قرآنها من الأوامر ، وتجتنب ما فيه من النواهى ؛ بما يتأدّى عنه حصول نجاتها فى الدنيا ، بل وفوزها برضا ربها سبحانه فى الآخرة ، وذلكم هو هدفها الأسمى ، وتلكم هى غايتها العظمى .

القسم الأول

الترجمـــــــة

سيرة الشنقيطى

حياته الشخصية ومسيرته العلمية

وتنتظم تمهيداً وبابين وتعقيباً :

- **تمهيد** : بين الترجمة ومسلك البحث .

١ - الباب الأول : حياته الشخصية .

٢- الباب الثانى : مسيرتـه العلمية .

- **تعقيب** : حول هذه الترجمة .

تمهيد
بين الترجمة ومسلك البحث

وتنتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : الترجمة :

ويعالج المسائل الخمس التالية :

أ - المسألة الأولى : ماهيَّة الترجمة .

ب- المسألة الثانية : التراجم حق العلماء .

جـ - المسألة الثالثة : الترجمة بين الإقدام عليها والإحجام عنها .

د - المسألة الرابعة : أهمية الترجمة وخطر إغفالها .

هـ - المسألة الخامسة : حتمية الترجمة .

٢- المطلب الثاني : مسلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مرحلة المطالعة .

ب- المسألة الثانية : مرحلة المراسلة .

جـ - المسألة الثالثة : مرحلة الملاقاة .

المطلب الأول

الترجمـــــة

إن الترجمة فى حقيقتهـا تعنى الكتابة عن شخص ما ، سواء كان عالماً أو غيره ، وهى بهذا تقوم مقـام شخصيته من حيث إبراز صورته ، وبيان مكانته، وتقويم منزلته فى عظمتها أو توسطها أو خلافهما ، وهذا ما يمكن أن نستجليه من خلال المسائل الخمس التالية :

المسألة الأولى

ماهية الترجمـــة

وتنتظم الحديث عن جانبىْ الترجمة وقسميْها وأنواع المترجمين على النحو التالى :

● **جانبا الترجمة :**

والترجمة باعتبار حقيقتها تُعَدُّ ذات جانبين :

١ - الجانب الشخصىّ :

وهو عبـارة عن السيرة الشـخصيـة التى تُعَرِّفُ بشخص صـاحبها وحـقيقـته ، وتصف صورته وهيئته ، وتُبيِّن منزلته ومكانته ، وكأنها بذلك تستحضره لتجعله ماثلاً أمام عينىْ مَنْ يُطالِعُ ترجمته ، ومرتسماً فى خيال مَنْ يقرأ عنه .

٢ - الجانب العلمى :

وهو عبـارة عن السيرة العلمـية التى تُعَرِّفُ بمسلك صـاحبها فـى طلب العلم ، وتبيّن منهجـه فى تحصيله ونشـره ؛ بما يمكن أن يُعدَّ نهجـاً يَقْتَدى به مَنْ أراد أن يسلك سـبيله ، ويحذو حـذوه مَنْ أراد أن ينسج على منواله ، مـستفـيداً فى ذلك كله بأقـواله ، ومهـتدياً بأفعاله .

● **قسما الترجمة :**

كما أن الترجمة باعتبار نوعها تنقسم إلى قسمين :

١ - الترجمة الذاتيّة :

وتشمل السيرة الشخـصية وكذا العلمية التى يكتبهـا الشخص عن نفسه ، بادئاً فى ذلك بطفولته ، ومنتهياً بلحظة تدوين ترجمته ، ومـتلزماً فى هذا كله بتسجيل ماله وما عليه عبر مراحل عمره ، وأطوار حياته المختلفـة ، وهذا القسم من التراجم هو أصدق ما يكون حالما التزم صاحبه الاعتدال والأمانة فيما يكتبه عن نفسه .

ولقد ترجم خلق كثيـرون لأنفسهم من العلماء والفلاسفة وغيـرهم ؛ فصارت تراجمهم لأنفسهم بمنزلة المرجع الرئيس لكل مَنْ كتب عنهم فيما بعد من تلاميذهم وغيرهم ، ونذكر من هؤلاء العلمـاء بعضـاً منهم تنبيهـاً بهم على غـيرهم ألا وهم : (ابن سـينا - العمـاد الأصفهانىّ - ابن الخطيب - ابن خلدون - وأخيراً السيوطىّ)(١) .

---

(١) وفيما يلى موجز تراجمهم بترتيب وفاتهم على النحو التالى :

•• **ابن سينا ت (٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) :**

هو أبو على الحسين بن عبـد الله بن الحسن بن على بن سـينا البَلْخى ثم البخـارىّ الحنفى ، العلاّمة الشهير، الطبيب الفيلسوف، والملقب بـ (الشيخ الرئيس) برع فى الطب والفلسفة والمنطق، وألّف ما يقـرب من مائة مصنف منها : (الشـفاء - النجاة - الإشارات - القـانون) ومن رسائله البديعـة : (رسالة حى بن يقظان - رسالة الطيـر) وقد ردَّ عليه أبو حامـد الغزالىّ ت (٥٠٥ هـ = ١١١٢م) فى كتابه (تهـافت الفلاسفة) فَكَفَّرَه فى ثلاث مـسائل وبَدَّعَه فى سبع عشـرة أخرى من جملة عشرين مسألة أخذها عليه ويقال : إن تاب قبل موته ، كما أنه أصيب آنذاك بمرض (القُولَنْج) فَتُوُفِّىَ به ودفن بـ (هَمَذَان) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- عيون الأنباء فى طبـقات الأطباء : لموفق الدين أبى العباس أحمد بن القـاسم السعدى الخزرجى المعروف بابن أبى أُصَيْبِـعة ت (٦٦٨ هـ = ١٤٦٢م) - ص (٤٣٧ - ٤٥٩) - شرح وتحقيق : د. نزار رضا - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
- وفيات الأعيـان وأنباء أبناء الزمان : لأبى العباس شمس الدين أحمـد بن محمد بن أبى بكر بن خَلّكان ت (٦٨١هـ = ١٢٨٢م) - (٢/ ١٥٧ - ١٦٢) - تحقيق : د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- سيـر أعلام النبـلاء: للإمام شمـس الدين محمـد بن أحمـد بن عثمـان الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (١٧/ ٥٣١ - ٥٣٧) - حقـقه وخـرّج أحاديثه وعـلّق عليه : (شعـيب الأرنؤوط) مع (محمد نعيم العرقسوسىّ) - الطبعة١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م .
- البداية والنهاية : للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعـيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م) - (٥/ ٦٦٧ - ٦٦٨) - تحـقيق : (د. عبـد الله بن عبـد المحسن التـركى) بالتعـاون مع : (مركز البحوث والـدراسات العربية والإسلامـية بدار هجر) - الطبـعة ١ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٥م .
- الجواهر المضيّة فى طبقـات الحنفية : لمحيى الدين أبى محمد عبد القادر بن مـحمد بن محمد بن نصـر الله بن سالم بن أبى الوفـاء القـرشى الحنفى ت (٧٧٥هـ = ١٣٧٤م) - (٢/ ٦٣ - ٦٤) - تحقيـق : د. عبد الفتـاح محمد الحلو - مطبـعة عيسى البـابى الحلبى - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

•• **العماد الأصفهانى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) :**

هو القاضى الإمام ، العلاّمة المفتى ، المنشىء البليغ ، الشافعى الوزير عماد الدين أبو عبد الله محـمد بن مـحمـد بن حامـد بن محـمد بن عبـد الله بن على بن مـحمود بن هبـة الله بن أَلُهْ=

... ...

= الأصبهانى الكاتب، والمعروف بابن أخى العزيز ، و(ألُه) : لفظ فارسى معناه (العُقَاب) حَدَّث ببغداد والشام ومصر ، واتصل بكل من الوزير ابن هُبَيْرَة والملك نور الدين محمود زَنْكى والملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ؛ فقربوه إليهم ، وعلت منزلته لديهم ، وقد ألّف مصنفات عديدة منها : (خريدة القصر وجريدة العصر - البرق الشامى - ديوان الرسائل الكبير) وقد تُوُفِّىَ فى عامه المذكور ودفن فى (مقابر الصوفية) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ الذهبى ٢١/ ٣٤٥ - ٣٥٠ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩م) - (١٩/ ١١ - ٢٨) - الطبعة الأخيرة - راجعته : وزارة المعارف العمومية - طبع : دار المأمون - القاهرة - (د.ت) .
- التكملة لوفيات النَّقَلَة : لزكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ت (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) - (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٩) - حققه وعلّق عليه : د. بشّار عوّاد معروف - ساعدت جامعة بغداد على نشره - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين أبى نصر عبد الوهّاب بن على بن على الكافى السبكى ت (٧٧١هـ = ١٣٧٠م) - (٦/ ١٧٨ - ١٨٣) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحى) - الطبعة ٢ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

•• ابن الخطيب ت (٧٧٦ هـ = ١٣٧٤م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلمانىّ القرطبىّ ثم الغرناطىّ ، كان سلفه يعرفون قديماً بـ (بنى وزير) ثم صاروا يعرفون بـ (بنى الخطيب) برع فى القراءات والعربية ، وأخذ الطب والمنطق والحساب عن الفيلسوف أبى زكريا يحيى بن هُذَيْل ، وقد ألّف مصنفات عديدة منها : (الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة - الإحاطة بما تَيَسَّر من تاريخ غرناطة - ديوان شعر فى سِفرين) و (الحُلَل المرقومة فى اللمع المنظومة : وهو أرجوزة من ألف بيت فى أصول الفقه) عمل وزيراً لأبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد بن نصر بن الأحمر ثم من بعده لولده محمد ؛ ولعله لذلك قيل له : (ذو الوزارتين) وقد مات مخنوقاً فى سجنه من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الإحاطة فى أخبار غرناطة : لذى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب - (٤/ ٤٣٨ - ٦٣٤) - حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه : محمد عبد الله عنان - الطبعة ١ - نشر : مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) - (٤/ ٨٨ - ٩٣) - حققه وقدّم له ووضع فهارسه : محمد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د .ت) .

•• ابن خلدون ت (٨٠٨ هـ = ١٤٠٦م) :

هو الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعى البحّاثة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم الحضرمى ، من ولد وائل =

... ...

= ابن حجر ، التونسى الأصل ، ثم القاهرى المالكى ، المعروف بابن خلدون ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وأخذ على أبى البركات البلقينى والوادى آشى وغيرهما ، كما اعتنى بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً ، فضلاً عن الأدب وأمور الخط والكتابة ، وتوجّه أخيراً إلى مصر فأكرمه السلطان الظاهر برقوق ، وتولى قضاء المالكية غير أنه احتفظ بزىٍّ بلاده ولم يتزىَّ بزىّ القضاة ، وقد ألفّ مصنفات عديدة فى الإنشاءات النثرية والشعرية ، غير أن أشهرها : (التاريخ المترجم بـ : العبر فى تاريخ الملوك والأمم والبربر) والذى حوت مقدمته جميع العلوم ، وقد مات ابن خلدون فجأة فى رمضان المعظم من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للمؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت (٩٠٢هـ = ١٤٩٦م) - (١٤٥/٤ - ١٤٩) - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - (د.ت) .
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور : لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤م) - ص ٧٥٤ - طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجيا بألمانيا الاتحادية - أشرف على الطبع المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ببيروت - ثم طبع بدار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلى - (١٠٦/٤ - ١٠٧) - الطبعة ٧ - بيروت - لبنان - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .
- ابن خلدون (أبو علم الاجتماع): لسليمان فيّاض - سلسلة (علماء العرب) - الكتاب رقم (١٨) - نشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام الصحفية - القاهرة - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .
- المقدمة : لابن خلدون - تحقيق : د. على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

•• السيوطىّ ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م) :

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر الخضيرىّ الأسيوطىّ أو السيوطىّ ، ولد بالقاهرة عام (٨٤٩هـ - ١٤٤٥م) وتوفى بها من عامه المذكور ودفن بضاحية (مصر العتيقة) أو ما يعرف الآن بمنطقة (مصر القديمة) - والخضيرىّ : نسبة إلى مَحَلَّة ببغداد تعرف بـ (الخضيريّة) والتى نزح منها جده الأعلى (همّام الدين) زمن الدولة الأيوبية ، حيث استوطن (أسيوط) ثم نشأ فيها عَقِبُه ، وعاشت بها ذريته - وأما السُّيوطىّ : فنسبة إلى مدينة (أسيوط) بصعيد مصر حيث مسقط رأس والده بعد عام (٨٠٠هـ = ١٣٩٨م) قبل قدومه إلى (القاهرة) واستقراره بها .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- حُسْن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : للحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .
- الحافظ جلال الدين السُّيوطى (إمام المجتهدين والمجدّدين فى عصره) : عبد الحفيظ فرغلى القرنى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣٧) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

٢- الترجمة غير الذاتية :

وهى مجموع ما يكتبه غيره عنه من تلاميذه خاصة ، ومن غيرهم من طلاب العلم والمشتغلين به عامة ، ليسجلوا بهذا سيرته بجانبيها الشخصى والعلمى على السواء .

- **أنواع المترجمين :**

غير أن هؤلاء المترجمين ينقسمون إزاء ترجمتهم لغيرهم إلى ثلاثة أنواع :

١- قريب متحيز :

حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له من خلال زاوية واحدة فقط ، ألا وهى زاوية العاطفة ؛ ومن ثم يقع تحت تأثيرها الجارف ؛ فتحالفه المبالغة والإفراط فيما يكتبه ، ويصدق عليه قول الشاعر فى الشطر الأول من البيت :

وَعَيْنُ الرِّضا عنْ كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ...

٢- بعيد متحامل :

وهو عكس النوع الأول تماماً ، حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له بعين السخط فقط ؛ ومن ثم يكون متحاملاً منفعلاً ؛ فيحالفه التجنى والتفريط فيما يكتبه ؛ وعندئذ يصدق فيه الشطر الثانى من البيت :

... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى المَسَاوِيَا(١)

---

(١) لم نستدل على هذا البيت فى كل من :

- معجم الشواهد العربية: عبد السلام هارون - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .
- معجم شواهد النحو الشعرية : د. حنا جميل حدّاد - طبعة دار العلوم للطباعة والنشر - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

غير أننا قد عثرنا على هذا البيت منسوباً إلى المتنبى أبى الطيب فى :

- التمثيل والمحاضرة : لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ص ٣١٠ - تحقيق د. عبد الفتاح الحلو - طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

كما عثرنا على نفس البيت منسوباً إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بلفظ (فعين الرضا) بدلاً من (وعين الرضا) وذلك فى :

- بهجة المَجَالس وأنس المُجَالس ، وشحذ الذاهن والهاجس : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرىّ القرطبىّ - ١/ ٨١٤ - تحقيق : محمد مرسى الخولى - مراجعة : د. عبد القادر القط - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - (د.ت) . =

٣- محايد معتدل :

أما هــذا النوع من المترجمين فهو منصف فى النظر إلى مَنْ يترجم له ؛ حيث ينظر إليه بعين الحياد والإعتــدال ذاكراً ما له وما عليه فى صدق وأمانة ، وملتزماً فى ذلك بميزان الحق دون إفراط أو تفريط ؛ ولـذا فـإن هـذا النوع مـن المترجمين يُعْذَرُ فيما يُقَصِّرُ دون ذكره بغير قصد منه فيما يكتبه عن غيره ، وشفـعيه فى ذلك حرصه على التزام الحياد والاعتدال ، إلى الحد الذى ينشد معه بلوغ التمام والكمال ، وكأنه المقصود بعينه فى قول أبى الطيب المتنبى :

وَلَمْ أَرَ فـــى عُيُوبِ الناس عَيْبًا ... كَنَقْصِ القادرين على التمامِ(١)

المسألة الثانية

التراجم حق العلماء

ليس من شك فى أن تراجم العلماء حَـقٌ لهم على مَنْ بعدهم مِنْ تلاميذهـم خاصة ، ومِنْ غيرهم مِنْ طلاب العلم والمشتغلين به عامـة ؛ فبالترجمة يحفظ الخلف تراث السلف ، ويقوم اللاحـقون بحق السابقين فى حـفظ تاريخهم ، وتدوين سـيرهم ؛ خدمـةً لتراثهم ، وإحياءً لذكرهم ، وهم فى حقيقة الأمـر وواقعه إنما يحفظون العلم ذاته ، يصونون شرفه ، ويؤدون أمـانتـه ؛ ومن ثم يُنْسَبُ الفـضلُ لأهله ، ويُذكـر العلم بذويه ، من خـلال ذكـر محـاسن العلماء ومآثرهـم ، وطـلب الدعــاء لهم والترحم عليهــم ، وهذا كله من بركات العلم وخيرات عوائده .

= وأخيراً فإنه يلاحظ كثرة ورود هذا البيت بلفظيْه معاً (وعين الرضا) وكذا (فعين الرضا) فى :

- تفسير الطبرىّ المعروف بـ (جامع البيان عن تأويل القرآن): لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - مراجعة وتخريج : أحمـد محمد شاكر - تحقيق وتعليق : محمـود محمد شاكر - سلسلة (تراث الإسلام) - الطبعـة ٢ - طبع : دار المعارف بالقاهرة (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) - نشـر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) .

(١) ورد هذا البيت بلفظه المذكور فى :

- شرح ديوان أبى الطيب المتنبى : لأبى العلاء المعرىّ ٤/ ١٣٩ - تحقـيق : د. عبد المجيد دياب - طبع دار المعارف - القاهرة - (د.ت) .

كما ورد هذا البيت بلفظ (شيئا) بدلاً من (عيبا) فى كل من :

- ديوان المتنبى : ص ٤٧٦ - صَحَّح هذه الطبعة وقارن نسخهـا وجمع تعليقاتها : د. عبد الوهّاب عزام - طبع : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .
- ديوان أبى الطيب المتنبى : ٤/ ١٤٥ - شـرح أبى البقـاء العكبرىّ المـسمى بـ (التـبيان فـى شرح الديوان) - ضبطه وصححه ووضع فهارس : (د. مصطفى السّقا) بالاشتراك مع (إبراهيم الإبيارى - عبد الحفيظ شلبى) - طبع ونشر : مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦م .

وليس أدَلَّ على ذلك مما رواه القاضى عياض عن بعض مشايخه حينما وَجَّه إليهم قولاً يحمل معنى العتاب واللوم من جانب ، كما يحمل معنى الرجاء والطلب من جانب آخر ؛ عَلَّهُم بذلك يتذكرون ! فماذا قال لهم شيخهم ؟ لقد عاتبهم متعجباً بقوله : مالكم تأخذون العلم عنا ، وتستفيدون منا ، ثم تذكروننا فلا تترطمون علينا ؟!(١) .

حقاً ، إنه ربط أصيل بين العلم والعالم ، وتنبيه أكيد على وجوب الاعتراف بفضل العلماء على مَنْ بعدهم ، وذلك بالترجمة لهم بعد رحيلهم ؛ حتى تُرَدَّ إليهم بعضُ حقوقهم ، وبذلك يكون تواصل العلم والتواصى به بين طلابه ومريديه عبر الأجيال المتعاقبة والعصور المتلاحقة .

المسألة الثالثة

الترجمة بين الإقدام عليها والإحجام عنها

وإزاء التحرج من الإقدام على الترجمة والتقصير فيها ، أو عدم تناولها والإحجام عنها ، فإنا نؤيد ما ذهب إليه الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى الأول فيما يقرره بصدد موقف كل من الأصدقاء والأعداء ومَنْ بينهما من ذلك ، حيث يقول ما نصه : وقد يتحرج الأصدقاء مخافة التهمة والتأثر بالألفة ، أو يتوقف الأعداء مكتفين بالإغضاء ، أو يتردد الآخرون خشية التقصير ؛ ولهذا فقد تذهب الشخصية الفذة دون كتابة عنها ؛ فيفتقدها الحاضرون ، ويفقد سيرتها القادمون ، علماً بأن سيرة الرجال مدرسة الأجيال(٢) .

ومن ثم؛ فإن الإقدام على الترجمة وإنْ شابها شيء من التأثر أو التقصير غير المقصود ، فهى ولاشك خير وأنفع من الإحجام عنها أو التفريط فيها ؛ لما فى ذلك من الضرر البالغ ، والخطر العظيم ، وحسبنا فى ذلك قناعتنا بأن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

المسألة الرابعة

أهمية الترجمة وخطرُ إغفالها

إن إغفال تراجم العلماء الذين يتم تناولهم من خلال دراسة تراثهم أو تحقيقه أو تصنيفه أو ما إلى ذلك من ألوان البحث المعروفة ؛ ليعد أمراً من الخطورة بمكان من حيث إنه ضياع لحقوقهم ، وإهمال لتراثهم ، ومن ثم ضياع حقوق الأمة كلها ، وإهمال تراثها ، كما أنه

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٢ (من المقدمة) .

لون من ألوان عدم الوفاء لهم أو الترحم عليهم ، كفاء ما قدموا ، وجزاء ما أفادوا !! ومن هنا كان السؤال الذى يفرض نفسه : هل يمكنُ أنْ تُغْفَل تراجمُ هؤلاء العلماء ، أو يُسْتَهَانَ بأهميتها فى البحث ؟!

ويأتى الجواب بالنفى القاطع ، فكيف يمكن ذلك ؛ والترجمة فى المقام الأول هى مِفْتاح فَهْمِ تراث هؤلاء العلماء الفكرى ، وسبيل معرفة منهجهم العلمى ؛ وبالتالى فَهْمُ تراث الأمة ومعرفة منهجها على مدار عصورها المتلاحقة ، وعبر أجيالها المتعاقبة .

المسألة الخامسة

حتمية الترجمة

لما كانت الترجمة تحتل هذا الموقع من الأهمية ، ولما كان إغفالها يحتل هذا الموقع من الخطر ؛ لذا فإننا نجد المكتبات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها وقد ملئت بتراجم وسِيَرِ العلماء الأعلام منذ عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وحتى يومنا هذا ؛ لتكون بمثابة السجل الحافل الذى يضم بين أنصع صفحاته تراث الأمة جيلاً بعد جيل .

وقد لا أكون مبالغا إذا قلت : إن تراجم العلماء السابقين هى مدارس الحاضرين واللاحقين ؛ فتراجم العلماء تجعلهم وكأنهم فى عِدَاد الأحياء الذين يعيشون بين ظهرانىْ الأجيال بسيرتهم وتاريخهم ، يَهْدونهم ويعلمونهم ، على مر العصور ، وتعاقب الدهور .

وصدق السخاوى فيما ذهب إليه ، حيث أُثِرَ عنه أنه قال : (مَنْ وَرَّخَ مؤمناً فكأنما أحياه)[1] أى مَنْ ترجم لمؤمن وأَرَّخَ لحياته ، فكأنما جعله بمنزلة الأحياء ، من حيث تسجيل سيرته ، وتدوين تاريخه ؛ ليتعرف عليه الحاضرون ، ومِنْ بعدهم اللاحقون .

وهكذا تتأكد حتمية الترجمة ، وتتبلور أهميتها القصوى ؛ لما فى ذلك من تخليد ذكر العلماء الأعلام ، ومن ثم بقاء تراث الأمة على مَرِّ الأيام .

* * *

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١ (من المقدمة) - والقول المذكور ليس قول السخاوىّ ، وإنما نقله عن أبى العباس أحمد بن على بن أبى بكر بن عيسى بن محمد الميورقى - راجع فى ذلك :

- (الإعلام بالتوبيخ لِمَنْ ذَمَّ التاريخ) : للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت (٩٠٢هـ = ١٤٩٧م) - ص ٢٨ - نشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د.ت) .

المطلب الثانى

مســـــلك البحـــــث

لقـد سلكت إزاء تـرجمـة الشنقيطى كل سبيل ممكنة ، وأخذت بـكـل سـبب مُتَاح ؛ وذلك لمعرفـة المزيد ممــا يتصل بحياته الشخصـية ، ويُعَرِّفُ بسيرتـه العلمية ، مـن خـلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

مرحـــلة المطالـــعة

حيث طالعت فـى البداية ما كـتبه الشـيخ عطية محـمد سالـم بشأن ترجمـته لشيـخه الشنقيطى[1] تلك الترجـمة التى تعد المصدر الرئيس ، والمرجع الوحـيد ، لكل مَنْ أراد أن يترجم للشنقيطى أو يكتب عـنه ، بل إن ما بعدها يُعَدُّ عالةً عليهـا ، وهو منها بمنزلة الفرع من الأصل ؛ وذلك لما لها من السَّبْق والخصوصية ، والأهمـية والشمولية ، بما ليس لغيرها فى بابها ، وكيف لا يتوفر لها ذلك وكاتبهـا الشيخ عطية قد حظى من شيخه بما لم يَحْظَ به غيره ؟!

فكان له ماله من حُسْن الصحبة ، وطول العِشرة ، ودوام الملازمة ، ومواصلة الطلب ، معهدًا وجامعةً ، منزلاً ومسجـدًا ، ليلاً ونهارًا ، حِلاً وترحالاً ؛ الأمـر الـذى استحق بـه الشيخ عطية أن يكونَ أَخَصَّ تلامذة الشنقيطى ، بل أَقربَهُم إليـه ، وأَبَرَّهُم به .

وبالرغــم مـن مطالعة تلك الترجمة؛ إلا أننى اطلعت أيضاً على ما كتبه الآخرون ممــن اعتمدوا عـليها ، أو رجعوا إليهــا ، عن طريق النقل أو الاختصار أو الاقتبـاس ، إلى غير ذلك من ألوان التصـرف المختلفة ؛ وليس ذلك إلا جمـعاً للنفع ، وإتماماً للفـائدة ، بما قد يكون أضافه هؤلاء أولئك من ملاحظات خاصة ، أو انطباعات ذاتية ؛ مما قد يفيد منها هذا البحث حول تلك الترجمة وصاحبها[2] .

---

(١) أضواء البيان : الشنـقيطى ١/٣ - ٦٤ (من المقدمة بقلم الشيخ عطية بعنوان : مع صـاحب الفضيلة والدن الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من الدراسات الإسلامية الآتى ذكرها :

- الإقليد فى الأسماء والصفات ، والإجتهاد والتـقليد) : تحقيق شريف بن محمد فؤاد بن هزَّاع - الطبعة ١ - طبع : (المـكتبة الإسلاميـة عمان الأردن) - نشر : (مكتبـة ابن تيمية الطالبـية الهرم الجيزة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

=

المسألة الثانية

مرحلة المراسلة

وبعد مطالعة ترجمة الشنقيطىّ بقلم تلميذه الشيخ عطية كان أن وقفت على جملة من التساؤلات والاستفسارات التى تتعلق بحياة شيخه ومنهجه فى التفسير ، ولم يكن أمامى لإجابة مطلبى سوى مراسلة الشيخ عطية الذى سطرت إليه رسالة جامعة بالمطلوب ، غير أن انشغاله بشئون العلم والقضاء، وضيق وقته بهما ؛ قد حال دون رده العاجل إزاء ما طلبت ، ولما استبطأت الرد ؛ كان أن أرسلت إليه العديد من الرسل الذين أوصيتهم بلقائه ، ومتابعة الأمر معه[1] .

=

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار الهجرة للنشرة والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .
- حِلية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد - الطبعة ٢ - دار الحرية للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين - الطبعة ١ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - الطبعة ٣ - طبع : (دار النفائس بيروت لبنان - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م) - نشر : (دار الاعتصام القاهرة - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) .
- القول السديد فى كشف حقيقة التقليد : نشر مقتدى حسن الأزهرىّ - الطبعة ١ - دار الصحوة للنشر - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .
- منسك الإمام الشنقيطى : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى (المتوفى فى ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣هـ) وهو مجموع من تفسيره : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) - جمع ورتبه وحققه وعلق عليه ووضع عناوينه وفهارسه وعَرَّفَ به وبمؤلفه كل من : (د. عبد الله ابن محمد بن أحمد الطيَّار) مع (د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان) - الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - الطبعة ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .
- نثر الورود على مراقى السُّعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطىّ - الطبعة ١ - نشر : محمد محمود محمد الخُضر القاضى - توزيع : دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(١) وأخص منهم الأخ الأستاذ محمد خضر القوصىّ المصرى رئيس القسم الإسلامىّ بجريدة (المدينة المنورة) بجدة بالمملكة العربية السعودية ، والأخ الأستاذ محمد حلفاية المصرى المصحح اللغوى بنفس الجريدة .

وبعد حوالى عام تفضل مشكوراً بالرد على رسالتى من خلال (شريط مسجل) أحال فى بعض منه على ترجمته لشيخه فى مقدمة (أضواء البيان)[1] .

المسألة الثالثة

مرحلة الملاقاة

خامرنى إحساس عميق ، وراودتنى رغبة مُلِّحَة ؛ فى لقاء الشيخ عطية وأبناء الشنقيطى وذويه ؛ وذلك العظيم يقينى ، وكبير ثقتى ؛ بأن هناك جوانب كثيرة من حياة الشنقيطى لازالت بحاجة إلى الإضاءة والإيضاح ، بل إن بعضاً منها لا يزال مستوراً لما يكشف عنه النقاب ؛ ومن ثم فقد تحتم اللقاء .

ولم يَمْضِ وقت طويل حتى أكرمنى الله تعالى بأول عُمْرَة لى فى حياتى ؛ والتى على إثرها كان لقائى الأول بالمدينة المنورة بكل من الشيخ عطية ، والدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى[2] ثم بالابن الأصغر الدكتور عبد الله[3] .

ثم توالت اللقاءات فيما بعد بهم جميعاً، وكذا ببعض بنىْ عمومة الشنقيطى[4] وتلامذته[5] وذلك عن طريق صُحْبَة طيبة من المصريين الأخيار الذين تربطهم بهم صلة قلبية وعلمية[6] .

---

(١) كانت رسالتى إلى الشيخ عطية بتاريخ الأربعاء ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٨هـ = ١١ من مايو ١٩٨٨م على مقره بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة .
كما كان رده على رسالتى بعد عام تقريباً بتاريخ الثلاثاء ١٢ من رمضان المعظم كذلك ١٤٠٩هـ = ١٨ من أبريل ١٩٨٩م على مقرى بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ولازلت أحتفظ بكل من الرسالة والرد المسجل عليها .

(٢) وكان ذلك فى غضون عام ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م حيث تم هذا اللقاء عشَاءً بمنزل الدكتور محمد المختار الذى يحمل رقم ٣ بحارة المغربة بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوىّ الشريف ، وهو ذات المنزل الذى كان يقطنه والده الشنقيطى ، بل وبين جدران مكتبته الخاصة التى كان يطالع فيها .

(٣) وكان ذلك بمنزله أيضاً بأطراف المدينة المنورة .

(٤) ومنهم الأستاذ محفوظ بن محمد الأمين الجكنىّ الشنقيطىّ مدير إدارة العلاقات العامة بمجمع الملك فهد الطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

(٥) ومنهم الدكتور يعقوب طالب عبيدى الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو من الشناقطة كذلك .

(٦) ونخصُ منهم بالذكر كلا من :

- الأخ عبد الفتاح الزينىّ : المالك الوحيد لحق طبع مؤلفات الشنقيطىّ بموجب إذن رسمىّ من ورثته الشرعيين ، وصاحب مكتبة ابن تيميّة بالطالبية بالهرم بمصر ، والقائمة على طبع تلك المؤلفات ونشرها .
- الأخ عادل السُكرىّ : مدير دار البخارى للنشر والتوزيع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والقائم على طبع معظم مؤلفات ابنىْ الشنقيطى : الدكتور محمد المختار ، وأخيه الدكتور =

وبهذا اللقاء أتيحت لىّ الفرصة لسماع وجمع الأخبار من مصادرها الأصيلة المباشرة ، والتى لم تتضمنها ترجمة الشنقيطىّ السابقة بقلم تليمذه الشيخ عطية ، والذى أشار نفسه إلى جدوى وضرورة اللقيا والسماع بالنسبة لكل مَنْ يريد الترجمة لشيخه أو الكتابة عنه ؛ حيث يقول : والحال أنه لا مرجع لمن يكتب عنه إلا الخلطة وطول العشرة ، وتصيد الأخبار من ذويه الأخيار[1] .

هذا بالإضافة إلى المحاضرة القيّمة التى ألقاها الدكتور عبد الله عن والده الشنقيطىّ تحت عنوان : (الدرُّ الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) والتى أضاءت جوانب جديدة من حياته الشخصية والعلمية[2] .

* * *

وبعد : فيقول الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطىّ ما نصه : وإنى لأعتبر ما أقدمه بداية لانهاية ، وتذكرة للآخرين من حاضرين وغائبين ؛ لعلهم يتمون ما بقى ، ويكلمون ما نقص[3] . ثم يختم تلك الترجمة بقوله : هذا ما وسعنى ذكره ، ولعل من أبنائه الحضور أو غيرهم مَنْ لديه المزيد على ذلك[4] .

والحق أن الشيخ عطية على صواب فيما ذهب إليه بهذا الصَّدَد ؛ لأن الترجمة لشخص ما ، أو الكتابة عنه، لن تكون شافية كافية، ولا وافية ضافية ؛ إلا بتعدد الكُتَّاب عنه؛ وكثرة ورود الأقلام عليه .

= عبد الله ، الأستاذين بنفس الجامعة .

- الأخ الدكتور جمال السيِّد : الباحث بمركز السُّنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وأحد أبنائها الذين تربطهم صلة قوية بأبناء الشنقيطىّ وذويه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٢/١ (من المقدمة) .

(٢) ألقيت هذه المحاضرة ليلة الثلاثاء الموافق (الثالث من جمادى الآخرة ١٤١٢هـ = التاسع من ديسمبر ١٩٩١م) وقد سُجِّلَتْ على شريط أصدرته كل من : تسجيلات الآثار الإسلامية بجدة ، وتسجيلات مكتبة النجاة السمعية بالمدينة المنورة - ولازالت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١٦/١ (من المقدمة) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥٩/١ (من المقدمة) .

الباب الأول

حياته الشخصية

وينتظم تمهيداً وستة فصول :

- تمهيد : بين يدىْ هذا الباب .

1 - الفصل الأول : قبيلته وأسرته .

2- الفصل الثانى : اسمه ولقبه وسَمِيُّه .

3- الفصل الثالث : مولده ونشأته .

4- الفصل الرابع : صفاته الخِلْقية والخُلُقية والعِلْمية .

5- الفصل الخامس : زواجه وأولاده .

6- الفصل السادس : وفاته ورثاؤه وحُسْنُ خاتمته .

تمهيد

بين يدىْ هذا الباب

يـدور حديثـنا فى هذا الباب حول حـياة الشنقـيطى الشخصـية بما تنتظمـه من مراحل مختلفة ، ومـا تحويه مـن أطوار عديدة ، انطوت عليها رحلة عمـره الممتدة ، والتى بدأها بمولده ومهده ، واختتمها بوفاته ولحده .

ففى أسرته الصـغيرة كانت ولادته ، وبين أحضـان قبيلته (بنى جاكـان) كانت نشأته ، خِلْقته على هيئـتهما ، وتكوينه على خصالهـما ، ولا يزال كذلك حتى شبَّ عن الطوق ، وطلب العلم ، آخذاً منه بحظ وافر ، ومظهراً فيه نبوغاً ملحوظاً .

وهنا يستجـيب لداعّى الفطرة فيتزوج بعـد كثير إلحـاح ، وينجب ثلاثة بنتاً وولدين من هذا النكاح ، ثم بعـد هجرته إلى بلاد الحـجاز ومقـامه بهـا يوافيه الأجل ؛ فـيضع عـصا الترحال ببلد الله الحـرام عقب رجوعه من حجـه الأخير ، وليصير مـثواه بذات الثرى الذى يضم مثوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بمقبرة (المَعْلاَة) بمنطقة (الحُجُون) بمكة المكرمة .

وفيما يلى نعرض لرحلة عمره الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :

الفصل الأول

قبيلته وأسرتـــــه

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : قبيلـته .

٢- المبحث الثانى : أسرته .

المبحث الأول

قبيلتـــــــــه

وتنتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأو ل : أصـــل القبيلة .

٢- المطلب الثانى : صفات القبلية .

المطلب الأول

أصـــل القبيلة[1]

ينحدر الشنقيطى من أسرة تنتمى إلى قبيلة : (بنى جاكن أو بنى جاكان) نسبة إلى جدها الأكبر المعـروف بـ : (جاكن الأَبَرّ) كما يعـرف (الجكنيون) بـ : (تَجكَانْت)[2] ويتنازع أصل هذه القبيلة قولان :

● **القول الأول : إن أصلها يرجع إلى (حِميَر) :**

وممـن قال بـه الشيخ عطية ، واستدل عليه بما ورد عـلى لسان شاعر موريتانى مجهول الاسم فى قوله :

يـا قـائلاً طاعناً فـى أننـا عـربُ ... قـد كَـذَّبَتْكَ لنا لُسْـنٌ وألـوانُ

وَسْمُ العـروبـة بادٍ فـى شمـائلنا ... وفـى أوائلنا عـزٌ وإيمـانُ

آسَادُ (حِمْيَرَ) والأبطالُ مِـنْ مُضَرٍ ... حُمْرُ السُّيوفِ ، فما ذَلُّوا ولا هَانُوا[3]

● **القول الثانى : إن أصلها يرجع إلى (غالب) :**

وهـو جَـدٌّ رسول الله ﷺ وممـن قال به الشـيخ أحـمد بن أحـمـد المختـار الجكنى الشنقيطـى ، واستدل عليـه بما ورد على لسان الشاعـر الموريتانى مـحمد الحـسن بن الإمام الحاجى الجكنى فى قوله :

---

(١) بدأ هذا الفصل بذكر قـبيلة الشنقيطى وأسرته قبل ذكـره ؛ نظراً لأنهما سابقتـان عليه فى الوجود ، فضلاً عن كـونهما البيئـة الأولى التى احتضنته بعادتهـا وطَبَعَتْه بتقـاليدها ؛ ومن ثم كان من الأنسب البَدْء بذكرهمـا قبل ذكره ، لإمكان الاستدلال بهـما عليه من حيث صفـاته التى اكتسبهـا منهما فى صغره ثم ظهرت عليه فى كبره .

(٢) انظر وصف (الجكنيين) بـ : (تَجكَانْت) فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .
- الوسيط فى تـراجم أدباء شنقيط : أحـمـد بن الأمين الشنقيطـىّ ص ٢٧٧ - ط٣ - عناية : فؤاد سيد (أمين المخطوطات بدار الكتب المصـرية) - نشر : (مكتبة الخانجى بمصر) مع (مـكتبة الوحدة العربية بالدار البـيضاء بالمغرب) - ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م - حيث وصف صاحب الوسـيط (شعراء الجكنيين) بقوله : (شـعراء تجكانت) - أما كلمـة (تجكانت أو تكانت) فهى تعنى الغـابة فى لسان الشناقطة ؛ ومن ثم فإنهم يطلقونها كعَلَم على موضع عظيم المساحة عندهم - راجع (الوسيط) : ص ٤٤٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقـيطى ١/١٩ (من المقدمة) - وجدير بالذكر أن الشيخ عـطية قد صَرَّح برأيه هذا من خلال ردّه المسجل على رسالتنا إليه .

نحن الكرام (بنى جاكان) من مُضَر من (غَالب) جَدِّ مَنْ فاقَ الورَى خَبرًا
يكفيكَ مِنْ شرف مَحْضٍ لنا وعُلاً أَنَّا (قُرَيْشٌ) وكلٌّ دوننا انْحَدرَا
النهجُ منهجُنا ، والأمنُ مأمنُنا والحقُّ مذهبُنا ، والرشدُ فيه سَرَى[1]

● **رأى البحث :**

والحق أننا نرجّح ما ذهب إليه أصحاب القول الثانى الذين يرون أن قبيلة (بنى جاكن) إنما ترجع فى الأصل إلى (غالِب) جَدِّ رسول الله ﷺ وذلك للأسباب التالية :

١- أن الشيخ أحمد بن أحمد المختار قد وضع أيدينا على موطن الخلط ، وكشف ما حدث من لبس ؛ حيث أوضح لنا أن وجود اسم (تُبّع) فى سلسلة نسب الجكنيين جعل أصحاب القول الأول يتوهمون أنه من (التبابعة الحِمْيَرِيَّة) بيد أن الأمر على خلاف ذلك ؛ فـ (تُبّع) المذكور هو اسم عَلَم لأحد أجداد الجكنيين أنفسهم .

٢- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه بما هو مدون ومسجل فى النسخ المحفوظة فى كتب مشائخ الجكنيين أنفسهم ، وهو فى حد ذاته شاهد قوى ومقبول[2] .

٣- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه كذلك بشاعر معلوم أولاً ، ثم جكنى من نفس قبيلته ثانياً ، وذلك فى معرض دفاعه الشعرىّ السابق عن قبيلتهما (بنى جاكن) رداً على مخالفيها من أهل البدع وأعوانهم ؛ ومن ثم فهما أدرى من غيرهما بنسبهما .

٤- أن الشيخ عطية من أصحاب القول الأول قد استشهد على رأيه بشاعر موريتانى مجهول ، ولا تشفع له موريتانيته ؛ إذ ليس كل موريتانى (جكنيًا) والعكس صحيح ، كما أن هذا الشاعر قد جمع بين (حِمْيَر) و (مُضَر) فى معرض دفاعه عن عروبتهما معاً ؛ ومن ثم لم ينص على انتمائه إلى أحدهما عامَّة ، فضلاً عن عدم نصه على (بنى جاكن) خاصَّة .

---

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ - الطبعة١ - مراجعة : عبد الله إبراهيم الأنصارى - طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر - من منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامى - دولة قطر - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٢) راجع فى ذلك (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ .

• وبهذا يخلص البحث إلى أن نسب الشنقيطى لا يرجع فى الأصل إلى (حِمْيَر) وإنما يتصل نسبه بنسب رسول الله ﷺ من جهة جدهما (غَالِب)(١) .

المطلب الثانى

صفـــات القبيلة

لا يخفى ما يمتاز به الجكنيون من كريم السجايا ، وحميد الخصال ، التى يلمسها كلُّ مَنْ حَلَّ بهم ، أو نزل عليهم ، أو حتى سمع بهم ، أو قرأ عنهم ، ونستطيع أن نوجز تلك الصفات بأدلتها فيما يلى :

١- الأصالة :

وليس أدل على أصالة الجكنيين وعراقتهم من اتصال نسبهم بنسب رسول الله ﷺ حيث عمق عروبتهم ، وكرم أرومتهم ، وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله : لقد كانت خصائص العروبة ومميزاتها موفورة لدى الشيخ رحمه الله ، ولدى أهله وذويه ، فى النظم والنثر(٢) .

بل إن أحد شعرائهم يعبر عن ذلك بارتضاعهم العروبة من أمهاتهم ؛ فيخاطب مَنْ ينكر عليهم ذلك بقوله :

لنا العروبةُ الفصحى ، وإنا ... أحقُّ العَالمين بها اضطلاعا

عن الكتب اقتبستموها انتفاعا ... بما فيها ، ونرضعها ارتضاعا(٣)

وهذا شاعرهم محمد فال ولد العينين يستدل بفصاحتهم على عروبتهم ؛ حيث يفاخر بذلك قائلاً :

إنا بنو حَسَنٍ دَلَّتْ فصاحتنا ... أنا إلى العرب الأقحاح ننتسبُ

---

(١) حيث إن نسبه الزكى ﷺ هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى بن (غَالِب) . . . إلى آخر نسبه الشريف حتى آدم عليهما الصلاة والسلام .

• انظر تمام نسبه الشريف ﷺ فى (السيرة النبوية) : لابن هشام - (١/٣ - ٦) - قَدَّمَ لها وضبطها وعلق عليها: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٢) قوله : (الشيخ) أى الشنقيطى - انظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١٩/١ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٩/١ .

إن لم تقم بيناتٌ أننا عـربُ ... ففى (اللسان) بيانُ أننا عربُ[1]

٢ - العلم :

وإذا كان طلب العلم ، ورعاية طلابه ، يمثلان الهَمَّ الأول ، والهدف الرئيس عند (الزوايا) من الشناقطة) عامة ؛ فإن ذلك مشهور عن (الجكنيين) من الزوايا خاصة ؛ حيث عُرِفَ عنهم حبهم للعلم وطلبهم له فى جميع أحوالهم ، سواء كان ذلك فى حِلهم وترحالهم ، أو ظعنهم وأسفارهم .

وها هو شيخهم المختار بن بونا الجكنى[2] يصف طريقتهم فى طلب العلم ، وهيئة تدريسهم له فيقول :

ونحن رَكْبٌ مِـنَ الأشراف منتظمٌ ... أَجَلُّ ذا العصرِ قَدْرًا ، دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العِيْس[3] مدرسةً ... بها نُبَيِّنُ دينَ الله تبيانا[4]

ولذا ؛ فقد شاع فى أفواه العامة فضلاً عن غيرهم من أهل شنقيط قولهم : (العلم

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) - ويقصد بقوله (اللسان) : أى كلامهم ونطقهم بالعربية الفصحى ، فإنْ لم يقم دليل على عروبتهم ؛ فيكفى لسانهم وما ينطقون به دليلاً على ذلك .

(٢) هو المختار بن بُوْن أو بُوْنَا الجكنى ، ويعرف فى بلاده شنقيط بعدة ألقاب منها : (الشيخ العَلاّمة) و (تاج العلماء) و (أبو النحو المورِيتانى) مولده ووفاته هناك بين عامىْ (١٠٨٥ - ١٢٢٠هـ) عن مائة وخمسة وثلاثين عاماً هجرياً من المعمَّرين المعروفين آنذاك .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٢٧٧ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرَاً ص ٦٢ .

(٣) العِيْس : هى الإبل البيض التى يخالط بياضَهَا شىءٌ من الشقرة أو الصفرة ، ويقال لها : (كَرَائِمُ الإِبل) - انظر مادة (عَيَس) فى كل من : لسان العرب : ٣١٨٩/٤ - مختار الصحاح : ص ٤٦٥ - المعجم الوسيط : ٢/ ٦٦٣ .

(٤) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدته (النونية) والتى مطلعها : (حَدَّثْ حُدَاةَ بنى يحيى بن عثمانا) فى معرض حديثه عن منهج طلب العلم فى محضرته ، ووصفه لهيئة التدريس فيها .

راجع هذه الأبيات فى كل من :

- التعليم فى موريتانيا من المحضرة إلى الجامعة : مجلة الأمة ص ٥٢ - العدد ٦٠ - السنة ٥ - قطر - ذو الحجة ١٤٠٥هـ = أغسطس (آب) ١٩٨٥م .
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٠ - ٢١ (من المقدمة) .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البراً ص ١٥ .
- إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٢ .

جكنى) ويحكى أن أول مَنْ قال هذا هو الشيخ سِيْدَىَّ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى[1] .

٣ - الكَرَم :

أما عن الكرم فى الجكنيين ، فهم مفطورن عليه ، يتوارثه خلفهم عن سلفهم ، ويأخذه صغيرهم عن كبيرهم ؛ فتراهم يتفانون فى إكرام ضيفهم ، ويجودون له بأقصى ما عندهم ، ولو كان فى ذلك مشقتهم وعناؤهم ، فضلاً عن عسرتهم وضيق حالهم .

وفى ذلك يقول الشيخ عطية : أما كرم الطبع ، فهذا سجية فى جميعهم ، وأمر يَشُبُّ فيه الصغير ، ويشيب عليه الكبير ، وقد ألفوا الضيف لِنُجْعَةِ منازلهم[2] .

ومن عاداتهم إذا نزل وفد على بيت ؛ فإن أهل هذا المنزل يرسلون لأهل بيت المضيف مما عندهم قلّ أو كثر ؛ مشاركة فى قِرَى الضيف ، وتعاوناً مع المضيف ، حتى لو كان مُعْدَمَاً ؛ غَدَا واجداً ، ويرحل الضيف وهو فى غاية الرضا ، وهكذا دواليك[3] .

وهذا يعنى أن المضيف لو كان معدماً فقيراً رقيق الحال لا يجد ما يكرم به ضيفه ؛ إلاّ أنه بمشاركة الجكنيين من أهل قبيلته له ، وبتعاونهم معه ، فإنه يصير واجداً ما يقدمه لضيفه ، قادراً على إكرامه وحُسْن وفادته .

ولذا ؛ فقد تواترت فى وصف كرم الجكنيين الأشعار ، وسارت بذكرهم الركبان ؛ فذاع صِيْتهم ، وطار خبرهم ، فى تفانيهم فى قِرَى ضيفهم ، وسعادتهم بقاصدىْ ديارهم ، وفى التمثيل لتلك الأشعار التى تصف كرم الجكنيين نكتفى بالنماذج الثلاثة التالية :

---

(١) هو الشيخ سِيْدَىَّ (سِيْدِيَّا) عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام مَحَنْضْ العلوىّ ، المتوفى فى حدود عام (١٢٣٠هـ = ١٨١٥م) وقيل : (١٢٣٣هـ = ١٨١٨م) ببلاده شنقيط ، وله تآليف عديدة ، وشروح كثيرة ، من أشهرها : (مراقى السعود) وشرحه (نشر البنود) فى أصول الإمام مالك ﷺ .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٧ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرَّا ص ١٠٣ .

(٢) النُّجْعَة بوزن الرُّقْعَة : طلب الكلأ فى موضعه ، وقصد ذى المعروف لمعروفه - انظر مادة (نَجَع) فى كل من : لسان العرب : ٦/٤٣٥٣ - مختار الصحاح : ص ٦٤٧ - المعجم الوسيط : ٢/ ٩٤٠ - وعلى هذا يصير معنى (نجعة منازلهم) : أى يقصد الأضياف ديار الجكنيين لاشتهارها بأنها مواضع صنع المعروف لقاصديها ، ومواطن الكرام لوافديها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢١ (من المقدمة) .

أ – فها هو رئيس القضاء الشرعى فى موريتانيا الشيخ محمد سالم بن محمد على بن عبد الودود يقول بلسان حال الموريتانيين أنفسهم :

جزى الله عنا الحىَّ (جاكان) خيرَ ما ... جزى معشراً من حُسْنِ ما صنعوا بنا

هم خلَّدوا فى كل قطر ثَوَوْا به ... من الذكر مجداً شامخاً لشعوبنا

ونحسدهم فينا ، ونجحد فضلهم ... لنهدم ما شادوا ، وقد رفعوا بنا(١)

ب- وهذا الشريف محمد بن محمد الأمين بن سيد المختار ينشىء قصيدة كاملة فى كرم الجكنيين يقول فيها :

فقيرهم فى النائبات وغيرُهُ ... سواسية فى البذل متفقانِ

طِباعٌ بها سَادوا القبائلَ كُلَّهَا ... وتَاهُوا فخاراً ، والعيونُ روانى(٢)

إذا قيل : أىُّ الناسِ خيرُ قبيلةٍ ؟ ... أشارتْ إلى (جاكان) كلُّ بَنَانِ(٣)

جـ- وأخيراً يقف الشيخ بابا بن الشيخ سِيْدِيًّا محيياً بنى جاكان ، مشيداً بكرمهم فيقول :

عِيدُ الوفود لَدَى اللأواء(٤) (جاكانُ) ... وليس ذاك حديثَ العهدِ ، بل كانوا

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٢) رَوَانى من رانَ أو رَوَنَ اليومُ يَرُونُ رَوْناً : أى اشتد حَرُّهُ وغَمُّهُ – انظر مادة (رَوَن) فى كل من لسان العرب : ٣/ ١٧٨٣ – المعجم الوسيط : ١/ ٣٩٧ .

وعلى هذا يصير معنى (والعيونُ رَوَانى): أى والعيون تنظر بحسرةٍ وغَمٍّ شديدين إلى الجكنيين ؛ حسداً لهم على كرمهم الذى سادوا به القبائل كلها ، ولم يستطع غيرهم أن يبلغ شأوهم فيه .

(٣) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٥ .

(٤) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة وشدة المرض ، وفى الحديث الشريف : «مَنْ كان له ثلاث بنات ، فصبر على لأوائهن ؛ كنَّ له حجاباً من النار» – انظر مادة (لأى) فى كل من : لسان العرب : ٥/ ٣٩٧٨ – مختار الصحاح : ص ٥٨٨ – المعجم الوسيط : ٢/ ٨٤٤ .

وعلى هذا يصير معنى البيت : أن الجكنيين كانوا ولازالوا كعبة للكرم ؛ يقصدها الوفود والأضياف ، إذا ضاق بهم العيش ، واشتدت بهم الحاجة ؛ وبهذا يذهب عنهم ما بهم ، وكأنهم من سرورهم فى عيد بين ديار بنى جاكان ووسط عشائرهم .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه ابن ماجه فى سُننه من رواية عقبة بن عامر الجهنى ﷺ – انظر سُنن ابن ماجه (كتاب) الأدب (باب) بر الوالد والإحسان إلى البنات – كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عقبه بن عامر ﷺ فى (مسند الشاميين) – حديث رقم (١٦٩٥٠) – وأخرجه بمعناه أيضاً من رواية عوف بن مالك ﷺ فى (باقى مسند الأنصار) – حديث رقم (٢٣٤٧١) وحديث رقم (٢٣٤٨٧) .

وحيثما كان مجدٌ ، كان معشرهم ولو يكون مقرَ المجد شَوْكَانُ[1]
وفى المآثرِ مِنْ آثارهم طرقٌ وعندهم لمَحَالِّ المجد إمكانُ[2]

وكأن لسان حال الموريتانيين جميعهم يعلن أن : (الكرم جكنى) كما أعلنوا من قبل أن : (العلم جكنى) .

٤ - الفروسية :

جمع الجكنيون إلى الأصالة والعلم والكرم ، أخلاق الفروسية من القوة والشجاعة ، والحسم وشدة البأس ، إلى جانب إغاثة الملهوفين ، ونجدة المستغيثين وإلى ذلك يشير الشيخ عطية بقوله : وقبيلة الجكنيين خاصة ، قد جمعت بين طلب العلم ، وفروسية القتال ، مع عفة عن أموال الناس[3] .

وها هو الشيخ بابا بن سِيْدِيًّا يمدح شجاعتهم وعفتهم ، وعزهم ورفعتهم فيقول :

وهُمْ أُسُود لدى الهيجاء ضاريةٌ وهُمْ لكعبةِ بيتِ العزِّ أركانُ[4]

وأخيراً يذكر لنا صاحب (الوسيط) يومين من أيام حروب الجكنيين مع غيرهم من القبائل الشنقيطية ، أما أحدهما : فيعرف بـ (يوم الفَلْح)[5] وفيه انتصر الجكنيون على قبيلة (كُنْتَه) وألجأوهم إلى الفرار ، وأما ثانيهما : فيعرف بـ (يوم تَاغَطَّافت)[6] وفيه انسحب الجكنيون أمام قبيلة (الأَغْلاَل) التى لجأت إلى الحيلة والخدعة لإحراز النصر آنذاك[7] .

والمتأمل فى ذلك يتبين له أن حروب الجكنيين لم تكن بهدف الإغارة والاعتداء ، وإنما كانت دفاعاً ورداً للعدوان ؛ لذا فقد كان النصر حليف بنى جاكان فى معظم حروبهم ؛ لشرف هدفهم ، ونبل مقصدهم ، إلا من مرات قليلة لجأ فيها عدوهم إلى الخداع والخيانة ، والمكرو المباغتة ؛ ليوقعهم فى شَرَكِه ، ويُنْزِل بهم هزيمته .

(١) الشُّوَيْكَة وشُوكٌ وشَوْكَانُ : كلها أسماء لمواضع - انظر مادة (شَوَكَ) فى لسان العرب : ٤/٢٣٦٣ - ولعلها أماكن معروفة بكثرة شوكها ، فضلاً عن قحطها وجدبها ، وكذا سوء أرضها وتضاريسها .

(٢) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٠ (من المقدمة) .

(٤) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٥) الفَلْح : أى الأُخْدُودُ أو الشَّقُّ من فَلَحَ الأرض إذا شقها للحرث ، وفى المثل : (الحديد بالحديد يُفْلَح) أى يُشَقّ ويُقطع - انظر مادة (فَلَح) فى كل من : لسان العرب : ٥/٣٤٥٩ - مختار الصحاح : ص ٥١٠ - المعجم الوسيط : ٢/٧٢٦ .

(٦) تَاغَطَّافت : لا ندرى ما المقصود بمعناه فى لسان الشناقطة ، ولم يورد صاحب (الوسيط) شيئاً عن ذلك ، على خلاف ما صنع عند ذكره معنى (الفَلْح) ولعل (تَاغَطَّافِت) عَلَمٌ على الساحة التى دارت عليها رَحَى هذه الحرب ؛ ومن ثم فهى اسم لها وحسب .

(٧) الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٥٠٧ .

المبحث الثانى

أســـرتـــــه

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأو ل : والد الشنقيطى .

٢- المطلب الثانى : والدة الشنقيطى .

٣- المطلب الثالث : إخوة الشنقيطى .

المطلب الأول
والـــد الشنقيطـــىّ

لا نعرف عنه سوى أن اسمه : محمد المختار ، وهو جكنى من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنه ابن عم زوجته والدة الشنقيطى ، حيث يجتمع نسبهما فى جدهما لأبيهما والمعروف بـ : (أحمد نوح) وقد وُلِدَ والد الشنقيطى ببـلاده شنقيط ، ثم كانت وفاته بها كذلك وقت أن كان الشنقيطى دون العاشرة من عمـره ، حيث كان لا يزال آنذاك يحفظ جزء (عَمَّ) وقد ترك والده الشنقـيطىّ لابنه ثروة من الحيوان والمـال ؛ حيث انتقل إلى بيت أخـواله ليقـوموا على رعايته وتربيته .

وفى ذلك يسوق الشيخ عطيـة على لسان شيخه الشنقـيطى ما نصه : توفى والدى وأنا صـغيـر أقـرأ فى جزء (عَمَّ) وترك لى ثـروة من الحيـوان والمال ، وكـانت سُكْنَاىْ فى بيت أخوالى ، وأمى ابنة عم أبى(١) .

المطلب الثانى
والـدة الشنقيطىّ

لا نعرف عنهـا كذلك سوى أنهـا جكنية من ذات قبيلـة (بنى جاكان) كمـا أنها وُلِدَتْ ببلادها شنقيط ، واسم أبيهـا (محمد المختار) كاسم زوجها ، وقـد عُمِّرَتْ والدة الشنقيطى بعد وفاة زوجها دون أن تتزوج غيره ؛ حيث تفرغت للعناية بالشنقيطى كأشد ما تكون عناية الأم بولدها ، ثم كانت وفـاتها ببلادها بعـد أن جَهَّزَتْ ولدها لطلب العلم وتحـصيله ، بل وهيأت لـه كل سُبُلِه ، وذلك بعـد أن أتم مرحلة البلوغ فى السـادسة عـشرة من عـمره ، وبمساعدة أخواله ؛ فرحاً به ، وترغيباً له(٢) .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢١ (من المقدمة) .

(٢) راجع فى ذلك كلا من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقـيطىّ (محاضرة مسجلة له عن حياة والده الشنقيطىّ ، ولازلت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط) .
- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٢٨ (من المقدمة) .

المطلب الثالث

إخـــوة الشنقيطـىّ

نشأ الشنقــيطى وحيد والديْــه ، حيث لم ينجبـا غيره ؛ ومن ثم فـقد وجد منهــما من العناية والرعاية ما ساعد على إعداده كأحسن مـا يكون الإعداد ، بل إنهما عملا على تهيئة كل الأجواء المحيطة به لتكون فى خــدمته ؛ إلى الحد الذى كانا يفـرغان له الدار وقت نومه وراحته عقب فراغه من طلب العلم وتحصيله[1] .

* * *

• **وبعد :** فهذه هى أسرة الشنقيطى ، وتلكم هى قبيلته (بنو جاَكاَن) التى تُعَدُّ أشهر قبائل شنقيط ؛ بما لها من أصالة النسب الذى يمتـد إلى رسول الله ﷺ فضلاً عما لها من كريم السجايا ، وحميد الخِصَال .

(١) راجع فى ذلك كلا من :

• الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطىّ (محاضرة مسجلة) .

• أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٢٨ (من المقدمة) .

الفصل الثانى

اسمُــه ولقبُــه وسَمِيُّــه

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : اسمه وشهرته .

٢- المبحث الثانى : لقبه واشتقاقه .

٣- المبحث الثالث : سَمِيُّه وشبيهُه .

المبحث الأول

اسمه وشهرته

وينتظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : اسمه .

٢- المطلب الثانى : شهرته .

المطلب الأول

أصـــل القبيلة

هو محمد الأمين بن محـمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحـمد نوح بن محمد بن سيـدى أحمد بن المختـار من أولاد أولاد الطالب أوبك ، وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافى بن يعقوب بن جاكن الأَبَرّ [1] ثم ينتهى نسب (جَاكَن الأَبَرّ) بدوره إلى (غَالِب) جَدِّ رسُولِ الله ﷺ [2] .

المطلب الثانى

شهرتـــــه

اشتهر الشنقيطى بين العلماء ، ولدى طلاب العلم وباحثيه ، فى البلاد الحجاز خاصة ، وسائر بـلاد العالم الإسلامىّ عـامة ، باسم : (مـحمـد الأمين بن محـمد المختـار الجكنى الشنقيطىّ) .

١- أما (محمد الأمين) و(محمد المختار) :

فكلاهما عَلَمٌ مركب من اسمين :

- **محمد :**

وهو تبرك باسم رسول الله ﷺ وإلى هذا يشـير الشيخ عطية فـى ترجمتـه لشيـخه الشنقيطى بقوله : وهذه ترجمتـه رحمه الله كما سمعتها منه مـباشرة ، الاسم : هو محمد الأمين ، وهو علم مركب من اسمين ، وذكر محمد تبرك[3] .

- **الأمين والمختار :**

وهما من الأسماء التى يكثـر اقترانها باسم (محمد) عند الشناقطة ؛ تبـركاً وتيمناً أيضاً برسول الله ﷺ [4] وإلى هذا يشير الشـيخ محمد المجذوب بقوله : والأمين كـالمختار من

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .

(٢) راجع نسب أسرة الشنقيطى الذى يرجـع إلـى (غَالِب) جَدِّ رســول الله ﷺ كما أثبته البحـث ص .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .

(٤) حيث عُرِفَ ﷺ قبل بعثته بـ (الصَّادق الأمين) كما أنه (المختار) الذى اختاره ربه سبحانه واصطفاه على جميع خلقه لحمل رسالة الإسلام الخاتمة .

الأسماء التى كثيراً ما تقرن باسم محمد عند الشنقيطيين ؛ تبركاً وتيمناً وتعبيراً عن حبهم لرسول الله ﷺ (١) .

٢- وأما الجكني:

فنسبة إلى قبيلته (بنى جَاكَن أو بنى جَاكَان) التى تسمى باسم جدها الأكبر (جَاكَن الأَبَرّ) ومن ثم يعرف أهل هذه القبيلة بـ (الجكنيين) .

٣- وأما الشنقيطي:

فنسبة إلى مقسط رأسه ببلاده (شنقيط) والمعروفة الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) .

● **ملاحظات حول اسمه :**

١- يذكر البعض اسمه بتقديم الشنقيطى على الجكنى ، والأَولَى خلاف ذلك كما جاء فى عنوان تفسيره ؛ حيث كتب على الغلاف ما نصه : (تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى) وليس (الشنقيطى الجكنى)(٢) وجدير بالذكر أن هذا العنوان قد كتب فى حياة الشنقيطى بعدما أقرّه ووافق عليه .

٢- يذكره البعض كذلك باسم : (محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر اليعقوبى)(٣) وذلك نسبة إلى (يعقوب بن جَاكَن الأَبَرّ) المذكور فى سلسلة نسبه السابق .

٣- يختصر البعض اسمه فيذكرونه بـ : (محمد الأمين الشنقيطى) اكتفاءً منهم بنسبته إلى بلاده (شنقيط) عن غيرها من النِّسَب الأخرى(٤)

٤- وَهِمَ البعض ؛ حيث اختلط عليه الأمر فذكر الشنقيطى باسم : (محمد أمين) بدلاً من (محمد الأمين) بتنكير (أمين) بدلاً من (الأمين) بتعريفها(٥) والواقع أن (محمد أمين) غير

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧١ .
(٢) انظر غلاف تفسيره المسمى: (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) فى جميع طبعاته .
(٣) ومنهم تلميذه وابن قبيلته : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى فى كتابه (إعداد المهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .
(٤) ومنهم تلميذاه فى ترجمتهما له :
- الشيخ عطية محمد سالم فى (أضواء البيان) : ١/ ٣-٦٤ (من المقدمة) .
- الشيخ محمد المجذوب فى كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) : ١/ ١٧١ - ١٩١ .
(٥) ومنهم : مقتدى حسن الأزهرى فى كتابه الذى وسَمَه بعنوان : (القول السديد فى كشف حقيقة التقليد) - راجع فى ذلك ص من هذا البحث .

(محمد الأمين) المعنى بالبحث ؛ وقد وقع الخلط بينهما لأن كلا منهما (شنقيطىّ) كما سيأتى بيان ذلك بعد قليل .

٥- ينطق البعض اسمه بلفظ : (الشِّنْقِيْطِىّ) بكسر الشين المعجمة ، والصواب : (الشَّنْقِيْطِىّ) بفتحها ؛ وذلك نسبة إلى (شَنْقِيْط) بالفتح ، وليست (شِنْقِيْط) بالكسر[1] .

(١) راجع الضبط الصحيح للفظ شنقيط ومعناه ص من هذا البحث .

المبحث الثانى

لقبـــه واشتقاقـــه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأو ل : لقبـــــه .

٢- المطلب الثانى : اشتقاقــــه .

المطلب الأول

لقبـــــــه

يلقب الشنقيطى بـ : (آبًّا) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإِبَاء [1] .

المطلب الثانى

اشتقاقـــــــه

إذا نظرنا إلى أصل هذا اللقب فى اللغـة نجد أنه من الفـعل : (أَبَى يَأْبَى إِبَاءً وإِبَاءَةً) إذا اسـتعـصى أو امـتنع وتَرَفَّع ، ويقـال : (رجل أَبَّاءٌ أو أُبَّاءٌ) إذا أَبَى أن يُضَـام (أى رفض أن يُظْلَم) أو إذا تَرَفَّعَ عن حقه ؛ لأن له نفـساً أَبِيَّة تَعِفُّ عَمَّا لهـا من حقوق[2] ؛ ومن ثم فإننا نرى أن أصل (آبًّا) هو : (أَبَّاءٌ أو أُبَّاءٌ) غير أنهـا جاءت ممدودة الهمزة فى أولها ، مـقصورة فى آخرها ، وكـأن الهمزة التى قصـرت فى آخرها قد زيدت فى أولها فـصارت (أَأَبًّا) ثم سُكِّنَتْ الهمزة الثانيـة المنقولة ، فى حين ظلت الهمزة الأولى الأصلية على حالهـا ؛ لتصير الكلمة (أَأْبًّا) ثم أدغـمت الساكنة فى المتحركة لتـصبحا ألفاً ممدودة ؛ ولـتؤول الكلمة فى النهاية إلى (آبًّا) كما هو اللقب .

ولهذا ما يؤيده فى لسان الشناقطة ؛ حيث يكثـر ميلهم إلى نطق أول الكلمات المهموزة بألف ممدودة ، ومن أمثلة ذلك : آدارا بدلاً من أدرار[3] وآطار بدلاً من أطار[4] وآوكار بدلاً من أوكار[5] .

كما يميل الشناقطة كـذلك إلـى قصر الممدود ، وهذا أكثـر من أن يُحْصَى ؛ حيث إنه معروف فى اللغة ، مشهور فى لسان الـعرب ، ومنه : سَمَا بدلاً من سماء ، وصحرا بدلاً من صحراء ، وخضرا بدلاً من خضراء ، وهكذا دواليك .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

(٢) انظر فى ذلك مـادة (أَبَى) فى كل من : لسـان العرب : ١٤/١ - مـختـار الصحـاح : ص ٣ - المعجم الوسيط : ٤/١ .

(٣) آدرار : تعنى عند الشناقطة (الجبـل) ولذا يتخذونها علمـاً على جبال شاهقـة الارتفاع فى بلادهم - انظر (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٢٨ .

(٤) آطار : تعنى عندهم (الطريق) ويطلقونها اسماً لمدينة عظيمـة ، أكثر دوراً ونخيلاً من مدينة شنقيط - انظر المصدر السابق : ص ٤٣٤ ، ٥٤١ .

(٥) آوكار : هى اسم لأرض شاسعـة المساحة بها كثـير من المناهِل والقِفَار بالبـلاد - انظر المصدر السابق أيضاً : ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

• ملاحظة حول لقبه :

ذكر الشيخ محمد النحوىّ لقب الشنقيطى على أنه (آب ابن أَخْطور) بمد الألف من (آب) وفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة من (أَخْطور) وذلك فى معرض حديثه عن نظام (المَحَاضِر) فى بلاده شنقيط[1] حيث يقول مانصه : ومن سفراء المحظرة فى الديار السعودية الشيخ محمد الأمين آب بن أخطور صاحب : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن)[2] .

كما عَرَضَ الطيب بن عمر بن الحسين لتعريف الشنقيطى بهذا اللقب أيضاً قائلاً : هو محمد الأمين الملقب (آبّ) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء ، ابن محمد المختار الملقب (أخطور) اختصاراً للمختار[3] .

وواضح أن لفظ (آبّ) يقابل (آبًا) أما لفظ (أخطور) فيقابل (المختار) على عادة الشناقطة الغالبة فى مثل هذه الألقاب ؛ ومع ذلك فلم نقف على ذكر الشنقيطى بهذا اللقب (آبّ بن أخطور) عند غير الشيخين : (النحوى والطيب) المذكورين .

(١) راجع تفصيل ذلك من خلال (التعليم فى شنقيط) ص من هذا البحث .

(٢) دور التعليم التقليدى فى نشر الإسلام والعربية فى موريتانيا : الشيخ خليل النحوى - مجلة الأمة ص ٦٣ - العدد ٦٧ - السنة ٦ - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر - رجب الفرد ١٤٠٦ هـ = مارس (آذار) ١٩٨٦م .

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٤ .

المبحث الثالث

سَـــمِيُّه وشــبيهُه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : العلماء الثلاثـــة .

٢- المطلب الثانى : العلماء الآخرون .

تمخض البحث عن ثلاثة من علماء الشناقطة كلهم يلتبس اسمه باسم الشنقيطى ، هذا بالإضافة إلى مَنْ اشتهر منهم باسم الشنقيطى بعيداً عن ذلك اللبس ؛ وللتمييز بين هؤلاء العلماء وبين الشنقيطى ؛ فقد لجأنا إلى وصفه بـ (الشنقيطى المفَسِّر) أَمْنًا للبس ، ورفعاً للخلط ، الذى قد يُتَوَهَّم بينه وبينهم .

ويمكننا إيجاز الحديث عن العلماء الثلاثة ، ثم عن الشناقطة الآخرين ، ممن اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطى) وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

العلماءُ الثلاثـــة

منهم اثنان (سَمِيَّان) للشنقيطىّ (المفَسِّر) من حيث التطابق التام بين اسميْهِمَا واسمه ، فى حين أن الثالث (شبيه) له .

- **سَمِيُّه الأول : الشنقيطىّ الشارح :**

هو محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بن المختار بن سيدى الأمين بن المختار بن أحمد بن الطالب الإبراهيمى الجكنى الشنقيطى ، والمشهور باسم (محمد الأمين الشنقيطى) مولده ووفاته ببادية موريتانيا بين عامىْ (١٢٤٠هـ = ١٣٥٠هـ) على وجه التقريب ، وله من التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ما يربو على العشرين مؤلفاً ، أغلبها من شروح المتون الشرعية واللغوية المختلفة ، وكأنه مختص بالشروح دون غيرها ؛ ولذا كان تمييزنا له بوصف (الشنقيطى الشارح)[1] .

- **سَمِيُّه الثانى : الشنقيطىّ السفير :**

هو محمد الأمين الشنقيطى ، حيث لم نعثر على اسمه كاملاً ، كما لم نقف على تاريخ مولده ، أما وفاته فقد وقعت على الأرجح فى أعقاب الخمسينيات فى حدود عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م) وقد عمل سفيراً للأردن لدى كل من السعودية والسودان ، كما كان مشرفاً عاماً على كلية الشريعة (أو المعهد الشرعى سابقاً) بالأردن فى نهاية

---

(١) ومن أشهر هذه الشروح : (شرحه على مختصر خليل - وشرحه على مراقى السُّعود - وشرحه على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب) وكلها فى الفقه المالكى ، وكذا (شرحه على ألفيه المختار بن بُونا الجكنى فى النحو العربى) .

- انظر ترجمته فى (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٧ .

الخمسينيات ، والتى كان يرأسها آنــذاك الأستـاذ تيسير ظبيان ، وقد عُرِف بمكارم أخلاقه ، وتقديم العون لمحتاجيه ، من أهل بلاده خاصة ، فضلاً عن غيرهم عامة[1] .

● **شَبِيهُهُ : الشنقيطى المؤسِّس :**

هَو أبو يوسف أو أبو عائشة محمد أمين (بدون الألف واللام) بن عبدى بن فـال الخير ابن حـبيب الله ابن أُبِيّ بن حـبيب بن أحـمد بن أَعْـمَر بن كـداش (أو أكداش) الحـسَنى الشنقيطى ، والمشهور باسم (محمـد أمين الشنقيطى) مولده ببلاده شنقيط عام (١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦م) أما وفاته فكانت بمدينة الزُّبَيْر العراقية عام (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) .

وقد ظل ينتقل معلمـاً وداعياً بين مصر والحجاز وغيرهمـا ، إلى أن حَطَّ عصا الترحال بمدينة الزُّبَيْـر ، حيث أسس بهـا (جـمعـية النجـاة الأهلية) عـام (١٣٤١هـ = ١٩٢٢م) ثم (مدرسة النجاة أو مـدرسة الشنقيطى) التابعة للجمعـية ذاتها عام (١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م) ولا تـزال هذه المدرسة قـائمة حتى يومنا هذا ، ويقـوم منهجهـا على مدارسـة العلوم الشرعـية واللغوية ؛ بهدف تربية وتخريج أجيال متلاحقة من العلماء العاملين ، والدعاة الجادّين[2] .

ولما كان اسم (محمد أمين) يشبه اسم الشنـقيطى المفَسِّر (محمد الأمين) إلاّ من (الألف واللام) فى (أمين) لذا فقد أطلقنا عليه : (شَبِيهُهُ) ثم ولما غلب على نشاطه أيضاً تأسيس كل من (جمعية النجاة) ثم (مدرسة النجاة) التابعة لها ؛ لذا فقد أطلنا عليه : (المؤَسِّس) .

المطلب الثانى

العلمـاءُ الآخـــرُون

ونقصد بهـم أولئك العلماء الذين اشتهـروا بلقب (الشنقيطى) غير الثـلاثة المذكورين ، وقـد ورد ذكر هؤلاء العلمـاء عند كل من الزركلى ، وكَـحَّالة ، كـما تمخض البـحث عن وجود غيرهم بنفس الشهرة كذلك ، ويمكن إيجاز ذكر هؤلاء وأولئك على النحو التالى :

---

(١) راجع إيجاز ترجـمته فى : (ذكـريات مع الشيخ الراحل محـمد الأمين الشنقيطى) : عـدنان سارى الزبن - مجلة الشـريعة ص ١٤ - العدد ٢٩٠ - إصـدار وزارة الشباب - عَـمَّان - الأردن - رجب ١٤١٠هـ = شباط (فبراير) ١٩٩٠م .

(٢) راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

● من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة : الدليشى الخالدى ص ١١ ، ٢٣٩ .

● الشنقيطى ومـدرسة النجاة فى الزبير : د. على أَبَا حـسين - مجلة الدارة ص (١٠٤ - ١٢٨) - العدد ١ - السنة ١٣ - الرياض - المملكة العربية السعودية - شوال ١٤٠٧ هـ = يونيو ١٩٨٧م .

- **المشهورون باسم (الشنقيطى) عند الزركلى :**

أورد خير الدين الزركلى فى كتابه (الأعلام) تسعة منهم ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١ - الشنقيطىّ (أحمد بن الأمين) :

نزيل القاهرة والمتوفى بها عام (١٣٣١هـ = ١٩١٣م) ، وصاحب كتاب (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) المرجع الأول ، والمصدر الرئيس ، للحديث عن شنقيط وأدبائها[١] .

٢- الشنقيطىّ (محمد الخضر بن مايابى) :

جكنى ، مفتى المالكية بالمدينة المنورة ، والمتوفى بها عام (١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م)[٢] .

٣- الشنقيطىّ (محمد محمود بن التلاميد) :

ويعرف أيضا بـ (التركزىّ) و(ابن التلميذ) نزيل القاهرة ، والمتوفى بها عام (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م)[٣] .

- **المشهورون باسم (الشنقيطى) عند كحالة :**

أورد عمر رضا كحالة فى كتابه (معجم المؤلفين) ثلاثةَ عشرَ منهم ، بزيادة أربعة فوق التسعة المذكورين عند الزركلى ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطى (أحمد البدوىّ) :

المجلسىّ النسب ، ثم البوحمدى اليعقوبى الأموى المدنى ، نَسَّابَةٌ شهير ، أحيا

---

(١) الأعلام : الزركلىّ ١/٩٧ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :

- كتابه (الوسيط) : ص ٧ - ١٠ .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة : جمع وترتيب يوسف إليان سركيس ص ١١٤٨ - مكتبة ومطبعة سركيس - القاهرة - ١٣٤٦هـ= ١٩٢٨م .

(٢) الأعلام : الزركلىّ ٦/٣٤٧ .

(٣) الأعلام : الزركلىّ ٧/٣١١ .

- كما وردت ترجمته كذلك فى كتاب (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٨١ - ٣٩٧ (وقد جاء فيه : أن التلاميد بالدال المهملة هى تصحيف التلاميذ بالذال المعجمة) .
- ومن المصادر التى ذكرته بـ (ابن التلميذ) كتاب (الروض الفتيق الفالِق ، ومؤنس الكئيب العاشق) : لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمدانى ص ٤٤٤ - الطبعة ٢ - شرح وتحقيق : سعيد ناصر الدهان - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

أنساب العرب بنظمه (عمود النسب) وأجاد فيه ، وكانت وفاته عام (١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥م)(١) .

٢- الشنقيطى (بَاب بن أحمد) :

علوىّ ، عالم أديب ، كانت وفاته فى حدود عام (١٢٦٠هـ = ١٨٤٤م)(٢) .

٣- الشنقيطى (محمد بن محمد) :

كنيته (أبو عبد الله) وكان فاضلاً متصوفاً ، كما كان حياً بعد عام (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) (٣) .

● **المشهورون باسم (الشنقيطى) بين يدىْ البحث :**

تمخض البحث عن وجود سبعة من العلماء اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطى) فوق الذين ورد ذكرهم عند كل من الزركلىّ وكحّالة ، ويمكن إيجاز ذكرهم فيمايلى :

١- الشنقيطىّ (أحمد بن أحمد المختار) :

الجكنى، المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وصاحب كتاب: (إعداد المهج، للاستفادة من المنهج، فى قواعد الفقه المالكىّ) كما أنه أحد تلاميذ صاحبنا الشنقيطى المفسِّر(٤) .

٢- الشنقيطىّ (أحمد المختار) :

الجكنى، عالم بالأنساب، وصاحب كتاب : (التعليق الصواب على تحفة الألباب)(٥) .

---

(١) معجم المؤلفين : كحالة ١/ ١٧٣ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :
● الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .
● إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغدادى ١/ ١٢٦ - نشر مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د.ت) .

(٢) معجم المؤلفين : كحالة ٣/ ٣٣ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :
● الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٤ - ٣٧ .
● اليواقيت الثيمنة فى أعيان مذهب عالم المدينة : لمحمد البشير ظافر الأزهرى ١/ ١١٧ - مطبعة الملاجىء العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى - القاهرة - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦م .

(٣) معجم المؤلفين : كحّالة ١١/ ٢٢٣ .

(٤) راجع تفصيل ترجمته فى (السلفية وأعلامها فى موريتانيا): الطيب بن عمر بن الحسين ص٣٩٥ - ٣٩٩ .

(٥) راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣٥٢ - ٣٥٦ .
● و(التعليق الصواب) هو عبارة عن حاشية على : (تحفة الألباب فى شرح الأنساب) للشيخ حمّاد بن الأمين المجلسىّ الموريتانىّ - انظر (التحفة وحاشيته التعليق) - ثلاثة أجزاء - الطبعة ١- مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامى - قطر - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

٣- الشنقيطى (الحسن بن أَبه) :

الحسنى ، أديب معروف ، وقد استشهد صاحبنا الشنقيطىّ بشعره غير مرة فى تفسيره ، ومن ذلك استشهاده على عِظَم كيد النساء فى معرض تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ الآية[1] بقول الشاعر الذى يُبَيِّنُ به سبب عِظَم هذا الكيد قائلاً :

ما استعظمَ الإلهُ كَيْدَهُنَّهْ ... إِلاّ لأَنهنَّ هُــنَّ هُنَّهْ[2]

٤- الشنقيطى (محمد بن أحمد) :

ولقبه (الدَّاه) صاحب كـتاب : (فتح الرحيم على فقه الإمـام مالك بالأدلة) حيث جاء بآخره أن الفراغ منه كان فى شعبان من عام (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م)[3] .

٥- الشنقيطى (محمد بن أبى مَدْيَن) :

ومن آثاره كـتاب : (الصـوارم والأَسِنَّة فى الذَّبِّ عن السُّنَّة) والذى صـدر فى طبـعتـه الأولى عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)[4] .

٦- الشنقيطى (محمد بن حنبل) :

ويعرف كـذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البوحَسَنى) من أعلام العلمـاء فى بلاده فى النحو والشعر وغـيرهما ، كما عُرِفَ عنه انقطاعه لطلب العلم وتعليـمه وحضه الناس على ذلك[5] .

---

(١) يوسف : ٢٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى : ٣/ ٧٢ .

- وقد أراد الشاعر أن يعبر بقوله هذا عن مدى تعجبه وحيرته إزاء تفسيره لعِظَم كيد النساء ، غير أنه لم يجد لذلك من سبب إلاّ أن النساء هُنَّ النساء ؛ ومن ثم فـالكيد باقٍ ما بقيت النساء ؛ لذا نراه يؤكـد هذا المعنى توكيـداً لفظياً بقـوله : (هُنَّ هُنَّهْ) فالثـانية توكـيد للأولى ، أمـا الهاء السـاكنة فلضرورة التصريع بين قافية البيت وعَرُوضِه (هُنَّهْ : هُنَّهْ) .

(٣) انظر فى ذلك كتابه :

- فتح الرحيم على فقـه الإمام مالك بالأدلة : محمد بن أحـمد الملقب بـ (الدَّاه الشنقيطى) - ثلاثة أجزاء - الطبعة ١ - مكتبة القاهرة بميدان الأزهر - مصر - شعبان ١٣٨٧ هـ = نوفمبر ١٩٦٧م .

(٤) الصَوَارِمُ والأَسِنَّة فى الذَّبِّ عن السُّنَّة : محمد بن أبى مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان الشنقيطى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٥) راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣١١ - ٣٣٥ .

وقد أكثر صاحبنا الشنقيطى المفسِّر من الاستشهاد بشعره ، خاصة بقصيدته البائية التى يحض فيها على طلب العلم قائلاً :

لا تَسُوءْ بالعلم ظناً يا فتى   إنَّ سوءَ الظنِّ بالعلمِ عَطَبْ[١]

٧- الشنقيطى (محمد المصطفى) :

ابن الإمام العلوىّ ، وقد كان أحد أفاضل العلماء الذين وافقوا الشيخ سليمان العُمَرىّ فى دعوته إلى ضرورة صلاة الوتر فى جماعة واحدة خلف الإمام الراتب بالحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ؛ وقد استأنسا فى دعوتهما هذه بقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ الآية[٢] .

* * *

● **وبعد :** فهؤلاء هم العلماء الذين اشتهروا باسم (الشنقيطىّ) كاسم صاحبنا (الشنقيطى المفسِّر) حيث بلغ مجموعهم ثلاثة وعشرين عالماً ، أما غيرهم مِمَّنْ لم يشتهروا بذلك من علماء الشناقطة فيندُّون عن الحصر والإحصاء ؛ وذلك لكثرتهم وانتشارهم فى شتى أنحاء المعمورة ، ومن أمثالهم : محمد بن الطلب اليعقوبى ، والمختار بن بُونَا الجكنى ، والشيخ ماء العينين[٣] وغيرهم من علماء الشناقطة خلق كثير[٤] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٦٢ (من المقدمة) .

ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَضْرَمَ الهَمَّ سُحَيْراً فَالتَهَبْ   لَمْعُ بَرْقٍ بِرُبَيَّاتِ الذَّهَبْ

وقد وردت بتمامها ضمن ترجمة الشاعر فى كتاب (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣١٤ - ٣١٨ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

والشيخ سليمان العُمَرىّ كان قاضياً بالمدينة المنورة، فضلاً عن عمله كرئيس للمدرسين بالحرم النبوى الشريف، ومراقبته على الدروس العلمية به - انظر ذكر الشيخين العمرىّ ومحمد المصطفى الشنقيطىّ فى :

● التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبىّ ﷺ : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤٦، ١٥٠ ، ١٥١ - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٣) راجع تفصيل تراجمهم على الترتيب فى :

● الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص (٩٤ - ١٩٠) - (٢٧٧ - ٢٨٣) - (٣٦٥ - ٣٦٧) .

(٤) انظر المزيد من هؤلاء العلماء فى كل من :

● الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ١١ - ١٥ .

● ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البرَّا ص ٩٣ - ١٢١ .

غيـر أننا أثرنا ذكـر مَنْ اسمـه الشنقـيطىّ غير صـاحبنا المفسِّـر ؛ وذلك أمناً للبس ، ورفعاً للخلط ، الموهــم بينه وبينهم ؛ الأمـر الذى لا يتداركه كثير مــن البـاحثين ، فضلاً عن غـيرهم مــن طلاب العلم ، خـاصة وأن هؤلاء العـلماء قـد اشتهـروا جمـيعـاً باسم (الشنقيطىّ) .

ولما لـم يشتهـر أىٌّ من هؤلاء العلماء الشناقطة بالتفـسير سوى صاحـبنا الشنقيطى ؛ لذا فلـم نجد بُداً فـى التـمييز بيـنه وبينهم ، إلاّ أن نصـفه بـ (الشنقيطى المفسِّـر) وذلك نسبة إلــى تفـسيره : (أضــواء البيَان) المَعْنِىّ فـى هـذا البحث ، والذى صـار مقـروناً بــه ، ودَالاً عليه .

الفصل الثالث

مولـــده ونشأتـــه

وينتظم المبحثين التاليين :

١- المبحث الأول : مولـــده .

٢- المبحث الثاني : نشأتـــه .

المبحث الأول

مولـــــده

وينتظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : تاريخ مولـده .

٢- المطلب الثانى : موطن مولده .

المطلب الأول

تاريخ مولــــده

وُلِدَ الشنقيطى عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ)(١) وهو ما يقابل بالتقويم الميلادى عام سبعة وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٠٧م)(٢) .

● **ملاحظة حول تاريخ مولده :**

حيث وقع تصحيف فيما أورده الشيخ عطية من أن مولد شيخه الشنقيطى كان عام خمسة وثلاثمائة وألف من الهجرة ١٣٠٥هـ ، وذلك فى معرض ترجمته الموجزة لشيخه من خلال تقديمه لرحلة حجه الأول إلى بيت الله الحرام(٣) .

وقد دفعنى هذا التصحيف إلى توثيق تاريخ مولد الشنقيطى بسؤال كل من: تلميذه الشيخ عطية، وولديه الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله ؛ حيث أكدوا جميعهم أنه ولد عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ) وهو ذات التاريخ الذى أثبتناه فى صلب البحث والتزمناه فى ثناياه(٤) .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد أثبت ذات التاريخ دون التنبيه إلى ما وقع فيه من تصحيف ، فى حين نَبَّه البعض الآخر إلى ذلك(٥) وفى مقابل هؤلاء وجدنا

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٩ (من المقدمة) .

(٢) قد قابلنا هذا التاريخ فى كل من :

- **الأعلام : الزركلى ١/١٥١** - وذلك في معرض ترجمة الدكتور أحمد السَّمَّان ، حيث أورد الزركلى تاريخ مولده ووفاته بين عامىْ : (١٣٢٥ - ١٣٨٦هـ) الموافقيْن لعامىْ : (١٩٠٧ - ١٩٦٦م) .
- **التقويم اليابانى الهجرىّ الميلادىّ (هيل هـ - م١)** : لحساب شركة كهرباء الشرق - جدة - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .
- برنامج المؤذن العربى (الإصدار رقم ١٠١) : شركة الخليج العالمية للتكنولوچيا المصرية - القاهرة - (د. ت) .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : بقلم العلامة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطى ص ١٤ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٤) وقد تم هذا من خال لقائى معهم فى غضون عام (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) بمنزل الدكتور محمد المختار ، وهو ذات منزل والده الشنقيطى بباب الكومة بالمدينة المنورة بالقرب من الحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(٥) ومن المصادر التى لم تشر إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص١٠ . =

بعضاً من الباحثين الآخرين قد وقع فى التصحيف المشار إليه ؛ فسايره ولم يتنبه إليه(١) .

المطلب الثانى

موطـــن مولـــده(٢)

ولد الشنقيطى عند عين للماء تعرف بـ (بئر تَنْبَه) بجانب ذلك الوادى الفسيح ، ذى البطاح والمياه والنخيل ، حيث مسقط رأسه بقرية (قَرو) التابعة لمديرية (كيفًا) من القطر المسمى (شنقيط) أو (جمهورية موريتانيا الإسلامية الحديثة) الآن ، وتبعد مدينة (كيفًا) عن مدينة (نواكشوط) عاصمة البلاد بمسافة ستمائة وستة كيلو مترات ٦٠٦ كم شرقاً ، فى حين تبعد (تَنْبَه) عن مدينة (كيفًا) بمسافة ستين كيلو متراً ٦٠ كم شمالاً .

وكما أن (تَنْبَه) اسم البئر ، فكذلك (كِيفًا أو كِيفَه) اسم لبئر مشهورة بمائها المِلْح ؛ وبالرغم من ذلك إلا أنها تعد إحدى المناهل العظيمة التى تردها الإبل ، فتنعم بشربها ، ويكثر لبنها ، كما أنها ملقط عظيم للصمغ العربى ذى الجودة العالية .

= • منسك الإمام الشنقيطى : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) - ١/ ١٣ .
• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧١ .
• الإقليد فى الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص٨ - تحقيق وتعليق : شريف بن محمد فؤاد بن هَزّاع ص ٨ .

(١) و من المصادر التى أشارت إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :
• نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١/ ١٧ .
• السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
• محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : تأليف العلامة محمد الأمين الشنقيطى ص٨ - تحقيق وتعليق وعنوان : ساعد عمر غازى - ص ٨ .

(٢) انظر موطن مولده ولفظ شنقيط ومعناه فى كل من :
• أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٩ (من المقدمة) .
• رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ - ٤٠ .
• الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٥١ .
• السلفية وأعلافها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
• موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٥ .
• ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرّاً ص ٤ .
• الجأش الربيط فى النضال عن مغربية شنقيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ١١ .
• مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ .
• المقدمة فى التاريخ : لعبد الرحمن بن خلدون ٦/ ١٤٤ .

وأمــا (شَنْقِــيط) فكانت ولا تزال اســماً لقــرية من أعمــال مديرية (آطار) فى أقــصى الشمال الغربى من موريتانيا ، وهى تعنى عندهم (عيون الماء التى كانت تشرب منها الخيول) ثم سمى القطر كله باسم (شنقيط) من باب تسميــة الشىء باسم بعضه أو تسمية الكل باسم الجزء ، وقد سبق الحديث عن مدينة (شنقيط) وما لها من مزايا وخصوصية من حيث حُسْنُ مناخها وبطاحها وجودة تمرها الذى لا يصــبر عليه آكله ، إلى غير ذلك من الميزات الظاهرة عندهم .

وأما (آطار) فــتعنى عندهم الطريق ، وقد صــارت عَلَماً على تلك المدينة العظيــمة التى تفوق (شنقيط) من حيث كــثرة دورها ونخيلها ، وتبعد عنها مســافة يومين من جهة الجنوب الغربى ، كما تجاورها أودية كثيرة ، ويعرف أهلها بـ : (السَّمَاسِدَة) .

المبحث الثانى

نشـأتــــــه

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : مرحـلة الطفولة .

٢- المطلب الثانى : مرحلة البـلوغ .

٣- المطلب الثالث : مرحلة الطلـب .

المطلب الأول

مرحلة الطفولة

تمتـد هذه المرحلة فى حيـاة الشنقيطـى منذ مولده ونعـومة أظافـره ، حتى بلوغـه سن العاشرة ، وتتمـيز بما خالطها من الطرافة والغرابة ؛ حـيث لم يكن أول هذه الطفولة المَرِحَة المدللة ليدل على ما انتـهى إليه آخـرها من مواصلة الجهد ، وظهور النجـابة ، فى تحصيل العلوم النافعـة ، وحفظ المتون الجامعـة ، وهـذا ما يتضح لنا مـن خلال تـطورات طفولته التالية :

● **الشنقيطى وحيد والديه :**

نشأ الشنقـيطى يتيماً ؛ حيث تُـوُفِّىَ والده وهو لا يزال صغيراً يقـرأ فى جزء (عَمَّ) وقد ترك له ثروة مناسبة من الحيوان والمال ، ثم صار أمره إلى أمـه التى وقفت نفسها على تربيته والعناية به كأشد وأبلغ مـا تكون تربية الأم وعنايتها بوحيدها ، غـير أنه كان لابد لهذه الأم ووحيدها من الرعاية والعون ما يمكنهما من مواصلة رحلتهما فى الحياة .

ومـن ثم ؛ فقـد انتقلت أم الشنقيطى مع وحيـدها إلى بيت أخواله الذين هم أبناء عَمٍّ أبيه ؛ وبسُكْنَى الشنقـيطى فى بيت أخواله نال ضعفين من الرعايـة والعناية ؛ حيث صار له حظه من رعـاية وعناية أخـواله به فوق حظـه من رعاية وعناية أمـه به ، وفى ذلك يقـول الشنقيطى ما نصـه : توفى والدى وأنا صغير أقرأ فى جـزء (عَمَّ) وترك لى ثروة من الحيوان والمال ، وكـانت سُكْناى فـى بيت أخـوالى ، وأمى ابنة عَمٍّ أبى ، وقـد عنـيت بى والدتى وأخوالى أشد عناية[1] .

● **الشنقيطى فى بيت أخواله (المدرسة الأولى الأهلية) :**

يمثل بيت أخواله (مدرسة الأولى الأهليـة) حيث كان جميع مشايخه ومدرسـيه فيها هم أهله وذووه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم ؛ وفى تلك المدرسـة الأهلية بدأ يتكون الشنقيطى الطفل الصغـير ؛ فينمو جـسده ، ويتبلور عقلـه ، ويتلون فكره ، وتتضح بواكير ومـعالم شخصيته ؛ ليصير فيما بعد جـزءاً من كل ، ووِحْدَةً صغيرةً فى بناء كبير هو بناء قبيلته (بنى جَاكَان) .

تلك القبيلة التى تأثر الشنقيطى بحميد خصالها، وكريم سجاياه، من الأصالة والعلم ، والكرم والفروسـية ، إلى غيـر ذلك من الصفـات والأخلاق التى بَوَّأتها مـوقع الصدارة ،

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنى جاكان) ص من هذا البحث .

وجعلتهـا أشهر القبائـل؛ ومـن ثم كان شـرفها وعلو شـأنها ، وكذا ارتفاع سهـمها وذيوع صيتها ، فى طول البلاد وعرضها(١) .

ذلكم هو المَنَاخ الذى احتـوى الشنقيطى منذ أن فتح عينيه علـى هذه الدنيا ؛ مما كان له أكبـر الأثر وأعظمه فى بناء أسـاسه الأخلاقى ، وتشكـيل وجدانه النفسى ؛ تمهـيداً لتـربية ملكاته العقلية ، ورسم مـلامحه الفكرية ، اضطلاعاً بما يؤمله فيه أهلـه وذووه كأحد علماء الإسلام النابهين .

● **الشنقيطىّ لا يميل إلى الدراسة :**

نشأ الشنقيطى مرفهاً مـدللاً ؛ ومن ثم مالت نفسه إلى المرح واللعب ، أكثر من الدرس والطلب ، ولم يكن هذا السلوك غريباً من طفل نشأ فى مثـل بيئته ، وحظى بمثل رعايته ؛ حيث اجتمـعت عوامل عدة على جعله موضع الاهتمـام ، ومَحَطَّ الأنظار ، لدى القائمين على أمره ، والمعنيين بتربيته ، بدءً بأمه ، ومروراً بأخواله ، وانتهاءً بسائر أهله وذويه .

ولا يخفى أن محور هذه العوامل جميعها يتمثل فى كون الشنقيطى نشأ وحيد والديه ، ثم ذاق مرارة اليـتم مبكراً ؛ ليصيـر بذلك وحيد أمة التى أرضـعته حنانها ، وروتـه عصارة قلبها ؛ ولتعوضه بذلك عن فقد أبيه وترى فـيه امتداداً له ، غير أنها ما لبثت أن رحلت عنه بعد أن أتم مرحلة البلوغ ، لتلحق بأبيه .

ومع ذلك ؛ لم يكن الشنقيـطىّ يتيمُ أبويْه محرومـاً أو مُعْدَمَـاً ، بل كان طفلاً مرفـهاً مدللاً ، فـشاباً موسـراً قادراً ؛ بما تركه له والده مـن الثروة ، فوق مـا حظى به من رعاية أخواله له ، وعنايتهم به ، وَهُمْ بدورهم مَنْ هُمْ مِنْ يُسْرِ الحـال ، ورغد العيش ؛ لهذا كله لم يعرف الحـرمان إلى قلبه سبـيلاً ، ولم يقعد بـه اليُتم عن انطلاقه طفلاً مـدللاً ، وشاباً ميسوراً .

وقـد دفـعه ذلك إلى إيـثار لهـو وبراءة المرح واللعب ، على عنـاء ومـثـابـرة الدرس والطلب ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وكان وحيد والديه ؛ فكان فى مكان التدلل والعناية)(٢) كما يسوق على لسان شيخـه ما نصه : (قال رحمه الله : كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة)(٣) .

بل والأكثر من هذا أننا نرى الشنقيطى يجتهد آنذاك فى خَلْقِ الأعذار التى مِنْ شأنها أن تصرفه عن الدراسة والطلب ، وتسلمه إلى المرح واللعب ، ومن ذلك عدم صبره على حفظ

---

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنى جاَكاَن) ص من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٨ (من المقدمة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٨ (من المقدمة) .

الحروف الهجائية ؛ حيث لم يجد سبيلاً للإفلات من هذا المأزق إلا أن يقول لأهله وذويه ممن يحظفونه إياها ما نصه : فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ؛ كى يتركوننى[1] .

إلا أن الله تعالى أنفذ مشيئته ، وأجرى قدره ، فى ذلك الطفل الصغير ؛ حيث صَيَّرَ أمر الدراسة والطلب ، أقربَ إلى قلبه ، وأحَبَّ إلى نفسه ، من المرح واللعب ؛ وحقاً لا يقع فى كون الله تعالى ما يريده الله تعالى ، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية[2] .

كما يُعَبِّرُ ابن الرومىّ عن تلك الإرادة الإلهية النافذة فى معرض رثاء ابنه فيقول :

ولكنَّ ربى شاءَ غيرَ مشيئتى ... وللربِّ إمضاءُ المشيئة لاَ العَبْدِ[3]

• **الشنقيطىّ وحفظ الحروف الهجائية :**

لم يلبث أهله وذووه أن أحسوا بذلك التَحول الحادث ، وهذا الميل الملموس ، اللذين أبداهما الشنقيطى فى تطور مفاجىء إزاء إقباله على الدرس والطلب ، بعد أن كان منصرفاً عنهما إلى المرح واللعب ؛ وعندئذ بدأوا معه أولى خطوات رحلته الطويلة مع الدرس والتحصيل بتعليمه وتحفيظه حروف الهجاء بنطقها ورسمها على طريقتهم الخاصة فى ذلك .

غير أنهم فوجئوا بذهنه المتفتق ، وموهبته المبشرة ؛ فما إن وصلوا معه إلى الحرفين الثالث والرابع حتى لاحظوا نهمه الشديد، واستعداده الملحوظ، لإكمال بقية الحروف مِنْ تلقاء نفسه دون الحاجة إليهم ، ونراه يصف ذلك قائلاً : وبدأوا يقرئوننى الحروف الهجائية بالحركات باء فتحة (بَا) باء كسرة (بِى) باء ضمة (بُو) وهكذا (ت ، ث) إلخ ؛ فقلت لهم : أوَ كل الحروف هكذا ؟ قالوا : نعم ؛ فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ، فقالوا : اقرأها ؛ فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة ، وتنقلت إلى آخرها بهذه الطريقة ؛ فعرفوا أنى فهمت قاعدتها ، واكتفوا منى بذلك ؛ ومن ثم حُبِّبَتْ إلىَّ القراءة[4] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .

(٢) الإنسان : ٣٠ - التكوير : ٢٩ .

(٣) ديوان ابن الرومى (أبى الحسن على بن العباس بن جريج) : ٦٢٥/٢ - البيت رقم (١٥) - تحقيق : د. حسين نصّار - إصدار : (وزارة الثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز تحقيق التراث) - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (بتصريف يسير من المقدمة) .

- **الشنقيطىّ وحفظ القرآن الكريم:**

وما إنْ أتم الشنقيطى تعلمه وحفظه حروف الهجاء ؛ حتى عاود حفظه للقرآن الكريم الذى توقف فيه عند جزء (عَمَّ) بسبب وفاة والده آنذاك ؛ وهناك وفى بيوت أخواله واصل الشنقيطى الحفظ حتى أتم القرآن كله على يد خاله وشيخه (عبد الله بن محمد المختار ابن إبراهيم بن أحمد نوح) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

وبتمام حفظه للقرآن يختتم الشنقيطى مرحلة طفولته ، بعد أن أُرْسِىَ له حجر الزاوية الذى يعد أساساً لانطلاقه فيما بعد إلى مرحلتىْ البلوغ والطلب ، حيث الجِدُّ والاجتهاد ، والصبر والمثابرة ، على عناء الدرس ، ومشاق التحصيل .

المطلب الثانى

مرحلة البُلوغ

تمتد هذه المرحلة فى حياة الشنقيطىّ من سن العاشرة وحتى بلوغه السادسة عشرة من عمره ، وتتميز بإقباله الشديد ، ونهمه الواضح ، على تعلم رسم المصحف الأم المعروف بـ (المصحف العثمانى) مع تجويده القرآن بقراءة (نافع) بروايتيْها : (وَرْش) من طريق (أبى يعقوب الأزرق) ورواية (قالون) من طريق (أبى نشيط) وذلك على ابن خاله (سيدى محمد ابن أحمد بن محمد المختار) بسنده المتصل إلى رسول الله ﷺ .

وذلك بالإضافة إلى حفظ بعض المتون ، ودراسة بعض المختصرات ، فى النحو والفقه والأدب والتاريخ والسيرة ، وقد تم له ذلك وهو لم يزل فى (مدرسته الأولى الأهليّة) فى (بيوت أخواله) حيث شيوخه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم وسائر أهله وذويه .

وعن الملامح المميزة لتلك المرحلة ، وما لها من منهج علمىّ خاصّ فى حياة الشنقيطى، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : تعتبر الدراسة فى علوم القرآن منهجاً متكاملاً ، لا تقتصر على الحفظ والأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف (أى نوع كتابته) ما كان موصولاً أو مفصولاً ، وما رُسِمَ فيه المد أو ما كان يُمَدُّ بدون وجود حرف المد ، ثم ضبط ما فيه مِنْ مَنْشَأَيْه فى الرسم أو التلاوة ، ومن المشهور عندهم فى هذا : رجز (محمد بن بُوجَه) المعروف باسم : (البحر) .

وقد تَعَرَّضَ فيه لكل كلمة جاءت فى القرآن مرة أو مرتين أو ثلاثة مرات إلى سبع وعشرين مرة من الكلمات المشتبهة ، كما أفرد لكل عدد منها فصلاً خاصاً به ، فمثلاً كلمة (أَعْيُنُهُمْ) بالرفع جاءت ثلاث مرات فى القرآن ، وفيها يقول :

أعينُهُمْ بالرفع مِنْ غيــر حضورْ مِنْ بعد كانتْ وتولَّتْ وتدورْ(١)

ومن الثنائى : كلمة (الأشياع) بالعين ، والتى جاءت مرتين فى القرآن ، وفيها يقول :

أشياعُ بالعين فهل مِــنْ مُدَّكِرْ فى سبإ مِنْ قبل بأنهم ذُكِرْ(٢)

وقد درس رحـمه الله هذا كله ، وكانـت له زيادة نظم عليه ؛ تذييـلاً لزيادة الفائدة ، ومن ذلك تذييله على هذا البيت الأخير ؛ مبيناً حركاته وإعرابه قائلاً :

فى سورة القمر خَاطِبْ وانْصِبَا وجُــــرَّهُ وغَيِّبَنَّهُ فـــــى سَبَا

أى فى ســـورة (القمـر) تكون تلاوة كلمـة (أشـياع) بالخطاب والنصب ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ الآية(٣) وفى سورة (سَبَأ) تكون تـلاوتها بالغـيبة والجر ، وذلك فـى قـول الله تعالى : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ الآية(٤) .

وهذه دراسة لا تكاد تـوجد إلاّ ما شـاء الله تعالى ، وهى من المهـام العلميـة التى بها يُحفظ رسمُ القـرآن مـــن التغييـر والتبديل ، كمـا أنها من آثار تعهد الله تعـالى بحفظ هذا القرآن المنزل من عنده سبحانه(٥) .

وعن حفظ المتون ، ودراسـة المختصرات ، بعـد حفظ القرآن وتجويده ، وإتقـان رسمه

(١) والمقصود أن كلمة (أعينُهُمْ) جاءت مرفوعةً دالَّةً على جماعة الغائبين بالضمير (هُمْ) فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، وهى بحسب ترتيب الناظم كمايلى :

- من بعـد (كانتْ) أى فى قوله تـعالى : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ الكهف : ١٠١ .
- مـن بعد (تولَّتْ) أو (تَوَلَّوا) أى فى قـوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ التوبة : ٩٢ .
- من بعد (تدور) أى فى قوله تعالى : ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ الأحزاب : ١٩ .

(٢) والمقصود أن كلمة (أشياع) جاءت فى سورة (القمر) وبعدها ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ كما جاءت فى سورة (سبأ) بعد ذلك وبعدها ﴿مِّن قَبْلُ﴾ .

(٣) القمر : ٥١ . (٤) سبأ : ٥٤ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٢ - ٢٣ (بتصرف يسير) .

وقـد تعهد الحق سبحانه بحفظ قـرآنه الكريم على مر العصور ، وتعاقب الدهور ، من أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل ، أو أن يصيبـه عبث العابثين ، من أعداء هذا الدين ؛ فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر : ٩ .

وإعرابه ، يضيف الشيخ عطية على لسان شيخه قوله : ثم قال رحمه الله تعالى : وقد درست بعض المختصرات فى فقه الإمام مالك كرجز الشيخ ابن عاشر ، كما درست دراسة واسعة فى الأدب على زوجة خالى أم ولد الخال ، أى أن ولد خاله كان يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

قال : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمرينات ودروساً واسعة فى أنساب العرب وأيامهم ، وكذا نظم الغزوات لأحمد البدوى الشنقيطى[1] وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وأيضاً نظم عمود النسب له وهو بالآلاف، مع شروحهما لابن أخته المعروف بـ: حمَّاد[2] الذى وصل فى شرحه لـ : (عمود النسب) إلى خصوص العدنانيين ؛ لأنه مات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين[3] .

وبهذا يتخرج الشنقيطىّ فى (مدرسته الأولى الأهلية) فى (بيوت أخواله) بعد أن أتم فيها مرحلتىْ (طفولته وبلوغه) حيث أبدى إبداعاً ملحوظاً ، وأحرز تفوقاً ملموساً ؛ يكفيان لتأهليه لالتحاق بـ : (مدرستَيْه الثانية والثالثة) أثناء (مرحلة الطلب) .

المطلب الثالث

مرحلة الطلب

تمتد هذه المرحلة فى حياة الشنقيطى منذ أن كان شاباً يافعاً فى السادسة عشرة من عمره ، وحتى استوى عوده ، وبلغ أشده ، وامتلك نصاب العلم الذى أَهَّلَهُ لأخذ مكانه بين صفوف العلماء فى بلاده ، وقد قارب آنذاك الثلاثين ، وتتميز بانطلاقه خارج (مدرسته الأولى الأهلية) حيث (ديار أخواله) وسائر أهله وذويه ؛ بعد ما بَزَّ أندادَه ، وتفوَّق على أقرانه ، فى كل ما قرروه له فى مرحلتىْ الطفولة والبلوغ ، من حفظ القرآن وتجويده ، ومختصرات العلم ومتونه .

---

(١) راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) هو حمَّاد المجلسىّ أو المدْلشِىّ نسبة إلى قبيلة (مدْلِش) ثم البوحمدى الشنقيطى ، عالم متفَنِّن ، ولغوى متقن ، ابن أخت أحمد البدوى السابق ، وشارح نظميه : (عمود النسب) و (المغازى) إلا أنه وقع فى أغلاط كثيرة فى شرح الأنساب .

- راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٣ - ٢٤ (بتصرف يسير) .

وعـن خروجه للطلب ، وتجهيز أهله له ، يحدثنا قائلاً : لما حفظت القرآن[1] وأخذت الرسم العثـماني[2] وتفوقت فـيه على الأقـران ؛ عنيت بي والدتي وأخوالي أشـد عناية ، وعزموا على توجيـهي للدراسة في بقية الفنون ؛ فجهزتني والدتي بَجَـمَلَيْنِ ، أحدهما عليه مركبي وكتبي ، والآخر عليه نفقتي وزادي ، وصحبني خادم ومعه عدة بقرات[3] وقد هَيَّأَتْ لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب ، وملابسي كـأحسن ما تكون ؛ فرحاً بي ، وترغيباً لي في طلب العلم ، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل[4] .

• **مدرسته الثانية (*القبلية الجكانية*):**

وفيها جـعل الشنقيطي يتصل بشيوخـه (الجكنيين) من علماء قبيلته (بني جَـاكَان) حيث تلقى على أيديهم مـا نقـصه من مـختلف الـفنون التي لم يكن أتمهـا مِنْ قبل في مـرحلتيْ الطفولة والبلوغ في (مدرسته الأولى الأهلية) في (بيوت أخواله) وسائر أهله وذويه .

ومـن ثم ؛ نراه يبدأ بطلب الفـقه المالكي[5] فيـدرس مخـتصر خـليل علـى يد شيـخه (مـحمـد بن صالح المشـهور بابن أحـمد الأفـرم الجكني) الذي وصـل مـعه إلـى (قـسم العبادات) كمـا درس عليه ما يقرب من نصف ألفية ابن مالك في النحـو ، وعلى مشايخه الآخرين من مشـاهير علماء الجكنيين في قبيلتـه نجده يكمل بقية الفنون من تفسـير وحديث وأصول ونحـو وصرف وبلاغة وإلى ذلك يشيـر بقوله : وقد أخـذنا عن هؤلاء المشايخ من الجكنيين كل الفنون (الفـقه المالكي والنحـو والصرف والأصـول والبلاغة وبعض التـفسـير والحديث)[6] .

• **مدرسته الثالثة (*الذاتية الخاصة*):**

وفيها اعتـمد الشنقيطي على مطالعته الشخصية ، وبـحثه الذاتي ، حيث إدامة النظر ،

---

(١) كان ذلك في (مرحلة الطفولة) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

(٢) كان ذلك في (مرحلة البلوغ) وعمره آنذاك ستة عشر عاماً .

(٣) وهذا ما يؤكد نشأة الشنقـيطي في يُسْر ورغد من العيش ، وكيف لا ، وحاله تلك ؟! حـيث مركبه وكتبه على جَمَل ، ونفقته وزاده علـى جَـمَلٍ ثانٍ ، وفوق ذلك خادمه وبقراته ؛ فياله مِـنْ تعظيم لقـدر العلم ، وياله مِنْ تقدير لشرف طالبيه !! .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٢٩ .

(٥) وهو المذهب الفقهي السائد في غرب أفريقيا عـامة ، وفي شنقيط خاصة ؛ بحيث لو حاول أحد أن يتعـلم مذهباً غـيره لما وجـد أحداً يعلمـه ذلك في شنقيط بأسْـرِها - انظر (نثر الورود علـى مراقي السعود) : شرح الشنقيطي ١/ ١٨ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

ومواصلة القـراءة ؛ لتحصيـل ما فاته ، واستـدراك ما غاب عنه ، من فنون العلم وفـروعه المختلفـة ، وخاصـة علم المنطق ، وآداب البحث والمناظرة ، وإلى هذا يشـير بقـوله : أما المنطق وآداب البحث والمناظرة ، فقد حصلناه بالمطالعة[1] .

كما يـصف الشيخ المجذوب تحصـيل الشنقيطى هذين العلمين قائلاً : كـان على الشيخ رحمـه الله ألا يكتفى بما يتلقـاه عن شيوخـه وشيـخاته ؛ فراح يكب بنفـسه على مـختلف الأسفـار ، وفى ما درس وفى ما لم يـدرس ؛ ومن هنا توافرَ له ذلك التضـلع الملموس فى علميْ المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلاّ الأَقَلُّون[2] .

ولم يلبث الشنقـيطى أن أتم مـرحلة طلبه هذه ؛ حـتى طار خـبره ، وانتـشر ذكـره ، فجلس للدرس والفتيـا ، ثم اشتهر بالقضاء والفِراَسة فيـه ؛ وذلك لعظيم ثقة المتقاضين فى قضائه وعدله ، وتقدير مواطنى بلاده لاجتهاده وعلمه .

* * *

وهكذا يمر الشنقيطى أثناء نشأته بمراحل ثلاث ، حـيث الطفولة والبلوغ والطلب ، كما ينتقل خلالها أيضاً بين مدارس ثلاث ، حيث مدرسته الأولى (الأهلية) فى مرحلتىْ الطفولة والبلوغ ، ثم مدرسته الثانـية (القبلية الجكنية) والثالثة (الذاتية الخاصـة) وكلتاهما فى مرحلة الطلب ؛ ومن ثم يأخذ الشـنقيطى مكانه بين مصـاف العلماء العاملين ، مـترسماً نهـجهم وخطاهم ، ومتحلياً بصفاتهم وأخلاقهم .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتُهُمْ : محمد المجذوب ١/ ١٧٣ .

الفصل الرابع

صفاتـــــه
الخِلْقِيَّة والخُلُقِيَّة والعِلْمِيَّة

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١- المبحث الأول : الصفات الخِلقيَّة .

٢- المبحث الثاني : الخُلُقِيَّة .

٣- المبحث الثالث : الصفات العِلْمِيَّة .

المبحث الأول

صفاتــه الخِلْقِيَّة

وينتظم المطالب الثلاثة :

١ - المطلب الأول : لونـه وملامحه .

٢- المطلب الثانى : جسـمـه وبُنيته .

٣- المطلب الثالث : ملبســه وهَيئته .

المطلب الأول

لـونـه وملامحـه

يُعرف الموريتانيون بغلبة السُّحْمَة عليهم(١) والتى تشمل كلاً من : السودان (وهم شديدو السواد أو الزنوج) فى مقابل البيضان (وهم الأقل سواداً أو البيض) .

وفى حين يمثل السودان النسبة الغالبة من سكان البلاد ؛ نجد أن البيضان يمثلون القلة الباقية من هذه السُّحْمَة ، وهم يختلفون عن أهل أوروبا الذين يميزون عند الشناقطة باللون (الأصفر) ليشيروا به إلى البشرة (البيضاء) أو (الشقراء) .

أما (البيض أو البيضان) فهم يشبهون (عرب شبة الجزيرة) وهذا ما أشار إليه محمد يوسف مقلد بقوله : (وأهل موريتانيا يشبهون إلى حد كبير عرب اليمن والكويت والبحرين والسعودية)(٢) ويقصد بـ (أهل موريتانيا) أى (البيض أو البيضان) وهذا ما يؤكده فى كتابه الذى جاء يحمل عنوان : (موريتانيا الحديثة أو العرب البيض فى أفريقيا السوداء)(٣) .

وإلى البيض أو البيضان ينتمى الشنقيطى وقبيلته بنو جاكان ، كما أفاد بذلك تلميذه الشيخ عطية على وجه العموم والإجمال(٤) .

---

(١) السَّحَم والسُّحَام والسُّحْمَة : أى السَّواد ، ويقال للرجل الأسود : أَسْحَم كما فى حديث الملاعنة : «إن جاءت به أسْحَمَ أحتم» أى أسود ، كما يقال للمرأة السوداء : سَحْمَاء كما فى حديث أبى ذر : «وعنده امرأة سَحْمَاء» أى سوداء - انظر مادة (سَحَم) فى كل من : لسان العرب : ٣/ ١٩٥٩ - المعجم الوسيط : ١/ ٤٢٦ .

- وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخارى فى صحيحه بالاقتصار على (أسحم) دون (أحتم) وكلاهما بمعنى (أسود) - انظر صحيح البخارى (كتاب) تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ النور : ٦ .
- وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٨/ ٥٢ - حديث رقم (٤٧٤٥) - راجعه وقدّم له وضبط أحاديثه وعلّق عليه : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهوارى - السيد محمد عبد المعطى) - طبع مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

(٢) موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٣ .

(٣) انظر غلاف هذا الكتاب الموسوم بالعنوان المذكور .

(٤) ضمن رده المسجَّل على رسالتنا إليه .

المطلب الثانى

جسـمهُ وبِنيتـهُ

كان الشنقيطى رَبْعَةً بين الرجـال[1] لا بالقصير ولا الطويل الزائد ، معتدل القامة ليـس بالأحـدب ، كمـا لم يكن نحيفاً نحـيلاً ، أو بـديناً ذا بِطْنَة[2] وإنما كان وسطاً فـى ذلك كله[3] .

المطلب الثالث

ملبســه وهيئتــه

كان الشنقـيطى فى ملبسه وهيئـته العامـة كسائر أهل بلاده المعروفين بزيِّهم الصـحراوى الخاص ، وألوانه الموروثة المميزة ، وهو ما يصفـه لنا الشيخ المجذوب بقـوله : والمخالطون للشناقطة عن كثب يلمسون احتفاظهم بالكثيـر من طوابع بيئتهم الأولى ، مهما طال بعدهم عنها وفـراقهم لأهلهـا ، وقد لاحظت امتـيازهم[4] بهذه الخـاصة على سائر جـيرانهم من الأفارقـة ، حتى فى ثيـابهم والألوان التى يؤثرونهـا ، وفـى المدينة المنورة غيـر قليل مـن مهاجريهم لا يكادون يفارقـون أزيـاء الصـحراء التى انتقلوا عنها .

فثوب الرجل منهم[5] صورة من الخيمة التى ألفـها فى بلاده ؛ فـهو عبـارة عن قطعة فضـفاضة من القمـــاش المصبـوغ بالـزرقة ، وقـد شُقَّ أعلاه لإدخال الرأس ، كمـا أُسْبِغَ سائره على الجسم فوق السراويل ، وقد احتفظ فى ذات الـوقت بفتحتين ممتدتين على جانبيه لتسرب الهواء ، كما تحتفظ خيمة البادية ببابين متقابلين للغرض نفسه[6] .

غير أن الشنقـيطى كغيره من علماء بلاده ، وكذا طلاب العلم منهم ، ممـن يعيشون فى

---

(١) يقال: (رجل رَبْعَة أو رَبَعَة) أى مربوع الخَلْق ، وسيط القامة، لا بالطويل ولا بالقصير ، ويوصف به المذكر والمؤنث - انظر مادة (ربَع) فى كل من :
لسان العرب : ٣/١٥٦٦ - المعجم الوسيط : ١/٣٣٧ - مختار الصحاح : ص ٢٨٨ .

(٢) البِطْنَة : امتلاء البطن وبروزه الشديد من الشبع وكثرة الطعام ، ويوصف بها فى قولهم : رجل بَطِن وبَطِين ومِبْطَان ، كمـا يقال : (البِطْنَة تذهب الفِطْنـة) - انظـر مادة (بَطَن) فـى كل من : لـسان العرب : ١/٣٠٣ - المعجم الوسيط : ١/٦٣ - مختار الصحاح : ص ٥٦ .

(٣) ضمن رده المسجَّل على رسالتنا إليه .

(٤) والأنسب أن يقال : (تميزهم) فالمقام يقتضى التفرقة لا التفوق .

(٥) أما ثوب المرأة فيغلب عليه الحجاب الشرعى المعروف .

(٦) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧.

المدينة المنورة خاصة ، وغـيرها من بلاد الحجاز عامة ، غالبـاً ما يدخلون تعديلاً على زيِّهم هذا ليتقربوا به من الثـوب الحجازى المعروف ؛ ولذا فقد استـثناهم الشيخ المجذوب بقوله : مع أن أهل العلم منهم شـيوخاً وطلاباً ، قـد يُعَدِّلُون فى أثوابهم ؛ فـيقتـربون من الثواب الحـجازى، إلا أنهم لا يسـتنكفـون أن يراجـعوا ثوبهـم الموروث بين الحين والآخر ؛ وقـد ساعدهم ذلك على الاحتفاظ بالكثير من خصائصهم المتوارثة[1] .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧ .

المبحث الثانى

صفاتــه الخُلُقِيَّة

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : بعده عن الغِيبة وإعراضه عن اللّغو .

٢- المطلب الثانى : زهده فــى الدنيا وحــذره منها .

٣- المطلب الثالث : عبادته وورعــه وتـقواه .

٤- المطلب الرابــع : خيريته وحبــه للمسلمين .

٥- المطلب الخامس : مروءتـه وتواضعه وهيبته .

كان للشنقيطى من الأخلاق الرفيعة ، والسجايا الكريمة ، مالا يخفى على كل مَنْ لازمه وخالطه بصفة خاصة ، فضلاً عمَّنْ أخذ عنه وتلقى عليه بصفة عامة ، كما أن هذه الأخلاق كانت من الكثرة والشمول بحيث لا يسعف فى ذكرها سوى الإيجاز والإجمال ؛ مراعاة هنا لما يقتضيه المقام ، وتستلزمه الحال .

وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : أما الناحية الشخصية من حيث تقويمه الشخصى لسلوكه وأخلاقه وآدابه وما إلى ذلك ؛ فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث ، وهذا لا يُعلَمُ إلا لِمَنْ خالطه ، وليس كل مَنْ خالطه يعرف ذلك منه ، بل مَنْ داخله ولازمه ، وإنى لا أستطيع الآن تصويره ، ولا يسعنى فى هذا الوقت تفصيله ؛ ولكن قد تكفى الإشارة إذا لم تسعف العبارة[1] .

ونحن بدورنا نكتفى بالإشارة والتمثيل ؛ استغناءً بهما عن التصوير والتفصيل ، إزاء ما نتناوله من أخلاقه وسجاياه ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

بعده عن الغيبة ، وإعراضه عن اللغو

لم يكن الشنقيطى يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد فى مجلسه ، كما كان مجلسه منزهاً عن اللغو وفضول الكلام ، فضلاً عن إيذاء المسلمين والخوض فى أعراضهم .

ويحدثنا تلميذه الشيخ عطية عن ذلك قائلاً : لم يكن رحمه الله تعالى يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد فى مجلسه ، وكثيراً ما يقول لإخوانه : اتْكَايْسُوا[2] أى من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ، كما كان يقول : إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتى فى صحيفته ؛ فلا يأتى فيها إلا الشىء الطيب[3] .

ويبين لنا الدكتور عبد الله مدى خوف أبيه من غيبة الناس ، وعدم صبره على ذلك فيقول : كان رحمة الله عليه لا يقبل شخصاً يتكلم فى شخص فى مجلسه ، بل ويصف ذلك بأنه ضعف وخَوَر ، ثم يحذر من أكل الغيبة والنيل من أعراض المسلمين قائلاً : اعلموا أن أعراض المسلمين مسمومة ؛ فاتركوها ولا تتكلموا فيها ، واعلموا أن الله تعالى

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ - ٦١ (من المقدمة) .

(٢) فعل أمر فى اللهجة العامية لدى الشناقطة والحجازيين، ويعنى التزام الكياسة بحفظ اللسان وتنزيهه عن كل مالا يليق .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٣ (من المقدمة) .

بَشَّعَ ذلك فقال سبحانه : ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية[1] واللهِ ، لو قتلتم أبنائى وأخذتم أموالى لسامحتكم ، ولكن أن تأخذوا حسناتى فلا ؛ فأخذ حسناتى وأنا شائب لا صبر لى عليه[2] .

وعن تنزيه مجلسه عن اللغو ، وإعراضه عن فضول الكلام ، يقول تلميذه الشيخ عطية : ومن صفاته الجليلة رحمة الله علينا وعليه تنزيه مجلسه عن كل ما لا يليق من اللّغو وفُحْشِ القول ونحوهما[3] .

المطلب الثانى

زهده فى الدنيا وحذره منها

تمثل زهد الشنقيطى فى تلك القناعة التى جعلته راضياً من دنياه بتحصيل الضرورى منها ؛ ومتعففاً بذلك عما فى أيدى الناس ، ويصف لنا الشيخ عطية مناعة شيخه قائلاً : وسمعته يقول : (لقد جئت معى من البلاد[4] بكنز عظيم ؛ يكفينى مدى الحياة ، وأخشى عليه الضياع ، فقلت له : وما هو ؟ قال : القناعة) كما كان شعاره فى ذلك قول الشاعر :

الجوعُ يُطردُ بالرغيفِ اليابسِ ... فعلَامَ تَكْثُرُ حسرتى ووساوسى ؟!
والموتُ سَوَّى حين عَدَّلَ قَسْمَهُ ... بين الخليفةِ والفقيرِ البائسِ[5]

أما حذره من الدنيا ووجله من إقبالها عليه فقد تمثل هذا فى نصحه لأبنائه وطلابه قائلاً : (لو كانت الدنيا ميتةً لأباح الله منها سَدَّ الخَلَّة[6] ونحن لا نريد إلا سَدَّ الخلة)[7] لأجل هذا ؛ لم يطلب منذ أن حَلَّ بأرض الحجاز عطاءً أو مكافأة ، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه[8] .

(١) الحجرات : ١٢ .
(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .
(٤) المقصود بها بلاده شنقيط .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦١ (من المقدمة) .
(٦) الخَلَّة : أى الفقر والاحتياج ، ومنها دعاؤهم : (اللهمَّ اسْدُدْ خَلَّتَهُ) وكذلك دعاؤهم (لا أَخَلَّكَ اللهُ إلى هذا) والمقصود هنا بـ (سَدّ الخَلَّة) أى : ما يفى بالحاجة الضرورية فقط – انظر مادة (خَلَل) فى كل من لسان العرب : ٢/ ١٢٤٨ – المعجم الوسيط : ١/ ٢٦١ مختار الصحاح : ص ١٨٧ .
(٧) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦١ (من المقدمة) .

بل دفعته قناعته هذه إلى تعففه عن راتبه ، وكذا عن حقه في مؤلفاته ؛ فلم يكن يتكسب بها ، وإنما تركها لطلاب العلم ، ولو شاء لساقت إليه المال الوفير ، كما لم يكن يُقْرِض أحداً قرضاً ينتظر رده ، أو يعقد صفقة ينتظر ربحها ؛ ومن ثم فقد كان يتعفف عن ذلك كله ابتغاءَ وجه الله تعالى[1] .

المطلب الثالث

عبادته وورعه وتقواه

كان الشنقيطى دائم الذكر ، مجتهداً فى طاعة ربه سبحانه ، فرضاً كانت أم نفلاً ، متقلباً بين الخوف والرجاء ؛ خاصة إذا رأى أو سمع ما يغضب الله تعالى ، أو يخالف سُنة نبيه ﷺ قولاً كان أو فعلاً ، بل يبدو وكأنه يحترق بنيران حقيقية .

ويصور لنا ابنه الدكتور عبد الله تلك الحال بقوله : كنا إذا جئنا بالسيارة إلى محطة الوقود ، وسمع بعض الأغانى تنبعث من هنا أو هناك ؛ يكون عندئذ مثل المحروق ويقول : جاءنا السوء يا ولدى ! اطلعْ اطلعْ ، أعوذ بالله أعوذ بالله !![2] .

كما كان يرد مَنْ يحتجون فى جواز هذا بكثرة مَنْ يفعله منَ الناس، ومنهم ابنه الدكتور عبد الله فى صغره ، قائلاً له: الناس فى السوء ليسوا بحجة؛ والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية[3] ويقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[4] ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح: «أن نصيب الجنة واحد من الألف»[5] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ (من المقدمة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٨ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) الأنعام : ١١٦ . (٤) يوسف : ١٠٣ .

(٥) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد السنقيطى (محاضرة مسجلة) .

والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عمر بن حفص عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لَبَّيْكَ ربَّنا وسَعْدَيْك ، فيُنادَى بصوت : إنّ الله يأمرك أن تُخرِجَ من ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يارب وما بَعْثُ النار ؟ قال : منْ كل أَلْف أُراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد : «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد» فشق ذلك على الناس حتى تغيّرت وجوههم ، فقال رسول الله ﷺ : منْ يأجوج =

ويتجلى خوفه من الله تعالى ، ورجاؤه فى رحمته سبحانه ، فى ذلك الموقف الذى وقع له قبيل موته مع ابنه الدكتور عبد الله ، والذى يرويه لنا بقوله : ومرة كنت أقرأ عليه القرآن قبل موته ، فقال: يا ولدى فى القرآن آية تفرحنى كثيراً ، ثم بكى !!

فقلت : ماهى ؟ أهى قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية[1] ؟ فقال : لا ، بل هى قول الله تعالى : ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ الآيتان[2] فالكبائر إن شاء الله ما نقربها ، والصغائر نترك منها ما استطعنا ، والله يقول : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ الآية[3] فلما نظرت إليه وجدته يبكى يرحمه الله ، ثم قال لى : يكفيك هذا[4] .

المطلب الرابع

خيريته وحبه للمسلمين

كان الشنقيطى بمثابة الأب لشتى قبائل الجالية الشنقيطية من أبناء بلاده الذين كانوا يعيشون بالمدينة المنورة خاصة ، وغيرها من بلاد الحجاز عامة ، كما كان يتولى الأرامل واليتامى ، ويرعى المعوزين وأصحاب الحاجات ، بل يروى عنه أن الناس كانت تأتيه من كل فج ، من المشرق والمغرب ، على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ، سواء كانوا من السُّنة أو الشيعة أو غيرهما ؛ فكان يعطى كلاً منهم ما يستحق إن كانت عنده حاجتهم ، أما إن كانت حاجتهم ليست عنده ؛ فإن هذا يدفعه إلى أن يكون شفيعاً لهم هنا وهناك ، لقضاء مطالبهم الكبيرة والصغيرة على السواء .

بل قد يدفعه حبه للمسلمين وخيريته لهم إلى مخالفة منهجه بأن يذهب إلى كبار التجار فى المدينة المنورة فيقترض منهم على حساب نفسه ليعطى الفقراء والمحتاجين ، ولو كان ذلك

= ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ، ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جَنْب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى جَنْب الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا رُبعَ أهل الجنة فكبّرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة فكبّرنا ، ثم قال : شَطْرَ أهل الجنة فكبّرنا» وقال أبو أسامة عن الأعمش : «ترى الناس سكارى وما هم بسكارى» قال : مِنْ كل ألْف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية : سَكْرَى وماهم بِسَكْرَى - انظر صحيح البخارى (كتاب) تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ الحج : ٢ - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى: لابن حجر العسقلانى ١٨/ ٤٤ - حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(١) فاطر : ٣٢ . (٢) النجم : ٣١ - ٣٢ (آيتان) . (٣) النجم : ٣٢ .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

لنفسه ما فعله وما أقدم عليه ؛ لأنه ليس من طبعه ولا عادته ؛ ولكنه فعل الخير ، وحب المسلمين[1] .

المطلب الخامس

مروءته وتواضعه وهيبته

كانت المروءة والتسامح فى حق نفسه ومراعاة شعور مَنْ يتعاملون معه ويتصلون به ، أهم ما يحكمه فى جميع أقواله وأفعاله ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وإذا كان علماء الأخلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضائل بـ (المروءة) فإن المروءة كانت شعاره ودثاره ، بل هى التى كانت تحكمه فى جميع تصرفاته ، سواء فى نفسه أو مع إخوانه وطلابه ، أو مع غيرهم مَنْ عرفهم ومَنْ لم يعرفهم .

وأما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور جلسائه ، فهذا فوق حد الاستطاعة ؛ فمذ صَحِبتُه لم أسمع منه مقالاً لأى إنسان ولو مخطىء عليه يكون فيه جرح لشعوره ، وما كان يعاتب إنساناً فى شىء يمكن تداركه ، كما كان كثير التغاضى عن كثير من الأمور فى حق نفسه ، وحيثما كنت أسائله فى ذلك يقول :

ليس الغبىُّ بسيِّدٍ فى قومِهِ   لكنَّ سيِّدَ قومِهِ المتغابى[2]

وقد دفعته مروءته هذه إلى تواضعه ولين جانبه لكل مَنْ يراه أو يلقاه ، أينما نَزَلَ وحيثما حَلَّ ، وهذا ما يوضحه لنا تلميذه الشيخ عطية كذلك بقوله : وأما عاداته فعادات بلاده وما يوجد فى المدينة المنورة ومكة المكرمة من مكارم أو محاسن العادات ، ولم يكن له عادة يتميز بها عن الآخرين فيما نعرفه ، وليست هناك تقاليد خاصة به ، وإنما هى السائدة من عادات الناس وتقاليدهم ، اللهم إلا كرم أخلاقه ، وتواضعه مع أهله وغيرهم .

كما أنه فى حلق الدروس الخاصة به فى بيته تكون جلسته مع الخاصة به فى بيته تكون جلسته مع الحاضرين كأحدهم دون تميز فى جلسة أو مكان أو غير ذلك ، وإنما يتميز بما يلقيه رحمة الله من دروس وبيان[3] .

ويضيف الدكتور عبد الله عن تواضع أبيه قوله : والشيخ كان متواضعاً بشكل عجيب ؛ إلى درجة أن الذى يراه ولم يكن يعرفه يحسب أنه عامى[4] .

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ - ٦٣ (من المقدمة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

وبالرغم من تواضع الشنقيطي ولين جانبه ؛ إلا أنه كان مهاباً جليلاً ، ومحترماً وقوراً ، يجمع إلى هيبة العلماء، جلال الحكماء؛ بل إن قوة شخصيته، وحكمة منطقه ، تحمل كل مَنْ رآه على احترامه وتقديره ، سواء كان حاكما أو محكوماً ، طالبَ علم أو غيره ، كبيراً كان أو صغيراً ، على مختلف مستوياتهم ومواقعهم من المسئولية .

ولقد تجلت هيبته وحكمته فى طلبه من الملك سعود بن عبد العزيز التنازل عن الحكم لأخيه الملك فيصل بناءً على إجماع مؤتمر العلماء بالرياض على إنابة الشنقيطى عنهم فى ذلك ؛ فكان أن قام بالمهمة خير قيام ؛ حيث كان لشخصيته القوية ، وكلمته الحكيمة ، أطيب الأثر فى نفس الملك سعود ، والذى أعلن عقب لقائه بالشنقيطى عن ثقته التامة بنصيحة العلماء ، وامتثاله وخضوعه لمقرراتهم(١) .

بل وقد بلغ الأمر بأحد الحكام الأفارقة أن أصر على عدم مفارقة الشنقيطى لا فى حِلٍّ ولا ترحال ؛ إلى درجة أنه كان يحمله فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه إلى الأماكن المعدة للزيارة ، وقد ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطى حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخْفِى عنه حقيقة الحكم الجائر الذى كان يمارسه فى بلاده(٢) .

وأما هيبة الشنقيطى لدى طلاب العلم خاصة ، فضلاً عن غيرهم من الناس عامة ؛ فليس أدل على ذلك مما يسوقه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وإن تفصيل ذلك لمتروك لِمَنْ خالطه عن قرب ، وقد استعصى عَلَيَّ المقال فى ذلك ، ولكأنى بقول القائل :

أَهَابُكَ إجلالاً ، وما بِكَ سُلْطَةٌ ... عليَّ ، ولكَنْ مِلءُ عينٍ حبيبُها(٣)

* * *

وفى الجملة : فقد جمع الشنقيطى - إضافة إلى الصفات السابقة - بين كل من : الأدب والحياء ، والكرم والعطاء ، والدقة والنظام ، والرُّوح الخفيفة والإحساس الجيَّاش ، مع حبه للرماية والصيد .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .

(٢) وكان ذلك ضمن بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برئاسة الشنقيطى إلى عشرة من الأقطار الأفريقية .

- انظر (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ (من المقدمة) .

والبيت المذكور من شعر (نُصَيْب بن ربَاح) وقد ورد بلفظ (ومَا بِكَ قُدْرَةٌ) بدلاً من (ومَا بِكَ سُلْطَةٌ) - انظر (شعر نُصَيْب بن ربَاح) : ص ٦٨ - جمع وتقديم : د. داود سلّوم - مطبعة الإرشاد - بغداد - العراق - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

فضلاً عن عنايته بالتربية والسلوك لأولاده وطلابه ؛ الأمر الذى يقرر معه كل من تلميذه الشيخ عطية ، وابنه الدكتور عبد الله : أن ما يستفاد من الشنقيطى فى جانب السلوك ، أكثر مما يؤخذ منه فى جانب العلم[1] .

هذا بالإضافة إلى غيـر ما ذكرنا من أخلاقه الحسنة ، وسجـاياه الكريمة ، والتى يستحق أن يُفْرَدَ كل خُلُق منها بحديث وحده ، غير أن هذا مما لا يحتمله المقام .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

المبحث الثالث

صفاتُــه العِلْمِيَّة

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

١ - **المطلب الأول** : بواكيره المبشِّرة وأمارات نجابتــه .

٢- **المطلب الثانــي** : استغراقه التام وتفرغه الكامـــل .

٣- **المطلب الثالــث** : استقصاؤه وشموله وموسـوعيته .

٤ - **المطلب الرابـــع** : معاصـــرته وثقافته الحاضـــرة .

٥ - **المطلب الخامـس** : تورعه عن الفُتيا ورجوعُه للحَقِّ .

كان للشنقيطى من الصفـات العِلْمِيَّة ما دَلَّ على ما صار إليه أمره فيـما بعد كواحد من أبرز علماء عصره فى بلاده وخارجها ، ونستطيع أن نرصد فيما يلى بعض هذه الصفات عبر مراحل عمره المختلفة طفلاً وشاباً وعالماً ، وذلك على سبيل الاستشهاد والتمثيل ؛ اكتفاءً به عن الحصر والتفصيل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

بَوَاكِيرُهُ المبشِّرَةُ وأماراتُ نجابتِهِ[1]

بدا الشنقيطى متميزاً منذ الصغر بما ظهر عليه من علامات النجابة والذكاء ، وبما لوحظ عليـه مـن بديهة حاضرة ، وهمـة عاليـة ؛ الأمـر الـذى كـان له أكبر الأثرو وأعظمه فـى تفتـق مـواهبـه العقلية ، وتفجـير طاقاته الفكرية ، وقـد تجلى هذا واضحـاً مـن خـلال ما يلى :

- **سرعة الحفظ والقدرة على القِرَان :**[2]

فإلـى جـانب حفظ القرآن الكريم وإتقان رسـمه وتجويده ، إلا أن الشنقـيطى أظهر فى ذات الوقت قدرة فائقة على حفظ العديد من متـون العلوم ومختصرات الفنون كعلوم القرآن والفقه وعلوم الـعربية ، إلى جانب ما لابـد مـن معرفته فـى بلاده مـن سـيرة النبى ﷺ وغـزواته ، وكذا أنساب العـرب وأيامـهم .

ولـم يكن حفظ هذه المتون واستيعاب تلـك المختصرات بالشىء الهَيِّن ؛ خاصة المطوَّلات منها ، وهذا ما يـشير إليه الشيخ المجـذوب بقوله : وبين مراجع هذه العلوم متـون منظومة تبلغ المئات من الأبيـات ؛ ومن هنا كان ما نلمـسه فى حديث الشيخ من تبـحر ، يغنى عن الرجوع إلى مختلف الأسفار[3] .

(١) (بواكير جمع باكورة ، كطواحين جمع طاحونة) وباكورة كل شىء : أى أوله ، أو أول ما يدرك منه - انظر مادة (بَكَرَ) فى كل من : لسـان العرب : ١/ ٣٣٣ - مختار الصـحاح : ص ١٣٨ - المعجم الوسيط : ١/ ٦٩ .

والمقصود ببواكيره هنا : أى مواهبه الأولى التى بدت عليه ، ولمسها فيه أهله وذووه .

(٢) المقصود بالقِرانِ هنا أى الجمع بين أكثر من عِلْمٍ فى وقت واحد .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٢ .

ومـن أمثلة هذه المتون : (نظـم الـغزاوت) وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وكـذا (نظم عمود النسب) وهو يُعَدُّ بالآلاف ، وكـلاهما من نظم أحـمد البدوى المجلسى الشنقـيطى ، مع شروحهـما لابن أخته حَمَّاد المجلس الشنقيطى .

- راجع فى ذلك ص   من هذا البحث .

وبالرغم من أن إفراد الفنون يُعَدُّ أصلاً ثابتاً من أصول الدراسة فى المحضرة الشنقيطية ؛ حيث لا يجمع الشيخ على تلميذه أكثر من فن واحد فى وقت واحد ؛ إلا أن شيوخ الشنقيطى كانوا يلزمونه دوماً بالقِرَان بين كل فنين معاً ؛ لملاحظتهم قدرته الفائقة على الجمع بينهما فى آن واحد ، وهذا ما يصوره لنا تلميذه الشيخ عطية بقوله : وقد مضى رحمه الله فى طلب العلم قُدُمَاً ، حيث ألزمه بعض مشايخه بالقِرَان ؛ فصار يُقْرِنَ بين كل فنين ؛ حرصاً على سرعة تحصيله ، وتفرساً له فى القدرة على ذلك[(١)] .

- **عُلُوُّ الهمة والتفوق على الأقران :**

ومن بواكير الشنقيطى المبشرة ، وأمارات نجابته المبكرة ، ذلك الإقبال على طلب العلم وتحصيله بتلك الهمة العالية الملحوظة ، وهذا التفوق الملموس ، تلك الهمة التى يحدثنا عنها تلميذه الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : ومن ذلك ما حدثنيه رحمه الله قال : قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه ، ولم يكن يعرفنى من قبل ؛ فسأل عنى مَنْ أكون ؟ وكان فى ملأٍ من تلامذته ؛ فقلت له مرتجلاً :

هذا فتى منْ بنى جَاكانَ قَدْ نَزَلاَ ... به الصِّبَا ، عن لسان العرب قَدْ عَدَلاَ
رَمَتْ به هِمَّةٌ عليَاءُ نحوكُمُ ... إذْ شامُ برقَ علومٍ نوره اشْتَعَلاَ
فجاءَ يرجو رُكاماً منْ سَحَائبه ... تكسو لسانَ الفتى أزهارُهُ حُلَلاَ
إذْ ضاقَ ذَرْعاً بجهلِ النَحو ، ثم أَبَى ... ألاَّ يميزَ شكلَ العينِ منْ فَعَلاَ
قد أتى اليومَ صَبّاً مُولَعاً كَلِفاً ... بـ (الحَمدُ لله) لا أبغى به بَدَلاَ[(٢)]

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك بقوله : فالشنقيطى يمدح الشيخ بالإشارة إلى ما اشتهر به من العلم ، ثم يفخر هو بنسبه وعلو همته ؛ ليعرض بعد ذلك حاجته إلى علم الصرف، حاصراً مطلبه فى لاَمِيَّة الأفعال المبدوءة بـ : (الحمدُ لله)[(٣)] .

وأما تفوق الشنقيطى وتميزه على أقرانه وأنداده منذ صغره وصباه ، فهذا ما يؤكده بنفسه من خلال ما يذكره عنه تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وقال رحمه الله : ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثمانى ، وتَفَوَّقْتُ فيه على الأقران)[(٤)] .

وأيضاً ما يورده الشيخ عطية من سبب دفن شيخه لنَظْمٍ له فى أنساب العرب معروفٍ بـ

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٠ (من المقدمة) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٩ (من المقدمة) .
(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٥ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٨ (من المقدمة) .

(خالص الجُمَــان فى ذكر أنساب بنى عدنان) حـيث يقول فى ذلك ما نصه : وقـد أَلَّفَهُ قبل البلوغ ، ثم دفنه بعد البلوغ ؛ لأنه كان بنية التفوق على الأقران[1] .

- **الاجتهاد والإبداع :**

وقد تجلى هـذا واضحاً فـيما كـان للشنقيطـى من إبداع مبكر إزاء ما يدرسـه من علوم مختلفة وفنون شتى ، حيث تمثل هذا الإبداع فى الجانبين التاليين :

الجانب الأول : نظمه الخاص به :

ومن ذلك مـا أنشأه من نظمـه الطويل فى أنساب العـرب ، والذى أسمـاه : (خالص الجُمَان فى أنساب بنى عدنان) وقد سبقت الإشارة إلى أن الشنقيطى قد أَلَّفَه قبل البلوغ ، ثم دفنه بعد البلوغ ؛ لأنه كـان بنية التفوق على الأقـران ، وتجدرر الإشارة إلى أن شيـوخه قد لاموه على ذلك ، ثم قـالوا له : كان من الممكن تحويل النيـة وتحسينهـا لإمكان الإفادة منه بوجهٍ أو بآخر[2] .

الجانب الثانى : زيادته على نظم غيره :

من ذلك ما زاده الشنقـيطى على رجز (محـمد بن بُوجَه) المشـهور عدنهم بـ (البـحر) والذى يختص بضبط رسم المصحف وتلاوته ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك[3] .

المطلب الثانى

استغراقُه التامُّ وتفرغُه الكامل

كان لبواكيـر الشنقيطى المبشرة ، ومواهبه الأولى المبكرة ، أكـبر الأثر وأعظمه فى إلزام أهله ومشايخه له بالاسـتغراق التام فى طلب العلم ، وتفرغه الكامل لتـحصيله ، وقد تجلى ذلك واضحاً من خلال ما يلى:

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥١ (من المقدمة) .
(والجُمَـان جمع جُـمَانَة) : وهو اللؤلؤ أو حَبٌّ من الفـضة يشبـه الدُّرَّ ، وفى صفـته ﷺ : «يَتَحَدَّرُ منه العَرَقُ مِثْلَ الجُمَان» - انظر مـادة (جَمَن) فى كل من : لسان العرب : ١/ ٦٨٩ - مختار الصحاح : ص ١١٢ - المعجم الوسيط : ١/ ١٤٢ .
وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخـارى فى صحيحه (كتاب) المغازى (باب) حديث الإفك - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٦/ ٣ - حديث رقم (٤١٤١) - (طبع الأزهرية) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٢ (من المقدمة) .
(٣) راجع فى ذلك ص   من هذا البحث .

• **صبره ومثابرته :**

حيث كان يواصل البحث والمطالعة متحلياً فى ذلك بصبر ملحوظ ومثابرة ملموسة ؛ إلى الحد الذى يجعله يصل أحياناً ليله بنهاره فى سبيل إزالة بعض اللبس ، أو إيضاح بعض المشكل ، مما لم يتسع له شرح بعض مشايخه ، ولم يشبع نهمه ويرو ظمأه على ما تعود من ذلك فى طلبه وتحصيله .

ومن ذلك ما حدث له عندما وصل إلى (كتاب النكاح فى مختصر خليل) حيث قام من عند شيخه ولم يشف نفسه إزاء فهم بعض النصوص ، وعندئذ أخذ كتبه بعد انتهاء درس الشيخ ليتوفر على البحث والدرس من بعد الظهر فى ذلك اليوم وحتى قبيل الظهر من اليوم التالى ؛ وقد زال اللبس ، وتم الفهم ، واستغنى بذلك عن درسه القادم .

وفى تلك الأثناء كان لا يقوم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام مستعيناً فى ذلك بخادمه الذى يوقد له الضوء ويصنع له الشاهى الأخضر ليستروح به كلما أصابه شيء من الملل أو داخله بعض الإرهاق .

وهكذا كان الشنقيطى يقضى نهاره ، ويبيت ليله ، فى طلب العلم مفكراً وباحثاً ، حتى يذلل صعابه ، ويوضح مشكله ، بل إنه يصف ذلك بنفسه قائلاً :

أبيتُ مفكراً فيها ؛ فَتَضْحَى لِفَهْم الفَدْمِ خَافِضَةَ الجَنَاحِ(1)

بل إن صبره هذا ، ومثابرته تلك ؛ قد أفضيا إلى استغراقه التام وعزلته الملحوظة بالرغم من وجوده بين الناس ، فقد كان معهم وليس معهم ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان رحمه الله يدخل عليه فى مجلس الاستقبال فى البيت بعض الضيوف ، وقد يكونون كباراً من ذوى الشأن ؛ ومع ذلك لا يتنبه إليه الشيخ إلا إذا نَبَّهتَّه إليهم ؛ ولذا فقد كان بعض مَنْ لا يعرف الشيخ يقول : دخلنا على الشيخ ولم يُسَلِّمْ علينا !!

والحقيقة أنه لا يكون متنبهاً إليهم ؛ حيث يكون مشغولاً بتأليف (أضواء البيان) فى

---

(1) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣١ (من المقدمة) .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

وقوله : (الفَدْم) أى ثقيل الفهم أو قليله - انظر مادة (فَدَم) فى كل من : لسان العرب : ٥/٣٣٩٥ - مختار الصحاح : ص ٤٩٤ - المعجم الوسيط : ٢/٧٠٢ .

ذهنه ، فيجمع الآيات ويضم بعضها إلى بعض ، ويؤلف بين العديد من المسائل المختلفة ؛ ومن ثم يكون مع الجماعة وليس معهم لانشغاله بالتأليف وهو بينهم(١) .

● **أخْرَقَ لا يُحسِنُ إلا العِلْمَ (٢) :**

نشأ الشنقيطى وله مَنْ يخدمه ويتولى أمره منذ صغره ونعومه أظافره ؛ ومن ثم لم ينشغل أو يشغل باله بأى عمل من أعمال الدنيا ، بل كان كل تفرغه لطلب العلم وتحصيله ، ويصف لنا الشيخ عطيه أثر ذلك على شيخه بقوله : كان رحمه الله تعالى يقول عن نفسه : (إنى أَخْرَقَ لا أُحْسِنُ صنعة) وفعلاً ما كان لو كَلَّفْتَهُ بأن يعمل أى شىء ، ولو أن يعقد حبلاً عقدة محكمة ، أو يحزم فراشه ، لما استطاع لذلك ولم يتعوده(٣) .

بل إن الشيخ عطية يُشَبِّهُ حالة شيخه من حيث تفرغه للعلم وعدم إتقانه لِصَنْعَةِ غيره ، بحالة الشافعى فى ذلك ، حيث يقول : وقد ذكرتنى هذه الحالة أمر ذلك الرجل الذى نزل ضيفاً على الشافعى ، فلما كان الليل لاحظ هذا الضيف أن الشافعى بعد كل فترة من الليل ينادى خادمة عنده توقد له السراج ؛ فقال له الضيف : لقد أشغلت هذه الجارية !! لِمَ لا تشعل أنت السَّرَاج لنفسك ؟! فرد عليه الشافعى بقوله : إن معاناة السراج لتشغل قلبى ، وكان الشافعى يطلب إشعال السراج ليقيد شيئاً خطر بباله فى نومه .

وأعتقد أن هذه الحالة من تفرغ الشافعى الكامل لطلب العلم ؛ قد هيأت له هذا التحصيل الكبير ، ولعل شيخنا الشنقيطى رحمة الله تعالى علينا وعليه كان من هذا القبيل(٤) .

● **فروضُ الكفايةِ فرضُ عينٍ عليه :**

كان لقدرة الشنقيطى على الحفظ والقرآن كمظهر من مظاهر بواكيره المبشرة ومواهبه المبكرة ، إلى جانب صبره ومثابرته على طلب العلم وتحصيله ، السبب المباشر ، والدافع الأول ، إزاء إلزام شيوخه له بما لم يلزموا به غيره من أنداده وأترابه ؛ إلى الحد الذى جعلوا فروض الكفاية على غيره فرض عين عليه .

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) **الأَخْرَقُ** : هو الجاهل بعمل الأشياء ، ولم يكن فى يَدَيْهِ صَنْعَةٌ يكتسب بها ، ويقال للرجل : أَخْرَق ، وللمرأة : خَرْقَاء - انظر مادة (خَرَقَ) فى كل من : لسان العرب : ١١٤٣/٢ - المعجم الوسيط : ٢٣٧/١ .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

وفي ذلك يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول : نفعنى الله تعالى بشيخ لى كان يقول لى : يا فلان اعلم أن الفقهاء يقولون : والضرورى من علوم الشرع أنه إذا كان هناك شخص ذكى ذكاءً خارقاً ؛ فإن فروض الكفاية تبقى فرض عين عليه ، فَاتقِ الله واعلمْ أن فروضَ الكفاية فرضُ علين عليك .

وكان يعلمنى دائماً أبياتٍ من شعرِ محمد بن حنبل الشنقيطى[١] يقول فيها :

لا تَسُوءْ بالعم ظناً يا فتى ... إنَّ سُوءَ الظنِ بالعلم عَطَبْ
لا يُزَهِّدْكَ أخى فى العلم أنْ ... غَمَرَ الجهالُ أربابَ الأدبْ
إنْ تَرَ العَالِمَ نضْواً مُرْمِلاً ... صِفْرَ كَفٍّ لم يُسَاعِدْهُ سَبَبْ
وترى الجاهلَ قد حاز الغنَى ... مُحْرِزَ المأمول مِنْ كُلِّ أَرَبْ
قد تجوعُ الأُسْدُ فى آجَامِهَا ... والذئابُ الغُبْسُ تعتَامُ القَتَبْ
جَرِّعِ النفسَ على تحصيله ... مَضَضَ المُرَّيْن : ذُلٍّ وسَغَبْ
لا يَهَابُ الشَّوْكَ قَطَّافُ الجَنَى ... وإبَارَ النحل مُشْتَارُ الضَّرَبْ[٢]

فقال : نفعنى الله بهذا الشعر ، وبشيخى الذى كان يقول لى : إن فروض الكفاية فرض عين عليك[٣] .

- **إيثارُهُ العِلمَ على الزَّوَاج :**

شُغِلَ الشنقيطى بمتعة العلم عن متعة الأنس بالزوجة ؛ مع شدة الحاجة إلى ذلك خاصة فى سن الفتوة والشباب ؛ ولكنه الإيثار الذى جعله يفضل العلم على كل ما عداه ، حتى لو اقتضته الضرورة ، ودعا إليه مسيس الاحتياج ، كما سيأتى بيانه فى موضعه من البحث .

---

(١) ويعرف كذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البُوحَسَنِي) وهو من أعلام العلماء فى بلاده فى النحو والشعر وغيرهما - راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) استهل الشاعر قصيدته هذه بمطلعها الذى يقول فيه :

أَضْرَمَ الهَمَّ سُحَيْراً فالتَهَبْ ... لَمْعُ بَرْقٍ برُبَيَّات الذَّهَبْ

وقد وردت هذه القصيدة بتمامها فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المطلب الثالث

استقصاؤه وشموله وموسوعيته

درج الشنقيطى منذ صغره على نوع خاص من مناهج طلب العلم وتحصيله ، ذلك المنهج الذى يتسم بالتؤدة الواضحة ، والتركيز الملحوظ ؛ بحيث لا ينتقل الطالب إلى مسألة جديدة فى هذا العلم أو ذاك إلا إذا أتقن المسألة التى قبلها إتقاناً تاماً ، واستوعبها استيعاباً كاملاً ؛ وهذا ما غرس فى الشنقيطى ذلك النوع من الاستقصاء والشمول والموسوعية ، والذى بدت ملامحه واضحة من خلال ما يلى:

● **الدراسة الجَزْدِيَّة [1] :**

وهى تلك الدراسة التى تعتمد على إتقان وتفصيل المسألة الواحدة فى الباب الواحد فى الفن الواحد ؛ وبما يشبه أن يكون تتبعاً تفصيلياً لهذه المسألة أو تلك ، وإلى الحد الذى لا يتجاوز معه الطالب الذكى سطرين اثنين من متون بعض العلوم ، فلا يتجاوزهما إلى غيرهما حتى يتقنهما إتقاناً تامًا ، ودون النظر فى ذلك إلى عامل الوقت أو السرعة إزاء إتمامها وإتقانهما ؛ لأن الدراسة ترتبط بالكتب لا بالسنين[2] .

● **قراءة المطولات :**

كان الشنقيطى يعمد دائماً إلى قراءة الكتب المُطَوَّلَة فى شتى فنون العلم وفروعه ، مبتعداً بذلك عن المختصرات المفردة أو المجموعة ، وعن هذا يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى لا يقرأ المختصرات ، وإنما قراءته كلها كانت فى المُطَوَّلاَتِ مثل : فتح البارى لابن حجر أو شرح العينى أو البداية والنهاية لابن كثير أو المغنى لابن قدامة أو المبسوط للسرخسى أو تفسير الطبرى وغيرها من كتب العلوم المُطَوَّلَة[3] .

---

(١) الجَرْدِيَّة : تعنى بلسان الشناقطة (التتبع والتفصيل) بما يتأدّى عنهما (الاتقان التام) و (الاستيعاب الكامل) - راجع فى ذلك (ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية) : يحيى بن البَرَّا ص ١٥ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ - ٢٧ (من المقدمة) .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

● **التبحُّرُ والإتقان :**

وانطلاقاً من موسوعية الشنقيطى فى طلب العلم وتحصيله نجده فى مرحلة الطلب يتبحر فى مسائل كل باب يتناوله من أبواب العلوم المختلفة ، جامعاً لذلك شتى المراجع ، ومحيطاً بأدق التفاصيل ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله بقوله : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول : كنت فى أيام الطلب لا أقرأ الفنون فناً بعد فن ، وإنما كنت أخذ باباً من الفن وأجمع له كل المراجع ، ثم أعكف عليه شهراً أو شهرين حتى أقرأ كل ما يحيط بهذا الباب ، ثم أستريح أسبوعاً أو أسبوعين ، ثم أعود لباب آخر .

فمثلاً كان يأخذ كتاب (القياس) ويجمع كل ما حوله من كتب الأصول فيقرؤها تماماً ، ثم يحفظ المتون والشروح والحواشى ؛ وعندئذ ينتقل إلى باب (الاجتهاد) ثم باب (الإجمماع) وهكذا[١] .

ومن ثم ؛ فقد كان الشنقيطى إذا تكلم فى أمر لا يتركه حتى يُفَصِّلَه تفصيلاً بما لا يدع معه زيادة لمستزيد ؛ بل يبدو كأنه إمام فى هذا الأمر دون غيره من الأمور ؛ وذلك لفرط إتقانه وعمق تبحره فى مختلف فنون العلم وفروعه ؛ الأمر الذى حدا بابنه الدكتور عبد الله إلى تشبيهه بالطبرى الذى يراه إماماً فى كل العلوم ، وذلك بقوله : كان الوالد رحمة الله عليه إذا تكلم ظهر علمه فى مختلف الفنون كالفقه والمنطق والنحو والبلاغة والتاريخ والسيرة ؛ وهو فى ذلك مثل ابن جرير الطبرى الذى كان عالماً فى كل العلوم ؛ ولهذا يقول الحافظ ابن حجر : (سَلِمَ لابن جرير مَالمْ يَسْلَمْ لغيره) لأن كل مفسر يظهر فيه التخصص ، أما ابن جرير فقد كان متخصصاً فى كل العلوم ، والوالد رحمه الله تعالى كان كذلك[٢] .

المطلب الرابع

مُعَاصَرَتُهُ وَثَقَافَتُهُ الحَاضِرَة

كان الشنقيطى من أولئك النفر من العلماء الذين يهتمون بمجريات الأحداث فى أيامهم ، ويدلون بآرائهم فى مستجدات الأمور من حولهم ؛ وليس أدل على ذلك من مناقشته مختلف القضايا الراهنة التى يكثر حولها الجدال ، وتختلف بشأنها الآراء ؛ الأمر الذى تجلّت معه معاصرته وإحاطته بتلك القضايا بصورة واضحة من خلال مايلى :

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

● **مناقشة القضايا الراهنة :**

وذلك من خلال تعرضه لتفسير الآيات التى يتناول تحتها تلك القضايا ، ومن أمثلتها :

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا تعدد الزوجات ، وكون الطلاق بيد الرجل ، وكون ميراث الرجل أكثر من ميراث المرأة ، وقضية الرقيق وجواز رقهم من عدمه إلخ .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[2] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضية الاجتهاد والتقليد وموقف الأمة منها .

وقوله تعالى : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الآية[3] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية مسألة القياس والرد على منكريه .

وقوله تعالى : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية[4] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا البيوع والإيجارات والشركات ، وسائر ما يتعلق بذلك من مسائل ومشكلات .

● **الاهتمام بواقع المسلمين :**

كان الشنقيطى واسع الإهتمام بواقع الأمة الإسلامية على مستوى حكامها وشعوبها على حد سواء ، حتى إن ابنه الدكتور عبد الله يُحَدِّثُ عنه فى ذلك قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يُحَذِّرُ من حكام بعض الدول الإسلامية الذين فسدت عقيدتهم، ومنبهاً إلى مدى ضررهم الذى يلحق شعوبهم من جراء شرورهم التى تنذر بخراب ديارهم، وإفساد حياتهم[5] .

● **متابعة الأحداث العالمية :**

ولم يقتصر اهتمام الشنقيطى على الدول الإسلامية فحسب ؛ بل تعداه إلى متابعة الأحداث العالمية ، ومواكبة الصراعات الدولية التى تنشأ هنا أو هناك ، وإلى هذا يشير أيضاً ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يحدثنى وأنا لازلت صغيراً فى المتوسط[6] بكلام رأيت كتباً صدرت به فيما بعد ، ومن أمثلتها كتاب (لعبة الأمم) الذى طالعت فيه جملة الكلام الذى حدثنى عنه الوالد رحمه الله تعالى من قبل[7] .

---

(١) الإسراء : ٩ . (٢) محمد ﷺ : ٢٤ .
(٣) الأنبياء : ٧٩ . (٤) الكهف : ١٩ .
(٥) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة بتصرف) .
(٦) والمتوسط يعادل فى مصر المرحلة الإعدادية من التعليم الأساسى .
(٧) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) . .

المطلب الخامس

تورعه عن الفتيا ورجوعه للحقّ

كان الشنقيطى من أولئك النفر من العلماء الذين يتورعون عن الفتوى وينأون بأنفسهم عنها ؛ وليس ذلك إلا على سبيل التواضع الذى ألفوا تربية أنفسهم عليه ، وهذا سَمْتُ العلماء المعتبرين من سلف هذه الأمة ، والذين أُثِرَتْ عنهم أقوالهم العديدة فى التنبيه على التورع عن الفتوى ، وتحذيرهم من خطر الإقدام عليها فى غير ما ضرورة ، ومن ذلك قولهم : (جُنَّةُ العالم : لا أدرى ؛ فإذا أغفلها أصيبتْ مقاتلُه)(١) وقولهم : (ينبغى أن يُوَرِّث العالمُ جلساءَه قولَ : لا أدرى ؛ حتى يكون ذلك أصلاً فى أيديهم يفزعون إليه ، فإذا سُئل أحدهم عما لا يدرى قال : لا أدرى)(٢) وأخيراً : فقد صَحَّ عن أبى الدرداء ﷺ أنه قال : (لا أدرى نصفُ العلم)(٣) .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (أبى حنيفة ومالك والشافعى ﷺ) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم : للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البَرِّ النمريّ القرطبيّ ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١م) - ص ٣٧ - عن نسخة (دار الكتب المصرية) مع إتمامها ومقابلة بعضها (بنسخة كوبريلى محمد باشا بالآستانة) - عُنِىَ بنشره : حسام الدين القدسى - مكتبة القدسى - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٠م .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - ٨/ ٦٩ - أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط - وحقق هذا الجزء : نذير حمدان - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م .

و (الجُنَّة) : هى السترة والوقاية ، بل وكل ما وَقَى من سلاح وغيره ، وهى مأخوذة من قولهم : (جَنَّ جَنًّا) أى استتر، والجمع : (جُنَن) - انظر مادة (جَنَن) فى المعجم الوسيط : ١/ ١٤٦ .

وعليه فقوله هنا : (جُنَّة العالم) أى وقايته وحمايته التى تنأى به عن مزالق الخطر ، وتكفيه شر الوقوع فى الفُتيا بغير ضرورة ؛ وذلك بإلزام نفسه قول : (لا أدرى) وتدريبها عليه .

(٢) الدِّيباج المُذْهَب فى معرفة أعيان علماء المَذْهَب : لابن فرحون المالكى ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧م) - ١/ ١١٢ - تحقيق وتعليق : د. محمد الأحمدى أبى النور - دار التراث للطبع والنشر - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : للحافظ أبى عمر بن عبد البَرّ ص ٣٨ .

ويلاحظ أنه على الرغم مما اشتهر عن الإمام مالك من قوله (مَنْ قال لا أدرى فقد أفتى) أو : (مَنْ قال لا أدرى فقد أتى بنصف الإجابة) إلاّ أن ابن عبد البَرّ لم يورده فى فضائل الإمام مالك من خلال مصنفه المذكور الذى قصره على فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء (أبى حنيفة ومالك والشافعى) متعقباً إياها فى مظانها المختلفة ، كما أننا لم نقف بدورنا على هذا القول المشهور عن مالك فيما توفر تحت أيدينا من مصادر .

ومن ثم ؛ لم يكن شيء أسهل على الشنقيطي من قول : (لا أدرى) كما أنه لم يكن ليتكلم في شيء إلا إذا سُئل عنه ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان يجلس في مجلسه رحمه الله تعالى كل مَنْ شاء ، وكان يتأدب مع كل الناس ، غير أنه لا يتكلم إلا إذا سُئل أو تكلم أحد أمامه بالخطأ كما كنت أتعمد ذلك أحياناً في بعض المسائل لأعرف رأيه فيها ؛ وعندئذ يجيب رحمه الله تعالى بالواقع كيفما اتفق حتى لو كان فيه تجريح للسائل ؛ لأنه مادام قد سأله فلابد أن يُبَيِّنَ له الحق ، أما إذا سُئل وكان لا يعرف فإنه يقول : لا أعرف ، وما رأيت أحداً أسهل عليه : (لا أدرى) منه رحمه الله تعالى .

وفي التحذير من خطر الكلام بدون علم كان يقول لي دائماً : يا ولدى :

إذا ما قتلتَ الشيءَ علماً فقلْ به ... ولا تقل الشيءَ الذى أنتَ جَاهلُهْ

فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّراً ... ويكره (لا أدرى) أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ[1]

كما يضيف الشيخ عطية عن تورع شيخه عن الفتوى إلا إذا دعته الضرورة إلى ذلك فيقول : ومما لوحظ عليه في سنواته الأخيرة تباعده رحمه الله تعالى عن الفتيا ، وإذا اضْطُرَ إليها كان يقول : لا أتحمل في ذمتى شيئاً ، ولكن العلماء يقولون : كذا وكذا ؛ وقد سألته ذات مرة عن ذلك فقال : إن الإنسان في عافية مالم يكن مصاباً بابتلاء السؤال؛ لأنك تقول عن الله تعالى ، ولا تدرى أتصيب حكم الله تعالى أم لا ؟! فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سُنَّةِ رسوله ﷺ وجب التحفظ فيه[2] .

غير أن الشنقيطي بالرغم من صلابته في بيان الحق ، مع قوة حجته وصدق لهجته في ذلك كما سيأتي بيانه في مواضعه من البحث ؛ إلا أنه كان رَجَّاعاً للحق ، بل وسهلاً ليناً في الأخذ به متى ظهر له ؛ وهو في ذلك يصدر عن حديث رسول الله ﷺ : «الحكمة ضالةُ المؤمنِ أينما وجدها أخذها» الحديث[3] .

ومن المواقف التي تحسب للشنقيطي إزاء رجوعه إلى ما ظهر له من الحق ، نذكر ما قرره بشأن كل من :

(١) وفي رواية : (أن يُرَى مُتَقَوِّلاً) - راجع ذلك بتصرف في (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

وهكذا يرى الشنقيطي أن حب الصدارة ، والتعرض للافتاء بدون علم ، إنما هو موت محقق لصاحبه ، وكأنه وَجَّهَ بيده سهاماً نافذة إلى صدره فأصابت مواقع القتل منه .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٣/١ (من المقدمة) .

(٣) أخرجه الترمذي في سُننه (كتاب) العلم (باب) ما جاء في فضل الفقه على العبادة - (طبع بيروت) - كما أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب) الزهد (باب) الحكمة - (طبع بيروت) .

● **الأشهر الحُرُم :**

حيث كان يقول بنسخها ثم عَدَلَ عن ذلك إلى القول بإحكامها ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : فى آخر دروس الشيخ فى الحرم النبوى فى رمضان الماضى(١) فى سورة (براءة) حيث أعلن عن رجوعه عن القول فى الأشهر الحرم بأنها منسوخة(٢) وقال : الذى يظهر لى أنها مِحكمة ليست منسوخة ، وكنا نقول بنسخها فى (دفع إيهام الاضطراب)(٣) ولكن ظهر لنا بالتأمل أنها محكمة ، وهو الحق الذى ينبغى اعتماده والتعويل عليه(٤) .

● **زكاة الحُلِيّ :**

يحدثنا الشيخ عطية أيضاً عن رجوع شيخه عما كان قد رآه بشأن زكاة الحُلِيّ للنساء فيقول ما نصه : ومما وقع لى معه رحمه الله تعالى وأكبرته فيه تواضعه وإنصافه فيما سمعت منه فى مبحث زكاة الحُلِيّ فى(أضواء البيان) عند سرد الأدلة ومناقشتها أن من أدلة الموجبين حديث المرأة اليمنية ومعها ابنتها وفى يدها مَسَكَتَانِ غليظتانِ من ذهب(٥) فسألها رسول الله ﷺ : «أتؤدين زكاةَ هذا ؟ فقالت : لا ؛ فقال : هما حسبك من النار ؛ فخلعتهما وألقت بهما» الحديث(٦) .

وأجاب المانعون: بأن هذا كان قبل إباحة الذهب للنساء ، فتساءلت مستوضحاً منه رحمه الله تعالى: وماذا يسمى هذا منه ﷺ : سكوته عن لبسه وهو مُحَرَّمٌ ، وسؤاله عن

---

(١) ويقصد به شهر رمضان المعظم من عام وفاة الشنقيطى فى (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) كما سيأتى بيانه فى موضعه من البحث .

(٢) وعددها أربعة أشهر ، منها ثلاثة سُرْد متتابعة هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر فَرْدٌ هو : رجب ، وقد حَرَّمَ الله تعالى فيها القتال بقوله سبحانه : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ براءة أو التوبة : ٣٦ .

(٣) وتمام اسمه : (دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب) وهو أحد مؤلفات الشنقيطى كما سيأتى بيانه فى موضعه من البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٨ (من المقدمة) .

(٥) مَسَكَتَان أى سِوَارَان ، المفرد مَسَكَة والجمع مَسَك : وهى الأسورة أو الخلاخل من الذَّبْل أو القرون أو العاجِ أو الذهب أو الفضة أو نحو ذلك مما تجعله المرأة فى يديها أو رجليها - انظر مادة (مَسَك) فى كل من لسان العرب : ٥/٤٢٠٢ - المعجم الوسيط : ٢/٩٠٤ .

(٦) أخرجه النسائى فى سننه (كتاب) الزكاة (باب) زكاة الحُلِيّ - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الزكاة (باب) الكنز ما هو ؟ وزكاة الحُلِيّ - - (طبع بيروت) .

زكاته ؟! فقال : عجباً !! إن هذا يتضمن وجود اللبس عند السؤال ، بل ويدل على إباحته آنذاك ؛ لأنه ﷺ لا يُقِرُّ أحداً على مُحَرَّم ، ولا يتأتى أن يسكت عن لبسها إياه وهو ممنوع ، وفى ذات الوقت يهتم لزكاته ، ولو أعيد طبع الكتاب لَنَبَّهْتُ عليه رغم أن جميع المراجع لم تلتفت إليه[١] .

ويعقب الشيخ عطية على كلام شيخه بقوله : والشيخ رحمه الله تعالى يلقن طلبة العلم بهذا درساً فى موقفه من الحق ، ولكأنى بكلام عمر رضي الله عنه فى كتابه لأبى موسى رحمه الله تعالى : (لا يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَه بالأمس ، ثم راجعتَ فيه نفسَكَ وظهر لك الحق ؛ أن تأخذَ به ، فالحق أحق أن يُتَّبَع) وقد رأينا من قبل للشافعى القديم والجديد ، وهذا ما تقتضيه أمانة العلم وإنصاف العلماء[٢] .

* * *

وفى الجملة : فقد جمع الشنقيطى - إضافة إلى الصفات السابقة بين كل من : التمكن والاقتدار من حيث حفظه واستحضاره لآيات القرآن الكريم ، وكذا امتلاكه ناصية اللغة والشعر على الرغم من بغضه نسبة الشعر إليه ، وأخيراً حبه وإنصافه غيره من العلماء من لدن سلف هذه الأمة إلى معاصريه منهم .

غير أن أخص ما يميز الشنقيطى هو عمق فكره ، وغزارة علمه ؛ الأمر الذى لم تتسع له مؤلفاته على ما فيها من موسوعية ظاهرة ، واستقصاء ملحوظ ؛ وهذا ما يشهد به غير واحد من علماء عصره الذين يقررون أن علمه أغزر مما فى كتبه كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه من البحث .

وهكذا يفضى الإلمام بصفات الشنقيطى الخِلْقيَّةِ والخُقيَّةِ والعِلْميَّة إلى تحديد معالم شخصيته ؛ واستحضار هيئته وصورته ؛ والذى يعين بدوره على فهم وتحليل إنتاجه الفكرىّ ، بل واستجلاء أصول منهجه العلمىّ ؛ وتلكم ضرورة يقتضيها فضول البحث ، وتحتمها منهجيته ؛ وهو الأمر الذى ينبغى أن يتم الاتفاق على أهميته وعدم الاستهانة به أو إغفاله ، إزاء تناول العلماء بالترجمة لهم ، أو الحديث عنهم .

وهذا ما فعله الدكتور أحمد الحوفى فى معرض ترجمته لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبرى حيث يَنُصُّ على ذلك قائلاً : ورسمت صورة لشخصيته من صفاته الجسمية والخُلُقية والعقلية ، بالقدر الذى استطعت أن أعثر على ألوانه فى المصادر التى أَرَّخَتْ له ، بل نراه

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٨ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٩ (من المقدمة) .

يخصص لذلك الفصل الرابع كاملاً تحت عنوان (معالم شخصيته) والذى ضَمَّنَه عناصر شخصية الطبرى بما له من صفات جسدية وخُلقية ونفسية وعقلية ، ثم يختم ذلك بذكر أثر هذه الشخصية على علم الطبرىّ ومنهجه الفكرى(١) .

وليس أدل على أهمية ذكر تلك الصفات من الاستئناس لذلك مع الفارق بجملة الأحاديث والآثار التى وردت فى وصفه ﷺ(٢) فمع كثرة هذه الأحاديث ، وتعدد تلك الآثار ؛ إلاّ أنه لا يُخْتَلَفُ على أهميتها ، بل وضرورة تناولها بالدراسة والبحث .

---

(١) انظر كتاب (الطبرىّ) : د. أحمد الحوفىّ ص ٥ (من المقدمة) - ثم ص (٤٢ - ٨٢) - (الفصل الرابع : معالم شخصيته) - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣) - إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مطبعة ومكتبة مصر - القاهرة - شعبان ١٣٨٢ هـ = يناير ١٩٦٣م .

(٢) انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى - (١٤/٤٩ - ٦٧) - (باب) صفة النبى ﷺ - (الأحاديث والآثار من رقم ٣٥٤٢ إلى رقم ٣٥٦٨) مراجعة كل من : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهوارى - السيد محمد عبد المعطى) - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

الفصل الخامس

زواجـــه وأولاده

وينتظم المبحثين التاليين :

1 - **المبحث الأول** : زواجه .

2- **المبحث الثانى** : أولاده .

المبحث الأول

زواجـــــــــــــه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : مرحلة ما قبل الزواج .

٢- المطلب الثاني : مرحلة الـــــزواج .

المطلب الأول

مرحلة ما قبل الزواج

آثر الشنقيطى متعة العلم على متعـة الأنس بالزوجة ؛ على الرغم من شدة احتياجه إليه فى فتوته وشبابه ، غـير أن تفرغه الكامل واشتغراقه التام الطلـب العلم وتحصيله صار هدفاً سامياً يحتل من نفسه موقع الصدارة من حيث اهتمامه له ، وانشغاله به .

بل دفع بـه هذا الهدف إلى تـفضيل العلم على كل مـا عداه من الرغبات المشـروعة ، والمتطلبـات المباحة ، التى يرغب فـيهـا المـرء ، وتميل إليهـا النفس ؛ حتى لـو اقـتضتـها الضرورة ، ودعا إليها مسيس الاحتياج ، ومنها بل وأهمها الزواج بلا خلاف .

ومع ذلك ؛ لم يتردد الشنقيطى لحظة ولا أقل من ذلك فى الرد على بعض أقرانه الذين فاتحوه فى أمر الزواج أثناء مرحلة التحصيل والطلب ، حيث أجابهم على الفور بإيثاره العلم وانشغاله بأبكار فنونه العذارى ، عن زواجه بالفاتنات الأبكار العذارى .

ونترك المقام هنـا للشنقيطى ليحدثنا بنفـسه عن مرحلة ما قبل زواجـه قائلاً : كنت فى أخريات زمنى فى الاشتغال بطلب العلم دائم الاشـتغال به عن التزويج؛ لأنـه ربما عاق عنه ، وكـان إذ ذاك بعض البنات مِـمَّنْ يصلح لمثلى يرغب فى زواجى ويـطمع فيـه ؛ فلمـا طال اشتغـالى بطلب العلم عن ذلك المنوال ؛ أَيِسَتْ منى فتزوجتْ ببعض الأغنيـاء ، فقال لـى بعض الأصـــدقـاء : إنْ لم تتـزوج الآن مَنْ تـصلح لك ؛ تزوجـتْ عنـك ذوات الحـسب والجمـال ، ولم تجد مَنْ تصلح لمثلك ، يريد أن يعجلنى عن طـلب العلم ؛ فقلت فى ذلك هذه الأبيات :

دَعَـــانى الـناصــحـــونَ إلى النـكاحِ ... غـــــداةَ تـزوجـتْ بـيـضُ المـلاَحِ
فـــقـــالـوا لى : تـزوجْ ذات دَلٍّ ... خَلُـوبَ اللَّحْـظ ، جــائلةَ الـوِشَــاحِ
فــقلت لـهم : دعـــونى ؛ إنَّ قلـبى ... منَ الغَـىِّ الصُّـرَاحِ الـيـومَ صَـــاحِى
ولـى شُــــغلٌ بـأبكـار عَـــذَارَى ... كَـأن وجـوهَهَـا ضَـوْءُ الصَّـبَـاحِ
أبيتُ مــفـكراً فـيــهـا فَـتَـضْـحَى ... لفَـــهْم الفَــدْمِ خَـافِـضَـةَ الجَـنَاحِ
أَبَحْتُ حَــرِيمَهَـا جــبـراً عليــهـا ... ومـا كـان الحريمُ بِـمُـسْـتَـبَـاحِ(١)

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقـيطى ص ٢٤٨ - الطبعة ١ - دار الشـروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

وتمام هذه الأبيات أحد عشـر بيتاً اخترنا منها ما أثبتنـاه من باب دلالة البعض على الكل ، كما وردت هذه الأبيات بتمامها فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٣١ - ٣٢ (من المقدمة) .

ويعقب تلـميذه الشـيخ عطية على ذلك بقـوله : نعم ، إنه كان يبـيت فى طلب العلم مفكراً وباحثاً ؛ حتى يذلل الصِّعَاب ، وقد طابق القول العمل(١) .

كمـا يردف الشيخ المجـذوب ذلك بقوله : فقـد كان مشـغولاً بمتعـة العلم عن الأنس بالزوجة ؛ حتى ليصـرفه التفكير بالمعانى الغوامض عن حاجة نفـسه التى هى أشد ما تكون تفتحاً إلى ذلك الأنس(٢) .

المطلب الثانى

مرحـلة الــزواج

ظل الشنقيطى يؤثر الـعلم على الزواج إلى أن تم له النصاب الذى أَهَّلَهُ للدرس والفُتْـيا والقضاء كـواحدٍ من أبرز العلماء فى بلاده ؛ وعندئذ جمع العزم على الزواج ، وعـقد النية عليه ؛ وما أحرى عـالماً كالشنقيطى بالامتثال لأمـر الله تعالى ، واتباع سُنة رسوله ﷺ ، بشأن الترغيب فى النكاح والحثِّ عليه(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣١ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٥ .

(٣) ومن آيات القـرآن المرغبـة فى ذلك قول الله تعـالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم : ٢١ .

ومن أحاديث السُّنة المرغبة فى النكاح ، الحاثة على الذرية الصالحة نذكر مايلى :

- عن أنس ﷺ قال : جـاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج الـنبى ﷺ يسألون عن عـبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالّوها ؛ فقالوا : وأين نـحن من النبى ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر ، قال أحـدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، وقال آخـر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أ تزوج أبداً ؛ فـجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أمَا والله إنى لأخشـاكم لله وأتقاكم له ؛ لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فَمَنْ رَغِب عن سُنتى فليس منى» .
أخرجـه البخارى فى صـحيحه (كـتاب) النكاح (باب) الترغـيب فى النكاح - واللفظ له - (طبع بيروت) - وانظر كـذلك فتح البارى بشرح صـحيح البخارى : لابن حـجر العسقـلانى (كتاب) النكاح (باب) الترغيب فى النكاح - ١٩/ ١٢٥ - حديث رقم (٥٠٦٣) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) النكاح (باب) استحباب النكاح - (طبع بيروت) .
- ومن ذلك أيضاً قول رسول الله ﷺ : «لم نَرَ للمتحـابين مثل النكاح» - أخرجه ابن ماجه فى سُنته (كتاب) النكاح (باب) ما جاء فى فضل النكاح - (طبع بيروت) .
- وأخيراً ما رواه مـعقل بن يَسَار ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فـقال : إنى أصبت امرأة ذات حَسَب وجمال وإنها لا تلد ، أفأتزوجهـا ؟ قال : «لا» ثم أتاه الثانية : «فنهاه» ثم أتاه الثالثة فقـال : «تزوجوا الودود الولود ؛ فـإنى مكاثر بكم الأمم» - أخـرجه أبو داود فى سُنته (كـتاب) النكاح (باب) النهى عن تزويج مَنْ لم يلد من النساء - (طبع بيروت) - كـما أخرجه النسائى فى سُننه (كتاب) النكاح (باب) كراهية تزويج العقيم - (طبع بيروت) .

ومن ثم ؛ تزوج الشنقيطى الأولى ، وهى أم أولاده وقد توفـيت عنه ، ثم تزوج الثانية ولم ينجب منها وتوفيت عنه كذلك ، فتزوج الثالثـة غير أنه فارقها ولم ينجب منها أيضاً ، ثم كان أن تزوج الرابعة والأخيرة وقد تُوُفِّيَ هو عنها ولم ينجب منها كذلك[1] .

وأما حُسْنُ معاشـرته ، وطيبُ معاملته لزوجاته ، فهذا ما يحدثـنا عنه ابنه الدكتور عبد الله قائلا : لازالت زوجته الأخـير تبكى إلى الآن كلما ذكَرَتْه ، وكان يعاملهـا كأنها ضيف فى البيت ، ويقول : هذه ضيفة ؛ كلمة تخرجها من البيت[2] .

- **ملاحظات حول زواجه :**

١- تأخـر زواج الشنقيطى خـلافاً لأنداده وأترابه الذين يـتم تزويجهم فى سن مـبكرة على عاداتهم فى بلادهم ؛ وذلك لإيثاره العلم ، وانشغاله بتحصيله كما سلف بيانه .

٢- بالرغم من أنه تزوج أربع نسوة ؛ إلا أنهن كُنَّ من الثيبات جـميعاً ؛ ومن ثم لم يتزوج بكراً قط فى حياته[3] .

٣- لم ينجب الشنقيطى سوى من زوجته الأولى أم أولاده ، والتى توفيت عنه فى بلاده .

---

(١) ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ١٩١ (بتصرف) .

(٢) ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢٠٧ .

(٣) راجـع فى ذلك (ترجمـة الشيخ محمد الأمين الشنقـيطى) : جمع وتصنيف عبـد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩١ .

المبحث الثانى

أولاده

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : البنت الكبرى .

٢- المطلب الثانى : الولد الأول .

٣- المطلب الثالث : الولد الثانى .

المطلب الأول

البنت الكبــــرى

وهى البكر ؛ حيث كانت أولَ ما رُزِقَ به الشنقيطى من الذرية ، ولا تزال مقيمة ببلادها شنقيط ، غير أننا لا نعلم من خبرها سوى ما ذكرنا ، وإلى هذا يشير شيخ عطية تلميذ أبيها بقوله : والواقع أن له ثلاثة من الأولاد ، بنتاً وولدين ، أما البنت وهى الكبرى : فهى فى البلاد موريتانيا(١) .

المطلب الثانى

الولـــــد الأول

الدكتــور مــحمد مــختار ، واســمه كاسم جَـدِّه لأبيه ، ويعمل أسـتاذاً ورئيسـاً لقسم الأصــول بكليــة الشــريعــة بالجامعة الإســلامية بالمدينة المنورة ، ومــن آثاره العلمــية مــا يلى :

١- مقابلة ومراجعة كتاب والده الشنقيطى المسمى : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) حيث جاءت فى نهايته مـا نصه : هذا آخر ما كتبه المؤلف رحمــه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليْها(٢) فى ٢٥ من رجب عام ١٣٩٩ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطى(٣) .

٢- تحقيق ودراسة أحد مؤلفات أصول المالكية والمسمى : (مَرَاقِى السُّعود إلى مَرَاقِى السُّعود) لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنىّ الشنقيطى(٤) .

---

(١) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٢) والضمير يعود هنا على رحلة والده الشنقيطى فى حجه إلى بيت الله الحرام .

(٣) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الـشنقيطى ص ٢٨٤ (نهاية الكتـاب) - وهذا التاريخ يوافق ٢٠ من يونيو عام ١٩٧٩م .

(٤) وقد نال به درجة الماچستير بتقدير ممتاز من قـسم الدراسات العليا بالجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة فى رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١م .

- انظر النشــرة الإخبارية الصــادرة عن وحدة المعلومـات التابعــة للندوة العالميــة للأنشطة العلمـية الإسلامــيــة - العدد (٥) - دار البحوث العــلمية - الكويت - جمـاد الأول ١٤٠٢هـ = مارس ١٩٨٢م .
- ويلاحظ أن هذا الكتاب قد ورد باسم : (مراقى الصُّعُود إلى مراقى السُّعُود) على لسان أحمد بن أحمد المختار الجنكى الشنقيطى فى كتابه المسمى : (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) ص ١٦ .

والدكتور محمد المختار لا يزال يقيم حتى الآن مع أولاده فى بيت والده الشنقيطى بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم(١) .

المطلب الثالث

الولـــــد الثانـــى

الدكتور عبـد الله ، العميد السابق ، وأستـاذ ورئيس قسم التفسير الحـالى بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن آثاره العلمية نذكر : تحقيق ودراسة كتاب : (الواضح فى التفسـير) للدِّيْنَوَرِىِّ (٢) إلى غيـر ذلك من الدراسات النافـعة حول كـتاب الله تعالى .

والدكـتور عـبـد الله يقـيم مـع أولاده فــى دار واسعــة المرافــق فى ضـواحـى المدينة المنورة(٣) .

*　*　*

وهكذا أثمر زواج الشنقيطى وَلَدَيْنِ من أهل العلم ورجـالاته ؛ حيث سارا على دربه ، ولا يزالان يكملان المسـيرة بعـده ، فى نشر العلم وتدريسه ، عـبر الأجـيال المتلاحـقة من طلاب العلم وباحثيـه على السواء ، بالإضافة إلى نشاطهمـا المكثف فى الدعوة إلى ضرورة التمسك بكتـاب الله تعالى ، وسُنَّة رسوله ﷺ واتباع منهج الـسلف الصالح رضوان الله عليهم بالحكمـة والموعظة الحسنة ؛ امتـثالاً منهما لقـول الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية(٤) .

وقد لاقت دعوتهما الاسـتحسان والقَبُول ، سواء بين أعضاء الجـالية الموريتانية فى مكة

---

(١) وهو بيت متواضع مبنى من الطوب اللَّـبِن يُعْرَفُ هناك بـ (البيت الشعبّى) ويشبه إلى حد كـبير بيوت الريف المصرى المبنية من الـطين ، ويحمل هذا البيت رقم (٣) بحارة الأشراف ببـاب الكومة ، وقد زرت هذا البيت المكوّن مـن طابقين وفناء واسع ، حيث جعل الطابق الـثانى لأهل البيت مع المكتـبة التى هى مكتبة الشنقيطى ذاته ، فى حين جـعل الطابق الأول مع الفناء لطلاب العلم وكذا الأضياف من الشناقطة وغيرهم ، وما أكثرهم كما هى حالهم فى حياة الشنقيطى .

(٢) وقد نال به درجة الدكتوراه من قسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

● انظر (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٦ .

(٣) وقد زرت هذا البيت الذى يضم مكتبة طيبة ، ومجلساً رحـباً عامراً بحلقات النقاش والبحث ، فيما يتعلق بأحوال المسلمين وواقعهم المعاصر فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

(٤) النحل : ١٢٥ .

المكرمة والمدينة المنورة ، أو فى موريتانيا نفسها من خلال بعثات الدعوة التى توفدها الجامعة الإسلامية فى صيف كل عام إلى مختلف أقطار العالم الإسلامى[1] وليس ذلك إلا لتواضعهما وكرم نفسيهما ، وأدبهما وطِيب معدنهما ، إلى آخر ما يتمتعان به من جملة الأخلاق الحسنة ، والسجايا الكريمة ، والتى ورثاها عن والدهما الشنقيطى ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم التنزيل : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية[2] .

(١) راجع فى ذلك (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٧ .
(٢) آل عمران : ٣٤ .

الفصل السادس

وفاتـــه ورثـــاؤه وحُسْنُ خاتمته

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : وفاتــــــــه .

٢- المبحث الثانـي : رثـــــاؤه .

٣- المبحث الثالـث : حُسْنُ خاتمتــه .

المبحث الأول

وفاتـــــــه

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

١- المطلب الأو ل : حَجُّه الأخـــــير .

٢- المطلب الثانى : مرضه الذى تُوُفِّيَ فيه .

٣- المطلب الثالث : الشنقيطى يُسْلِم الرُّوح لخالقه .

٤- المطلب الرابع : غُسْله والصلاة عليه ودفنـــه .

٥- المطلب الخامس : صلاة الغائب على الشنقيطى .

بعد عُـمْرٍ حافل بالعطاء ، وحـياة زاخرة بالإيثـار ، يلقى الشنقيطيّ عـصار التسـيار ؛ فَيُسْلِمُ رُوحَـه ، ويقضى نحبه ، عـما يناهز ثمانية وسـتين عاماً ، قضى منهـا ما يقرب من اثنين وأربعين عاماً فـى بلاده شنقيط ، ثم أتمها بستة وعـشرين عاماً فى بلاد الحـجاز حيث وفاته بها[1] .

وقد سبـقتْ وفاةَ الشنقيطى إرهاصـاتٌ مبدئية كَوَّنَتْ لديـه إحساساً عامـاً يُؤْذِنُ بالنهاية ويَدُلُّ عليهـا ، وذلك بَدْءٌ مِنْ حَجِّـهِ الأخير ، وانـتهاءً بمرضـه الذى توفى فيـه ، وهذا ما نعرضه له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

حَـجُّـه الأخـير

على الرغم من سوء صـحته الشنقيطى فى أخريات أيامـه ، إلاّ أنه أَصَرَّ على الحج فى السنة التى توفى فيـها ؛ خاصة وأنه أراد أن يكفـر به عن سفره للعلاج بلندن الـتى كان قد رجع لتوه منها ، ولما راجعه تلميذه وابن قبيلته أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى فى ترك الحج فى تلك السنة نظراً لـسوء صحـته ؛ كـان أن رَدَّ عليه قـائلاً ما نصـه : دَعْ عنك المحاولة إن سفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لابد أن أكفر عنه بحج[2] .

وبالفعل فقـد أنفذ الشنقيطى عزمـه على حجه من سنته تلك ، حـيث خرج من المدينة المنورة قاصداً البلد الحرام بمكة المـكرمة مفرداً ملبياً كعادتـه فى نسكه كل عام ، حتى إذا كان السِّعى للحـج ؛ هاجمتـه بواكير الألم ، وهذا الذى يحـدثنا عنه تلميـذه أحمد بن أحـمد الشنقيطى قـائلاً : لما جاء الشيخ رحمـه الله للسعى يوم الحج الأكبر ، سـعى شوطاً واحداً على قدمـيه ، ثم أُخِذَتْ له العَرَبَة ؛ غـير أنه كان قد حـصل له ضيق فى التنفس من ذلك الشوط الذى طافه على قدميه[3] .

ومع ذلك ؛ فقد أتم الشنقيطى مناسك ذلك الحج كاملة ، حتى جاء اليومُ الخامسَ عشرَ من ذى الحجة بعد انتهاء شعائر الحج بيومين ، وعندئذ كان من أمره ما كان .

---

(١) هذه السنوات بحساب التقويم الهجرىّ ، أما حسابها بالتقويم الميلادى فهو : سبعة وستون عاماً ، ثم واحد وأربعون عاماً ، وأخيراً ستة وعشرون عاماً على الترتيب .

(٢) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
- المعين والزاد فى الدعـوة والإرشاد : جـمع وتأليف سيـد الأمين بن المامى الجكنى الشنقـيطى ص ١٠٤ .

المطلب الثانى

مرضه الذى تُوُفّىَ فيه

لما كان يوم الثلاثاء الخامسَ عشرَ من ذى الحجة أصيب الشنقيطى بوعكة صحية بسبب (فيروس الأنفلونزا) وكان العلاج مركباً من مادة (البنسلين) غير أنه كان يعانى منذ زمن من (حساسية شديدة) من هذه المادة ، فلما تعاطى هذا العلاج ؛ زادت عليه تلك الحساسية بدرجة كبيرة ؛ الأمر الذى أدى إلى نقله على الفور إلى (مستشفى أهلىّ) كان قد افتتح منذ أشهر قليلة ، وذلك بواسطة (رابطة العالم الإسلامىّ) بمكة المكرمة ، وكانت تحت مسئولية الشيخ القزاز الذى تولى أمر الشنقيطى بنفسه آنذاك .

ولما كان الصباح ؛ قَرَّب الشنقيطىُّ الطُّهُور ، ثم صَلّى الصلوات التى ما كان صَلاّها فى الليل ؛ حتى إذا فرغ من صلاته قال : واللهِ ما أظنُّ هذا إلاّ مرضَ الموت[1] .

المطلب الثالث

الشنقيطىُّ يُسلِمُ الرُّوحَ لخالقه[2]

لما أَحَسَّ الشنقيطى بأنه مرض الموت ؛ كان أن شعر بدوار شديد راح يَغُطُّ بعده فى نوم عميق دونما حِرَاك ، ثم كان أن نقلوه إلى بيته بمكة المكرمة[3] فى يوم الأربعاء السادسَ عشرَ من ذى الحجة ، وقد ظل الشنقيطىّ على حاله تلك بين النوم العميق غالباً ، والإفاقة الخاطفة أحياناً ؛ حتى أسلم روحه لله تعالى فى وقت الضحى من يوم الخميس السابعَ عشرَ من ذى الحجة من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق العاشر من يناير

---

(١) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
- حلية طالب العلم : د. بكر أبى زيد ص ١٢ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطى ص ١٠٤ .

(٣) ويقع هذا البيت بجبل (بُومْطَشَّشْ) - حارة (الأشراف) - شارع (المنصور) - حى (العزيزية) - مكة المكرمة - كما أفاد بذلك ابنه الدكتور عبد الله فى محاضرته المسجلة بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

من عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد (١٧-١٢-١٣٩٣هـ = ١٠-١-١٩٧٤م)(١) وإلى تلك اللحظة المهيبة يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : لقد مات رحمة الله عليه وأنا ضَامُّهُ عليَّ .

المطلب الرابع

غَسْلُهُ والصلاةُ عليهِ ودَفْنُهُ (٢)

تَوَلَّى غسلَ الشنقيطى ببيته بمكة المكرمة كل من ابنه الأصغر الدكتور عبد الله ، وتلميذه وابنه عمه أحمد بن أحمد الجكنىّ الشنقيطىّ ، ورجل ثالث من الصالحين مِمَّنْ يقال : إنه من آل بيت النبىّ ﷺ .

وقد صلّى عليه صديقه وقرينه رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن باز فى الحرم المكىّ بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَضَرَ من المسلمين مِمَّنْ لا يُحْصَوْنَ عدداً من جموع المقيمين والحجيج على السواء .

ثم كان أن دُفِنَ بمقبرة (المَعْلَاة) بمنطقة (رَبْع الحُجُون) وهى ذات المقابر التى تضم بين جنباتها مثوى أمّ المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بالبلد الحرام بمكة المكرمة .

ولما سُئل ابنه الدكتور عبد الله عن رغبة والده فى حياته : هل كان يفضل أن يُدْفَنَ بمكة المكرمة أم بالمدينة المنورة ؟ فأجاب قائلاً : كان يرغب أولاً فى المدينة المنورة ، ثم صار فى أخريات حياته يرغب فى مكة المكرمة ، مكتفياً فى التعليل لذلك بترديد قوله : إنّ مكة أمرها عجيب ! إنّ مكة أمرها عجيب !

وكأن الشنقيطىّ قد أَحَسَّ دُنُوَّ الأجل ، واستشرف مثواه فى مكة المكرمة ؛ ومن ثم صار يميل إليها مؤخراً بعد أن كان يميل دوماً إلى المدينة المنورة التى كان متوقعاً أن يُقْبَرَ

---

(١) أخذت مقابلة التقويم الهجرىّ بالميلادىّ من كل من :

- التقويم الهجرىّ الميلادىّ (هيل هـ - م١) : طوكيو - اليابان - لحساب شركة كهرباء الشرق - (الدمام - الرياض - جدة) - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .
- المؤذن العربى (إصدار رقم ١٠١): شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د.ت) .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٧ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

فيها نظراً لإقـامته الدائمة بها ؛ غير أنّ أمـرَ الله نافذ ، وله سبحانه إنفاذُ المشيـئة لا العبد ، وما أصدق قول الله تعالى فى محكم تنزيله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الآية(١) .

والمرء عاجز لا مـحالة عن معرفة ساعـته ومثواه ، وما أبعـده أبداً عن جواب : متى ؟ وأين ؟ وما أحكمَ قولَ الحقِّ سـبحانه : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ الآية (٢) .

المطلب الخامس

صلاة الغائب على الشنقيطى (٣)

وقد أقيمت عليـه صلاة الغائب ليلة الأحد العشرين من ذى الحجـة الموافق الثالث عشر من يناير (٢٠ - ١٢ - ١٣٩٣هـ = ١٣ - ١ - ١٩٧٤م) بعـد مـوته بثـلاثة أيام فى الحـرم النبوىّ الشريف ، وصلى عليـه آنذاك صديقه وقرينه الشيخ عبد الـعزيز بن صالح آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوىّ ورئيس المحاكم الشرعـية بمنطقة المدينة المنورة ، وذلك بعد صلاة العشـاء من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَـضَرَ من المسلمين مِـمَّنْ لا يُحْصَـوْنَ عدداً من المقـيمين والحجيج على السواء .

كما أقـيمت عليه صلاة الغائب بمسجـد الجامعة الإسلاميـة بالمدينة المنورة ، ثم تتابعت فيما بعد فى سائر المساجد الأخرى فى أرجاء المملكة المختلفة .

(١) الإنسان : ٣٠ . (٢) لقمان : ٣٤ .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٧-٨ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

المبحث الثانى

رثـــــــاؤه

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

١ - **المطلب الأول** : رثاء أوّل وأخصّ تلامذته الشيخ عطية .

٢- **المطلب الثانى** : رثاء ثانى تلامذته الشيخ المجذوب .

٣- **المطلب الثالث** : رثاء الشناقطة له خاصّة .

٤ - **المطلب الرابع** : رثاء غير الشناقطة له عامّة .

اعتصرَ الألمُ ، وألجمَ الحزنُ ، كلَّ مَنْ عَرَفَ الشنقيطىّ أو سَمِعَ عنه بصفة عامّة ، وكلَّ مَنْ لازمه وتتلمذ عليه من بنى عمومته وغيرهم بصفة خاصّة .

وإزاء مُصَابهم فيه ؛ فقد رثاه هؤلاء وأولئك بفيض مما اعتمل فى نفوسهم نظماً ونثراً ، غير أن المقام لا يحتمل تسجيل كل ما قالوا ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بإيراد البعض تنبيهاً به على الكل ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

رثاء أول وأخص تلامذته الشيخ عطية

حيث رثى شيخه ونعاه إلى كل مَنْ تحدث إليهم، بادئاً ذلك بخطاب شيخه ذاته قائلاً : إلى رحمة الله وحسن جواره ، فقيدَ العلْم يا عَلَمَ الرجال ، نَعَاكَ العِلمُ فى حِلَق السؤال[1] نَعَم فقيدَ الدرس يا عَلَمَ الرجال ، نعاكَ الدرسُ فى فصل المقال[2] .

انتقل إلى رحمة الله وحسن جواره صاحب الفضيلة وعلم الأعلام ، الشيخ الجليل الإمام الهُمَام ، زكىّ النفس رفيع المقام ، كريم السجايا ذو الخلق الرزين ، عَفُّ المقال ، حميدُ الخِصَال ، التقىّ الأمين ، شيخنا محمد الأمين الشنقيطىّ .

وإنى كأحد أبنائه، ومن جملة تلاميذه ، أقف اليوم معزّياً متعزّياً ، ومترجماً مترحماً ، وقد عَظُمَ المُصَاب ، وعزّ فيه العزاء ؛ فأقول ما قد قلته على البديهة عندما سألنى سائل قائلاً : مَنْ هذا الذى نعزيه فى الشيخ ؟! فأجبته بهذه الأبيات :

أقولُ للسائلِ لَمَّا سَأَل : مَنْ ذا نعزّى فيما نَزَل ؟!
كُلَّ مَنْ لاقيتَ فعزّه وابدأ بنفسك فى الأوَّل
عَزِّ الجميعَ بموته واعلمْهُ أنَّ الخَطبَ جَلَل
موتُ العَالِمِ رُزْءُ العَالَمِ فى موته يأتى الخَلَل
لو نَزَلَ الرزءُ بقمة فوق الجبالِ لَهُدَّ الجَبَل
خيرُ التعازى فى أننا نُرَدُّ إلى الله عَزَّ وجَلّ[3]

(١) الحَلَق والحِلَق : جمع حَلْقَة وحَلَقَة وهى تَحَلُّقُ القومِ واجتماعهم فى شكل دائرى - انظر مادة (حَلَقَ) فى مختار الصحاح ص ١٤٩ .

(٢) لعله يقصد بذلك الفصلَ بمعنى مكان الدرس ، أو الفصلَ بمعنى الحاسم الصائب من القول ، وكلا الوجهين محتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٥-٨ (من المقدمة) .

● وعجز البيت الأخير تضمين لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة : ١٥٦ .

ويعارض الشيخ عطية قول أبى ذؤيب الهُذَلىّ قائلاً : ولئن قيل :

وتجلّدى للشامتين أريهموا ... أنّى لريْبِ الدهرِ لا أتضعضعُ

فإنى أقول :

وتجلّدى للسامعين أريهموا ... شَمْسَ الحقيقةِ منْ سَنَاهُ تطلعُ(١)

وأخيراً يبكى الشيخ عطية شيخه متمثلاً قول النابغة الذبيانى :

كلينى لهَمٍّ يا أميمةُ نَاصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكب
تَطاولَ حتى قلتُ : ليس بمُنقَضٍ ... وليسَ الذى يَرْعَى النجومَ بآيبِ
وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عَازبَ هَمِّهِ ... تَضَاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ
علىَّ لِعَمْرٍ نعمةٌ بعدَ نعمةٍ ... لوالده ، ليست بذاتِ عَقَاربِ(٢)

المطلب الثانى

رثاء ثانى تلامذته الشيخ المجذوب

وَجَّه الشيخ محمد المجذوب ذات يوم عشرة أبيات من شعره إلى شيخه الشنقيطىّ ، وهو لا يدرى أنه سيوَجِّهُ إليه ذات الأبيات فى مقام رثائه ليخاطبه بها بعد موته كما خاطبه بها من قَبْلُ فى حياته ، وصدق الحق سبحانه إذ يقول : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الآية(٣) .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/١٦ (من المقدمة) .

• وانظر بيت أبى ذؤيب المذكور فى (ديوان الهُذَليين) : ١/٣ - (شعر أبى ذؤيب وساعدة بن جؤية) - الطبعة ١ - طبع : دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/١٥- ١٦ (من المقدمة) .

وانظر جملة هذه الأبيات المذكور فى (ديوان النابغة الذبيانى) ضمن قصيدته التى افتتحها بقوله :

أَرَسْماً جديداً مِن سُعَادَ تَجَنَّبُ ... عفَتْ رَوْضَتُهُ الأجدادُ منها فيَثْقَبُ

• ديوان النابغة الذبيانى بتمامه : صَنْعَةَ الإمام أبى يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السِّكيت ت (٢٤٤هـ = ٨٥٩م) - ص ٥٤ - ينشر لأول مرة عن أصل فريد بتحقيق : د. شكرى فيصل - دار الفكر - القاهرة (د.ت) .

• وطبعة أخرى بتحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم ص ٤٠ - دار المعارف - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الجنّ : ٢٦ .

وها هو يبكى شيخه قائلاً : إنه أحد الأفذاذ الذين يُخْشَى إذا فُقِدوا ألاّ يُعوَّضُوا ، وإلى ذلك أسرت فى هذه الأبيات التى وجهتها إليه ذات يوم تحت عنوان : (قبس وينبوع) فقلت :

دُمْتَ يا شيخَنَا الأمينُ لدينِ ... الله ذُخْراً وعِصْمَةً للحَيَارَى
إنما أنتَ نَفْحَةٌ مِنْ تراث ... كَانَ فى ظُلْمَةِ الوجود مَنَاراَ
(قَبَسٌ) من كتاب ربى و(ينبوعٌ) ... هُدَىً من (بيانه) لا يُمَارَى
ذَكَّرتَنِى (أضواؤك) الغُرُّ أفذا ... ذاً من السابقين فاقوا البحارَا
أورثونا من فضلهم كلَّ علم ... لم يَسِرْ قَطُّ كوكبٌ حيث سَارَا
لو قضينا حياتنا ننعمُ الفكْرَ ... بأغواره ؛ لَفَاتَتْ وخَارَا
فَلْيُمَتِّعْكَ ذو الجلال بعُمْرٍ ... يملأ الخِصْبُ لَيْلَه والنَّهَارَا
وَدَّ كلٌّ لو يستطيعُ له مَدّاً ... بشطرٍ من عُمْرِه مُخْتَارَا
كلُّ طُولٍ فى عُمْرِ مثلكَ طَوْلٌ ... فى قوى الحقِّ يُرْهِبُ الكُفَّارَا
وكثيرون إنْ يعيشوا فلا خيرٌ ... وإنْ يَهْلكُوا فشرٌّ تَوَارَى

وليس من قبيل الإطراء المألوف دعائى له بطول العمر ، وودى له لو أعيره بعض عمرى طمعاً فى المزيد من خدماته للإسلام ؛ فإنى كنت شديد القلق عليه لما أرى من ظواهر الضعف فى صحته ، بل وتماديه فى هذا الضعف ؛ حتى إنى فى عصر يوم ، ونحن على باب عمر ﷺ من المسجد النبوىّ ، وقد لاحظت الجهد الضخم الذى كان يبذله أثناء درسه العام ؛ فقلت له : يا شيخ ! إن صحتك ليست ملكك ، إنها للعلم وللمسلمين ؛ فارفقْ بها ولا تعجلْ عليها[1] .

المطلب الثالث

رثاء الشناقطة له خاصة

وبعد رثاء أول وثانى تلامذته الشيخين عطية والمجذوب ، فإننا نأتى إلى رثاء أبناء بلاده من الشناقطة على وجه الخصوص ، بَدْءً بمَنْ وردت قصائدهم أولاً ، ثم مَنْ أُشِيرَ إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائى التالى :

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ - ١٨٦ (بتصريف يسير) .

أولاً : مَنْ وَرَدَتْ قصائدهم :

١- أحمد بن أحمد الجكنيّ الشنقيطيّ :

وهـو تلميذه وابنـه عـمه وأحد الثـلاثة الذين غَسَّلُوه ، وقـد رثاه بقصيدة من ستة وعشرين بيتاً قال فيها :

موتُ الإمامِ الحَبْرِ منْ (جاكَاني) ... رُزْءٌ أَلَمَّ بأُمَّـــةِ العَـــدْنَاني
يا للمصـيبـةِ للبـريّةِ أنهـا ... فـقـدتْ عظيمَ مناهلِ العرفانِ
أبكى الأمينَ محـمـداً و إننى ... أبكى الأمينَ لشـرْعَـةِ القرآنِ
أرجـو الذى جـمعَ العـزيزَ بأهله ... منَّاً عليـه بنعمـةِ الإحسانِ
أنْ يَحْتَـفِى بلقـائنا فى جنَّةٍ ... مشحونة بالحُورِ والوِلْدَانِ(١)

٢- أحمد بن محمد عبد الله بن آدُّ الشنقيطيّ :

وقد رثاه بقصيدة من اثنى عشرَ بيتاً قال فيها :

أعَينَيَّ جُـوداَ بالدموع السَّوَاكِبِ ... لمَنْ (ضَوْؤُه) قد فاقَ ضوءَ الكواكبِ
أعَينَيَّ جُـوداَ لا تقـولا لى انتـهى ... فلستُ بُعَيْـدَ اليومِ منكمْ بطالبِ
دموعـاً ولا حُزناً لأَنْدُبَ بعـدما ... نَدَبْتُ خيـارَ الناسِ ماشٍ وراكبِ
له الفضلُ فى التفسير إنْ رُمْتَ باحثاً ... وفى الفقهِ والتوحيدِ منْ كُلِّ جانبِ
خَليلَيَّ هذا عَـالِمُ العُـرْبِ قـد سَمَا ... به العِلْمُ فى شتى العلومِ الأَطَايِبِ(٢)

٣- محمّد الأمين بن مختار الجكنيّ الشنقيطيّ :

ويلقب بـ (التَّعَدِّى) وهو ابن عم الشنقيطيّ ، وقد رثاه بقصيدة من ثمانيةَ عشرَ بيتاً قال فيها :

هُوَ الموتُ لا يَنْفَكُّ يَفْجَعُ مَعْشَرَاً ... بكوكبِـه الدُّرِّيِّ بينَ الكواكبِ
فَتَىً لَمْ يرَ الرَّاؤون شَرْوَاهُ بَعْدَهُ ... ولا أنجبتْ شَرْوَاهُ بيضُ الكواعبِ
يُرَوِّى البَـرَايَا منْ رَوَايا عُلُومِه ... بنقلٍ صحيحٍ عنْ فُحُولِ المَذَاهِبِ
وتفسيرِه منْ حفظه كُلَّ آيَةٍ ... بأختٍ لهـا أَعْظِمْ به منْ مَوَاهِبِ

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨٩ .

عـجيبٌ غـريبٌ فى البـرايا وإنما غـرائبُـهُ فى العِلْمِ فـوقَ الغَـرَائبِ[1]

٤ - محمد بن عبد الله بن أحمد مزيد الجكنى الشنقيطىّ :

وقد رثاه بثلاث قصـائد مختلفة القوافى ، أما أولاها فعلى قافـية الدال ، وتبلغ ثمانية وستين بيتاً قال فيها :

نُعِيَ الهُـدَى فَـعَلاَ القلوبَ سـوادُ وتَفَطَّـرَتْ لمُـصَـابِهَـا الأكْـبَـادُ
خَطْبٌ يَجِلُّ عَنِ البُكا وفـجيـعَـةٌ هَـدَّتْ رَوَاسِـى الأرضِ أو لَـتَـكَـادُ
بَكَت المَثَـانى تَـرْجُـمَـانَ بَيَـانِهَـا حـامِـيمُـهَـا تبكى عليـه وصَادُ
وكـذا المعـانـى كـالمثـانى ثواكـلا أُمَّـاتُهـا تبـكى وتبـكى الضَّـادُ
هذا البـيـانُ وهذه أضـواؤهُ عَـزَّتْ لغيـرِ الشيخِ لا تَنْقَـادُ[2]

وأما قصيدته الثانية فجاءت على قافية الميم ، وتبلغ واحداً وعشرين بيتاً قال فيها :

نَعَى الأمينَ نُـعَـاةٌ قَـدْ نَعَـوْا عَلَـمَـا بحـراً خِـضَـمَّـاً بمَـوْجِ العلْمِ مُلْتَطِمَـا
أبْكَتْـهُ أجـيـالُ عِلْمٍ حينَ عُـدَّ لَهُ رَبْعُ الحُـجُونِ مـصـيراً بـعدمـا خُـتِمَـا
ما كـان يرغبُ فى السُّكْنَى بذى بلد غـيـرِ المدينةِ طابـتْ مَسكَنَ الكُـرَمَـا
مَنْ للنـوازلِ مـثْلُ الشـيخِ إنْ نزلتْ أو للـحـوادثِ إنْ أدْمَتْ بنا كَـلْمَـا
أضـواؤه كـشـفـتْ أبعـادَ مطلبـهِ والدَّفْعُ يَدْفَعُ ما فى الوَحْى قد وُهِمَا[3]

وأخيراً جـاءت قصيدته الثالثة عـلى قافـيـة النون ، وتبلغ واحدًا وعشرين بيتاً أيضاً قال فيها :

هُوَ الموتُ أَمْـرٌ فى انتظارِكَ كـانَا لقـاؤكـمـا حَتْمٌ وحـيـنُكَ حَـانَا
ورُزْؤُكَ عَمَّ الـعـامـلـينَ مُـصَـابُهُ وعَـمَّقَ جُـرْحَ الأقـربينَ جكَـانَا
ومـوتُكَ بَتْـرٌ لـلبيـان فـمـا أرى إلى الحـشـرِ للمـبـتـور منْهُ بَيَـانَا
فـما الوقـفُ عندَ الحشـرِ إلاَّ لحكمـةٍ تشيـرُ إلى الحشر البـعـيـدَ مَكَانَا[4]

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمـة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتـصنيف عبد الرحمن ابن عبد العزيز السديس ص ١٨٧ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (المعين والزاد فى الدعوة والإرشـاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨١ .

(٤) إشارة إلـى آخر سورة فـسرهـا الشنقيطىّ فى (أضـواء البيـان) حيث أتم (المجـادلة) ووقف على أول (الحشر) فلم يبدأ فيها .

فَمَنْ كانَ أعطاكَ البيانَ تَفَضُّلاً   يُحَقِّقُ بالرِّضْوانِ عَنْكَ رَجَانَا[1]

٥- محمّد بن مَدْيَنَ الشنقيطيّ :

وهو شاعر كبير ببلاد شنقيط ، وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشرَ بيتاً قال فيها :

اللهُ أكبرُ ماتَ العلمُ والورَعُ   يا ليتَ ما قد مَضَى منْ ذاكَ يُرْتَجَعُ
يبكى الكتابُ كتابُ الله غَيْبَتَهُ   كذا المدارسُ والآدابُ والجُمَعُ
مفسِّرُ الذكرِ الحكيمِ ومَا   من الحديثِ إلى المختارِ يَرْتَفِعُ
فهو الإمامُ الذى مَنْ غيرُهُ تَبَعٌ   لَهُ ، وهلْ يستوى المتبوعُ والتَّبَعُ ؟!
حَدِّثْ بما شِئْتَ مِنْ حِلمٍ ومِنْ كَرَمٍ   وانشُرْ مَآثِرَهُ فالبابُ مُتَّسِعُ[2]

ثانياً : مَنْ أُشير إلى قصائدهم [3] :

١- عبد الله بن بُونَا أو بُونَه الشنقيطى : وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً .

٢- محمد أحمد بن عبد القادر الغَلَاوِى الشنقيطى : وقد رثاه بقصيدة من أربعة عشر بيتاً .

المطلب الرابع
رثاء غير الشناقطة له عامة

وبعد رثاء أبناء بلاده لـه من الشناقطة على وجه الخصوص ، فإننا نأتى إلى رثاء غير الشناقطة له من الخلائق على وجه العموم ، بَدْءً أيضاً بِمَنْ وردت قصائدهم أولاً ، ثم مَنْ أُشيِرَ إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيب هجائهم التالى :

أولاً : مَنْ وَرَدَتْ قصائدهم :

ويمثلهم فى هذا المقام واحد منهم فقط مِمَّنْ توفرت لدينا قصيدته ، ألا وهو :

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠٨ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطىّ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨٦ .

(٣) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطىّ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .

١- عبد الرحمن المُنَيِّر :

ويعمل أستاذاً بالمعهد العلمى التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد رثى الشنقيطىَّ بقصيدة من ثلاثين بيتاً قال فيها :

صُرُوفُ الليالى لا يَقَرُّ قَرينُها أَذَلِكَ للضَّراء أَمْ ذَاكَ دِيْنُها ؟!
أتانى من الأنباء ما سَدَّ مَسْمَعى فكَادتْ لها رُوحى يُجَنُّ جُنُونُها
إمامٌ تولَّى مِنْ تَوَقُّد ذهْنه حُصُونَ المثانى وهْوَ بابٌ يَصُونُها
أقولُ لنادي الحَىِّ : ما فيكَ نَدوةٌ إذا ما خَبَا عِلْمٌ وَوَلَّى أمينُها
تَرَقَّبْتُهُ مِنْ حَجٍّ مَكَّةَ سالماً فَشَحَّتْ به مَعْلاَتُها وحُجُونُها(١)

ثانياً : مَنْ أُشيرَ إلى قصائدهم (٢) :

١- أحمد بن إسماعيل اليَمَانى : وقد رثى الشنقيطى بقصيدة من أحدَ عشرَ بيتاً ، غير أنها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر .

٢- الدكتور سَفَر بن عبد الرحمن الحَوَالى : ويعمل أستاذاً ورئيسا لقسم العقيدة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقصيدته غير موجودة .

* * *

وبعد : فقد رثى الشنقيطىَّ خلقٌ كثير من غير هؤلاء وأولئك من تلاميذه ومحبيه فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، والذين أحَسُّوا مرارةَ فَقْدِه ، وافتقدوا على إثرِه دَرْسَه .

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن السديس بن عبد العزيز ص ١٨٨ .
• وقوله : (مَعْلاتُها وحُجُونُها) يقصد به مقابر (المَعْلاة) التى تقع بمنطقة (الحُجُون) بمكة المكرمة حيث دُفِنَ الشنقيطى ، وهى ذات المقابر التى تضم مثوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها كما أخبرنى بذلك مَنْ صحبنى فى زيارتى لها ببلد الله الحرام .
(٢) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .

المبحث الثالث

حُسْــــنُ خاتمته

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : الأمور المصاحبة لوفاتـــــه .

٢- **المطلب الثانـي** : المرائى الطيّبة التي رُؤِيَتْ له .

صَاحَبَتْ وفـاةَ الشنقيطيِّ جملةٌ من الأمور والمرائى التى يَحْتَسِبُهَا نَاظِرُهَا أنها من دلائل حُسْن خاتمته ؛ مما يُوَسِّعُ دائرةَ رجاء أبنائه وتلامذته ومحبيه فى أن يشمله اللهُ تعالى بقَبُوله ، وأن يتغمـدَهُ برحمتِهِ ، وعَسَـاهُ أن يكون بذلك مِمَّنْ قال فيهم الحق سـبحانه : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية[1] .

المطلب الأول
الأمُورُ المُصَاحِبَةُ لِوَفَاتِهِ

وتتمثل فى الأمور الخمسةِ التالية :

١- وفاته يومَ الخميس :

ولا يخـفى ما لهـذا اليوم مِن الفـضل الذى تواترت به أحاديث رسـول الله ﷺ بل أَعْظَمُ به مِنْ يومٍ تُعْرَضُ فيه أعمالُ أمته عليـه ﷺ كما يُعْرَضُ الحصيرُ عوداً عوداً[2] وفوق هذا ؛ فإنه يتلوه خيرُ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ ، ألاَ وهو يوم الجمعة[3] .

فياله مِن يوم عظيم ، ويعـقبه يوم عظيم ؛ يَعُمُّ فضلهما سـائر الأحياء والأموات ؛ مما يؤمل فيهما أن تكون ليلةُ وحشةِ المسلمِ وَوِحْـدَتِهِ فى قبرِهِ هى ذاتُ ليلة أُنْسِهِ وبشارتِهِ برحمةِ ربهِ وغفرانِهِ .

٢- القراءة فى العشَاء قُبَيْلَ صَلاَة الغائب :

قَدَّرَ الله تعالى أن يقرأ الإمام فى صلاة العشاء التى سبقت صلاة الغائب على الشنقيطى فى الحرم النبـوىّ الشريف مـن الآيات ما يحمل البـشرى والتفاؤل برحـمة الله ورضوانه ، وذلك على غيرِ قصدٍ منه[4] .

وهذا ما يشـير إليه الشيخ عطيـة تلميذ الشنقـيطىّ بقوله : ومن حُسْنِ التفـاؤل أن يقرأ الإمامُ فى صلاة العشاء فى الركعة الأولى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا

(١) المجادلة : ٢٢ - البينة : ٨ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده بمعناه (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (٩٨٨٣) - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجمعة (باب) فضل يوم الجمعة - (طبع بيروت) .

(٤) وكان الإمـام آنذاك هو صديق الشنقيطىّ وقـرينه الشيخ عبـد العزيز بن صالح آل صالح رحـمه الله تعالى - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الآيات[1] .

وفى الركعة الثانية قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ الآيات[2] .

وقد سألت فضيلته عن هذه القراءة : أهو قاصدٌ لهذه الآيات ومختارٌ لها ، أما جاءت عفواً ؟! فقال : بل عفواً ؛ فما الملاحظة عليها ؟! فقلت : إنها مِنْ أغرب الصُّدَف[3] لأنك صليتَ على الشيخ الأمين بعدها ؛ فظننت أنك قصدتَ إليها ؛ فكان هذا من المناسبات الحسنة ، تَغَمَّدَ اللهُ الشيخَ برحمتهِ ، وأسكنه فسيحَ جنتهِ ؛ إنه جَوَادٌ كريم ، رؤوف رحيم[4] .

٣- صَلاة الحجيج عليه ودَعَواتُهُم له :

ومن فضل الله على الشنقيطى أن يحضر صلاة جنازته فى الحرم المكىّ الشريف ، وكذا صلاة الغائب عليه فى الحرم المدنىّ الشريف ، مالا يُعَدُّ ولا يُحْصَى من المسلمين مِن أمّة محمد ﷺ من حُجَّاج بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، وزائرىْ رسوله ﷺ بالمدينة المنورة ؛ حيث نالتْهُ دعواتُهُم المخلصة ، التى اتجهت بها نيّاتُهُم الصَّادقة .

فهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين أجناسهم وأوطانهم ؛ قد جاءوا رجالاً ورُكبَانا ، من كل حدب وصوب، ومن كل فجٍّ عميق؛ فَدَعَوا جميعهم للشنقيطىِّ دون معرفتهم له، وتَرَحَّمُوا عليه دون صلتهم به إلاّ من صِلَة هذا الدين العظيم ؛ وأَعْظِمْ بها من صِلَة حَرِيَّة بأن تكونَ مُظنَّةَ إجابة دعاء هؤلاء المتقين ، وصدق الحق سبحانه إذْ يقول فى محكم تنزيله : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية[5] .

٤- البداية بالحَجِّ والنهايَة بالحَجّ :

شاء الله تعالى أن يكون أول عهد الشنقيطى بأرض الحجاز كآخر عهده بها ، فها هو يدخلها على نية الحج قبيل شهر ذى الحجة ضحى يوم الاثنين المبارك السابعَ عشرَ من ذى

(٥) الكهف : الآيات ١٠٧ - ١١٠ (اربع آيات) .

(٢) مريم : الآيات : ٩٦ - ٩٨ (ثلاث آيات) .

(٣) راجع التنبيه على هذا التعبير ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيقىّ ١/ ٧ - ٨ (من المقدمة) . (٥) المائدة : ٢٧ .

القعدة (١٧ - ١١ - ١٣٦٧هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨م) وليستقر مقامه بها بعد أداء مناسك حجه الأول[١] .

ثم ها هو يُقْضَى أجلُهُ ويُدْفَنُ بها أيضاً ضحى يوم الخميس المبارك ، وأيضاً السابع عشر من ذى الحجة (١٧ - ١٢ - ١٣٩٣م) الموافق (١٠ - ١ - ١٩٧٤م) وأيضاً بعد أداء مناسك حجه الأخير[٢] .

وهكذا بدأت حياة الشنقيطىّ فى أرض الحجاز بالحج وكذلك انتهت فيها بالحج ؛ ولعل هذا يحمل من الاستبشار فى رحمة الله تعالى ومغفرته بقدر ما جاء على لسان رسول الله ﷺ فى قوله : «مَنْ حَجَّ فلمْ يَرْفُثْ ولمْ يَفْسُقْ ؛ رَجَعَ كيومٍ وَلَدَتْهُ أُمُّه» الحديث[٣] فَعَسَى الشنقيطىُّ أن يكونَ مِن أهل هذا الوعدِ ؛ فيستحق مغفرةَ ربِّه ، ويحظى بعفوه .

٥- آخرُ ما كَتَبَهُ وفَسَّرَهُ :

إن من بشائر حُسْنِ خاتمته أن يكونَ آخرُ م خَطَّهُ الشنقيطىُّ تفسيره هو قول الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآيتان[٤] وأن يكون آخرُ ما وقف عنده فى تفسيره (أضواء البيان) هو قول الله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية[٥] .

حتى إن أحد شعراء الشناقطة قد صَوَّرَ وقف الشنقيطى عند آخر المجادلة وأول الحشر بأنه إشارة إلى الحشر البعيد يومَ أَنْ يرثَ الله تعالى الأرضَ ومَنْ عليها ، وبهذا يرثى الشنقيطىَّ قائلاً :

ومَوْتُكَ بَتْرٌ للبيانِ فما أرى — إلى الحشرِ للمبتورِ منه بيَانَا
فما الوقفُ عند الحشرِ إلاَّ لحِكْمَةٍ — تشيرُ إلى الحشر البعيد مكَانَا[٦]

فياله من ختام طيب عَلَّهُ يستحقُّ به بشارة رسول الله ﷺ : «يقال لقارىء

(١) راجع تفصيل حجه الأوّل ص من هذا البحث .
(٢) راجع تفصيل حجه الأخير ص من هذا البحث .
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الحج (باب) فضل الحج المبرور - (طبع بيروت) وانظر (فتح فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ٧/ ١٥٤ - حديث رقم (١٥٢١) - (طبع الأزهرية) .
(٤) الحجرات : ٧ - ٨ (آيتان) . (٥) المجادلة : ٢٢ .
(٦) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

القرآن : اقرأ وارْتَقِ ؛ فمقامُكَ عندَ آخرِ آيةٍ ، وقفتَ عندها »[1] ولئن كان هذا لقارىء القرآنِ ومرتلِه ؛ فما أجدَرَهُ بكاتبه ومفسِّرِه .

المطلب الثانى

المرائى الطيبة التى رُؤِيَتْ له[2]

وتتمثل فى المرائى الأربع التالية :

١- الرؤيا الأولى :

وكانت قبل موت الشنقيطى بأسبوع واحد، حيث رأى أحد أقاربه مِمَّنْ كانوا يحجُّون معه فى سيارته أن النبىّ ﷺ قد توفى ومُسَجًّى عليه ثوبٌ ، وقد دخل عليه علىٌّ بن أبى طالب رضي الله عنه ليُغَسِّلَه ، ثم جاء الرائى فرفع الثوب فوجد أن الميت نبىٌّ ولكنه ليس رسول الله ﷺ فَقَبَّلَهُ فى جبينه وانصرف .

ولما قصَّ الرائى رؤياه هذه على الشنقيطىِّ ، تَغَيَّرَ وَجْهُ الشنقيطىّ على الفور ، ثم قال مؤكداً : نعم ، هذا ليس بالنبى ﷺ ولكن يقضى الله خيراً ، ثم سكت .

وكأن الشنقيطىَّ استشعر أن هذا الميت ليس إلاّ هو نفسه ، وأنه سيغسله واحد من آل بيت النبى ﷺ وبالفعل ؛ فقد شاء الله تعالى أن يقضى الشنقيطىُّ نَحْبَهُ بعد هذه الرؤيا بأسبوع ، ثم كان مِمَّنْ دخل عليه ليغسله رجلٌ من الصالحين مِمَّنْ يقال : إنه مِنْ آل بيت النبى ﷺ .

٢- الرؤيا الثانية :

وكانت بعد موت الشنقيطىّ بأيام قلائل ، وفيها رآه ابنه الأصغر الدكتور عبد الله، وقد جاءه أناس فَسَلَّموه كتابه بيمينه؛ وعلى الفور شدّ عليه يده بحرصٍ بالغٍ حتى وَهَرَ العِرْق الذى فى ظاهر يده اليُمْنَى ، وكان من عادته أن يعطى هذا الكتاب ابنه عبد الله ليقرأه له ، غير أنه فى هذه المرة لم يُعْطِهِ هذا الكتاب الذى كان مدوناً فيه ما يشبه الأرقام الحسابية .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) فضائل القرآن (باب) ما جاء فِيمَنْ قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر - وقال : هذا حديث حسن صحيح - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الصلاة (باب) استحباب الترتيل فى القراءة - (طبع بيروت) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطىّ (محاضرة مُسَجَّلَة) .

٣- الرؤيا الثالثة :

حيث رأى الدكتور عبد الله والده الشنقيطيّ بعد موته فَسَأَلَه عن المقصود بِمَنْ يملك العفو فى قول الله تعالى : ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ الآية[1] أَهُوَ الوَلِىُّ أم الزوجُ ؟ وعندئذ يكتفى الشنقيطىُّ فى الإجابة عن هذا بإشارةٍ من يده تفيد عدم ترجيحه ، بل وعدم رغبته فى الإفتاء .

الأمر الذى حدا بابنه الدكتور عبد الله فى نومه إلى أن يفطن إلى عزوف والده عن الفتوى ، وعدم ميله إلى ترجيح الولى على الزوج ، أو العكس ، وهو ذات رأيه الذى أثبته فى كل من : (أضواء البيان) و (مذكرة أصول الفقه)[2] .

٤- الرؤيا الرابعة :

وقد رآها لـه أحد تلامذته عقب موته ، حيث وجده وقد أخذ حبلاً مجدولاً ، متيناً قوياً ، مثل حبل السفينة ، فوضعه على ظهره ، ثم لَبِسَ عليه جُبَّةً ضافيةً ومشى ؛ فانزعج الرائى عندئذ ، وقصّ ما رأى على الدكتور عبد الله الذى قال على الفور مُطَمْئِناً إياه : واللهِ إنى لأَعْرِفُ هذا فى حياة الوالد ؛ فقد كان رحمة اللهِ عليه يقول : القرآن حبلُ اللهِ المتين ، مَنْ تَمَسَّكَ بهِ نجا[3] .

*　*　*

وفى الجملة : فلا نجد فى ختام حديثنا عن وفاة الشنقيطىّ خيراً مِمَّا ذَكَرَهُ أوّلُ وأخصُّ تلامذته الشيخ عطية محمد سالم ، حيث أَجْمَلَ ذلك قائلاً : مات رحمه الله تعالى بعد أن أحيا علوماً دَرَسَتْ ، وخَلَّفَ تراثاً باقياً ، ورَبَّى أفواجاً متلاحقة تُعَدُّ بالآلاف مِنْ خريجى المعاهد والكليات بالرياض ، فضلاً عن خريجى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلاّ بعد أن أصبح له فى كل دائرة من دوائر الحكومة فى مختلف أنحاء البلاد[4]

---

(١) البقرة : ٢٣٧ .

(٢) راجع ذلك إجمالاً فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤ .
- مذكرة أصول الفقه : الشنقيطىّ ص ٢٢٥ - ٢٣١ .

(٣) وفى ذلك إشارة إلى وصف رسول الله ﷺ للقرآن الكريم فى جزء من حديث طويل قال فيه : «هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» - وقد سبق تخريج هذا الحديث بروايتيه ص من هذا البحث .

(٤) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .

ابن من أبنائه ، وفى كل قطر إسلامىّ بعـثة تعليميّـة عن طريق المِنَح الدراسيّة التى تقـدمها الجامعة الإسلامية بالمدينـة المنورة ؛ ما مات إلاّ بعد أن ترك فى كل مكتبة ، بل فى كل بيت (أضواء البيان) التى تبدد الظلام ، وتهدى السبيل ؛ فلا يبعد ولا يغالى مَنْ يقول : ما مات مَنْ خَلَّفَ هذا التـراث ، وأدّى تلك الرسالة ؛ لـيبـقى بذلك أثراً خالداً على مَـرِّ الأجيـال والقرون .

حقاً لقد أدَّى رسالة عظمى ، ثم انتقل إلـى الرفيق الأعلى ؛ ليحصد ما زرع ، ويجنى ثمار ما غرس ، وينعم بما قدّم ، بعد أن صارت أعماله تترجم عـنه ، ومؤلفاته تُعَرِّفُ به ؛ حتى عَـرَفَهُ الصغيـر والكبير ، والقـاصِى والدانِى ، والعالم والـعامى ، فَرَحِمَـهُ اللهُ رحمةً واسعةً (١) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٨ - ٩ (من المقدمة بتصرف) .

الباب الثانى

مسيرته العلمية

وينتظم تمهيداً وستة فصول :

- تمهيد : بين يدىْ هذا الباب .

١ - الفصل الأول : شيوخه من أهله ومن غير أهله .

٢ - الفصل الثانى : أقرانه ومعاصروه .

٣ - الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة .

٤ - الفصل الرابع : نشاطه فى بلاده وخارج بلاده .

٥ - الفصل الخامس : رحلاته للحج والدعوة والعلاج .

٦ - الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

تمهيد

بين يدىْ هذا الباب

يـدور حـديثنا فى هذا الباب حول مـسيـرة الشنقيطى العلمـية بما تنتظمـه من مراحل مختلفة ، وما تحويه من أطوار عديـدة ، انطوت عليها رحلة طلبه الممتدة ، والتى بدأها من مسقط رأسه ببلاده (شنقيط) ثم استكمل اليسير الذى تبقى منها ببلاد (الحجاز) .

ففى بلاده كان شيوخه من الشناقطة ، بل من قـبيلته (بنى جاكان) من أهله الذين تربطه بهم صلة الدم المبـاشرة ، ومن غيـر أهله الذين تربطه بهم صلة القـرابة البعـيدة داخل إطار القبيلة .

ومن هؤلاء وأولئك كانت مدرسته الأولى الأهلية ، ثم مدرسته الثانية القَبَلِيّة ، حتى إذا ما اكتمل نصابه منهما انتقل بعدهما إلى مدرسـته الثالثة الذاتية التى استدرك فيها ما فاته من فنون العلم وفروعه المختلفة عن طريق اطلاعه الشخصى ، ودراسته الذاتية .

وبعد نشـاطه العلمى الملحوظ فى بلاده يرحل لأداء حـجة الإسلام على نيـة الرجوع ، غيـر أنه يستقـر به المقام ببلاد الحـجاز التى واصل فيـها نشاطه الـعلمى والدعوى ، والذى صاحبه فيه كثير من أقرانه وتلامذته ، بل وصَنَّفَ من خلاله معظم مؤلفاته فضلاً عن القليل الذى كان منها فى بلاده .

وفيما يلى نعرض لمسيرته العلمية الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :

الفصل الأول

شيوخه

من أهله ومن غير أهله

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - **المبحث الأول** : شيوخه من أهله .

٢ - **المبحث الثاني** : شيوخه من غير أهله .

ينتمى جميع شـيوخ الشنقيطى إلى ذات قبيلته (بنى جـاكان) ومن ثم فإن لهم ما لتلك القبيلة من كريم السجايا ، وحميد الخصال ؛ الأمر الذى كان له أعظم الأثر وأبلغه فى إثراء الشنقيطى أخلاقيًا ، وتوجيهه تربويًا ، فضـلاً عن رعايته علميًا ، وإعداده دعويًا ؛ ليضطلع فيما بعد بأمانة هذا العلم ، ولينال شرف نشره والدعوة إليه فى الآفاق .

ومع أن هؤلاء الشـيـوخ وإن كانوا جـمـيـعًا من الجكـنيين ، إلا أن قليـلاً منهم تربطه بالشنقيطـى صلة الدم المباشرة ، فى حين أن أكـثرهم لا يمت إليه إلا بـصلة القرابة البعـيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة.

ولذا ؛ فقد آثرنا أن نتناول شيوخه من الجكنيين من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول

شيوخه من أهله

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : خال الشنقيطى .

٢ - المطلب الثانى : ابن خال الشنقيطى .

٣ - المطلب الثالث : زوجة خال الشنقيطى .

ويمثلون مدرسته الأولى فى بيوت أخواله ، والتى أطلقنا عليها من قبل : (المدرسة الأولى الأهليّة) حيث شيوخه الأوائل من أخواله وأولادهم وذويهم [١] وهم الذين نستطيع إيجاز ذكرهم من خلال المطالب الثالثة التالية :

المطلب الأول

خـــال الشنقيطى

وهو الشيخ عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح إلى آخر نسب الشنقيطى السالف ذكره[٢] وقد أتم الشنقيطى على خاله هذا حفظ القرآن الكريم وهوإذ ذاك فى العاشرة من عمره[٣] وتجدر الإشارة إلى أن خال الشنقيطى المذكور ليس له آثار مكتوبة بالرغم من علو كعبه فى القرآن وعلومه .

المطلب الثانى

ابن خال الشنقيطى

الشيخ سِيدَىَّ محمد بن أحمد بن محمد المختار ، عالم بالقراءات القرآنية ، ومن آثاره كتاب (الخريدة فى علم القراءات)[٤] وقد أخذ عليه الشنقيطى رسم المصحف العثمانى المعروف بـ : (المصحف الأم) كما قرأ عليه التجويد، وعمره آنذاك ستة عشر عامًا .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً: قال رحمه الله تعالى: تعلمت رسم المصحف العثمانى (المصحف الأم) عن ابن خالى سِيْدَىَّ محمد بن أحمد بن محمد المختار ، كما قرأت عليه فى مقرأ نافع برواية وَرْش من طريق أبى يعقوب الأزرق ، وبرواية قالون من طريق أبى نشيط[٥] كما أخذت عنه سندًا بذلك إلى النبى ﷺ وعمرى آنذاك

(١) راجع ذلك مفصلاً ص   من هذا البحث .

(٢) راجع ذلك النَّسَبَ كاملاً ص   من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢١ (من المقدمة) .

(٤) انظر فى ترجمته (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ - ويلاحظ أن والد سِيْدَىَّ هو خال الشنقيطى الثانى، وأخو خاله الأول عبد الله بن محمد المختار المتقدم ذكره .

(٥) ورد فى الأصل : (وقالون من رواية أبى نشيط) كما فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٢٢ (من المقدمة) - وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ؛ حيث إن سند القراءة ، ورتبة نقلها ، يقتضى تسلسلها على الترتيب التالى : القراءة فالرواية فالطريق؛ فكل قراءة لها روايتان، وكل رواية لها طريقان، ثم كل طريق له بدوره طريقان أو أكثر من الطرق الفرعية - انظر تفصيل ذلك فى :

- المهذب فى القراءات العشر من طريق طية النشر : د. محمد سالم محيسن ١/ ٧ - الطبعة ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨ م .

ست عشرة سنة[1] .

المطلب الثالث

زوجة خال الشنقيطى

وهى عائشة بنت الأمين الجكنيــة، لغوية أديبة، على معرفة واسـعة بعلم الأنساب وأيام العرب ، وليس لها أى آثار مكتوبة[2] كما أنها شـيخته الوحيدة من أهله ، وقـد أخذ عليها دراسات واسعة فى النحو والأدب ، وكذا السِّيَر والتاريخ والأنساب .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : قال رحمه الله تعالى : درست دراسة واسـعة فى الأدب على زوجـة خالى أم ولد الخـال ، أى أن ولد خاله يعلمـه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

ويواصل رحمه الله تعالى قوله : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمرينات واسعـة فى أنساب العـرب وأيامهم ، والـسيرة النـبوية ، ونظم الغـزوات لأحمـد البدوى الشنقيطى الذى يزيـــد على خمسمـائة بيت مـع شروحـه لابن أخت المؤلف المعروف بـ : حَمّاد .

هـذا بالإضافة إلى نظم عمود النسب للمؤلف نفسه والذى يُعَدُّ بالآلاف مع شرحه أيضًا لابن أختـه المذكور ، والذى وصل فيـه إلى شرح خصـوص العدنايين ؛ لأنه مـات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين[3] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٢ (من المقدمة) .

(٢) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ .

(٣) أضواء البـيان : الشنقـيطى١/ ٢٣ - ٢٤ (من المقدمـة) - وانظر ترجمـة كل من : أحمـد البدوى الشنقيطى صاحب النـظم ص وابن أخته حماد المجلسى الشنقـيطى صاحب الشروح ص من هذا البحث .

المبحث الثانى

شيوخه من غير أهله

وينتظم المطالب السبعة التالية :

١ - المطلب الأول : أحمد الأَفْرَم بن محمد المختار الجكنيّ .

٢ - المطلب الثانى : أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكنيّ .

٣ - المطلب الثالث : أحمد فال بن آدُّه الجكنيّ .

٤ - المطلب الرابع : أحمد بن مَوْد الجكنيّ .

٥ - المطلب الخامس : محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكنيّ .

٦ - المطلب السادس : محمد النعمَهْ بن زيدان الجكنيّ .

٧ - المطلب السابع : جملة العلوم التى حصَّلها عليهم .

ويمثلون مشاهير العلماء فى قبيلتـه (بنى جاكان) وهم وإن كانوا لا يمتون إليه بصلة الدم المباشرة ؛ إلا أنهم يمـتون إليه بصلة القرابة البـعيدة بحكم الانتماء إلى ذات الـقبيلة ، وهم الذين يمكننا إيجاز التعريف بهم من خلال المطالب الستة التالية :

المطلب الأول

أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى

يوصف بأنه علامة زمانه ، وفائق أقرانه ، وعليه تدور رحى القضاء والفتيا فى عصره ، كمـا امتـاز بالأدب وجـودة الشعـر ، ومن آثاره العلميـة : (نظم فى التوسل بأسـماء الله الحسنى)[1]وهو الشيخ الوحـيد الذى نقل عنه الشنقـيطى فى التفسـير واصفـًا إياه بقوله : (شيخى الكبير)[2] .

المطلب الثانى

أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكنى

أصولى وفقيه ، له مـعرفة بعلمىْ المنقول والمعقول ، وقد اشتهـر بقوة ذاكرته مع سرعة بديهته وصـحة استنباطه ؛ غير أنه لـم ترد له أية آثار مكتـوبة على الرغم من اضطلاعه بِفَنَّىْ الأصول والفقه وغيرهما[3] .

المطلب الثالث

أحمدَ فال بـــن آدَّه الجكنى

علامـة متبـحر فى الفنون ، له اليد الطولى فى النحـو والفقه ، اشـتهر بالحـفظ وقوة

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٣٤٧ - ٣٤٨ .

حيث يذكر الشـنقيطى اللغات الواردة فى مادة : (غَنِى) فى مـعرض تفسيره لـقول الله تعالى : ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ الجاثية : ١٠ - ثم يقـول: وهذه اللغات التى ذكرنا فى مادة (غَنِىَ) كنت تلقيـتها فى أول شبابى فى درس من دروس الفقه لقننيهـا (شيخى الأكبر) أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى، وقد ذكر لى بيتىْ رجز فى ذلك لبعض أفاضل علماء القطر، وهما قوله :

وضـد فقـرك (إلَـى) وكـ (سَحَاب) النفـع ، والمطـرب أيضًا كـ (كتَاب)
وكـ (فَتَـى) إقامَــة ، وكـ (هُــنَا) جمــــع لُغنْيَة لمـــا بــه الغَنَــى

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

الذاكرة ، وقد تولى القضاء وسار فيه سيرة حسنة ، وكانت وفاته ببلاده حوالى عام (١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م)[١] .

المطلب الرابع

أحمد بن مَوْد الجكنى

أصولى وفقيه مالكى ، أخذ الطريقة التجانية ثم رجع عنها ، اشتهر بالتواضع والورع ، بالإضافة إلى المواظبة على العبادة ، مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فضلاً عن رجوعه إلى الحق متى ظهر له ، وكانت وفاته ببلاده عام (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م)[٢] .

المطلب الخامس

محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكنى

قال عنه مترجموه : إنه أحاط بالعلوم فى بلاده ، سواء فى ذلك جليها وغامضها ، من قرآن وتوحيد ، وأصول وفقه ، وقواعد ولغة ، كما اشتهر بالورع والزهد وكثرة العبادة والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، بالإضافة إلى شدة إنكاره على المتصوفة ، وقد جرت فى ذلك محاورات بينه وبين شيخ التجانية فى قبيلته محمد بن سيدى الجكنى ، ومن آثاره العلمية : (طرد البدعة عن أهل الملة بواضح الأدلة) و (إرشاد المغرور) وقد كانت حياته ووفاته ببلاده شنقيط[٣] .

المطلب السادس

محمد النعمةَ بن زيدان الجكنى

ويُعَدُّ آخر شيوخ الشنقيطى من مشاهير العلماء فى قبيلته (بنى جاكان) غير أننا لم نعثر على أى تعريف به فى مظان ترجمته المتاحة لدينا[٤] .

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٢) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٤) ومن مظان ترجمته نذكر كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٤ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرَّا ص ٩٣ .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .

المطلب السابع

جملة العلوم التى حصلها عليهم

وعن جملة العلوم التى حصلها الشنقيطى على هؤلاء المشايخ يسوق تلميذه الشيخ عطية على لسانه ما نصه : قال رحمه الله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون كالفقه المالكى وهو المذهب السائد فى البلاد(1) والنحو والصرف(2) والأصول ، والبلاغة ، وبعض التفسير والحديث(3) .

وأما المعقول من العلوم كالمنطق وآداب البحث والمناظرة فقد صرح بأنه حصله عن طريق النظر الخاص والمطالعة الذاتية ، وإلى هذا يشير بقوله : وأما المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة(4) .

وهذا ما يصفه أيضًا الشيخ المجذوب بقوله : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، فى ما درس وفى ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافر له ذلك التضلع الملموس فى علمىْ المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلا الأقلون(5) .

كما نرجح أن يكون الشنقيطى قد سلك ذات السبيل فى تحصيل علم التفسير ، وهو ما يذهب إليه تلميذه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى معللاً ذلك بقوله : والذى يظهر لى والله أعلم أن علم التفسير الذى فاق فيه الأولين والآخرين إنما قرأه على نفسه ؛ وذلك لأمرين الأول : أن البلاد هناك ما كانت خصبة لقراءة التفسير ، ولا كانت المشايخ على استعداد لإقرائه الناس ، على تقدير معرفتهم به ، والثانى : أنى سمعته يقول : عكفت على كتاب الله فى البلاد أتتبعه آية آية ، كل آية بانفرادها ؛ فهذا دليل عندى على أنه درس التفسير على نفسه(6) .

وأخيرًا يعقب الشيخ عطية على جملة تلك العلوم التى حصلها شيخه الشنقيطى سواء

(1) راجع انتشار المذهب المالكى وسيادته دون غيره فى بلاد شنقيط : ص من هذا البحث .

(2) والأصل الذى يعولون عليه فى ذلك هو : (ألفية ابن مالك الأندلسى) بشروحها العديدة منذ دخولها شنقيط فى القرن الثامن الهجرى وحتى الآن .

- انظر (ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية) : يحى بن البَرّا ص ٣٣ .

(3) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(4) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(5) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٣ .

(6) نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشنقيطى ١/ ١٩ .

على مشـايخه السالف ذكرهم ، أو بمطالعـته الذاتية فـيقول ما نصـه : علمًا بأن الفن الذى درسه على المشايخ أو مطالعةً من الكتب ، فإنه لم يقتصر فى تحصيله على دراسته ، بل كان يديم فيه النظر ، ويواصل التـحصيل ؛ حتى غدا فى كل منه كأنه متـخصص فيه ، بل وله فى كُلٍّ منه اجتهادات ومباحث مبتكرة[1] .

* * *

وهكذا يصل مجموع شـيوخ الشنقيطى السالف ذكرهم إلى تسعـة مشايخ ، توزعوا بين ثلاثة من أهله مِـمَّنْ تربطه بهم صلة الدم والقـرابة ، فى حين لا يمت إليه شـيوخـه السـتة الآخرون بتلك الصلة ، إلا أن هؤلاء وأولئك ينتـمون جميعهم إلى ذات القـبيلة التى ينتمى إليها الشنقيطى ؛ فكلهم جكنيون مثله من بنى جاكان .

ومع أن الشيخ عطية قد اقتصر فى ذكر مشايخ شيخه الشنقيطى على هؤلاء التسعة ؛ إلا أنه أشار فى عقبـهم إلى غيرهم مِمَّنْ أخذ عنهم الشنقيطى ، دون تسـميته إياهم ، ولكنهم محصـورون كذلك فى علماء قبـيلته (بنى جاكان) وهذا مـا يشير إليه الشيخ عـطية بقوله : وغيرهم من المشايخ الجكنيين[1] .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

الفصل الثانى

أقــرانه ومعاصــروه

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : أقرانـــــه .

٢ - المبحث الثانى : معاصــروه .

المبحث الأول

أقــــرانــــه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : أقرانه الراحلون .

٢ - **المطلب الثانى** : أقرانه الباقــون .

ونعنى بهم أنداده وأترابه من العلماء الذين يماثلونه فى شرف حمل أمانة العلم والدعوة إليه ، فضلاً عن الاضطلاع بمهامه الجسيمة من حيث تعليمه وتدريسه للأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه على السواء فى شتى أنحاء المعمورة .

وأقران الشنقيطى من المنزلة والفضل بما لا يتسع المقام لاستيفاء تراجمهم ، وتمام التعريف بهم ؛ حيث يلزم لهذا سِفْر ضخم وبحث مستقل ، وهذا ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بالإشارة إليهم حسب الترتيب الهجائى لأسمائهم ؛ وذلك خروجًا من تقديم أو تأخير بعضهم على بعض ، خاصة وأنهم جميعًا نخبة فاضلة من العلماء الأجلاء الذين يصعب التمييز بينهم فى الصفة ، أو المفاضلة بينهم فى المنزلة .

ولما كان أكثر أقران الشنقيطى قد رحلوا مثله عن عالمنا إلى جوار ربهم سبحانه ، فى حين أن قليلاً منهم لا يزال قائمًا بين ظهرانَيْنا حتى اليوم ؛ لذا فسوف نبدأ بذكر الراحلين منهم ثم نتبعهم الباقين ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
أقرانه الراحلون

ونكتفى بذكر أربعة منهم من جِلَّةِ العلماء وهم :

١ - الشيخ عبد الرزاق عفيفى :

وهو مصرى المولد والمنشأ ، سعودى الهوية والمهجر ، حيث استقر به المقام فى الرياض ثم أسندت إليه رئاسة المعهد العالى للقضاء منذ افتتاحه عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) وكان الشنقيطى ممن يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة فى علمىْ التفسير والأصول ، على نظام الدراسة آنذاك والذى بدأ باستقدام الأساتذة الزائرين[(١)] .

وقد تدرج الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى المناصب العلمية إلى أن صار نائبًا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التى كان يترأسها الشيخ ابن باز[(٢)] .

هذا بالإضافة إلى تدريس الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى معاهد وكليات الرياض

---

(١) راجع (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة) .

(٢) راجع كتاب (٩٩ سؤالاً وجوابًا فى البيع وصوره) : يجيب عليها أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - جمعها صالح بن أحمد صالح بن ذياب - المطبعة ١ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

المختلفة ، ومن آثاره العلمية محاضـرة بعنوان : (دراسات فى التوحيد : قواعده وأصوله) إلى غير ذلك من المصنفات والفتاوى المختلفة[1] .

٢ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى :

حيث كان يقوم بتـدريس علم الحديث فى مسجد الشيخ محمـد بن إبراهيم مفتى البلاد بمنطقـة (دُخْنَه) بالرياض ، فى حين كان يقـوم الشنقـيطى بتدريس علم الأصـول فى نفس المسجـد لكبار طلاب العلم آنذاك ، ومع ذلك فقـد كان يحضـر درسه هذا العامة والخـاصة الذين كانوا يتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض[2] .

٣ - الشيخ عبد العزيز بن بَـــاز :

وقد صـاحب الشنقيطى على مدار واحـد وعشرين عامًـا منذ أن كانا يُدَرِّسَان مـعًا فى معاهد وكليات الرياض المختلفة، وحتى انتقلاً سويًا إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ افتتـاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حـيث صار ابن باز نائبًا لرئيس الجامـعة ، فى حين صار الشنقيطى عضوًا فى مجلس إدارتها ، هذا بالإضافة إلى تدريسهما بها .

وقد ظلا كذلك حتى صار ابن باز رئيسًا للجامعة وإلى أن توفى الشنقيطى عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) حيث صـار ابن باز بعد ذلك رئيـسًا عامًـا لإدارات البحوث العـلمية والإفـتاء والدعـوة والإرشـاد منذ عام (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) وحـتى وفـاته يوم الأربعـاء (٢٧-١-١٤٢٠هـ) الموافق (١٢ -٥- ١٩٩٩م) بـعد رحيل الشنقيطى بقـرابة سبعة وعشرين عامًا .

هذا بالإضافة إلى صحـبتهما فى هيئة كبـار العلماء بالرياض ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة وغيرهما من الهيئات والمحافل الإسلامية المختلفة[3] .

وعن منزلة ابن باز لدى الشنقيطى يحدثنا الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يحب الشيخ ابن باز ويقـول : هذا الرجل أمره عجيب ؛ حيث لم أر شـخصًا أبصر

---

(١) راجع (تعدد الزوجـات وتحديد النسل) : الشـيخ عطية محـمد سالم ص ١٣ - سلـسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥ - ٧ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ٧٧ ، ١٨٢ (بتصرف) .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

بعلم الفرائض منه، ثم قال لى : كنت يومًا أبحث فى (سُنن أبى داود) عن حديث ، فزارنى الشيخ عبد العزيز بن باز وقال لى : افتح الكتاب صفحة كذا ؛ فوجدت الحديث ، فجزاه الله تعالى خيرًا[1] .

٤ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

كان أحد الأعضاء البارزين فى (هيئة كبار العلماء) فى المملكة العربية السعودية ، وأستاذًا بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم ، وقد صاحب الشنقيطى فى الرياض أثناء تدريسه فى معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ودرس على الشنقيطى فى المعهد العلمى فى الرياض ، ثم فى كلية الشريعة بها .

وطيلة حياته لم يقم الشيخ العثيمين إلاَّ بمنزله المتواضع ببلدته (عُنَيْزَة) بالمنطقة الشرقية ، حيث كان يقصده طلاب العلم من كل حَدَب وصَوْب من داخل المملكة وخارجها ، وقد عَبَّدَتْ أقدامهم الطريق الترابية الموصلة إلى بيته هذا الذى كان مبنيًا من الطوب اللبن ، أما غير هذا البيت من الأبنية الحديثة والقصور الفاخرة مما كان يُهْدَى إلى الشيخ من قِبَل أولى الأمر فى البلاد ؛ فقد جعله كله لطلاب العلم وباحثيه على السواء .

وهو فى زهده هذا يذكرنا صاحبه وشيخه الشنقيطى الذى كان يسير على نفس الدرب ، وينتهج ذات السبيل ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، وهو الأمر الذى ظل يذكره له ، ويثنى عليه خيرًا ، صاحبه وتلميذه العثيمين حتى أواخر حياته حيث كانت وفاته يوم الأربعاء (١٥ - ١٠ - ١٤٢١ هـ) الموافق (١٠ - ١ - ٢٠٠١ م) بعد رحيل الشنقيطى بقرابة ثمانية وعشرين عامًا[2] .

المطلب الثانى
أقرانه الباقون

ونكتفى بذكر أبرزهم من جِلَّة العلماء الآن ألا وهو :

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ= يناير ٢٠٠١ م .

• **الشيخ حمّاد الأنصارىّ :**

وقد صاحب الشنقيطى على مدار سبعة عشر عامًا ، منها عامان فى دار العلوم والحرم النبوى الشريف عامىْ (٦٩ / ١٣٧٠ هـ = ٤٩ / ١٩٥٠ م) ثم سبعة أعوام فى الرياض تدريسًا فى معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ومجاورًا له فى السكن من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) حتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) وهو العام الذى افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؛ حيث انتقل إليها الشنقيطى منذ البداية ، ثم لحق به الشيخ الأنصارىّ من عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) مدرسًا معه فى نفس الجامعة على مدار ثمانية أعوام حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ= ١٩٧٤ م)[١] .

والشيخ الأنصارىّ كان من أبرز علماء الحديث فى الجامعة الإسلامية خاصة ، ولا يزال كذلك بالمدينة المنورة عامة ، كما أن مكتبته الخاصة لا تزال عامرة بأنفس المخطوطات وأندرها ، فضلاً عن آلاف التصانيف التى تند عن الحصر فى مختلف فروع العلم وفنونه ، والمكتبة مفتوحة أمام طلاب الشيخ خاصة ، وغيرهم من طلاب عامة من شتى أنحاء العالم ، ولكن حسب توجيهات الشيخ وإرشاداته .

* * *

وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء كثيرون غيرهم من أمثال : عبد العزيز آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوى الشريف ، وعبد اللطيف آل الشيخ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب مدير معاهد وكليات المملكة ، وعبد الله الزاحم رئيس القضاء الشرعى بمنطقة المدينة المنورة ، وأخيرًا محمد بن إبراهيم آل الشيخ الحفيد الثانى للشيخ محمد بن عبد الوهّاب مفتى الديار السعودية آنذاك .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٢٧ .

المبحث الثانى

معاصروه

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : الملوك .

٢ - المطلب الثانى : الأمراء .

٣ - المطلب الثالث : الأدباء .

ونعنى بهم معاصريه من غير أقرانه من العلماء السالف ذكرهم ، ويشملون هنا كلاً من الملوك والأمراء والأدباء الذين اقتربوا من الشنقيطى وقـربُّوه إليهم ؛ فأنزلوه منزلته ، وعرفوا له قدره ؛ وبهذا يخرج كلُّ مَنْ عاصره مِنْ غير الأصناف المشار إليها هنا ، سواء من تلامذته أو غيرهم مِمَّنْ صحـبوه فى حلِّه وترحاله عامة ، ورحلاته العلمية والعلاجـية خاصة ، فإن هؤلاء وأولئك يندون عن العَدِّ والإحصاء ، ويستعصون على الحصر والاستقصاء ، وهذا ما لا يقصد إليه البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فإننا نستطيع ذكر معاصريه الذين قصدناهم بحسب ترتيبهم الزمنى من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
الملـــــــوك

وقـد عاصـره منهم أربعـة ملوك راحلين ، عـرفوا لـه قدره ، ولجـأوا إلى مشـورته ، وأعملوا رأيه ألا وهم :

١ - الملك عبد العزيز[(١)] :

وهـو عبد العـزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود الذى تولى الحكم فى البلاد عام (١٣١٩ هـ= ١٩٠١ م) والمتـوفى بمدينة الرياض فى حياة الشنقـيطى عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م)[(٢)] .

---

(١) وهو غير جـده الملك عبد العزيز الذى فتح الرياض عام (١١٨٧ هـ= ١٧٧٣ م) بعـد أن أخرج منها (دهام بن دواس) الذى فَرَّ هاربًا ، ثم كان أن قضى الملك عبد العزيز نحبه وهو ساجد على أثر طعنة جنجر نافذة بيـد رجل من الشيعة العراقـية كان متنكرًا فى صورة درويش ، حـتى إذا قربه الملك إليه وأكرمه ؛ فعل فعلته وكان عندئذ ما كان فى رجب الحرام من عام (١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م) .

وقد جاء هذا انتقامًا من الملك عبد العزيز الذى كـان قد أمـر ابنه وولى عهـده الأمير سعود بغزو العراق عام (١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م) حيث هدم قبة قبر الحسين ﷺ فى كربلاء بعد أن أنزل بشيعتها خسائرها هائلة .

راجع تفصيل ذلك فى :

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لأحمد بن حجر آل أبو طامى قاضى المحكمة الشرعية بقطر ص ٢٧ - الطبعـة ١ - طبع وتوزيـع وإهداء الجامـعة الإسـلاميـة - المدينـة المنورة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :

- أطـلس العالــم الإسلامى: جمــع وإعـداد مجموعة من المتـخصصين جغرافيًا وتربويًا بإشراف: دة . دولت أحمد صادق أستاذة الجغرافيـا البشرية ص (ب) من المقدمة - الطبعة ١ - دار البيان العربى - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وكان الشنقيطى قد رغب فى جوار رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة قائلاً : ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله فى مسجد رسول الله ﷺ وقد تم له ما أراد بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله بداية من عام (١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م) وليستمر الدرس قرابة ربع قرن من الزمان حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

كما كان الشنقيطى أول مَنْ ساهم فى تأسيس وإنشاء النهضة العلمية الحديثة بالرياض بناءً على رغبة وتكليف الملك عبد العزيز له بذلك ، وقد بلغ تقدير الملك عبد العزيز للشنقيطى أن منحه الجنسية ، بل وأكثر من ذلك عندما منحه أمراً ملكيًا خاصًا يمنح بمقتضاه تلك الجنسية لكل مَنْ ينتمى إليه ، بل وجميع مَنْ فى كفالته ؛ وذلك ثقةً به ، وإكرامًا له[1] .

٢ - الملك سعود :

وهو سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود والذى تولى حكم البلاد عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م) عقب وفاة أبيه ، وحتى تنازله عن العرش لأخيه الملك فيصل عام (١٣٨٤ هـ= ١٩٦٤ م)[2] .

وقد واصل الملك سعود نهج أبيه الملك عبد العزيز فى إكرام الشنقيطى وتقديره ، بل وإعمال رأيه ، والنزول على رغبته ؛ إلى الحد الذى قَبِلَ معه التنازل عن عرش البلاد لأخيه الملك فيصل نزولاً على رغبة كبار علماء البلاد الذين أنابوا الشنقيطى ليبلغ عنهم تلك الرغبة للملك سعود ؛ فكان لحكمة الشنقيطى وقوة حجته ، فضلاً عن علو قدره ومكانته ؛ أبلغ الأثر وأعظمه فى استجابة الملك سعود لذلك ؛ إيثاراً منه لمصلحة البلاد ، وحفاظًا على مقدسات المسلمين[3] .

٣ - الملك فيصل :

وهو فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود والذى تولى

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كل من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٧ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جميع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :
- أطلس العالم الإسلامى : إشراف دة . دولت أحمد صادق ص (ج) من المقدمة .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .

حكم البلاد بعد تنازل أخيه الملك سعود له عن العرش عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)[١] .

وقد ظل ملكا على البلاد منذ ذلك التاريخ وحتى نالت منه يَدٌ آثمة غادرة لشاب غير مسئول من الأسرة المالكة ؛ وليقضى بذلك نحبة على الفور عام (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م) ولتفقد أمتنا الإسلامية برحيله واحدًا من خيرة أبنائها العظام ، وأبرز حكامها الأعلام[٢] .

وأما تقدير الملك فيصل للشنقيطى فلم يكن أقل شأنًا عن والده الملك عبد العزيز وأخيه الملك سعود ؛ بل ظل للشنقيطى فى عهد الملك فيصل ما له من المكانة والتقدير فى شتى المحافل العلمية عامة ، وفى كل من رابطة العالم الإسلامى والحج بمكة المكرمة ، وكذا بالجامعة الإسلامية والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة خاصة .

ثم توج الملك فيصل تقديره للشنقيطى بأن كلفه برئاسة لجنة من كبار العلماء للإشراف على إصدار طبعة معتمدة من المصحف الشريف بالمدينة المنورة برواية وَرْش عن نافع من طريق أبى يعقوب الأزرق ، وذلك قبل رحيل الشنقيطى بعام واحد وقبل رحيل الملك فيصل بثلاثة أعوام .

وإلى هذا يشير آخر هذه الطبعة بما نصه : بأمر من صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود أطال الله عمره ، أُلِّفَتْ لجنة من كبار علماء المسلمين فى المدينة المنورة برئاسة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى، وضبطت هذه النسخة على قراءة وَرْش عن نافع ، من طريق يوسف أبى يعقوب الأزرق عن وَرْش عن نافع ، وهو أصح الحروف وأثبتها فى قراءة وَرْش عن نافع .

وكان لصاحب الجلالة الملك فيصل الفضل فى إظهار هذه الطبعة المصححة من جميع وجوهها ، سواء من ناحية ضبط القراءة أو ضبط الخطوط ، إلى حيز الوجود ، وذلك فى المدينة المنورة فى تاريخ الثامنَ عشرَ من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية ، حيث أشرف على تصحيح هذه النسخة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى وصحح ما فيها من الخطأ ، ثم توقيع الشنقيطى بخط يده : (محمد الأمين) وبعده الناشرون : دار الكتاب اللبنانى[٣] .

---

(١) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :

- أطلس العالم الإسلامى : إشراف د. دولت أحمد صادق ص (د) من المقدمة .

(٢) كما طالعتنا بذلك فى حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية فى مصر وخارجها .

(٣) انظر فى ذلك الصفحات الداخلية الأخيرة من :

- المصحف الشريف برواية وَرْش عن نافع : الطبعة ١ - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٤ - الملك محمد الخامس :

وهو جَدُّ الملك الحالى محمد السادس الذى اعتلى عرش المملكة المغربية عقب وفاة والده الملك الحسن الثانى فى غضون عام (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م)[(١)] .

وقد عرف الملك محمد الخامس للشنقيطى قدره ومنزلته ؛ حيث تجلى ذلك واضحًا عندما زار الرياض ، ثم استأذن آنذاك فى صحبة الشنقيطى إلى المدينة المنورة ؛ ومن ثم فقد صحبه الشنقيطى تقديراً وإكرامًا ، بل وألقى بحضرة الملك محاضرة قيمة بالحرم النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وقد جاءت هذه المحاضرة بعنوان قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ الآية[(٢)] .

المطلب الثانى
الأمـــــراء

وقد عاصره ثلاثة منهم كلهم عرفوا له قدره وعلمه ؛ فأكرموا وفادته وأحسنوا معاملته منذ بداية مقدمه إلى المملكة لأداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى وفاته ، وهؤلاء الأمراء بترتيبهم الهجائى هم :

١ - الأمير تركى السّديرىّ :

وكان أمير منطقة(أَبْهَا) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطى مع أخيه الأمير خالد السديرى كما سيأتى ذكره الآن .

---

(١) كما طالعتنا بذلك فى حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية فى مصر وخارجها .

وانظر فى ترجمة الملك محمد الخامس :

- الجأش الربيط فى النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط : محمد الإمام ابن ماء العينين الشريف الإدريسى الشنجيطى ص (ب) - من المقدمة - الطبعة ١ - سلسلة (مكتبة صحراء المغرب) - الكتاب رقم (١) - مطبوعات دار العلم - رباط الفتح - المغرب - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

(٢) المائدة : ٣ - وراجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٤٦/١، ٥٥ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٨/١ .

٢ - الأمير خالد السّديرىّ :

وكان أمير منطقة (تبوك) آنذاك ، وقد التـقى به الشنقيطى مع أخيه الأمير تركى السالف ذكره ، وذلك أثـناء حجه الأول عـام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وقد كـان سبب ذلك اللـقاء مذاكـرة أدبية حول بيت شِـعْرٍ لجرير يهـجو فيـه الأخطل وقومه بنى تـغلب ، ولم يسعف الأميرين فى ذلك سوى الشنقيطى الذى وجداه ساحلاً لا بحر له .

وعن هذا اللقاء يحـدثنا الشنقيطىّ نفســه قائلاً : وفى يوم عرفـة بقرب مسجـد (نَمِرَة) مررنا مصادفة من غير قـصد على خيمة من خيام الحجيج فيها الأمـيران الساميان اللذان هما أخوان وهمـا : الأمير السـامى تركى أمير (أَبْـهَا) السديرىّ ، والأمـير السامى أخـوه خالد السّديرىّ أمير (تَبُوك) .

فجلسنا قـليلاً فـى ظل الضحى مـن خـيمتـهم ننتظر رفقـتنا ، فآوونا وأكرمــونا غاية الإكـرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا مـعهم مذاكرة أدبية ، وسألنا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير فى شعره :

هَلْ تتركنَّ إلى القسِّينَ هجْرَتَكُمْ ومَسْحَهُمْ صُلْبَهُــمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا

وعن إعراب (قربانا) فقلنا له : هذا البيت من قصـيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه ، ويعيرهم بدين النصرانية ، وذكرنا له القصيدة ومعنى البيت وإعراب الكلمة[١] .

٣ - الأمير عبد الله بن عبد الرحمن :

وهو شقيق الملك عبد العزيز السالف ذكره، وكان من أشد الناس حبًا وتقديراً للشنقيطى ؛ إلى الحد الذى جعله الشيخ عطية من أحق الناس تعزية فى شخص شيخه الشنقيطى[٢] .

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - الطبـعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

والبيت المذكور من قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتهـا اثنين وسبعين بيتًا ، وقد ذكرها الشنقيطى من حفظه على الفور بَدْءً بمطلعها الذى يقول فيه جرير :

بَـانَ الخليـطُ ولو طُوِّعـتُ مَا بَانَا وقَطَّعُوا مـِـنْ حبال الوَصْـلِ أَقْرَانَا
حَـيِّ المنــازلَ إذْ لا نبتغـى بَـدَلا بالـدارِ دَاراً ولا الجَـيرانِ جِـيرَانَا

إلى أن يختمها بقوله :

هَـلْ تَتْرُكُـنَّ إلى القسِّينَ هجْرَتَكُمْ ومَسْحَهُـمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَـنَ قُـرْبَانَا
لَنْ تدركوا المجدَ أو تشَروا عباءَتَكُمْ بالخَزِّ أو تجعـلوا التَّنُّومَ ضَمْــرَانَا

(٢) حِلْية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد (وكيل وزارة العدل السعودية) - ص ١٢ - الطبعة ٢ - دار الحـرية للطبع والنـشر والتـوزيع - الرياض - المملكة العـربيـة السعـودية - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

ومما يذكر أن الأمير عبد الله قد أهدى الشنقيطى بيتًا فى الطائف ، كما أذن للبنك الأهلى بالمدينة المنورة أن يعطيه ما يطلب من المال ، غير أن الشنقيطى رَدَّ هذا وذاك ، ولم يقبل شيئًا منهما ؛ وذلك لما عُرِفَ عنه من زهده فى الدنيا ، وعدم حاجته إليها[1] .

المطلب الثالث

الأدبَـــــــاء

ونكتفى منهم بذكر أبرزهم من حيث شدة قربه من الشنقيطى ، وطول ملازمته له ، ألا وهو :

• الأديبُ العَبُّودِىّ :

وهو الأديب الأريب محمد ناصر العبودى الذى كان يشغل منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك ؛ ولطول صحبته للشنقيطى ، وكثرة اجتماعهما معًا ؛ نراه يستعيد ذكرى تلك الجلسات العديدة التى كانت تضمهما فى مجلس الجامعة قائلاً :

وكُنَّا كنُدْمَانَــىْ جذيمـــة حقبــةً ... منَ الدهـرِ ؛ حتى قيـل لن يَتَصَـدَّعَا

فلمـــا تفرقنـا ؛ كأنــى ومالــكًا ... لطـول اجتمـاعٍ لـم نَبِتْ ليلةً مَعَا[2]

* * *

وهكذا يجتمع أقران الشنقيطى وأنداده مِمَّنْ يماثلونه فى العلم والفضل ، مع معاصريه من الملوك والأمراء والأدباء ممن اقتربوا منه وتعاملوا معه ؛ حيث يجتمع هؤلاء وأولئك من راحلين وباقين فضلاً عن غيرهم ، فى إنزال الشنقيطى منزلته ، وقدرهم إياه حَقَّ قدره ؛ ولا غرو ؛ فتلكم مكانة العلماء العاملين ، وذلكم تقدير الأمة لهم ، على مَرِّ العصور ، وتعاقب الدهور .

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٨ .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٢ .

الفصل الثالث

تلامذته

من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : تلامذته من أقرانه .

٢ - المبحث الثانى : تلامذته من الشناقطة .

٣ - المبحث الثالث : تلامذته من غير الشناقطة .

جلس الشنقيطى لتدريس فنون العلم وفروعه المختلفة قرابة أربعين عامًا ، منها حوالى ثمانية أعوام فى بلاده شنقيط منذ أن أتم مرحلة الطلب فى الثلاثين من عمره تقريبًا ، وحتى خروجه من بلاده لحجة الإسلام وهو ابن ثمانية وثلاثين عامًا فى أول رحلة له إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وعقب فراغه من الحج استقر به المقام ببلاد الحجاز ، حيث أخذ فى مواصلة عطائه على مدار ثمانية وعشرين عامًا بدأها بالتدريس فى كل من دار العلوم والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ؛ ثم فى المعهد العلمى وكليتىْ الشريعة واللغة بالرياض ، ثم مرة أخرى فى كل من الجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، حيث ظل يدرس بهما حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م).

ومن ثم ؛ فقد تتلمذ عليه خلق كثيرون ، نهلوا من علمه ، وعَبُّوا من مَعِينه ، سواء فى بلاده التى كان يمثل فيها مدرسة متنقلة ، بل جامعة سيارة لما لا يعد ولا يحصى من طلابه النابهين فى سائر العلوم ، وشتى الفنون ، بالإضافة إلى تخريجه خمسَ عشرةَ دفعة من طلاب دار العلوم بالمدينة المنورة ، والمعهد العلمى وكليتىْ الشريعة واللغة بالرياض ، وكذا تخريجه ثلاثَ عشرةَ دفعة من طلاب الجامعة الإسلامية وحدها بالمدينة المنورة .

فضلاً عن تلامذته الذين درسوا عليه فى غير المدارس النظامية سواء فى بيته من خاصة طلابه بالرياض والمدينة المنورة ، أو من غيرهم فى الحرم النبوى الشريف من زائرىْ رسول الله ﷺ أثناء العمرة والحج ، أو من المقيمين فى المدينة المنورة مِنْ مجاورىْ رسول الله ﷺ .

وقد بلغ من حب الشنقيطى للتعليم والتدريس أن آثرهما على التفرغ للتأليف والتصنيف ، وهذا ما يشير إليه عبد الرحمن السديس بقوله : عرض الشيخ عطية وفقه الله على شيخه الشنقيطى رحمه الله التفرغ للتأليف وترك التدريس بالجامعة الإسلامية ؛ فأجابه الشيخ قائلاً : (إن هؤلاء التلاميذ فيران قمرة ، يأخذون العلم منا ، ثم ينشرونه فى الآفاق) فقد شبههم بالفئران فى الليلة المقمرة ؛ حيث يتجهون إلى نواحٍ كثيرة ، وأماكن متعددة .

وهذا من بعد نظره رحمه الله ؛ فقد كانت الجامعة الإسلامية تضم طلابًا من جميع دول العالم الإسلامى وغير الإسلامى ، أخذوا العلم وانتشروا فى سائر بلاد المعمورة ،

حتى إن الشيخ عطية يحدثنى أنه لقى عددًا غير قليل منهم فى بعض دول جنوب شرق آسيا[1] .

وبهذا تتضح لنا تلك الكثرة الهائلة ، وذلك العدد الضخم، من طلاب العلم وباحثيه ، مِمَّنْ تتلمذوا على الشنقيطى ، وأخذوا عنه ؛ بما لا يحصيهم قلم مستوعب ، ولا يجمعهم كِتاب حافظ ؛ لذا فسوف نكتفى إزاءهم بذكر أشهرهم تنبيهًا بهم على غيرهم ، بَدْءً بتلامذته من أقرانه ، ثم تلامذته من الشناقطة ، وأخيرًا تلامذته من غير الشناقطة ، وذلك من خلال المباحث الثلاث التالية :

(١) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .

المبحث الأول

تلامذته من أقرانه

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - **المطلب الأول** : الشيخ حمّاد الأنصاري .

٢ - **المطلب الثاني** : الشيخ عبد العزيز بن باز .

٣ - **المطلب الثالث** : الشيخ عبد العزيز آل صالح .

٤ - **المطلب الرابع** : الشيخ عبد الله الزاحم .

٥ - **المطلب الخامس** : الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

وكلهم من جِلَّةِ العلماء وأكابرهم ؛ ومع ذلك فقد أخذوا عن الشنقيطى ودرسوا عليه جملة من العلوم الرئيسة ، والتى تمثلت فى كل من : (التفسير - الأصول - اللغة - المنطق - آداب البحث والمناظرة) وذلك لما لمسوه من تضلعه وعلو كعبه فى تلك العلوم وغيرها التى قلما تجتمع لغيره ؛ ومن ثم لم يمنعهم ما عُرِفَ عنهم من علم وفضل من أن يحرصوا أشد الحرص على ملازمة الشنقيطى والاستفادة منه ، على الرغم من كونهم جميعًا أقرانه وأنداده فى شرف حمل العلم ، وأمانه تدريسه لطلابه وباحثيه على السواء .

ونكتفى منهم بذكر أبرزهم مِمَّنْ تتلمذوا عليه بحسب ترتيبهم الهجائى من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
الشيخ حمّاد الأنصارى

حيث التقى بالشنقيطى قبيل الحج عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) بمكة المكرمة ، ثم بعد الحج بالمدينة المنورة حيث لازم درسه فى التفسير فى دار العلوم والحرم النبوى الشريف عامى (٦٩/ ١٣٧٠ هـ = ٥٠/ ١٩٥١ م) ثم جاوره فى الرياض من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م) إلى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث نُقِلَ إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد لحق به الشيخ حمّاد الأنصارى عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) وظل ملازمًا له فيها وفى الحرم النبوى الشريف حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)(١) .

ومما أخذه الشيخ حماد على الشنقيطى علما التفسير والمنطق ، وهو إذ ذاك أستاذ يُدَرِّسُ معه للطلاب ، وفى ذات الوقت تلميذ له ، يتلقى عنه ، ويأخذ عليه .

المطلب الثانى
الشيخ عبد العزيز بن باز

حيث أخذ على الشنقيطى (شرح سُلَّم الأخضرى) فى فن المنطق ، كما كان يحضر له حلقة التفسير فى الحرم النبوى الشريف على مدار خمسة أعوام من عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) وحتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) والشيخ ابن باز إذ ذاك من

(١) راجع تفصيل ذلك فى :
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ .

أكابر العلماء وأبرزهم ، كما كان نائبًا لرئيس الجامعة الرسلامية ، ثم رئيسًا لها بالمدينة المنورة[1] .

المطلب الثالث
الشيخ عبد العزيز آل صالح

حيث كان إمام الحرم النبوى الشريف، ورئيس محاكم المدينة المنورة، وأحد العَالِمَيْن اللذين أوصى الأمير خالد السديرى أمير (تبوك) آنذاك بضرورة لقاء الشنقيطى بهما فى المدينة المنورة .

ومما درسه الشيخ آل صالح على الشنقيطى علما الصرف والبيان ، فضلاً عن شدة قربه منه وملازمته له فى كل من : معهد القضاء العالى بالرياض على مدار سبع سنوات دراسية كاملة منذ افتتاحه عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) ، وفى هيئة كبار العلماء بالرياض على مدار اثنين وعشرين عامًا منذ تشكيلها عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) فضلاً عن ملازمته له بالمدينة المنورة حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)[2] .

المطلب الرابع
الشيخ عبد الله الزاحم

وكان إمام الحرم النبوى الشريف ، ورئيس محاكم المدينة المنورة ، والعالم الثانى الذى أوصى الأمير خالد السديرى بضرورة لقاء الشنقيطى به مع صاحبه الأول الشيخ عبد العزيز آل صالح[3] .

وقد شارك الشيخ الزاحم صاحبه الشيخ ابن صالح فى دراستهما على الشنقيطى ، فضلاً عن كونهما أقرب الناس إليه ، وأكثرهم مجالسة معه ، وأدومهم ملازمة له[4] وهما إذ ذاك من أكابر العلماء وجلتهم ، بالإضافة إلى توليهما قضاء المدينة المنورة ، فضلاً عن إمامتهما فى الحرم النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وفى هذا من الفضل ما فيه ، مما لا يدانيه غيره ، ولا يرقى إليه سواه .

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٦ - ٥١ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٦ - ٣٧ (من المقدمة بتصرف) .

(٤) وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الله الشنقيطى فى محاضرته المسجلة عن والده بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

المطلب الخامس

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

حيث كان أحد الأعضاء البارزين فى (هيئة كبارالعلماء) فى المملكة العربية السعودية ، إلى جوار عـمله كأستاذ بكليـة الشريعة بجامـعة الإمام محـمد بـن سـعود الإسلامـية فـرع القصيم .

ومما درسـه على الشنقـيطى علم الأصـول ، وعلم المنطق ، فـضلاً عن آداب البـحث والمناظرة ، وذلك فى كل من المعهـد العلمى وكلية الشريعة أثناء تدريس الشنقـيطى بهما فى الرياض ، وذلك من عـــام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م) وحـتى عـام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذى انتـقل فيـه الشنقيطى للتـدريس بالجـامعـة الإسلامـية بالمدينة المنورة منذ الـيوم الأول لافتتاحها من ذلك العام[١] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المبحث الثاني

تلامذته من الشناقطة

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

١ - المطلب الأول : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي .

٢ - المطلب الثاني : أحمد بن الطالب الأمين الجكني الشنقيطي .

٣ - المطلب الثالث : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكني الشنقيطي .

٤ - المطلب الرابع : بقية تلامذته من الشناقطة .

ما إن وصل الشنقيطى بلاد الحجاز عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) واستقر بها ؛ حتى بدأ طلاب العلم الشناقطة فى التوافد عليه ، وبعضهم كان قد سبقه إلى البلاد ، فى حين جاء معه البعض الآخر أو لحق به فيما بعد .

غير أنه قد تزايد عددهم بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كان الهدف من إنشائها تعليم أبناء المسلمين ، بصرف النظر عن جنسياتهم وأقطارهم ، وكان من حسن حظهم أنهم وجدوا الشيخ الأمين رحمه الله مدرسًا بهذه الجامعة ؛ فلازموا دروسه فى الجامعة ، بل وخارجها أيضًا .

ويحدثنا الشيخ الحسين بن عبد الرحمن أبرز الطلاب الشناقطة القدامى الذين درسوا على الشنقيطى ولازموه منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) عن سلوك شيخه مع طلابه قائلاً : إن شيخنا محمد الأمين رحمه الله كان يُسْكِنُنا فى حجرات بيته ، وينفق علينا من ماله الخاص ، فضلاً عما يقوم به من تعليم وتربية ، وقد ظللنا كذلك حتى تخرجنا مع مَنْ تخرج من طلاب الأقطار الإسلامية الأخرى[١] .

وفيما يلى نُعَرِّفُ ببعض منهم تنبيهًا بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائى من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى[٢]

ولد فى شنقيط عام (١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥م) ثم رحل فيما بعد إلى الحجاز ليأخذ العلم على الشنقيطى الذى أجازه فى كل من التفسير والأصول واللغة العربية .

عمل مدرسًا فى الحرم المكى ثم أحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) فرجع إلى بلاده ليستقر بها ؛ حيث يعد أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين هناك ، بل وأكثرهم نشاطًا ، وأشدهم إنكارًا للبدع ، ولا سيما بدع مَنْ يَدَّعُون التصوف وينتسبون إليه .

ومن آثاره العلمية : (إكمال تحفة الألباب شرح الأنساب - ومواهب الجليل على مختصر خليل - وإعداد المنهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .

---

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٢، ٤١٣ .

(٢) انظر تفصيل ترجمته فى :

- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٥ .

المطلب الثانى

أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطى

وعنه يتحدث شيخه الشنقيطى فى معرض استضافة تلميذه له أثناء رحلته إلى الحج فيقول : فنزلنا عند تاجر منا ، طيب الشمائل والأخلاق ، اسمه : أحمد بن الطالب الأمين ، وهو من أخص إخوانى وتلامذتى ؛ فبالغ فى إكرامنا ، وأهدى لنا ثيابًا ، ودفع عنا أجرة السيارة إلى بلد (مبتى) التى بادرنا السفر إليها ، وقد ركب معنا أخونا أحمد المذكور فى السيارة(١) .

المطلب الثالث

أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى(٢)

ولد فى شنقيط أول العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى وكان أبوه إذ ذاك رئيس قبيلته ورئيس المحاكم الشرعية ، ولما توفى أبوه بعد المرحلة الابتدائية أخذ يطلب العلم بهمة عالية ، حتى إذا أتم دراسته ؛ سافر آنذاك لأداء فريضة الحج عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) .

وهناك لازم شيخه وابن عمه الشنقيطىَّ وصار من أخص تلامذته ، بل ومن أكثرهم

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٩٠ .
والمقصود هنا بقوله : (منا) أى من نفس قبيلة الشنقيطى (بنى جاكان) فهو جكنى مثله ، غير أن أحمد بن الطالب الأمين كان إلى جوار طلبه العلم يعمل بالتجارة فى بلدة تسمى (بمكو أوبماكو) بجمهورية (مالى) حيث نزل عليه شيخه الشنقيطى ومَنْ معه آنذاك ، ولا تبعد تلك البلدة كثيرًا عن بلدة (مبتى) التى سافر إليها الشنقيطى مع صَحْبِه يرافقهم تلميذه المذكور داخل حدود الجمهورية نفسها .
ولمزيد من التعريف بـ (بمكو) و (مبتى) بجمهورية (مالى) انظر :
- الأطلس العربى : ص ٤٧ (خريطة إفريقيا السياسية) - ط ٥ - طبع ورسم إدارة المساحة العسكرية - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

(٢) انظر تفصيل ترجمته فى كل من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ .
- نثر الورود على مراقى السعود : الشنقيطىّ - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١/ ٢٣ - نشر : محمد محمود محمد الخُضْر القاضى - ط ١ - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

انتفاعًا بعلمه ؛ حتى إنه طلب من شيخه أن يمليه شرحًا على (مراقى السُّعود لمبتغى الرُّقِىّ والصُّعود) فى أصول المالكية ، وقد أجابه الشنقيطى إلى طلبه بما يسمى (نثر الورود على مراقى السعود) غير أنه ترك ما يقرب من خُمُسِ الكتاب لم يشرحه ؛ لضيق وقته ، وكثرة مشاغله .

وقد ظل أحمد بن محمد الأمين يعمل مدرسًا بالحرم المكى إلى أن أحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) **ومن آثاره العلمية** : (مواهب الجليل من أدلة خليل فى أربعة مجلدات - تحقيق وتكملة عمود النسب فى أنساب العرب فى ثلاثة مجلدات - اختصار زهر الأفنان على حديقة ابن الونان فى الأدب - نظم فى علم البلاغة فى ثمانمائة بيت - شرح لمنظومة عمته أم الخيرات فى معجزات النبى ﷺ - نظم له فى أمهات النبى ﷺ - شرح على لامية الأفعال - وأخيرًا تهذيب لشرح محمد الأمين بن أحمد زيدان على المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .

المطلب الرابع
بقية تلامذته من الشناقطة

أما بقية تلامذته من الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذى لا يفى به إلا سِفْر ضخم ، وهو ما لا يقصد إليه البحث ، وليس بموضعه ، وفيما يلى قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائى ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالى :

١ - إبراهيم بن عثمان .
٢ - د. بابا بن بابا بن آدُّه الجكنى .
٣ - التلميذ بن محمود .
٤ - الحسين بن عبد الرحمن .
٥ - د. سيد محمد ساداتى .
٦ - مأمون محمد أحمد بن أمينوه .
٧ - محفوظ بن سيدات .
٨ - محمد أحمد دادح بن الشيخ .
٩ - محمد أحيد بن عمر .
١٠ - محمد الأمين بن الحسين .
١١ - د. محمد الخضر بن الناجى بن ضيف الله الجكنى .
١٢ - د. محمد ولد سيدى ولد حبيب (ابن عم شيخه الشنقيطى) .
١٣ - محمد عبد الله بن أحمد مزيد .
١٤ - د. محمد عبد الله بن الصديق .
١٥ - د. محمد عبد الله بن عمر .
١٦ - د. محمد بن عمر بن حوية الجكنى .

١٧ - د. محمد بن ماديك .

١٨ - د. محمد بن محمد المختار الجكنى .

١٩ - د. محمد المختار بن سيدى محمد .

٢٠ - د. محمد يعقوب بن طالب عبيدى .

٢١ - د. محمود محمد الأمين باب .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُفُون بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء فى بلادهم شنقيط بعد رجوعهم إليها ، أو فى بلاد الحجاز حيث لا زال أكثرهم يُدَرِّسُ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عمل بعضهم بالقضاء الشرعى والإفتاء بدولة الإمارات العربية المتحدة خاصة ، وغيرها من حواضر الإسلام ، ودياره العامرة عامة[١] .

---

(١) راجع تفصيل تراجمهم فى كل من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .
- نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد الحبيب ١/١٧ - ٢٢ .

المبحث الثالث

تلامذته من غير الشناقطة

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

١ - المطلب الأول : الدكتور بكر أبي زيد .

٢ - المطلب الثاني : الشيخ عطية محمد سالم .

٣ - المطلب الثالث : الشيخ محمد المجذوب .

٤ - المطلب الرابع : بقية تلامذته من غير الشناقطة .

وهم كأسلافهم من تلامذته من الشناقطة ، من حيث الكثرة والتعدد ، وكذا العلم والفضل ، وفيما يلى نُعَرِّف أيضًا ببعض منهم تنبيهًا بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائى من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول
الدكتور بكر أبى زيد

وهو بكر بن عبد الله أبى زيد وكيل وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ، وأخص تلامذة الشنقيطى من أهل الحجاز ، وأكثرهم ملازمة له على مدار عشرة أعوام كاملة ، كما لم يتخلف يومًا واحدًا عن حلقة تفسير شيخه للقرآن الكريم أثناء شهر رمضان المعظم من كل عام فى الحرم النبوى الشريف.

ومن العلوم التى حصلها عليه الأصول وآداب البحث والمناظرة من خلال دروس شيخه الخاصة فى المسجد والمنزل ، أما علم الأنساب فهذا ما تفرد بتحصيله الدكتور بكر دون سائر تلامذة شيخه من خلال كتابىْ ابن عبد البر المعروفين بـ : (القصد والأَمَم ، فى معرفة أنساب العرب والعَجَم، وأول مَنْ تكلم بالعربية مِنَ الأُمَم) و (الإنباه على قبائل الرواة) حيث قَيَّدَ على ذلك بعض التحريرات والتعليقات، من نكات شيخه وضوابطه العلمية .

وإلى هذا التفرد يشير الشنقيطى نفسه فى خطابه إلى تلميذه بكر قائلاً: ما أخذ عنى علم الأنساب فى هذه البلاد غيرك[(١)] .

ويحدثنا الدكتور عبد الله عن تلمذة الدكتور بكر على والده الشنقيطى قائلاً : ومن أكثر مَنْ لازم الشيخ من طلابه بكر أبى زيد صاحب التصانيف الكثيرة ، ولم يأخذ على الشيخ فى هذا البلد من علم النسب غيره ، وقد كان بكر يقرأ كثيرًا ثم يأتى إلى الشيخ يصحح عليه ويستفيد منه ؛ حتى أنه كان يجلس مرة فى آخر الحرم النبوى الشريف وكنت معه آنذاك صغيرًا ، وقد قال له الشيخ وقتها كلامًا فى حديث : «الطلاق مرتان» ثم قال : البخارى هو الذى فهمَ الحديث ، أما أنا والحافظ ابن حجر فلسنا فاهِمَيْنِ للحديث !!

فذهبت إلى بكر أبى زيد وقلت له : ماذا كان يقول لك الشيخ من أنه هو والحافظ ابن حجر لم يفهما الحديث ، والذى فهمه تمامًا هو البخارى ؟! فقال بكر : نعم أتذكر ، ولكننى نسيت !! فبحثنا معًا عن شيء يكون مسجلاً بهذا الصدد عند أحد من طلاب الشيخ

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ - ويقصد بقوله : (هذه البلاد) أى بلاد الحجاز عامة ، والمدينة المنورة خاصة .

هنا أو هناك ؛ لكن مع الأسف لم نجد شيئًا من هذا ؛ لذا كان بكـر أبى زيد كثير الاستفادة من الشيخ[1] .

ومن ثم ؛ فقد دَلَّ هذا البحث من الدكتور بكر مع ابن شيخه على حرصه على تسجيل كل ما يسمعه من شيخه ؛ بحيث لا يفوته منه شيء ، حتى ولو كان يسيرًا أو عابرًا ؛ فإنه بالنسبة إليه يعنى الشيء الكثير .

ومن آثاره العلمية : (كتـاب حِلْيَة طالب العلم) الذى ذكر فيه خبـر لقائه وتلمذته على شيخه الشنقيطى[2] .

المطلب الثانى

الشيخ عطية محمد سالم[3]

هو عطية محـمد سالم عطية سـالم الذى كان يعمل قاضـيًا بالمحكمة الشرعـية الكبرى بالمدينة المنورة ثم قاضيًا للتمييز بها ، كما ظل يُدَرِّس بالحرم النبوى الشريف حتى قبيل وفاته يوم الاثنين (٦ - ٤ - ١٤٢٠ هـ) الموافق (١٩ - ٧ - ١٩٩٩ م) .

ولد الشيخ عطيـة بقرية (المَهْدِيَّة) من أعمـال (الشرقية) إحـدى محافظة الوجه الـبحرى بمصر عـام (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م) غير أنه هـاجر إلى المملكة العربيـة السعـودية فى ريعان الشباب ليبـدأ هناك على الفور مرحلة التحصيل والطلب ، والتى يمكننا تقسـيمها إلى ثلاث مراحل دراسية متعاقبة هى :

١ - الدراسة الخاصَّة :

حيث الحلقات العلمية المختلفة فى الحـرم النبوى الشريف ، والتى تكاد تتوارى من حياة

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك :

- حِلْيَـة طالب العلم : د. بكر بن عبـد الله أبى زيد (وكيل وزارة العـدل بالسعـودية) ص ١٢ - الطبعة ٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

(٣) راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- علمـاء ومفكرون عرفـتهم : مـحمـد المجذوب ٢/ (٢٠١ - ٢٢٦) - الطبعـة ٣ - (طبع دار النفائس ببيروت لبنان) - (نشر دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
- مجلة التوحـيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جـماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

المسلمين اليوم ، إلا فى بعض حواضر الإسلام كحلقات الأزهر الشريف بمصر ، والقائمة على مدار ألف عام ولا تزال حتى اليوم .

٢ - الدراسة النظاميَّة :

حيث معاهد ودور العلم الحكومية ؛ بقصد نيل المؤهلات العلمية المختلفة ، والتى بدأها الشيخ عطية بالثانية الثانوية بالمعهد العلمى بالرياض عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ومنه إلى كليتى الشريعة واللغة اللتين تخرج فيهما بعد ذلك .

٣ - الدراسة الجامعة :

وهى تلك التى أخذها على شيخه الشنقيطى ، وتميزت آنذاك بأنها جمعت الدراستين السابقتين الخاصة والنظامية معًا ؛ ومن ثم طاب لنا وصفها بـ : (الدراسة الجامعة) .

ونترك الحديث للشيخ عطية ليصف لنا هذه الدراسة على شيخه قائلاً : بَيْدَ أن الدراسة التى جمعت بين الخاصة والنظامية ، وامتازت على سائر الدراسات المختلفة فهى ملازمتى فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطى على مدى اثنين وعشرين عامًا ، لا أكاد أفارقه فى حِلٍّ ولا ترحال ؛ حتى رحلاته إلى الحج ، ورحلته إلى دول إفريقيا .

وكانت تلك الملازمة فرصة العمر للتحصيل ؛ إذ كنت أستفيد منه بيان ما أُشْكِلَ علىّ من المقررات النظامية ، وأتوسع فى مدارسة سواها ، ومن الدروس التى حضرتها عليه : التفسير وأصوله ، وأصول الفقه والبلاغة ، وأدب البحث والمناظرة ، والفرائض ، ومقدمات فى المنطق ، وبخاصة مبحث التصور والتصديق .

وأهم من هذا كله : الجانب المسلكى من حياته الفاضلة ، فإنى وإنْ لم أستطع مجاراته ؛ فإنى لم أُحْرَم الإفادة منه ، والحمد لله[1] .

وأما عن آثار الشيخ عطية العلمية فهى من الكثرة والتنوع بحيث تكفى الإشارة إليها على النحو التالى :

أ - آثاره المطبوعة :

وتشمل مراجعاته وتعليقاته على مؤلفات شيخه الشنقيطى مثل : مراجعة تفسير (أضواء البيان) وعمل فهارسه الفنية المختلفة، وكذا مراجعة كل من : رسالة الناسخ والمنسوخ ، وكتاب دفع إيهام الاضطراب ، وجمع مذكرة أصول الفقه ، وأخيراً : تقديمه وتعليقه على كتاب (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ٢/٢٠٢ .

كما تشمل آثاره المطبوعة ما له من المؤلفات الخاصة مثل : ترجمته لشيخه ، و (تتمة تفسير أضواء البيان)[1] والرِّق : معاملته وحقوقه فى الإسلام ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى ، وأخيراً : سلسلة الرسائل المدنية التى وصلت إلى اثنى عشر كتابًا فى مختلف البحوث الفقهية والعلمية[2] .

ب - آثاره المسموعة :

وتشمل مجالسه القضائية والعلمية ، وحلقات تدريسه المنتظمة فى الحرم النبوى الشريف ، وكذا محاضراته ومؤتمراته العلمية التى يدعى إليها داخل المملكة وخارجها ، وأخيرًا : أحاديثه العديدة فى مختلف وسائل الإعلام السعودية والعربية .

جـ - آثاره الشعريَّة :

ومعظمها فى رثاء شيخه كما أسلفنا ذلك من خلال حديثنا عن وفاة الشنقيطى ورثائه وحسن خاتمته .

المطلب الثالث

الشيخ محمد المجذوب

حيث كان يعمل مدرسًا بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو صاحب كتاب : (علماء ومفكرون عرفتهم) والذى ترجم فيه لشيخه الشنقيطى ، حيث ذكر أنه صاحب شيخه تلميذًا وزميلاً بالجامعة الإسلامية على مدار أحدَ عشرَ عامًا منذ معرفته به عام (١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

(١) كما سيأتى ذكر ذلك مفصلاً من خلال تناولنا لتفسير (أضواء البيان) للشنقيطى ضمن الحديث عن آثاره العلمية فى موضعه من البحث .

(٢) وقد صدرت هذه السلسلة فى طبعتها الأولى عن مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة عام (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م) وجاءت تحت العناوين التالية :

التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام - مع الرسول ﷺ فى رمضان - تحريم نكاح المتعة لأبى الفتح المقدسى : تحقيق وتخريج - زكاة الحُلى على المذاهب الأربعة - تعريف عام بعموميات الإسلام - منهج الإسلام فى كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين - أصول الخطابة والإنشاء - معالم على طريق الهجرة - تعدد الزوجات وتحديد النسل - رمضانيات من الكتاب والسُّنة - آداب زيارة المسجد النبوى والسلام على رسول الله ﷺ - وأخيرًا : مع الرسول ﷺ فى حجة الوداع .

هذا فضلاً عن مواظبته على دروس شيخه فى التفسير بالحرم النبوى الشريف ، وكذا مجالسه العلمية لخاصة طلابه الذين كانوا يدرسون عليه بمنزله بالمدينة المنورة(١) .

وقد ظل الشيخ المجذوب يذكر شيخه الشنقيطى ويثنى عليه خيراً حتى قُبَيل وفاته يوم الاثنين (١ - ٣ - ١٤٢٠ هـ) الموافق (١٤ - ٦ - ١٩٩٩ م) بعد رحيل شيخه بقرابة سبعة وعشرين عامًا(٢) .

المطلب الرابع
بقية تلامذته من غير الشناقطة

أما بقية تلامذة الشنقيطى من غير الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذى لا يفى به إلا سِفْر ضخم ، وهو ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ، وفيما يلى قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائى ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالى :

١ - إحسان إلهى ظهير .
٢ - صالح اللحيدان .
٣ - صالح بن هلابى .
٤ - عبد الحميد أبى زنيد .
٥ - د. عبد العزيز قارى .
٦ - عبد الله بن جبرين .
٧ - عبد الله الزايد .
٨ - عبد الله بن غديان .
٩ - د. عبد الله قادرى .
١٠ - عبد المحسن عبَّاد .
١١ - د. محمد ربيع مدخلى .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُفُون بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، أو فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عضوية كثير منهم بـ (هيئة كبار العلماء) وكذا (اللجنة الدائمة للإفتاء) بالمملكة العربية السعودية .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - (١/ ١٧١ - ١٩١) - حيث استغرقت هذه الترجمة عشرين صحيفة يتصدرها أنموذج خطى بيد الشنقيطى ، وقد جاء ترتيبه العاشر بين ترجمات عشرين عالمًا ضمهم الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

هذا بالإضافة إلى عمل الآخرين منهم على مختلف مواقعهم من المسئولية العلمية والدعوية ببلادهم المختلفة على امتداد حواضر الإسلام ، ودياره العامرة(1) .

* * *

- **ملاحظات حول تلامذة الشنقيطى :**

١ - لقد استثنينا من تلامذته كلاً من ابنيه : الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله الأستاذين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة(2) فهما ولداه ، أحب الناس إليه ، وأقربهم إلى قلبه ؛ ومن ثم فلا يفتقر مقام أبوته لهما إلى دليل يبرهن على بداهة تلمذتهما عليه .

وإلى خصوصية تلك التلمذة ، وبعض ملامحها ، يشير الدكتور عبد الله قائلاً : وأكثر ما استفدت من الوالد رحمة الله عليه أنى درست عليه فى صيف أحد الأعوام حوالى ثلاثين آية لمدة ثلاثة أشهر ، حيث كان يعطينى كل يوم كلمة واحدة يشرحها لى لغة وإعرابًا وحكمًا ؛ حتى إننى جلست آنذاك تسعين يومًا من : «الٓمٓ» فى أول البقرة حتى قول الله تعالى فيها : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ بما يعادل ربع جزء تقريبًا(3) .

وفى الحقيقة كانت هذه هى أنفع قراءة قرأتها على الشيخ ؛ فبالرغم من قلة مدتها ؛ إلا أنها كانت تمثل منهجًا كاملاً من حيث كونها دراسة مُعَمَّقَة وجَرْدِيَّة(4) .

٢ - إن تلامذة الشنقيطى من أقرانه السالف ذكرهم لَيُعَدُّون من جِلَّة العلماء وأكابرهم ، وهم مع تصريحهم بتلمذتهم عليه كقولهم: (شيخنا العالم القرآنى الشيخ محمد الأمين الشنقيطى عليه رحمة الله) ومع ما يبدو ما فى ذلك القول من بالغ تواضعهم وجَمِّ أدبهم ؛ إلا أن الأمر لا يخلو من الاستفادة المتبادلة بينه وبينهم .

---

(1) راجع تفصيل تراجمهم فى كل من :
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .
- منسك الإمام الشنقيطى : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) ١/٢٨ - ٣٠ .

(2) راجع التعريف بهما ص   من هذا البحث .

(3) البقرة : ٣٠ - وبهذه الآية يصير ربع الجزء الأول بحاجة إلى ثلاثَ عشرةَ آية حتى يتم بنهاية نصف الحزب الأول عند قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ البقرة: ٤٣ .

(4) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

ومن ثم ؛ فقد كانت هذه التلمذة مزدوجة بينه وبينهم ، فكما استفادوا منه بعض العلوم، فقد أفاد منهم أخرى ؛ حتى غدا كل منهما للآخر أستاذًا تلميذًا ، وتلميذًا أستاذًا ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وهنا كلمة يجب أن تقال للحقيقة ولطلبة العلم خاصة ، ونضعها فى ميزان العدالة وقانون الإنصاف : لقد كان لجلوس الشيخ رحمه الله فائدة مزدوجة ؛ حيث استفاد وأفاد ، واستفادته فى هذا أمر حتمى ، ومنطقه علمى[1] .

٣ - يعد الشيخ عطية محمد سالم أخص تلامذة شيخه الشنقيطى ، بل أقربهم إلى قلبه ، وأخلصهم إلى نفسه ؛ حيث حظى من شيخه بما لم يَحْظَ به غيره ؛ وهذا ما يحدثنا عنه الشيخ عطية نفسه قائلاً : لقد أكرمنى الله بصحبته ، وطول ملازمته ليل نهار ، وكثرة مرافقته فى الظعن والأسفار ، داخل المملكة وخارجها ، وسمعت منه رحمه الله الشىء الكثير والكثير جدًا ، إنه لشيخى ، وأعز علىّ من والدى ، إنه حقًا والدى حسًا ومعنىً ؛ فقد وجدت منه العناية والرعاية كأشد ما يرعى الوالد ولده ، مما يطول ذكره ، ولا يُنسى فضله[2] .

ومن ثم؛ فقد كان أن خَصَصْنَا الشيخ عطية دون سائر تلامذة الشنقيطى بشىء من بسط القول إزاء ترجمته والتعريف به ؛ وذلك لما له من خصوصية هذه الحُظْوة ، وعُمْق تلك العلاقة ، التى ربطته بشيخه على مدار سِنِىْ حياته .

وفى الجملة : فإن الشيخ عطية يشير إلى وفرة تلامذة شيخه ، وانتشارهم فى الآفاق ، على مختلف مواقعهم من المسئولية ، سواء فى المملكة العربية السعودية أو خارجها ؛ الأمر الذى لا يمكن معه حصرهم ، ومن ثم استقصاؤهم وجمعهم .

وفى هذا يقول الشيخ عطية ما نصه : لقد كان لتدريس فضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين رحمه الله ، سواء رسميًا فى المعهد العلمى بالرياض ، أو كليتىْ الشريعة واللغة بها ، وكذلك تدريسه فى مسجد الشيخ بالرياض[3] أو المسجد النبوى الشريف بالمدينة

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٧ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣ (من المقدمة) .

(١) ويقصد به : (مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ) مفتى الديار السعودية آنذاك ، وإليه مرجع الهيئات الإسلامية الكبرى بها ، كما كان يعرف بـ (المفتى الحفيد) لكونه حفيد الشيخ محمد ابن عبد الوهّاب ، وقد كان مسجده الواقع بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض يمثل جامعة إسلامية عالمية يلتقى فيها كل من العلماء والطلاب على السواء من شتى أنحاء المعمورة لتدريس مختلف فنون العلم وفروعه ، وكان الشنقيطى من أبرز هؤلاء العلماء آنذاك . =

المنورة ، وكـذا تدريسه فى منزله بالريـاض ومكة والمدينة ؛ فقـد كان لهـذا كله أثر طيب ، ونتائج حسنة ؛ بحـيث لا يسع متحدثًا أن يتحـدث عنها بقدر ما تحدثتْ هى عن نفـسها ، وذلك فى أعمال كافـة المتخرجين المنتشرين فى أنحاء المملكة من المُبَـرّزين فى أعمالهم ، بل وفى أعلى المناصب فى كافة الوزارات المختلفة .

ومن ثـم ؛ فلا يستطيع إنسـان أن يحصر تلامذة الشيخ رحمـه الله ؛ لوفرة مَنْ أخذوا عنه ، وبخاصة فى كل من جـامعة الإمام محمـد بن سعود بالرياض ، والجامعة الإسـلامية بالمدينة المنـورة ، وكـذلك المسجـد النبوى الشـريف ؛ إلا أن هناك الخصـوصيـات من بنى عمومتـه ، فضلاً عن الأشخاص الذين لازموه الزمن الطويل فى حِلّه وترحـاله ، واستفادوا من تلك المرافقة والرحلات .

ولذا ؛ لا يغالى مَنْ يقول : إن كل مَنْ تَخَرَّج أو يَتَخَرَّج ، فـهو إما تلميذ للشيخ ، أو تلميذ لتلاميذه ؛ فهم بمثابة أبنائه وأحفاده ، وكفى[1] .

= راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٢ - ٤٥ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

(١) انظر فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ - ٤٦ (من المقدمة) .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

الفصل الرابع

نشاطه

في بلاده وخارج بلاده

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : نشاطه في بلاده .

٢ - المبحث الثاني : نشاطه خارج بلاده .

المبحث الأول

نشاطه في بلاده

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : الدرس والفُتيا .

٢ - المطلب الثاني : القضـــــاء .

يُعَدُّ نشـاط الشنقيطى ببلاده يسيـرًا محدودًا إذا ما قـيس بما كان منه بعد خروجـه منها وعزمه على البقاء بأرض الحجاز ، والتى بلغ بها ذروته ، ووصل فيها إلى غايته ومداه .

وقد تمثل نشاطه ببلاده فيما كان يقـوم به من أعمال تميزه عن سائر علمائها ، وذلك من خلال اضطلاعه بالدرس والفتيا والقضاء[1] وهذا ما يتبين لنا من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
الـــــدرس والفتيا

كان عمل الشنقيطى بالتدريس والإفتاء يمثل مـرجع الكافة ببلاده فى سائر الشئون ؛ فقد كان بمثابة المعلـم والمفتى ، والواعظ والمرشد ، بل المُوَجِّه والمُصْلِح لكل مَنْ قـصده ، أو لجأ إليه ، من خلال علوم الشرع واللغة بفروعهما المختلفة .

المطلب الثانى
القضـــــاء

وبالرغم من اشتغال الشنقيطى بالدرس والفتيا ، إلا أنه قـد اشتهر بالقضاء خاصة ، بل وعُرِفَ بالفِرَاسَة فيه ، وهذا ما يتضح من خلال ما يلى :

- **الشيخ القاضى :**

كان الشناقطة عظيمى الثقة فى شيخهم وقاضيهم الشنقيطى على الرغم من وجود الحاكم الفرنسى فى البلاد آنذاك[2] الأمر الذى دفع مواطنيـه ليفدوا إليه من مخـتلف أنحاء البلاد ،

---

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٤ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٦ .

(٢) حيث كـانت بلاد شنقيط ترزح آنذاك تحت نَيْر التـبعية الفـرنسية ، وقد ظلت على تلك الحـال حتى نالت استـقلالهـا التام عن فرنسـا عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) غيـر أنها ظلت ضـمن دول الاتحاد الفرنسى الأفـريقى المعروف بـ (الكومنولث) وفى (١٨ من جماد الأول ١٣٨١ هـ = ٢٧ مـن أكتوبر ١٩٦١م) انضمت موريتانيا رسميًا إلى (الأمم المتـحدة) ثم إلى (جامعة الدول العربية) فى (٢ من ذى القعدة ١٣٩٣ هـ= ٢٦ من نوفـمبر ١٩٧٣م) ثم كان أن انفصلت عن (الكومنولث) لتصـير عضواً فـى (اتحاد المغـرب العربى) الذى يضم كـلاً من (ليبـيا والجزائر والمغـرب) وذلك فـى (جمـاد الثانى ١٤٠٩ هـ = فبراير ١٩٨٩ م) برعاية ملك المغرب الراحل الحسن الثانى .

راجع المزيد عن مسيرة موريتانيا السياسية منذ الحرب العالمية الثانية عام (١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥ م) وحتى تم لها ما أرادت ، وذلك فى كل من :

فيذهبون إليه حيث يكون نازلاً مهما كلّفهم ذلك من النفقة والمشقة والوقت ، ويهون عليهم هذا كله فى سبيل قضائه بينهم ، وفصله فى خصوماتهم .

• طريقته فى القضاء :

كان إذا أتاه الطرفان المختصمان ليقضى بينهما ؛ يعمد إلى استكتابهما برغبتهما فى التقاضى إليه أولاً ، ثم قَبولهما حكومته وما يقضى به بينهما ثانيًا ، وبعد ذلك يقوم بإثبات الدعوى ، ثم إثبات اعترافات كل خَصمٍ على حدة ، وبإزائها ردود الغريم؛ وبهذا يكون قد جمع بين أركان القضية الثلاثة والتى تشمل نص الدعوى ، ثم اعتراف المدَّعِى ، وأخيرًا ردّ المدَّعَى عليه .

وعقب ذلك يصدر الشنقيطى حكمه فى هذه الخصومة أو تلك مُعَلَّلاً ومُؤَيَّدًا بالأدلة الشرعية التى يستقيها غالبًا من مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى السائد فى بلاده شنقيط خاصة ، وبلاد الغرب الأفريقى عامة[1] وحالما يفرغ الشنقيطى من ذلك ؛ يدفع بالدعوى ومعها الردود والحكم إلى الطرفين المتنازعين قائلاً لهما : اذهبا بها إلى مَنْ شئتما من المشايخ أو الحكام .

• ثقة المشايخ والحكام فى قضائه :

أما المشايخ فلا يكاد يأتى أحدَهم حكمُ الشنقيطى فى قضية قضاها إلا صدّقوا عليها فى التو والحال، وأما الحكام فلا تكاد أيضًا تصلهم قضية حَكَمَ فيها إلاّ نفذوا حكمه فور وصوله إليهم دون أدنى شك أو تردد .

هكذا كان قضاء الشنقيطى فى كل قضية تُعْرَضُ عليه ، إلاّ قضاء الدماء حيث كان لذلك قضاء خاص.

= • موريتانيا الحديثة (أو العرب البيض فى القارة السوداء) : محمد يوسف مقلد ص ١٧٣ - ط ١ - دار الكتاب اللبنانى - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

• العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقى ص ١٤٩ - ط ٧ - سلسلة (اقرأ) - العدد ٣٧٩ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

• جريدة (الشعب) الموريتانية الحكومية التى تصدر فى العاصمة (نواكشوط) - ثمان صفحات - العدد ٢٥٠٢ - السفارة الموريتانية بالقاهرة - المستشار الثقافى الشيخ آبًا - السبت ٢٠ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ= ٧ من مايو ١٩٨٨ م .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٦/١ .

• **قضاء الدِّماء :**

والمقصود به القِصَاصُ أو حكمُ الإعدام الذى كان له قضاء خاص به فى أنظمة السلطات الفرنسية التى كانت تهيمن على البلاد آنذاك ، حيث يتمثل هذا القضاء الخاص بالدماء فى نظر المحاكم الفرنسية فى كل ما له صلة بالقِصَاص أو الإعدام ، وبعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق ، وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة ؛ يقضى الحاكم الفرنسى بالقصاص أو الإعدام ، ثم يُعْرَضُ هذا الحكم على لجنة خاصة تعرف بـ : (لجنة الدماء) .

• **لجنة الدِّماء :**

وتتألف من عَالِمين جليلين من كبار علماء الشريعة بالبلاد ، ولا يتم إنفاذ حكم القصَاص أو الإعدام إلا بموافقة هذه اللجنة وتصديقها عليه ، وقد كان الشنقيطى أَحَدَ هذين العَالِمين المعتمدين فى هذه اللجنة على مدار أعوام عديدة .

* * *

• **أهم ما يتميز به نشاطه فى بلاده :**

وبعد : فإنه يتبين لنا مما سبق أنّ أهم ما يميز نشاط الشنقيطى فى بلاده هو فِرَاسَتُه فى القضاء ، تلك الصفة التى يجب توافرها فِيمَنْ يضطلع بهذا العبء الثقيل ، والذى يستلزم بالضرورة قدرةً خاصة على تمحيص أقوال المتقاضين ، وتفنيد حِيَلهم ، وكشف ما قد يكون من خداعهم ؛ وذلك بهدف نَصَفَةِ المظلوم ، والضرب على يدى الظالم بما يستحق من الجزاء .

هذا فضلاً عن الثقة العظمى التى كان يتمتع بها الشنقيطى من قِبَل المواطنين والمشايخ والحكام على السواء ؛ وليس ذلك إلاّ لما جرّبوه عليه من قوة حجته ، ثم عدله ونزاهته .

المبحث الثانى

نشاطه خارج بلاده

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : حجــه وعزمــه علـــى البقاء بالمملكة .

٢ - **المطلب الثانى** : بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة .

ونقصد به ذلك النشاط العلمى الواسع الذى قام به الشنقيطى منذ أن حَلَّ بأرض الحجاز وإلى أن توفى بها ، والذى امتد على مدار ستة وعشرين عامًا من عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) قضاها فى سائر أرجاء المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفى كل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة[١] .

وفيما يلى ذكر نشاطه بأرض الحجاز منذ أن حَلَّ بها وإلى أن توفى فيها ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
حجه وعزمه على البقاء بالمملكة

ويشمل وصوله المملكة ، وأداءه حجة الإسلام ، ثم سبب عزمه على البقاء بأرض الحجاز :

١ - وصوله المملكة :

وصل الشنقيطى بلاد الحجاز عن طريق البحر ، حيث دخل مدينة (جدَّة) فى العشر الأواسط من ذى القعدة من عام ١٣٦٧ هـ الموافق للعشر الأواسط من سبتمبر من عام ١٩٤٨ م[٢] .

وقد نزل الشنقيطى ومَنْ معه آنذاك فى بيت عمومى خَصَّصَهُ (آل جمجوم) لنزول أهل القطر من الشناقطة ، وبعد أن مكث بـ (جِدَّة) ليلتين من غير أن يجتمع بأحد من أهلها ، إلا برجل سودانى موظف ببعض الشركات هناك اسمه أحمد البكرى ، حيث أحسن إليهم وحملهم إلى (مكة المكرمة) بواسطة رجل طيب من موظفى إدارة الحج اسمه سامى كتبى .

٢ - أداؤه حجة الإسلام :

ركب الشنقيطى من (جِدَّة) بعد صلاة المغرب هو ومَنْ معه ، محرمين ملبين قاصدين

---

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٥ - ٥١ (من المقدمة) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ - ٢٨٤ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧ - ١٨٥ .

(٢) انظر مقابلة التقويم الهجرى بالميلادى فى كل من :
- برنامج (تقويم أم القرى) : إصدار (هـ - م ١) .
- برنامج (المؤذن العربى) : إصدار (١٠١) .

البيت الحرام بالبلد الحرام ، ولم يكن نُسُك الشنقيطى تمتعًا ولا قِرانًا ، وإنما كان إفرادًا بالحج كما هو الأفضل فى مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، والذى كان عليه الشنقيطى حتى ذلك الحين .

وإلى هذا يشير بقوله : وكان إحرامنا بالحج مفردًا ، وإنما أحرمنا إفرادًا من غير تمتع ولا قِرَان ؛ لأن الإفراد فى مذهبنا أفضل من التمتع والقِرَان ؛ وأفضلية الإفراد التى هى مذهبنا معاشر المالكية قال بها مالك وأصحابه ، وذلك هو الصحيح من مذهب الشافعى(١) .

٣ - سبب عزمه على البقاء بالمملكة :

خرج الشنقيطى من بلاده لأداء حجة الإسلام على نية العودة إليها ثانية ؛ غير أن الله تعالى شاء غير مشيئته ؛ حيث بدأت مرحلة جديدة من حياته عندما تجددت نيته على البقاء بالمملكة عامة ، ومدينة رسول الله ﷺ خاصة ؛ وذلك بسبب مدارسة أدبية دارت بينه وبين الأمير خالد السديرى أمير تبوك آنذاك حول بيت من الشعر قاله جرير ضمن قصيدته التى يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه من النصارى ، حيث وجد الأمير خالد من الشنقيطى بحرًا لا ساحل له .

وعن تلك المدارسة الأدبية يحدثنا الشنقيطى قائلاً : وبعد أن تمت مناسك حجنا جعله الله حجًا مبرورًا ، وسعيًا مشكورًا ، آمين آمين ، كان أن مررنا فى يوم عرفة بقرب مسجد (نَمِرَة) مصادفة من غير قصد(٢) على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان ، اللذان هما أخوان ، وهما الأمير السامى تركى أمير (أَبها) السديرى ، والأمير السامى أخوه خالد السديرى أمير (تبوك) .

فجلسنا قليلاً فى ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا، فآوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ؛ حيث سألَنَا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير فى شعره : (وَمَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا) وعن إعراب :

(١) وقد توسع الشنقيطى فى حشد الأدلة على أفضلية الإفراد بالحج عند المالكية ، مقارنًا ذلك بأقوال المذاهب الأخرى ومُفَنِّدًا لها - انظر تفصيل ذلك فى كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : ص ٢٥٥ - ٢٦٧ .

ومن الجدير بالذكر أن الشنقيطى قد عدل عن المذهب المالكى بعد إقامته بالمملكة واستقراره بها ؛ حيث صار إلى اتباع الدليل دون تعصب إلى أىٍّ من المذاهب الأربعة ، وسوف نورد ذلك مفصلاً فى موضعه من البحث من خلال حديثنا عن منهجه فى عرض الأحكام الفقهية .

(٢) **قوله** : (مُصَادَفَةً) فيه نظر ؛ حيث لا يُفَضَّلُ التعبير بهذه الكلمة فى مجال الدراسات الشرعية لما قد تُلْقِى به من ظلال حول إلغاء القَدَر ، أو الوقوع فى صفات الله عزّ وجلّ ؛ وهذا ما لا يجوز=

(قُرْبَانَا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه ، ويُعَيِّرُهُم بدين (النصرانية) ثم ذكرنا له القصيدة ، ومعنى البيت ، وإعراب الكلمة[١] .

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك قائلاً : وهكذا تعمل المقادير الحكيمة عملها فى تحركات الشيخ والإعداد لمصيره الجديد ؛ فإذا بخيمة الشيخ بجوار خيمة الأمير خالد السديرى دون علم من أىٍّ منهما ، ودون أن يعرف أحدهما الآخر ، وإذا بالحديث يتدرج بالأمير خالد وجلسائه إلى بعض الشعر ، فلما أُشْكِلَ هذا البيت[٢] على المتحدثين رأوا أن يسألوا جارهم عنه ، وربما دفعهم إلى هذا كلامٌ سبق أن سمعوه من الشيخ يسامر به مَنْ معه ؛ فتوسموا فيه العلم ، وكان هذا مقدمة لمسيرة ظلت حتى وفاته[٣] .

كما يرصد الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى سبب عزم شيخه على البقاء بالمملكة قائلاً : وكان الأمير خالد يبحث مع جلسائه بيتًا فى الأدب[٤] وهو ذواقة أديب ، وامتد الحديث إلى أن سألوا الشيخ لعله يشاركهم ؛ فوجدوا بحرًا لا ساحل له ، ومن تلك الجلسة وذاك المنزل تَعَدَّلَت الفكرة[٥] بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة .

= بحال ؛ لأنه لا يقع فى كون الله تعالى إلاّ ما يريده الله تعالى ، ألا ترى قوله سبحانه : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان : ٣٠ - فإن لم يكن هناك قصد بشرىّ ، إلاّ أن هناك دائمًا قصدًا إلهيًا؛ ومن ثم فلا مجال للمصادفة بحال من الأحوال ، وعليه فالأنسب أن يقال : (قَدَرًا) بدلاً من (صُدْفَةً أو مُصَادَفَةً) .

(١) وتمام هذا البيت :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إلى القسِّينَ هِجْرَتَكُمْ ... وَمَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمنَ قُرْبَانَا

وهو البيت قبل الأخير من قصيدة طويلة لجرير تبلغ ثلاثة وسبعين بيتًا ، قال فى مطلعها :

بَانَ الخَلِيطُ ولَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَا ... وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرَانَا

انظر هذه القصيدة بتمامها فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .
- ديوان جرير: شرح محمد بن حبيب (١/ ١٦٠ - ١٨٧)- تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

(٢) ويقصد به بيت جرير المتقدم .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٨/١ (بتصرف) .

(٤) ويقصد به بيت جرير المتقدم كذلك .

(٥) وقصد الشيخ عطية بهذه الفكرة : أى ما كان عليه شيخه الشنقيطى كسائر علماء بلاده من الشناقطة ، حيث كانوا يسمعون الكثير من الدعاية ضد بلاد الحجاز ، والتى تعرف عندهم باسم : (الوَهَّابِيَّة) نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب (على غير قياس) . غير أنه سرعان ما تعدّلت فكرة الشنقيطى إلى الصواب منذ أن حَلَّ بأرض الحجاز عامة ، وبالمدينة المنورة خاصة ، كما سيأتى بيانه بعد قليل .

ولقد أوصاه الأمـير خالد إنْ هو قدم المدينة أن يلتـقى بالشيخين عبـد الله الزاحم رحمه الله ، وعبد العزيز آل صالح حفظه الله[1] وفى المدينة بهما رحمه الله ؛ ومن ثم تجددت نيته فى البقاء بهذه البلاد بعد وصوله إليها[2] .

المطلب الثانى
بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة

ويشمل نشاطه العلمى الموسع الذى بدأه فى المدينة المـنورة ، ومنها إلى الرياض حاضرة البلاد ، وأخيرًا مكة المكرمة ، وفيما يلى نعرض لنشاطه فى كل منهما على النحو التالى :

• أولاً : المدينة المنورة :

بعد أن فرغ الشنقيطى من مناسك حجـة الإسلام ، كان أن قضى عدة أيام بمكة المكرمة قبل أن يتـوجه إلى المدينة المنورة قـاصدًا زيارة مسـجد رسول الله ﷺ وفى طـيبة الطيـبة حرص الشنقيطى أن يلتقى أول ما يلتقى بكل من الشيخين : عبد الله الزاحم ، وعبد العزيز آل صالح رحمهـما الله تعالى ؛ وذلك إنفاذًا لما أوصاه به الأمير خالد السـديرى أمير (تبوك) آنذاك من ضرورة البدء بلقائهما عند مَقْدمِه مدينة رسول الله ﷺ .

وقـد جاء لقـاء الشنقيطى صريحًـا مع الشيخين الزاحم وآل صـالح فـيما كان يسـمعه عـن مذهب أهل الحجاز فى الفقه ، ومنهجهم فى العقيدة ؛ ومن ثم كان الشيخان حكيمين معـه فـى كل ما يعرضانه عليـه بهذا الصدد ؛ إلاّ أن الشـيخ آل صالح كان أكثر الشـيخين مباحـثة مـع الشنقيطى ، وأثراهمـا مناقشة معـه ؛ حيث قَدَّم له كتاب (المغـنى) لابن قدامة كأصل للمذهب الحنبلى ، بالإضـافة إلى بعض كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيـمية كمنهج للعقيدة .

وبعـد فـراغ الشنقـيطى من قـراءة تلك الكتب عن آخرها ، كـان أن تعددت اللـقاءات وطالت الجلسات ؛ ليـجد بهذا مـذهبًا معلومًا لإمـام أهل السُّنة أحمد بن حنبل ، ومنهـجًا سليمًا لعقيدة سلف الأمة كما بَيَّنَهَا شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

ومن ثم ؛ فقـد تبددت الغيـوم ، وتَكَشَّفَت الأمور ، بعـد أن ذهب زَيْفُ الدعايات ، وظهر مَعْدِنُ الحقيقـة ؛ والتى على أثرها توطدت العَلاقة بين الشنقيطى والشيخ آل صالح ،

---

(١) كان الشيخ عبد العـزيز آل صالح لا يزال حيًا آنذاك ، وقد عُمِّرَ بعد الشنقـيطى قرابة اثنين وعشرين عامًا حتى كانت وفاته عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٥ - ٣٦ (من المقدمة) .

بل كان أن تُـوِّجَتْ فى النهاية بأن تجـدَّدت الرغبـة المتبـادلة بين الطرفين فى بقاء الشنقـيطى بالمدينة المنورة لإفادة المسلمين(١) .

وبهـذا يبـدأ الشنقيطى سـلسلة نشاطه فى بلاد الحـجاز انطلاقًـا من مدينـة رسول الله ﷺ فى كل من :

١ - الحرم النبوىّ الشريف :

رغب الشنقـيطى فى هذا الجوار الكريم بالقـرب من رسول الله ﷺ وتفـسيـر القرآن الكريم بمسجده الشريف ، مـعبراً عن ذلك بقوله : (ليس من عمل أعظم من تفسـير كتاب الله تعالى فى مسجد رسول الله ﷺ)(٢) وبالفعل فقد تم للشنقيطى ما أراد بأمر من الملك عبد العزيز آل سـعود ملك البلاد آنذاك ، والذى على أثره بدأ درسه فى التفسيـر حيث فَسَّرَ القرآن الكريم ثلاث مرات منذ ذلك الحين وحتى وفاته .

وهـذا ما يخبـر به تلميذه الشيخ عطية بقـــوله : فَسَّر الشيـخ رحمـه الله تعالـى القرآن فـى المسـجد النبـوى وحـده ثلاث مرات تـقريبًـا ، وقد سـمعـته يقـول : (مـا من آية فى المصحف إلا وعنـدى عنها مـا قـيل فيها) وقد ظهر ذلك جليًا فى (أضواء البـيان) بحمد الله تعالى(٣) .

ولم يكن جلوس الشنقيطى لتـفسير كتـاب الله فى مسجد رسـول الله ﷺ إلاّ امتداداً للشيخ الطيب(٤) وتلامذته من بعده من أولئلك العلماء الذين اضطلعوا بشرف التدريس آنذاك بمسجد رسول الله ﷺ الذى يُعَدُّ جامعة الإسلام الأولى .

ونَدَع المقام للشيخ عطية ليحدثنا عن طبيـعة التدريس بالحرم النبوى الشريف ، وليصف لنا درس شيخه الشنقيطى به قائلاً : يعتـبر التدريس فى المسجد النبوى من أهم التدريس فى كبريات جامعات العالم فى نشر العلم ، فهـو الجامعة الأولى للتشريع الإسلامى ، منذ عهد النبوة وحين كان جبريل عليه السلام يأتى لتعليم الإسلام فى مجالس رسول الله ﷺ ومنذ كانت مـجالس الخلفاء الراشـدين ، وعلماء الصـحابة رضى الله عنهم أجمـعين ؛ إذ كانت

---

(١) راجع ذلك بتصرف فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٦/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٨ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٨ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٤) توفـى الشيخ الطيب عام (١٣٦٣ هـ = ١٩٤٣ م) بعد أن نفع الله تعالى بدرسـه فى التفسير بالحرم النبوى الشـريف ، وذلك قبل أربع سنوات من جلوس الشنقيطى لذات الغـرض عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

المدينة العاصمة العلمية ، بل ظلت محافظة على مركزها العلمى ، حيث لم تخل فى زمن من الأزمان من عالم يقوم بحق الله فيها .

ومن هؤلاء العلماء شيخنا الشنقيطى رحمه الله ، حيث كان درسه فى التفسير أشبه ما يكون بحديقة غَنَّاء ، احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار ، فى تنسيق الغرس وجمال الجداول ، تشرح الصدر ، وتَشْفِى القلب ، وتروق للعين ؛ فيستفيد منه جميع الناس ، ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه ، وفى الجملة ، فقد كان نفعه رحمه الله فى المسجد النبوى للمقيم والقادم ، للقاصى والدانى ، نفعًا عظيمًا(١) .

٢ - الجامعة الإسلامية :

منذ أن فَتَحَتْ الجامعة الإسلامية أبوابها للدراسة بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) والشنقيطى فى طليعة الفوج الأول من العلماء الذين تولوا التدريس بها ، بل ظل أحد أعمدتها الأساسية ، وأبرز أعضاء مجلسها المعتبرين على مدار اثنى عشرَ عامًا حتى توفى وهو على ذلك(٢) .

وعن نشأة هذه الجامعة ودور الشنقيطى فيها يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : إن مَنْ يعرف نشأة الجامعة الإسلامية ، وقد عرف الحركة العلمية الحديثة بالرياض ؛ ليقول : إن افتتاح الجامعة قد جاء امتدادًا لهذه الحركة ، كما أن المتتبع للحركات العلمية فى العالم الإسلامى ليقول : إن افتتاح الجامعة الإسلامية فى ذلك التاريخ عناية من الله تعالى ، وتدارك للتعليم الإسلامى حينما أصيبت بعض دور العلم الكبرى بهزات فى برامجها ؛ ولعل افتتاح هذه الجامعة بالمدينة المنورة جزء من تحقيق حديث رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحيّة إلى جُحْرِها » الحديث(٣) .

ومعلوم أن الإيمان عقيدة وعمل ، وأن العلم قبله ؛ ومن هنا نجدد القول بأهمية الجامعة الإسلامية ومدى وجودها بالمدينة المنورة ، وبالتالى مجئ أبناء العالم الإسلامى إليها بهدف

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤١ - ٤٢ (من المقدمة) .

(٢) حيث كانت وفاة الشنقيطى أثناء رئاسة صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز بن باز للجامعة عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الحج (باب) الإيمان يأرز إلى المدينة (ضمن أحاديث فضائل المدينة) - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٨/ ٢٢٣ - حديث رقم (١٨٧٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين - (طبع بيروت) .

الدراسة والتربية فى هذا الجو الروحى ؛ وبهذا تبرز لنا قيمة العمل فى هذه الجامعة برسالتها التربوية بجانب رسالتها العلمية ؛ والتى على أثرها منعت الانتساب إليها دون الحضور بها .

وقد كان لوالدنا الشنقيطى رحمه الله فى هذه المجالات اليد الطولى ، والمجهود الأكبر ؛ فلم يدخر وُسْعاً فى تعليم ، ولم يَتَوَانَ فى توجيه ، سواء فى دروسه أو أحاديثه أو محاضراته ، وسواء مع الطلاب أو المدرسين ؛ فكان للجميع كالأب الرحيم ، والداعية الناصح الأمين(١) .

بل إنه ترك بصْمَاته بارزةً على كل مَنْ أخذ عنه وتلقى عليه من خريجىْ هذه الجامعة المباركة مِمَّنْ لا يُحْصَوْنَ عدداً من تلك الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى(٢) .

٣ - دار الحديث :

وبالإضافة إلى محاضرات الشنقيطى بالجامعة الإسلامية ، وكذا دروسه العامة بالحرم النبوى الشريف ، فقد كان يُدْعَى لإلقاء العديد من المحاضرات العلمية النافعة ضمن المواسم الثقافية التى تقيمها الجامعة الإسلامية فى نهاية كل عام دراسى فى دار الحديث التابعة لها بالمدينة المنورة ، والتى تدعو إليها كبار العلماء من المملكة خاصة ، ومن شتى حواضر الإسلام وأمصاره المختلفة عامة(٣) .

---

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٦ - ٤٨ (من المقدمة بتصرف) .
ولمزيد من التفصيل حول الجامعة الإسلامية ووصف رسالتها التربوية والعلمية ؛ راجع (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ .

(٣) كانت تضم الجامعة الإسلامية آنذاك طلابًا من تسعين جنسية وهى الآن تضم ما يربو على مائة وإحدى عشرةَ جنسية ، وهذا ما تنطق به سجلات المقبولين بعمادة شئون الطلاب بالجامعة .

(١) انظر من هذه المحاضرات على سبيل التمثيل لا الحصر كتاب (محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى موسمها الثقافى للعام الدراسى ٩٣ / ١٣٩٤ هـ = ٧٣/ ١٩٧٤ م) حيث جاء هذا الكتاب فى ثلاثمائة وثمانين صحيفة ، وضم بين دفتيه خمسَ عشرةَ محاضرة فى مقدمتها محاضرة الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى والقاضى بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة آنذاك ، والتى تحمل عنوان : (مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمينْ الشنقيطى رحمه الله) وقد ألقيت ليلة الجمعة (٩ من المحرم ١٣٩٤هـ= ١ من فراير ١٩٧٤م) بعد واحد وعشرين يومًا من وفاة الشنقيطى ، واستغرقت إحدى وثلاثين صحيفة كاملة من صفحات الكتاب المذكور.

٤ - بيتـــه[١] :

كان بيت الشنقيطى بالمدينة المنورة بمثابة (المدرسة الخاصــة) التى تقتصر فيها دروسه على خواص طلابه من أهل العلم وباحـثيه من مـختلف أقطار العالم عـامة ، والإسلاميـة منها خاصة ، وقد جـعل مواعيد هذه الدروس الخاصة بعـد العصر من كل يوم إلاّ أن تحول دون ذلك ضرورة قاهرة تلجئه إلى تأجيلها أو التغـيير المؤقت فى مواعيدها لترجع بعد زوال تلك الضرورة إلى سيرتها الأولى .

وتتجلى أهمية هذه الدروس المنزلية ويبرز نفـعها فى تلك الشروح والمؤلفات التى أملاها الشنقيطى عــلى بعض طلابه ، والتى أفاد منها جــمهور الـناس ، عوامّهم وخـواصّهم على اختلاف مواقعهم ومستوياتهم[٢] .

ثانياً : الرياض :

يعد نشاط الشنقـيطى بالرياض مرحلة وسيطة امتدت على مدار عـشر سنوات كاملة منذ مَقْـدمه إليها من المدينة المنورة عــام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعـه ثانية إلى المدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كُلِّفَ بالتدريس فى الجامعة الإسلامية منذ أول يوم لافتتاحـها من ذلك العام ، وقد ظل يُدَرِّسُ بهذه الجامعــة إلى جانب تدريسه بكل من الحرم النبوىّ الشريف ، ودار الحديث التــابعة للجامعة ، فضــلاً عن دروسه المنزلية لخواصّ طلابه حتى وفاته المنية وهو على ذلك .

غيــر أنه لحنينه الدائم لرسول الله ﷺ فـقد كان يـحرص على قضـاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة طيلة السنوات العـشر التى قـضاها بالرياض ؛ ومن ثم فلم يكن تحـول نشاط الشنقيطى من المدينة المنورة إلى الرياض فى تلك الفـترة إلا بناءً على اختياره للمــساهمة فى الحركة العلمية الجديدة الحادثة فى الرياض آنذاك ، والتى يمكن إيجازها فيما يلى :

• الحالة العلمية بالرياض :

كانت الرياض عــاصمة نَجْد علميًــا وسياسيًــا ؛ حيث كان يفد إليهــا الطلاب من شتى

(١) ويحمل هذا البـيت رقم ٣ بحارة المغاربة بباب الكُومَــة على مقربة من الحرم النبـوىّ الشريف ، ولا يزال يقطنه حتى الآن الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) .

ومــن هـذه الشروح التى أملاها الشنقيطى فــى بيته علــى خواصّ طلابه ذلك الشرح المسمى : (نشر البنود على مراقى السُّعُود) فى أصول المالكية ، والذى أمـلاه على تلميذه : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى - راجع تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

أنحاء نَجْد لأخذ العلم وتلقيه على آل الشيخ[1] وذلك من خلال المساجد التى كانت تعد مراكز الدراسة والتدريس آنذاك ، إلا الخواصّ من طلاب سماحة المفتى الذين كانوا يدرسون عليه فى بيته ضحىً ، حيث كان عماد هذه الدراسة يقوم فى الأصل على التوحيد والفقه والحديث ، إلى جانب السيرة والنحو، وقد تخرج عليها جُلُّ علماء نجد آنذاك[2] .

الحركة العلمية الجديدة :

تطورت حلقات التدريس بالمساجد لتأخذ شكلاً أكثر توسعًا وتنظيمًا لما عُرِفَ آنذاك بالحركة العلمية الجديدة ، والتى صارت فيما بعد النواة الأساسية للنهضة العلمية الشاملة التى عمت سائر أرجاء الحجاز، حيث ترعاها العناية الملكية ، وتشرف عليها الكفاءات العلمية.

وعن نشأة هذه الحركة والأهداف المرجوة منها يحدثنا الشيخ عطية على لسان شيخه الشنقيطى قائلاً: كانت نشأتها كما سمعت منه رحمه الله استجابة لرغبة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ؛ حيث قال لجماعة من العلماء وهم فى مجلسه الخاص : لقد كانت الرياض مليئة بالعلماء ، عامرة بالدروس ، وقد انتقل الكثير منهم إلى رحمة الله ، ولم يخلفهم مَنْ يماثلهم ؛ وقد أردت تعاونكم مع سماحة المفتى فى تربية جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة ؛ فنحن وأنتم مشتركون فى هذه المسئولية .

ومن ثم ؛ فقد كانت هذه النهضة العلمية ترعاها عناية ملكية ، وتقوم عليها كفاءة علمية ؛ حيث تولى إدارة معاهدها الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، فى حين صارت رئاستها لأخيه سماحة المفتى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله[3] .

ولكن ماذا عساه يكون نصيب الشنقيطى من الإسهام فى نشاط هذه الحركة آنذاك ؟

والإجابة على هذا السؤال تكمن فى تقرير ذلك النشاط المكثف الذى اضطلع به الشنقيطى منذ قيام هذه الحركة عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه إلى المدينة المنورة ثانية عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث توزع نشاطه على مدار عشر سنوات كاملة بين جهات ستٍ شملت كلاً من :

---

(١) والمقصود بهم آل الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الذين منهم حفيده سماحة مفتى الحجاز الشيخ محمد إبراهيم بن محمد بن عبد الوهَّاب ، وكذا أخوه سماحة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الذى كان من كبار علماء البلاد آنذاك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٢ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٣ (من المقدمة بتصرف) .

١- فى المعهد العلمى(١) :

افتتحت الإدارة العامة للتعليم بالرياض هذا المعهد العلمىّ فى غضون عام (١٣٧١ هـ = ١٩٤٩ م) وكان يقوم نظام التدريس فيه على اختيار نخبة من كبار العلماء من داخل المملكة وخارجها لتولى مسئوليته والإشراف عليه ، وكان الشنقيطى فى طليعة هؤلاء العلماء ، حيث ظل يُدَرِّسُ مادتىْ التفسير والأصول على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٢ - فى كليتىْ الشريعة واللغة(٢) :

افتتحت هاتان الكليتان عقب افتتاح المعهد العلمى فى نفس العام (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) وكانتا تمثلان آنذاك النواة الأولى للجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض ، وكان الشنقيطى على رأس العلماء الذين اختيروا آنذاك لتدريس مادتىْ التفسير والأصول فى هاتين الكليتين على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٣ - فى معهد القضاء العالى (٣) :

استحدث هذا المعهد بالرياض فى عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) برئاسة الشيخ عبد الرزاق عفيفى ، إلا أن الشنقيطى كان قد رجع آنذاك إلى المدينة المنورة منذ عام (١٣٨١ هـ= ١٩٦١ م) ليتولى التدريس بالجامعة الإسلامية التى افتتحت أبوابها هناك فى ذلك العام .

ومع ذلك ؛ فقد كان يُدْعَى بين الحين والآخر لإلقاء جملة المحاضرات المطلوبة فى مادتىْ التفسير والأصول اللتين ظل يدرسهما بهذا المعهد حتى وفاته المنية بعد سبع سنوات

---

(١) صُنِّفَت الدراسة تبعًا للحركة العلمية الجديدة الحادثة بالرياض آنذاك على أربع مراحل دراسية متتالية تمثل فى :

- القسم التمهيدى : ويبدأ من الرابعة الابتدائية ، ويستمر حتى السادسة الابتدائية .
- القسم الثانوى : ويبدأ بعد السادسة الابتدائية ، ويستمر على مدار ثلاث سنوات كاملة .
- المعهد العلمى : ويعد المرحلة الوسيطة التالية للثانوى والسابقة على الجامعة .
- كليتا الشريعة واللغة : وتعدان آنذاك بمثابة النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض .

راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٤٣ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٤٢ (من المقدمة) .

(٣) راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٨ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٣ .

دراسية كاملة رافقه خلالها كل من صديقيه وقرينيه الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح اللذين كانا يُدْعَيَانِ أيضًا إلى ذات المعهد لنفس الغرض .

٤ - فى هيئة كبار العلماء[١] :

شُكِّلت هذه الهيئة بالرياض من سبعة عشر عالمًا بتاريخ (٨ من رجب الفرد الحرام ١٣٩١ هـ = ٢٩ من أغسطس آب ١٩٧١ م) بموجب الأمرين الملكيين رقمىْ (أ/ ١٣٧ - أ/ ١٣٨) وذلك عقب وفاة شيخ البلاد الحجازية وصاحب فتواها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المعروف بـ : (المفتى الحفيد)[٢] ومنذ تشكيل هذه الهيئة وحتى اليوم وهى تمثل أكبر هيئة علمية ببلاد الحجاز خاصة ، بل وتعد من كبريات الهيئات الإسلامية فى العالم عامة .

وقد كان الشنقيطى أبرز الأعضاء السبعةَ عشرةَ بهذه الهيئة منذ تشكيلها وحتى وفاته على مدار عامين كاملين رافقه خلالهما الكثير من أصدقائه وأقرانه العلماء من أعضاء تلك الهيئة ، وعلى رأسهم كل من : الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين .

ومما اتسمت به عضوية الشنقيطى فى تلك الهيئة سياسته الرشيدة ، وإدارته الحكيمة ؛ مما كان له أكبر الأثر وأعظمه فى تحقيق النتائج الحميدة ، والانتهاء إلى العواقب الحسنة ؛ وهذا ما تجلّى واضحًا وشهد له به الجميع أثناء ترأسه إحدى دورات الهيئة ، حيث يشير تلميذه الشيخ عطية إلى ذلك بقوله : لقد سمعت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح حفظه الله[٣] وهو عضو فيها ، يقول : ما رأيت قبله أحسن إدارة منه ، مع بُعْد نظر فى الأمور ، وحُسْن تدبر للعواقب[٤] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٩ (من المقدمة بتصرف) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٣ (بتصرف) .

(٢) أى حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب .

(٣) كان الشيخ عبد العزيز آل صالح لا يزال حيًا آنذاك ، وقد عُمِّرَ بعد الشنقيطى قرابة اثنين وعشرين عامًا حتى كانت وفاته عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٠ (من المقدمة) .

٥ - فى مسجد الشيخ[١] :

والمقصود به مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتى الحفيد ، وهو مسجد كبير مشهور يقع بمنطقة (دُخْنَه) فى الرياض ، وكان سماحة المفتى يُدَرِّسُ فيه بنفسه مع مَنْ كان يدعوهم من كبار العلماء الذين كانوا يُدَرِّسُون بالرياض آنذاك؛ حيث كانوا يلقون دروسهم فى مختلف الفنون بهدف إفادة طلبة العلم والعامة على السواء[٢] .

وقد كان الشنقيطى فى مقدمة هؤلاء العلماء ، حيث بدأ درسه فى قواعد الأصول لكبار الطلاب وخاصتهم ، غير أنه ما لبث أن حضره العوام الذين كانوا يحرصون على ذلك ، ويتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض .

الأمر الذى صار معه هذا الدرس الأصولى بمثابة فتح جديد فى هذا الفن الذى أفاد منه الخواصُّ والعوامُّ على السواء على مدار عشر سنوات كاملة قضاها الشنقيطى بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذى رجع فيه إلى المدينة المنورة للتدريس فى الجامعة الإسلامية التى افتتحت هناك فى ذلك العام .

٦ - فى بيته :

كان بيت الشنقيطى بالرياض أشبه ما يكون بالمدرسة الخاصة التى اقتصرت فيها الدراسة على خواصٍّ طلابه الذين رافقوه للدراسة عليه على مدار عشر سنوات كاملة قضاها بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه ثانية إلى المدينة المنورة للتدريس بالجامعة الإسلامية التى افتتحت هناك عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) .

ويعد نشاط الشنقيطى فى بيته امتدادًا لنشاطه العِّلْمىِّ بمسجد الشيخ بالرياض ، حيث كانت دروسه بالمسجد تتصف بالعمومية فى حين تتصف دروسه فى بيته بالخصوصية ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : ولما كان درس الأصول فى المسجد عامًا ، ومن الطلبة خواصٌّ رغبوا آنذاك فى درس خاص فى بيته رحمه الله ؛ لذا فقد جعل لهم درسًا خاصًا بهم بعد العصر ، وبهذا كان بيته رحمه الله كمدرسةٍ سواءٍ ينال فيها هؤلاء ما كان يناله أبناؤه الآخرون الذين رافقوه للدراسة عليه[٣] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة بتصرف) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) .
- ضمن رَدّ الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

(٢) من هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرحمن الإفريقى الذى كان يُدَرِّسُ الحديث بهذا المسجد آنذاك .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة بتصرف) .

ثالثاً : مكة المكرمة :

يعد نشاط الشنقيطى بمكة المكرمة نشاطًا موسميًا حيث تمثل فى كل من : رابطة العالم الإسلامىّ التى كان ينتقل إليها ليشارك فى اجتماعاتها كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ثم مشاركته فى أعمال مؤتمر الحج السنوىّ الذى كان يعقد فى موسم الحج من كل عام ، هذا بالإضافة إلى بيته الذى كان يقيم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التى يقوم أثناءها بنشاطه المعتاد فى كل من مجلس الرابطة ومؤتمر الحج ، وذلك على النحو التالى :

١ - فى رابطة العالم الإسلامى :

تعد هذه الرابطة من كبريات الهيئات الإسلامية العالمية التى تُعْنَى بشئون المسلمين وتسعى لحل مشكلاتهم فى سائر أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، ولا يحكم نشاط هذه الرابطة ولا يُبيِّنُ فلسفة مبادئها التى قامت عليها سوى ما تدعو إليه هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله تعالى ، أما أولاهما فقول الله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية[(١)] وأما ثانيتهما فقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الآية[(٢)] .

وفى ضوء هذا التوجيه القرآنى السديد باشر الشنقيطى دوره فى هذه الرابطة من خلال عضويته فى مجلسها التأسيسى ؛ حيث تَجلَّتْ حكمته وسَطَعَتْ حُجَّته فى العديد من المواقف الحَرِجَة التى كادت تعصف بالرابطة وتهوى بها فى هُوَّة الخلاف والفُرْقة .

وعن طبيعة هذا الدور الذى قام به الشنقيطى منذ تأسيس هذه الرابطة وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وفى رابطة العالم الإسلامى كان والدنا الشيخ محمد الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه عضو المجلس التأسيسى ، حيث لم تَقِلّ خدماته فيه عن خدماته فى غيره ، وإنى لأذكر له موقفًا حدثنى به جَنَّبَ الرابطة مأزقًا كاد أن يُدْخِل عليها شقاقًا وانثلامًا ؛ وذلك حينما قَدَّمَ مندوب إيران فى الرابطة طلبًا يريد فيه اعتراف الرابطة بالمذهب الجعفرىّ ، ومرفقًا معه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير التى تؤيده على دعواه وتجيبه إلى طلبه[(٣)] ومن ثم ؛ فإنْ هم قبلوا طلبه دخلوا مأزقًا ، وإنْ هم رفضوه واجهوا حرجًا ؛ وعندئذ اقترحوا أن يتولى الأمر فضيلته فى جِلسة خاصة .

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .　　(٢) المائدة : ٢ .

(٣) لم يفصح الشيخ عطية عن تلك الجهات التى أيدت طلب هذا المندوب الإيرانى آنذاك .

وقد أجاب طلبهم حيث قال فى ذلك المجلس ما نصه : لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم ، ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة فى أصول تتمثل فى : (الإسلام دين الجميع ، والرسول محمد ﷺ رسول الجميع ، والقرآن كتاب الله تعالى ، والكعبة قِبلة الجميع ، والصلوات الخمس ، والصوم ، وحج بيت الله الحرام) كما أننا مجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقة ونحو ذلك ؛ وهذا القدر كافٍ للاجتماع والترابط .

غير أن هناك أمورًا نعلم جميعًا أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها ، فإن رغب العضو الإيرانى بحثها واتباع الحق فيها ؛ فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ، فيبحثون ما اختلفنا فيه ، ويُعْلَن الحقُّ ويُلْتزم به ، أو يسحب طلبه الآن .

فما كان من الجميع إلاّ أنْ أقر قوله ، وما كان من العضو الإيرانى إلاّ أنْ سحب طلبه[1] .

٢ - فى مؤتمر الحج السنوىّ:

ليس من شك فى أن هذا المؤتمر السنوىّ يُعَدُّ بمثابة الاجتماع العالمىّ الذى يعقد فى موسم الحج من كل عام بالبلد الحرام ، والذى تُبحَث فيه شئون المسلمين ، ويُنْظَر من خلاله فيما يطرأ على مجتمعاتهم من أمور جديدة وقضايا معاصرة ؛ الأمر الذى يستلزم اجتماع علماء الأمة ، والتنسيق بين جهودهم ؛ لإنتاج الحلول المناسبة والاتفاق على كلمة سواء ؛ بما يعود فى النهاية على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم ، وهو بعض ما عناه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾ الآيتان[2] .

ويأتى الشنقيطى على رأس هؤلاء العلماء الذين يشاركون فى أعمال مؤتمر الحج السنوى ؛ حيث كانت تتوافد إليه جموع الحجاج من قاصدى البيت الحرام لحضور مجالسه وسماع محاضراته ، بل والأخص من ذلك ما يذكره الشيخ المجذوب بقوله : وهناك وفود الحجّاج الذين يتدفقون على المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ وبينهم رجال العلم والفكر الذين لا يرون مندوحة عن الإلمام بالجامعة الإسلامية وزيارة بعض فصولها الدراسية للاطلاع على نشاط هذه المؤسسة العالمية الحديثة ، وقلما يحضر وفد من هؤلاء

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٠ - ٥١ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) الحج : ٢٧ - ٢٨ (آيتان) .

الزوّار إلى الجامعة ثم لا يشهد محاضرات الشيخ بها ، فضلاً عن دروسه بالحرم النبوىّ الشريف[1] .

٣ - فى بيته[2] :

اتخذ الشنقيطى هذا البيت ليقيم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التى كان يقوم خلالها بنشاطه المعتاد وأعماله الدورية فى كل من المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى ، ومؤتمر الحج السنوىّ العالمىّ الذى كان يُعْقَد فى موسم الحج من كل عام .

وعلى الرغم من تواجد الشنقيطى المؤقت فى بيته آنذاك ؛ إلاّ أن هذا البيت ما كان ليفرغ بحال من الأحوال من جيرانه وزائريه من طلاب العلم خاصة ، وجموع المسلمين عامة ؛ والذين كانوا يحرصون على ملازمة الشنقيطىّ والإفادة من علمه أثناء فترات إقامته القصيرة ما بين الحين والحين بالبلد الحرام .

بل وقد بلغت ملازمتهم له إلى حد مرافقته فى سيارته الخاصة ذهابًا لأداء الصلاة فى البيت الحرام وإيابًا منه إلى بيته ، كما بلغ حياؤه منهم وكرمه لهم الحد الذى جعل ابنه الدكتور عبد الله يترجل ماشيًا فى أغلب الأحيان من وإلى الحرم لعدم وجود مكان له فى سيارة والده الذى كان دائمًا ما يقول له : يا ولدى من العيب أن تُنْزِل أحدًا من السيارة ؛ لأن السيارة لِمَنْ سَبَقَ إليها[3] .

* * *

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) - وجدير بالذكر أن محاضرات الفصل الدراسى الجديد كانت تبدأ بالجامعة الإسلامية بعد الحج مباشرة ، ولا تزال كذلك حتى اليوم .

(٢) ويقع هذا البيت بجبل (بُومْطَشَّشْ) بحى (العزيزيَّة) بمكة المكرمة ، وقد اضطر الشنقيطى إلى شراء هذا البيت بعد أن واجه موقفًا حرجًا بخصوص البيت الذى كان يؤجره من قبل ؛ حيث طالبه صاحب البيت آنذاك بالخروج من بيته لأنه يعتزم الانتفاع به وعدم تأجيره بعد ذلك اليوم ، غير أن الوقت كان ليلاً ولم يهمله صاحب البيت حتى الصباح ؛ الأمر الذى اضطر الشنقيطى لئن يبيت تلك الليلة فى الشارع لعدم وجود أماكن فارغة بأىٍّ من الفنادق المزدحمة عن آخرها آنذاك ، ومن تلك الليلة رأى الشنقيطى أن هذا لا يليق بأهل المروءة فقرر شراء قطعتىْ أرض بمكة والمدينة وبنى عليهما بيتين قائلاً : هذا يعيننى على العمرة والحج وهذا يعيننى على المدينة ، وغير هذا لا أريده .

- راجع فى ذلك (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

ملاحظات حول نشاط الشنقيطى ببلاده وخارجها :

مما سبق تتبين لنا جملة من الملاحظات التى ترد على نشاط الشنقيطى العلمى الذى بدأه ببلاده شنقيط ثم واصل عطاءه فيه بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز وحتى وفاته بها ، حيث يمكننا إيجاز تلك الملاحظات فيما يلى :

١ - بدأ الشنقيطى نشاطه ببلاده وهو فى الثلاثين من عمره تقريبًا عندما بلغ نصاب العلم وأتم مرحلة الطلب عام (١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م) وقد ظل يواصل العطاء ببلاده على مدار اثنى عشرَ عامًا حان خروجه منها وهو فى الثانية والأربعين من عمره فى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وفى بلاد الحجاز استقر به المقام حيث بلغ نشاطه ذروته وأخذ مداه على مدار ستة وعشرين عامًا انتهت بوفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن نشاط الشنقيطى ببلاده يعد يسيرًا محدودًا من حيث طبيعته ومدته إذا ما قيس بما كان منه بعد خروجه منها واستقراره ببلاد الحجاز .

٢ - تمثل المدينة المنورة المنطلق الأول ، والمركز الرئيس لنشاط الشنقيطى ببلاد الحجاز ؛ حيث قضى بها ستةَ عشرَ عامًا منها أربعة أعوام فى البداية منذ وصوله البلاد عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) وحتى مغادرته إلى الرياض عام (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) ثم اثنا عشر عامًا متصلة بعد عودته من الرياض عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) .

على أنه كان يحرص طيلة الأعوام العشرة التى قضاها بالرياض على قضاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة لحنينه الدائم لرسول الله ﷺ ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن المدينة المنورة كانت بمثابة المقر الدائم لنشاط الشنقيطى بها خاصة وببلاد الحجاز عامة أما الرياض فكانت تمثل المرحلة الوسيطة أو البينية من هذا النشاط ، فى حين كانت تمثل مكة المكرمة المرحلة الانتقالية أو الموسمية منه .

٣ - بالرغم من نشاط الشنقيطى المكثف فى كل من المدينة المنورة والرياض ومكة المكرمة من خلال دور العلم ومعاهده الكبرى فضلاً عن الحرمين الشريفن ؛ إلا أنه كان يحرص دائمًا على أن يكون فى بيته فى تلك المدن الثلاث بمثابة المدرسة الخاصة التى تقتصر فيها الدراسة على خواصّ طلابه الراغبين فى الاستزادة والتحصيل .

وقد عَمَّ نفعُ هذه الدروس المنزلية الخاصة وتَجَلَّتْ فائدها فى بعض الشروح التى أملاها

الشنقيطىّ على أحد خواصٍّ طلابه آنذاك[1] ؛ ومن ثم فإننا نخلص إلى أن (البيت) كان يمثل حجر الزاوية فى فكر الشنقيطى من حيث موقعه وأهميته فى طلب العلم وتحصيله ؛ وليس هذا بمستغرب على عالمٍ كالشنقيطى دَرَجَ منذ نعومة أظفاره على هذا النهج الذى فتح عليه عينيه فى بيوت أخواله والتى كانت تمثل له آنذاك (المدرسَة الأولى الأهليَّة) حيث شيوخه الأقربون ومعلموه الأوائل من أهله وذويه .

(١) وهو تلميذه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى الذى طلب من شيخه الشنقيطى أن يمليه شرحًا على (مراقى السعود) فى أصول المالكية ، وقد أجابه إلى طلبه بما سُمِّىَ (نثر الورود على مراقى السعود) .

الفصل الخامس

رحـــلاته
للحَجّ والدّعوة والعِلاج

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : رحلة الحــج .

٢ - المبحث الثانى : رحلة الدعـوة .

٣ - المبحث الثالـث : رحلة العـلاج .

تنازعت رحلات الشنقيطى ثلاثةُ مقاصد ارتـبط كل قصد منها برحلة من رحلاته الثلاث التى قام بها على امتداد سِنِىْ حياته ، أما أولى هذه الرحلات فكانت من مسقط رأسه ببلاده شنقيط إلى بيت الله الحرام بقصد الحج ، وأما رحلته الثانية فكانت من مُهَاجَرِه بالمدينة المنورة إلى عشـرة من الأقطار الإسلامـية بقـارة إفريقيـا بقصـد الدعوة ، ثم كـانت رحلته الثـالثة والأخيرة من المدينة المنورة أيضًا إلى كل من مصر وأوروبا بقصد العلاج .

وفيما يلى إيجاز الحديث عن هذه الرحلات الثـلاث وطبيعة كل منها من خلال المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول

رحلة الحَجِّ

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - **المطلب الأول** : السبب الباعث على هذه الرحلة .

٢ - **المطلب الثانى** : زمن هذه الرحلة ومدتها .

٣ - **المطلب الثالث** : وسائل الانتقال فى هذه الرحلة .

٤ - **المطلب الرابع** : الأقطار التى شملتها هذه الرحلة .

٥ - **المطلب الخامس** : طابع هذه الرحلة العلمىّ والأدبىّ .

تختلف رحلة الشنقـيطى هذه اختلافًـا بيّنًا عن غيرها من سائر الرحـلات الأخرى التى يقوم بهـا غيره من الرّحّـالة والعلماء إلى شـتى بقاع الأرض ومخـتلف جنباتهـا ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السبب البـاعث على هذه الرحلة فظاهرٌ جَلِىّ حيث يتمثل فـى عزم الشنقيطى آنذاك على أداء حجـة الإسلام المكتـوبة ؛ وذلك امتثـالا لأمر الله عـز وجلّ واتباعًا لـسُنّة رسوله ﷺ وهذا ما يشـير إليه الشـنقيطى ذاته بقوله : كـان مما أنزل عليه صلوات الله وسـلامه عليه : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ الآية[١] فقـد بلغنا هذا وآمنا بكل ما فيه ، وائتمرنا بأوامره وانتهينا بنواهيه ؛ فهو النور المبين والحبل المتين[٢] وقد جعلناه فى أمور ديننا دليلاً ؛ فـتحركنا من مسقط الرأس بـقول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ الآية[٣] .

جعلنا الله مـمَّنْ يأتمر بالأوامر ، وينزجر بالزواجر ، فـامتثال هذه الآية الكريمة جَـشَّمَنَا هذا السفر المبارك السعيد ، حتى أتينا من مكان بعيد ؛ فبها نهضنا هذه النهضة السريعة ، لا بقول عمر بن أبى ربيعة :

إنْ كنتَ حاولـتَ دنيا أو أقمـتَ لها ⁂ ماذا أخذتَ بتركِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ ؟![٤]

---

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) وَوَصْفُ القرآن بحـبل الله المتين جـاء على لسان رسول الله ﷺ فـى جـزء من حديث طويل قـال فيه : « هو حبـل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم » وفى روايـة أخرى يصفه رسول الله ﷺ بقـوله : « كتاب الله هو حبل الله المـمدود من السماء إلى الأرض » – وقـد سبق تخريج الروايتين ص ٥ هـ ٢ من هذا البحث .

(٣) آل عمران : ٩٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ .
ورد هذا البيت فى الأصل بلفظ : (أو نَعِمْتَ لها – فما أخذتَ) بدلاً من : (أو أقمتَ لها – ماذا أخذتَ) – انظر (شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة): لمحمد محيى الدين عبد الحميد ص ٢٨٤ – الطبعة ٢ – (مطبعة السعادة) مع (المكتبة التجارية الكبرى) – القاهرة – ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

المطلب الثانى
زمن هذه الرحلة ومدتها

خرج الشنقيطى من مسقط رأسه ببلاده شنقيط بعد فجر يوم السبت الثامن من جمادى الآخرة من عام سبعة وستين وثلاثمائة وألف للهجرة (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) قاصداً بلاد الحجاز التى دخلها آنذاك عن طريق ميناء جدة السعودى ضحى يوم الاثنين السابعَ عشرَ من ذى القعدة من العام نفسه (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) وهذا ما يشير إليه من خلال حديثه عن يوم خروجه من بلاده ، ثم يوم وصوله الحجاز عن طريق (ميناء جدة السعودى) قادمًا من (ميناء سواكن السودان المصرى)[1] .

(١) يجرى على لسان الشنقيطىّ قوله : (السودان المصرى) تعبيراً به عن (السودان الشرقى) أو (جمهورية السودان الديمقراطية) المتاخمة لمصر من الناحية الجنوبية بشرق أفريقيا ؛ وذلك اتباعًا منه للمصادر الأفريقية التى درجت على هذا الوصف تمييزًا له عن (السودان الغربى) الذى تسكنه الشعوب السودان من الزنوج وغيرهم فى غرب القارة الأفريقية والتى يطلق عليها (أفريقيا الغربية) أو (القارة السوداء) أو (عالم الملونين) .

ومن الجدير بالذكر أن (السُّود أو السُّودان) ينتشرون بكثرة فى شنقيط أو موريتانيا ويشملون (اللُّحْمَة) وهم العبيد والحِرَفِيُّون من الزنوج السُّود ، بالإضافة إلى (الحرَاطِنَة) وهم المعتقون من الرِّقّ من البيضان ذوى الأصل الأسود أو السودان ذوى الأصل الأبيض نتيجة للتزاوج بينهما .

وفى مقابل هؤلاء يأتى (البِيْضُ أو البِيْضَان) الذين تسكن قلة منهم فى وسط وجنوبى موريتانيا على ضفاف نهر السنغال فى الحدود الفاصلة بين البلدين ، ويشملون (بنى حَسَّان) وهم العرب البيض من المحاربين ، بالإضافة إلى (الزَّوَايَا) وهم العلماء البيض من السادة الذين منهم الشنقيطىّ وقومه (بنوجَاكان) .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- الجأش الربيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ٢٧ .
- جمهورية موريتانيا الإسلامية : عبد البارى النجم ص ٦٥ .
- العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقى ص ١٤٩ .
- معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة ١١٢٣/٣ .
- من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة : الدليشى الخالدى ص ٢٣ .
- موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤١ - ٧٩ .
- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٧٥ .
- موريتانيا: عبد الله عنان ص٢٤ - مجلة العربى - العدد ٢٥ - السنة ٢ - الكويت - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م .
- مظاهر الوعى القومى عند مثقفىْ شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ - مجلة المستقبل العربى - العدد ٧٢ - السنة ٢ - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

أما يوم خروجه من بلاده فيذكره بقوله: كـان يوم الخروج لهذه القاعدة الكبيرة[1] لسبع مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، أمننا الله من الأمام والخلف[2] .

وأما يوم وصوله (ميناء جدة) بعد قضاء ما جملته ستة أيام منذ تحركه من (ميناء سواكن) فى بداية العشر الأواسط من ذى القعدة من العام نفسه فيذكره بقوله : سافرنا من تلك الليلة فى العشر الأواسط من ذى القـعدة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، فسـرنا متوجهين تلقـاء (سواكن) فـبتـنا دونها ، وجـئناها من الغـد فى المقيل ، ثم بـعد لأْىٍ تحـصلنا على الجوازات والـتذاكر بعـد أن سلمنا الرسـوم المقررة ، ثم مكثنا فى مـحل النظر فى (صـحة الحجاج) ثلاثة أيـام ، ثم ركبنا فى السفينة مـتوجهين إلى (جِدَّة) فـمكثت بنا يومًا وليلة فى البحر ، ثم نزلنا من الغد فى جِدَّة[3] .

وبهذا يتبين لنا أن هذه الرحلة قد استغرقت مـا يقرب من مائة وستين يومًا هجريًا أو ما يعادل مـائة وأربعة وخـمسين يومًـا مـيلاديًا منذ خروج الشنقـيطى من بلاده فى (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧-٤- ١٩٤٨ م) وحـتى وصـوله الحجـاز فى (١٧-١١-١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨م) .

المطلب الثالث
وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة بَرِيَّةً فى أغلب مراحلها حيث شملت منذ بدايتها سائر وسائل الانتقال المعروفة مـن إبـل وسيارات وقطـارات بالإضافـة إلـى التَّرَجُّل أو السير علـى الأقدام كمـا لا يخفى ؛ حتى إذا ما وصل الشنقيطى ميناء سواكن[4] ركب البحر فى طريقه إلى جدة التى وصلها بعد يوم وليلة هو ومَنْ معه من مرافقيه آنذاك .

(١) ويقصد بها حـجة الإسلام المتمثلة فى الحج الأكبر (الركن الخامس من أركـان الإسلام ، أو القاعدة الخامسة من قواعده) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ (بتصرف) .

(٤) يقع (ميناء سواكن) بجـوار نظيره (ميناء بورسودان) على السـاحل الـغربى للبحر الأحمر بجـمهورية السودان الديمقـراطية ، وفى مقابله تقـريبًا يقع (ميناء جدة) على السـاحل الشرقى للبحـر الأحمر بالمملكة العربية السعودية - انظر موقع الميناءين بالسودان والسعودية على الترتيب فى كل من :
- أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ٩٦ - ص ٧ .
- الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٢٥ - ص٣٥ .
- الأطلس المدرسى : د. محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٢٣ - ص٣٠ .

وعن سبب إيثار الشنقيطى لأن تكون رحلته إلى الحج رحلة بَرِيَّة يرجع الشيخ المجذوب ذلك إلى أمرين اثنين يذكرهما بقوله : لعل ذلك عائد إلى أمرين : أحدهما أُلْفَتُهُ ظهورَ الإبل التى قضى معها العشرات من سِنِيِّهِ حتى خالطت آثارها كِيَانه ؛ بل بعد استقراره فى مدينة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه واستعماله السيارة فى تنقلاته ؛ فإنه لا يبارحه الحنين إلى ذلك العهد ، وما أدرى كم من حجة أدّاها على متن البعير ، ضاحِيَ الرأسِ للشمس التى طالما ألفها فى صحراء شنقيط . أما ثانى التعليلين : فلا أستبعد أن يكون مرده رغبة الشيخ الأمين فى لقاء العلماء ، وتعرف معالم الديار الإسلامية التى تقتضيه الرحلة الطويلة أن يتخذها ممرًّا(١) .

غير أننا نرجّح ثانىَ التعليلين الذى لم يستبعده الشيخ المجذوب ؛ وذلك لأنه يتفق والطابع العلمى لهذه الرحلة(٢) والتى تهدف فى المقام الأول إلى التعرف الشنقيطى على طبيعة وأحوال تلك الأقطار الأفريقية التى يمر عليها فى طريق رحلته لإمكان نشر الدعوة بين شعوبها وإفادتهم علميًا ، وذلك فضلاً عن إثراء لغة الحوار والمناظرات العلمية بين الشنقيطى من جانب وعلماء تلك الأقطار من جانب آخر ، ولا يخفى ما فى ذلك من منافع سامية ، وفوائد جمة .

المطلب الرابع
الأقطار التى شملتها هذه الرحلة(٣)

بلغ عدد هذه الأقطار ستة أقطار أفريقية بدأت بدولة السنغال ، ثم مالى ، والنيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية ، وأخيرًا السودان المصرى ، وذلك باستثناء بلاده شنقيط التى خرج منها بقارة أفريقيا ، وكذا المملكة العربية السعودية التى وصلها بقارة آسيا .

وقد آثرنا تسمية هذه الأقطار الستة بذات أسمائها التى أوردها الشنقيطى حيث ذكر بعضها مقرونًا بجنسية مستعمريها آنذاك قبل أن يتم تحريرها واستقلالها مثل قوله : (النيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية) فى حين ذكر آخرها بدلالة القطر المجاور له مثل قوله : (السودان المصرى) وليس ذلك إلاّ لتمييز هذه الأقطار والدلالة عليها بما

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧ .

(٢) كما سيأتى بيان ذلك بعد قليل من خلال حديثنا عن فقه هذه الرحلة وطابعها العلمىّ .

(٣) قد تتبعنا هذه الأقطار فى مواضعها المتفرقة على مدار خمسين صفحة من كتاب الشنقيطى المسمى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والبالغ مائتين وأربعًا وثمانين صفحة .

يزيل اللبس ويرفع الخلط بينها وبين غيرها مما يشابهها من الأقطار الأفريقية الأخرى[1] .

المطلب الخامس
طابع هذه الرحلة العلمىّ والأدبىّ

تضمنت هذه الرحلة مباحث عديدة ومسائل جليلة فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية التى أجاب بها الشنقيطى إثر ما كان يُوَجَّهُ إليه من أسئلة أو يُجْرَى معه من محاورات على امتداد رحلته هذه من بدايتها وحتى نهايتها .

الأمر الذى ميَّزَ هذه الرحلة عن غيرها من الرحلات الأخرى بذلك الطابع العلمىّ والأدبىّ الذى تجلّى من خلاله فقه الشنقيطىّ ، والذى سنعرض له من خلال حديثنا عن كتابه المسمى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) ضمن آثاره العلمية ومؤلفاته .

(١) ومن ذلك اللبس ما قد يحدث بين كلمتىْ (نيجر) و (نيجيريا) بل وأشهر من ذلك ما يُفَرِّقُ به الجغرافيون بين ثلاث حالات تتعلق بدولة غينيا حيث يقولون : (غينيا) ثم (غينيا بِيسَاوْ أو البرتغالية) وأخيرًا (غينيا الاستوائية) - وانظر فى ذلك خارطة (أفريقيا السياسية) فى كل من :

- أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٧ .
- الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .
- الأطلس المدرسى : د. محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٤١ .

ومن ذلك أيضًا تفريق الشنقيطى على عادة المصادر الأفريقية بين (السودان المصرى) الذى يعنى (السودان الشرقى) أو (جمهورية السودان الديمقراطية) المتاخمة لجنوب مصر بشرق أفريقيا ، وبين (السودان الغربى) الذى تسكنه الشعوب السوداء من الزنوج وغيرهم فى دول غرب أفريقيا .

المبحث الثانى

رحلـــة الدعـــوة

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - **المطلب الأول** : السبب الباعث على هذه الرحلة .

٢ - **المطلب الثانى** : زمن هذه الرحلة ومدتها .

٣ - **المطلب الثالث** : وسائل الانتقال فى هذه الرحلة .

٤ - **المطلب الرابع** : الأقطار التى شملتها هذه الرحلة .

٥ - **المطلب الخامس** : طابع هذه الرحلة العلمىّ والأدبىّ .

تأتى هذه الرحلة فى إطار قيام الشنقيطى بواجبه المنوط به تجاه خدمة هذا الدين، والذى يحتم عليه تبيانه لما أُشْكِلَ منه على أبنائه ، بل ودفـاعه عما اتُّهِمَ به من أعدائه ، وذلك من خلال تلك البراهين الساطعة ، والأدلة الناصعة ، التى يستـدعيها من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ وهذا ما نحاول أن نعرض لـه مـن خـلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السـبب الباعث على هذه الرحلة فيـأتى فى إطار سياسة الجـامعة الإسلامـية بالمدينة المنورة التى ترمى إلى نشر الدعوة وتدعيمها بين شعـوب الدول الإسلامية عامة ، والأفريقية منها خـاصـة ، وهذا هدفها الخـاص الذى يبلوره (شعـارها الرسمى) المتمـثل فى قول الله تعالى : ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الآية[1] حيث تربى من خلال هذا المنهج أجيـال متلاحقة من طلاب العلم الذين يضطلعون بنشر الـدعوة فى بلادهم عند عودتهم إليها إثر انتهـاء دراستهم وتمام إعدادهم .

وأما الهدف العام لهذه الجامعة فيتمثل فى تدعيمها هؤلاء الدعاة ومساندتها لهم فى إطار سياسة الجامعة التى تقوم على إيفاد بعثات سنوية دائمة من كبار علمائها لمتابعة هؤلاء الدعاة وحل المشكلات التى تعتـرض الدعوة فـى بلادهم ؛ وذلك انطلاقـًا من قول الله تعـالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية[2] .

وعليه ؛ فقد كـان الشنقيطى على رأس بعثة الجامعة الموفدة إلى قـارة أفريقيا للاضطلاع بهذه المهمـة الجليلة ، وإلى هذه البعثة يشير تلمـيذه الشيخ عطية قائلاً : إذا كـانت الجامعة الإسلامية قد فتحت للبلاد[3] نوافذ تطل منها على العالم الإسلامى كله ، وجعلت من حق أولئك الأبناء مـا يجب لهم من رعايتـهم ، ومن حق تلك الأقطار مـا يلزم لها من تقـوية أواصر الروابط مـعهـا ؛ لذا فقد كـانت فكرة إرسال بعـثات إلى الأقطار الإسلامـية عـامة والأفريقيـة منها خاصة ، على رأس أولويات الجـامعة التى تهدف إليهـا سياستهـا الثابتة ، وترمى إليها خطتها الدائمة[4] .

(١) التوبة : ١٢٢ .
(٢) آل عمران : ١٠٤ .
(٣) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة بتصرف) .

المطلب الثانى
زمن هذه الرحلة ومدتها(1)

خرج الشنقيطى من المدينة المنورة فى بداية العطلة السنوية للجامعة الإسلامية من عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) على رأس بعثة الجامعة آنذاك إلى قارة أفريقيا ، وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من شهرين عاد بعدها الشنقيطى ومرافقوه إلى المدينة المنورة مرة ثانية فى نفس العام .

المطلب الثالث
وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة جويَّة فى أغلب مراحلها إلاّ فى بعض المراحل البريّة التى كان ينتقل فيها الشنقيطى ومرافقوه بالسيارة داخل الأقطار التى شملتها هذه الرحلة بصحبة ولاة الأمر وكبار المسئولين فيها .

ويشهد لهذا ما أصَرَّ عليه أحدُ الحكام الأفارقة فى هذه الأقطار من مرافقة الشنقيطىّ وعدم مفارقته فى حلَّه وترحاله إلى درجة أنه كان يحمله فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه إلى الأماكن المُعَدَّة للزيارة ، بل ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطى حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخْفِى عنه حقيقة الحكم الجائر الذى كان يمارسه فى بلاده ، وفى هذا ما فيه من هيبة الشنقيطى لدى هؤلاء الحكام ، فضلاً عن اهتمامهم به ، وتقديرهم له .

المطلب الرابع
الأقطار التى شملتها هذه الرحلة

بلغ عدد هذه الأقطار تسعة أقطار أفريقية بدأت بجمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، وداهومى(2) ومالى ، وساحل العاج(3) وغينيا(4) والسنغال ، ثم

(1) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٤ .

(2) وهى ما تعرف الآن بدولة (بِنِين) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ (أطلس العالم الإسلامى) : د. دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٦ .

(3) وهى ما تعرف الآن بدلة (كوت دى ڤوار) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ (الأطلس العربى) : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .

(4) وهى غير (غينيا بِيْسَاوْ أو البرتغالية) وكذا (غينيا الاستوائية) كما سبق تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

انتهت بجمهورية موريتانيا الإسلامية حيث مسقط رأس الشنقيطى، وذلك باستثناء مُهَاجَره بالمملكة العربية السعودية التى بدأ منها الشنقيطى رحلته ، وكذا جمهورية السودان الديمقراطية التى مر بها ثانية حسبما كان يتطلبه طريق عودته آنذاك إلى المملكة .

إلاّ أن الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى قد ذكر أن هذه الرحلة قد شملت عشرة أقطار بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا الموطن الأول لشيخه ، وقد وافقه فى ذلك الشيخ محمد المجذوب[١] .

ولما اكتفيا بالإشارة إلى عدد هذه الأقطار دون تسميتها[٢] فقد دفعنى هذا إلى استيضاح الأمر من الشيخ عطية الذى أجابنى بما نصه : وأما عن تسمية هذه الدول العشر التى مَرَّ بها فضيلته رحمة الله تعالى علينا وعليه فى رحلة أفريقيا ، فالواقع أنها بدأت بالسودان ، ثم نيجيريا ، والنيجر ، ومالى ، والسينجال[٣] وموريتانيا ، ثم داهومى ، وساحل العاج ، وغينيا ، ثم العودة إلى السودان ، فالمملكة مرة أخرى[٤] .

- غير أنه يلاحظ على هذه الإجابة أمران :

١ - أن عدد هذه الأقطار تسعة أقطار كما قررنا من قبل ، وليست عشرة كما ذكر الشيخ عطية ؛ إلاّ أن يكون قد عَدّ المملكة ضمن هذه الأقطار ، أو عَدّ السودان مرتين ذهابًا وإيابًا .

وكلا الأمرين لا يتفق مع ما ذكره من قبل أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا ؛ مما يفهم منه أن المملكة ليست داخلة عنده فى حساب هذه الأقطار ، كما أنه عَدَّ السودان مرة واحدة لا مرتين ؛ وبهذا يتأكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الرحلة قد شملت تسعة أقطار لا عشرة .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٨ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ .

(٢) بل ولم ترد تسمية هذه الأقطار عند غيرهما كذلك .

(٣) وتكتب أيضًا (السنغال) و (السينغال) و (السينكال) و (السانكال) كما تعرف كذلك بـ (بلاد إِنْدَر) - راجع فى ذلك كلا من :
- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٦٦ - ص ٤٢٢ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرّاً ص ٥ .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

٢ - أن ترتيب الأقطار الذى ذكره الشيخ عطية يقتضى توسط موريتانيا بينها ، وهذا ما يخالف قوله بوقوع موريتانيا فى نهاية هذه الرحلة لا منتصفها .

كما أن الترتيب الذى ذكره لا يتفق مع الترتيب الجغرافى لمواقع هذه الأقطار وتجاور بعضها من بعض كما بيَّنَّا ذلك من واقع الخارطة السياسية لقارة أفريقيا ؛ بل إن الترتيب الذى ذكرناه يقتضى البَدْءَ بالسودان والانتهاء بموريتانيا ، وهذا ما يتفق مع قول الشيخ عطية من أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا .

المطلب الخامس
طابع هذه الرحلة العلميّ والأدبيّ

أشار الشيخ عطية إلى ذلك على وجه الإجمال ، حيث نَوَّهَ بما حوته رحلة شيخه هذه من مباحث علمية عديدة ، وقضايا أدبية مفيدة .

وهذا ما يحدثنا عنه قائلاً : كان لهذه البعثة فى تلك البلاد أعظم الأثر ، وأذكر فى مجلس من أفاضل البلاد بموريتانيا فى حفل تكريم للبعثة وَكَلَ إلىّ رحمه الله كلمة الجواب[1] فكان منها : (إن الذكريات لتتحدث ، وإنها لساعة عجيبة أدارت عجلة الزمان ؛ حيث نشأ الشيخ فى بلادكم ثم هاجر إلى الحجاز ، ثم ها هو يعود إليكم على رأس وفد ورئاسة بعثة ، فبعد أن نبتت غرسة علمه هنا عندكم ، ذهب إلى الحجاز فنمت وترعرعت ، وامتدت أغصانها حتى شملت بوارف ظلها بلاد الإسلام شرقًا وغربًا ؛ وها نحن فى موطنه نجنى ثمار غرسها ، ونستظل بوارف ظلها) حقًا ؛ لقد كانت هذه الرحلة حَلْقَةَ اتصالٍ ، وتجديدَ عهدٍ ، وإحياءً لمعالم الإسلام[2] .

كما أشار الشيخ محمد المجذوب إلى شىءٍ من هذا بقوله : لقد حفلت هذه البعثة بالكثير من نشاط الشيخ رحمه الله ، حيث كان موضع الحفاوة البالغة من حكام تلك الأقطار وعلمائها ، ولم يَدَعْ بلداً من تلك الدول إلاّ بذل فيها من علمه ما أخذ بالألباب[3].

ويشهد لهذا رد الفعل الذى أحدثته إجابات الشنقيطى المفصلة ، وروده المستفيضة ،

---

(١) ويقصد بكلمة الجواب : أى كلمة الرد على ترحيب أفاضل موريتانيا وعلمائها ، بل وشكرهم على حفاوتهم البالغة بشيخه الشنقيطى ومرافقيه .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٩ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) .

على جملة المسائل العلمية التى وجهت إليه ، وخاصة ما كان منها فى مسقط رأسه بقرية (قَرْو) ببلاده موريتانيا ؛ حيث عَلَّقَ قاضى القرية على ذلك بقوله : لم يَبْقَ لأحد هنا كلام فقد ظهر الحق ، ولا سؤال فقد زال اللبس ، وإن الحضور بين أحد رجلين : عالمٍ فقد عرف الحق فلم يَبْقَ له سؤال ، وجاهلٍ فلا يحق له أن يَسْأل[1] .

ولأهمية هذه الإجابات ، وفائدة تلك المحاضرات ؛ فقد أكد الشيخ عطية احتفاظه بها وعزمه على إخراجها ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : وكان له رحمه الله العديد من المحاضرات والمحادثات التى سُجِّلَتْ كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة عندى ، وإنى لآمل أن أوفق لنقلها وطبعها إتمامًا للفائدة إن شاء الله تعالى[2] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤١ (من المقدمة) .

وجدير بالإيضاح أن المقصود بقول قاضى قرية قَرْو : (وجاهلٍ فلا يحاق له أن يَسْأل) أى لن يحتاج الجاهل للسؤال؛ لأنه تم له ما أراده من المعرفة بدون سؤال ؛ وإلاّ فالأصل أن من حق الجاهل أن يسأل أهل العلم عمّا يجهله ؛ امتثالا لأمر الله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ النحل : ٤٣ - الأنبياء : ٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤٩ (من المقدمة) .

ونحن بدورنا نأمل أن يُوَفَّقَ الشيخُ عطية لذلك ، حيث لم تَرَ هذه الآثار النور حتى الآن ، وعساه أن يكون قريبًا .

المبحث الثالث

رحلة العلاج

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .

٢ - المطلب الثاني : زمن هذه الرحلة ومدتها .

٣ - المطلب الثالث : وسائل الانتقال في هذه الرحلة .

٤ - المطلب الرابع : الأقطار التي شملتها هذه الرحلة .

٥ - المطلب الخامس : موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها .

تختلف هـذه الرحلة عن سَابِقَتَـيْهَـا من حيث الشكل والمضمـون ، فضـلاً عن موقف الشنقيطى منها ورأيه فيها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
السبب الباعث على هذه الرحلة

لا يخفى أن هذا السـبب ظاهر جلىّ حيث تمثل فى سفـر الشنقيطى بقصد عـلاجه من جملة الأمراض التى كانت تعتريه، بل وصار يعانى آلامها الشديدة فى أخريات حياته ، غير أنه لم ترد أية إشارة عن طبـيعة هذه الأمراض أو أسمـائها ، اللهم إلا (حساسيـة الشنقيطى ضد البنسلين) كما سيأتى تفصيل ذلك من خلال حديثنا عن وفاته ورثائه وحُسْنِ خاتمته .

المطلب الثانى
زمن هذه الرحلة ومدتها

بدأت سلسلة أسفـار الشنقيطى للعلاج فى غضـون عام ثمانية وثمـانين وثلاثمائة وألف للهجـرة بعد الحج (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) وذلك على وجه التـقريب ، ثم تكررت تلك الرحلات العلاجية أكثر من مرة على فترات مختلفة .

وهذا ما يفهم من الإشـارة الضمنية لتلميذه وابن عـمه الدكتور محمـد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى فى قوله : وكان مِنْ مَنِّ الله علىّ أنى ذهبت إلى الحجاز سنة ثمان وثمانين وثلاثمـائة وألف ، وبعـد انتـهائى من فـريضة الحج بَـدَا لـى أنى لابـد أن أقرأ (مـراقى السُّعود) ولما هممت بقـراءته على الشيخ ، فإذا به مشغول جـداً فى تأليف (أضواء البيان) والتدريس فى (الجامعة الإسلامية) والتـدريس فى (الحرم النبوى) مع ما يعتريه من الأمراض التى ألجأته إلى السفر للعلاج أكثر من مرة[١] .

ومع أنه لم يرد أى تحديد لعدد هذه الرحلات أو مددها إلاّ أن الشنقيطى كان يُقْدِمُ على ذلك كلما دعت الضرورة ، كما كان يرجع إلى المدينة المنورة على الفور عندما كانت تسمح حالته الصحية بذلك.

أما آخر أسـفار هذا العلاج فقـد كان قُبَيْلَ الحج من عام ثلاثة وتسـعين وثلاثمائة وألف للهجـرة (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) وفور رجوعـه من سفره هذا قـام بأداء مناسك الحج من العام نفسه ، ثم كان أن اخترمته المنية ووافاه الأجل بعد الحج بأيام قلائل .

---

(١) نثر الورود على مراقى السعـود : الشنقيطى - تحقيـق وإكمـال تلميذه : د. مـحمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١/ ١١ .

المطلب الثالث
وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت رحلات الشنقيطى للعلاج جوية فى جميع مراحلها إلاّ من بعض التنقلات البرية الداخلية التى كانت تقتضيها طبيعة العلاج تحت الإشراف الطبى الكامل ، وفى ظل الرعاية الصحية اللازمة .

المطلب الرابع
الاقطار التى شملتها هذه الرحلة

شملت رحلة علاج الشنقيطى كلاً من مصر وأوروبا اللتين سافر إليهما أكثر من مرة لهذا الغرض، وهذا ما أشار إليه تلميذه وابن عمه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى بقوله : لقد ألجأته الأمراض التى كانت تعتريه إلى الذهاب إلى مصر وأوروبا أكثر من مرة(١) .

أما رحلاته العلاجية إلى مصر فقد كان فيها نزيل حاضرتها حيث القاهرة بالتحديد ، وقد صحبه فى بعضها تلميذه وابن قبيلته الدكتور بابا بن بابا بن آدُّه الجكنى الشنقيطى(٢) .

فى حين كانت رحلاته العلاجية إلى أوروبا تنحصر فى بريطانيا التى كان فيها نزيل حاضرتها حيث لندن بالتحديد ، غير أنه لم يرد أيُّ ذكر بشأن مرافقيه آنذاك(٣) .

المطلب الخامس
موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها

ليس من شك فى أن الذى حمل الشنقيطى بصفة عامة على السفر للعلاج بكل من القاهرة ولندن هو تلك الضرورة الملحة التى ألجأته إلى ذلك رغمًا عنه .

---

(١) نثر الورود على مراقى السعود : الشنقيطى – تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ١/ ١١ .

(٢) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٠ .

(٣) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٢ .

فإذا جئنا إلى موقـفه من سفره إلى لندن ورأيه فى ذلك بصفة خاصـة ؛ فإننا نجد حالة مـن عدم الرضـا عـن سفره إلـى تلك البلاد لكونهـا ليست مـن ديار الإسلام؛ بل قـد دفعه ورعه إلى جـعل هذا السفر بمنزلة الإثم الذى يلزمـه التكفير عنه ، لا بطاعـة عادية ، وإنما بحج أكبر ، وهذا ما يحدثنا به تلميذه وابن قبيـلته أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى قائلاً ما نـصه: راجعت الشيخ رحـمه الله فى ترك الحج فى السَّنَة التى توفى فيهـا نظرًا لسوء صحته؛ فقال: دَعْ عنك المحاولة ! فإن سـفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لابد أن أكفر عنه بحج[1] .

لكن الأمر يختلف تمامًـا بالنسبة لقناعته الكاملة ورضاه التام عـن سفره إلى القاهرة بلد الأزهر الشريف الجامع والجـامعة ، كعـبة العلم والعلماء العاملين ، وحـاضرة ديار الإسلام والمسلمين .

* * *

ملاحظات حول رحلات الشنقيطى:

تتشابه رحـلات الشنقيطى فى بعض الخصـائص وتختلف فى بعضهـا الآخر ، وهذا ما نحاول رصده من خلال جملة الملاحظات التالية :

١ - *الطابع العلميّ:*

بالرغم من إقدام كثير من الأدباء على تسجيل وقائع رحلاتهم من خلال ذلك الأسلوب الأدبيّ الذى يتوزع بـين القَصَص تارة والخيـال تارة أخرى ، والذى يعـمدون من ورائه إلى الحديث عن أحـوال البلاد والعـباد من حيثُ وصفُ عـاداتها وتقاليـدها ، ورصدُ طرائفـها وغرائبها .

وبالرغـم من إحجـام كثيـر من العلماء عـن تسـجيل وقائـع رحـلاتهم إلاّ مـن الشىء اليسيـر الذى لا يكاد يُبِيْنُ ، ومن خلال ذلك الأسلوب العلميّ الذى يعـبِّرون به عن بعض الذكريات التـى تحملها خواطرهم، والتى قد يعـدو جُلَّها طَىُّ النسيان؛ مما يجعل من الصعوبة على البـاحثين بمكان أن يتناولوها بالبـحث والتحليـل، ويُجَلُّوا ما بهـا من مسائـل عديدة، وقضايا مفيدة .

إلاّ أنه باستثناء رحلة العـلاج ؛ فقد جمعت رحلتا الشنـقيطى للحج والدعوة بين العلم

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطـى : جـمع وتصنيف عبـد الرحمن بـن عبد العزيز السديس ص ٢٠٢ .

والأدب ، وذلك من خلال الأسلوب العلميّ المتأدب الذى يسوق المسألة العلمية فى حُلة أدبيّة ، كما يعرض للقضية الأدبية معتمدةً على حقيقة علميّة ؛ وهذا ما جعل رحلات الشنقيطى بما حوته من علم وأدب مغايرةً لما عداها من الرحلات الأخرى التى تنضوى تحت أحدهما دون الآخر فتكون علمية تارة ، وأدبية تارة أخرى .

ومن ثم يحدد لنا الشيخ عطية موقع رحلات شيخه من ذلك قائلاً : يغلب على أساليب الرحلات وموضوعاتها أن يكون مبناها عرضَ خطِّ السير من منطلق صاحبها إلى منتهاه ، وتسجيل معالم الطريق وأحداث المسير ، وما جرى لصاحبها من أحداث تسر أو تحزن ، وتضحك أو تبكى ، وقلما تشتمل على مجالس أدبية أو مباحث علمية .

وبين أيدينا من أشهر الرحلات رحلة (ابن بطوطة) ورحلة (ابن جبير) وكلاهما رحل من المغرب إلى الحجاز وعاد إلى بلده فلم أجد فيهما من المجالات العلمية أكثر من عرض لمشاعر الحج .

ولم أقف على رحلة عُنِيَتْ بمسائل علمية ، أو مجالس العلماء ، ومباحث دقيقة وجليلة ، اللهمَّ إلا رحلة (النابلسى) إلى المدينة ؛ فقد بسط فيها مباحث فقهية ، وأحاديث نبوية ، وإن كانت لم تتعرض لشىء من المعقول كالمنطق والأصول ، كما كانت مباحثها كلها فى المدينة المنورة ، وكذا رحلة (أبى على القالى) .

ولأن أدب الرحلات فن متميز ؛ لذا فإنه يتطلب قدرة على التعبير ، ودقة فى التصوير ، حيث يصف المواقع والمواقف وما يمر له مما يستحق التسجيل بوضوح العبارة ؛ حتى يجعله كالمحسوس المدرك بالإشارة ، مع حسن الاختيار وذوق فيما يختار ، ويبرز ما شاهد من مرئيات بأدق وأصدق العبارات ؛ مما يتطلب ذوقًا حسَّاسًا ، وحسًا ذوّاقًا ، ولا يقوى على ذلك إلاّ عالم أريب ، أو مثقف أديب .

وقد اجتمع كل ذلك لصاحب هذه الرحلة رحمه الله تعالى؛ فجاءت سَلِسَةَ الأسلوب ، شيقة الحديث ، عذبة الألفاظ ، كما جمعت من الطُّرفِ أطيبها ، ومن الحقائق العلمية أدقها ، ومن المؤانسات الشعرية أعذبها ، بل ربما اشتملت على ليالٍ نابغية[1] وساعاتٍ

---

(١) ويقصد بها ليالىَ النابغة الذبيانى فى محنته المشهورة التى قاسى ويلاتها ، وتجرّع آلامها ؛ من جراء غضب النعمان بن المنذر أمير الحيرة عليه ؛ حيث لم يكن أمام النابغة آنذاك من سبيل لإبداء الندم ، وطلب الصفح ؛ سوى أن ينشئ قصيدته المعروفة التى يسترضى بها النعمان ، والتى يقول فيها :

أَتَانِى - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّكَ لُمْتَنِى وتلك التى أَهْتَمُّ منها وأُنْصَبُ

ذهبية ، شأن كل رَحَّالة عظيم الشأن ، يلقى المخاطر ، ويجازف ويغامر ، ويقابل كل ظرف وحال ، بما يناسبه من صبر وتحمل ، واستئناس وتجمل .

فهى بحق كحديقة غَنَّاء بها غروس مورقة ، وزهور ناعمة ، وثمار يانعة ، وقد تجد فيها أشواكًا بارزة ، وأحجارًا صلدة ، وجداول باسمة ، ورمالاً جاثمة ؛ فتكتمل الصورة الطبيعية التى تمتع النظر ، وتثير الفِكَر ، وتورث العِبَر ، ويجد كلُّ ذى طبعٍ ما يلائمه ، وكلُّ ذى رغبةٍ ما يوافقه ، وهى بحق ممتعة كل قارئ ، مهما اختلفت العادات ، أو تنوعت الاتجاهات، أو تعددت الاختصاصات من : (تفسير وأصول وفقه وعقائد ونحو وأدب ومنطق وتاريخ وبيئة وطبيعة) مما يراه القارئ بنفسه ، ويدركه بحسه[1] .

٢ - تباعد الأزمنة واختلافُ المُدَد :

اختلفت رحلات الشنقيطى الثلاث فيما بينها من حيث تاريخ كل منها والفترة التى استغرقتها ، أما رحلته الأولى للحج فقد بدأت فى (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) من بلاده شنقيط فى طريقه إلى بلاد الحجاز التى وصلها بعد قرابة مائة وستين يومًا هجريًا أو ما يعادل مائة وأربعة وخمسين يومًا ميلاديًا فى (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) .

وبعد ثمانية عشر عامًا هجريًا كاملاً جاءت رحلته الثانية للدعوة بقارة أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى بدأت مع العطلة السنوية للجامعة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) واستغرقت أكثر من شهرين بقليل .

ولم تمر إلا ثلاثة أعوام على وجه التقريب حتى بدأ رحلته الثالثة والأخيرة للعلاج فى غضون عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) والذى اضطره للسفر إلى القاهرة ولندن أكثر من مرة

= فَبِتُّ كأنّ العائدات فَرَشْنَنى ... هراسًا به يُعْلَى فراشى ويُقْشَبُ
حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمَرْءِ مَذْهَبُ

- انظر تلك الأبيات بترتيبها المذكور فى (ديوان النابغة الذبيانى) = ص ٧٢ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

وقد شبه الشيخ عطية بعض ليالى رحلة شيخه الشنقيطى إلى الحج بليالى النابغة الذبيانى لجامع النَّصَب والتعب ، مع اختلاف الهدف والسبب .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ (من المقدمة) .

على مدار خـمس سنوات حتى قـبيل الحج الذى توفى بعد أن أدى مناسكـه بأيام قلائل من عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

٣ - موقع موريتانيا من رحلاته :

ونقصـد به موقع بلاد الشنقـيطى الذى احتلتـه ، وحيـزها الذى شغلتـه من رحلاته ، ونصيبها من نشاطه فيها ، فهى وإن جاءت فى مقدمة رحلته الأولى بحكم خروجه منها إلى بلاد الحجاز للحج ؛ إلا أنه حرص كل الحرص على أن يعود إليها ثانية بعد ثمانية عشر عامًا ليختم بها رحلته للدعوة فى أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وفى هذا ما فـيه من الأصالة والوفـاء لموطنه الأول عامـة ، ولمسقط رأسه بقـرية (قَرْو) خاصـة ؛ والتى كان لزيارته لهـا ، واجتـماعه بأهلهـا ، عوامِّـهم وخواصِّهم ، علـمائهم وفضلائهم ، أكبر الأثر وأعظمه فى جلاء عقولهم ، وصفاء قلوبهم ؛ إلى الحد الذى لخصه قاضيهم بلسانه ، وترجمه بإحساسه ، من خلال تعقيبه على محاضرة الشنقيطى ، ورد فعله إزاءها .

٤ - تسعة أقطار لا عشرة :

على الرغم من أن كل الذين أشـاروا إلى رحلة الشنقـيطى للدعوة قـد وافقـوا تلميـذه الشيخ عطية فى أنها شملت عشرة أقطار دون تسميتها[1] إلاّ أننا نعود فنؤكد أنها تسعة أقطار لا عشرة ، وهذا ما عرضنا لبيانه بالتفصيل قبل قليل .

أما اشتراك بعض هذه الأقطار فى زيارة الشنقيطى لها فى رحلته للدعوة بأفريقيا كما مَرَّ عليها فى رحلته للحج من قبل فتنحصر فى ستةٍ منها هى: (جمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجـيريا ، ومالي ، والسنغال ، ثم بلاده موريتانيـا) أما الثلاثة الأخرى وهى : داهومى (أو بِنِيْن) وساحل العاج (أو كوت دى فوار) وغينيا ، فقد شملتـها رحلته الثانية دون الأولى .

---

(١) وممن وافقوا الشيخ عطية فى ذلك نذكر كلاً من :

- عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس فى كتابه (ترجمة الشيخ مـحمد الأمين الشنقيطى) : ص ٧٤ .
- الطيب بن عمر بن الحسين فى كتابه (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : ص ٣٧١ .
- الدكتـور عبـد الله الطيـار مـع الدكتـور عبـد العـزيز الحجيـلان فـى كتـابهما (مـنسك الإمام الشنقيطى) : ١/٢٤ .

٥ - المرافقــون :

لم يشر الشنقـيطى إلى مرافقـيه إلا فى رحلته للحج حـيث عَبَّرَ عن ذلك بضمـير (نَا) لجماعة الفاعلين كقوله : (خرجنا وارتحلنا وبتنا وركبنا ونزلنا) دون تسمية أيٍّ منهم(١) .

أما رحلته للدعوة بأفريقيا فقد رافقه فيها كل من تلامذته : الشيخ عطية محمد سالم ، والشيخ محمد أمان من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والشيخ سيد الأمين المامى الجكنى الشنقيطىّ من رابطة العالم الإسلامىّ بمكة المكرمة(٢) .

ثم كان مرافقـه فى رحلة علاجه بالقاهرة تلميذه وابن قبـيلته الدكتور بابا بن بابا بن آدُّه الجكنى الشنقيطى(٣) غير أننا لا نـدرى كم مرة رافق فيها شـيخه ، كمـا لا ندرى خبراً عن علاج الشنقيطى فى لندن ومرافقيه فيها .

٦ - عدد الحجّات :

يتبين لنا من خـلال سيرة الشنقيطى مـواظبته على أداء مناسك الحج كل عام بما جـملته ست وعشرون حَجَّة على مدار ستة وعشـرين عامًا هجريًا قضاها بأرض الحجاز منذ وصوله إليها قادمًا من بلاده لأداء حـجة الإسلام الأولى عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وإلى أن توفى بها عقب أدائه مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

ويقوم على هذه المواظبة شاهدان :

أولهـما : تكليف الشنقـيطى بالمشاركة فى أعـمال (مؤتمر الحج السـنوىّ العالمىّ) الذى يجتمع من خلاله مع كبار علماء الأمة للبحث فى شئون المسلمين ، والنظر فيما يستجد على مجتمـعاتهم من مسائل ملحة وقضـايا مهمة ؛ الأمر الذى يستلزم اتفاقـهم على كلمةٍ سواءٍ بشأن إنتاج الحلول المناسبة التى تعود فى النهايـة على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم .

وثانيهما : إصرار الشنقيطى على أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ - ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن السديس بن عـبد العزيز ص ٧٤ .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٧١ هـ ١ .

(٣) انظر (ترجمـة الشيخ محـمد الأمين الشنقيطـى) : جمع وتصنيف عبـد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢٢٠ .

على الرغم من معاناته الآلام المبرحة الناجمة عن جملة الأمراض التى كانت تعتريه ، والتى كان قد رجع لِتَوِّه من (لندن) فى رحلة علاجه الأخيرة منها ؛ حتى إنه رفض مراجعة تلميذه أحمد بن أحمد الشنقيطى التى يرجوه فيـها أن يترك الحج من عامه هذا لشدة مرضه وألمه ، إلاّ أنه أنفذ حجه الذى كان يريد .

٧ - التدوين :

حظيت رحلة الشنقيطى للحج بتدوينه لها حـيث ضَمَّنَها كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والذى سنتناوله من خلال عرضنا لآثاره العلمية ومؤلفاته .

أما رحلة الدعـوة إلى القارة الأفريقـية فلا تزال مـسجلة على أشـرطة حتى الآن طَرَفَ تلميذه الأول ومرافقـه فيها الشيخ عطية محمد سالم الذى كـان قد أشار قبل موته إلى أمله فى أن يُوَفَّقَ لإخراجها لتتم بها الفائدة ويَعُمَّ بها النفع(١) .

وأما رحلة العلاج فلم يرد أى تفصيل بشأنها اللهمّ إلا على سبيل الإشارة فحسب .

وليس من شك فى أنـه يَحْدُونَـا ذاتُ الأمل الذى كـان يراود الشـيخ عطيـة فى تدوين وإخراج الرحلتين الأخريين للدعوة والعلاج ؛ حتى تكتمل سلسلة رحلات شيخه التى بدأها برحلة الحج ، ولن يعدم طلاب العلم لذلك من فائدة ، ولن يُحْرَمُوا به من نفع ؛ فعساه أن يكون قريبًا .

* * *

وفى الجملة : فإن الناظر فى رحلات الشنقيطى يتبين له أنه مُـقِلٌّ منها إذا ما قيس بغيره من العلماء والأدباء ، فضلاً عن غيرهم من الرَّحَّـالين والجَوَّالين ، مما تمثل لهم كثرة الأسفار همَّهم الأول ، وقد يكون الأخير .

فحياة مديدة ، وسنونَ عـديدة ، تستغرقها رحلتان فقط ؛ لحَرِىٌّ بصـاحبها أن يُعَدَّ من جملة المـقلِّين، وذلك باستـثناء رحلة العلاج التى اضطر إليـها الشنقـيطى اضطراراً ، على خلاف رحلتيْه الأخريين للحج والدعوة اختياراً .

(١) وجدير بالذكر أن تلميذ الشنقيطى ومرافقه الثانى فى تلك الرحلة الشيخ سيد الأمين المامى الشنقيطى قد أشار إلى بعض وقائعهـا وآثارها من خلال انطباعاته الذاتية فى كتابه المسـمى (لمحات فيصليّة من أعمال الدعوة الإسلامية فى القـارة الأفريقية) : ص ٥٣ - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

غير أن ذلك راجع فيما نرى إلى كثرة رحلاته الداخلية ببلاد الحجاز بصفة عامة ، وكل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة ؛ الأمر الذى لم يترك له نشاطه فيها فرصة لكثرة رحلاته وأسفاره بعيدًا عنها ؛ خاصة أن حاجة الحجاز إليه فى الداخل أكثر من حاجة غير الحجاز إليه فى الخارج .

كما أن فى الحج بصفة خاصة ، وفى الجامعة الإسلامية والحرم النبوىّ بصفة عامة ، كانت تتوافد إليه جموع المسلمين من حجاج ومعتمرين ، وباحثين ودارسين ؛ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، من كل حَدَب وصَوْب ، وكل فَجٍّ عميق ؛ ليستمعوا لدرسه ، ويفيدوا من علمه ، وفى هذا ما فيه للشنقيطى من العِوَضِ عن أسفارِه ، والغُنْيَةِ عن رحلاتِه .

الفصل السادس

مؤلفاته

الموجودة والمفقودة والمنسوبة

وينتظم المباحث السبعة التالية :

١ - المبحث الأول : مؤلفاته المخطوطة .

٢ - المبحث الثاني : مؤلفاته المطبوعة .

٣ - المبحث الثالث : مؤلفاته المسجلة .

٤ - المبحث الرابع : مؤلفاته الشعرية .

٥ - المبحث الخامس : مؤلفاته المفقودة .

٦ - المبحث السادس : مؤلفاته المنسوبة .

٧ - المبحث السابع : حصر مؤلفاته وتصنيفها .

تظل مؤلفات العلماء أَدَلَّ آثارهم العلميّة التى تُعَرِّفُ بهم ، وتترجم عنهم ، معبرة عن أفكارهم ، وشاهدة على آرائهم ، من لدن تدوينهم لها ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ، وتلكم أهميتها لهم ، وخطورة موقعها منهم ؛ وما أصدق الشاعرَ حين قال :

وما مِنْ كاتبٍ إلاَّ ستَبْقَى ... كتابتُهُ وإنْ فَنِيَتْ يَداهُ

فلا تكتبْ بِكَفِّكَ غيرَ شىءٍ ... يَسُرُّكَ فى القيامةِ أن تَراهُ[1]

وبالنسبة للأمة ؛ فإن مؤلفات علمائها تعد ذاكرتها المقروءة ، وسجلها الحافل ، الذى يحفظ تراثها ، ويخلّد مآثرها ، ويضع مدوناتها بين أيدى أبنائها من الأجيال المتلاحقة على مَرِّ العصور وتعاقب الدهور ؛ فيعمدون إليها بالتصنيف والتعريف ، والبحث والتحليل ، لِيُجَلُّوا ما بها من علم ، ويكشفوا عما بها من فائدة .

ولعل من أهم الشواهد وأقوى الأدلة على أهمية تدوين تلك المؤلفات فى حفظ تراث الأمة ، وإبراز آثار السلف للخلف ؛ أن القرآن والسُّنة ذاتهما قد تم تدوينهما حتى يظلا بين ظهرانَيْ هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة، مع أن لهما ما لهما من فارق الشرف والخصوصية، والتنزيه عن التمثيل والنِّديَّة ، من حيث تكفُّلُ الله بهما وحفظُهُ لهما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الآية [2] وذكر الله قرآنه ، كما أن سُنة نبيه ﷺ بعض وحيه كما فى قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ الآيتان[3] وكما جاء على لسان نبيه ﷺ : « ألاَ إنى أوتيت القرآنَ ومثلَهُ معه » الحديث[4] .

ولا يخفى هذا على أعداء الله ورسوله من الحاقدين على هذه الأمة ؛ حيث لا يعمدون فى بَدْءِ اعتداءاتهم الغاشمة على الإسلام والمسلمين إلاّ إلى تراثها المدون فى مؤلفات علمائها ، فإما سلبوها ونقلوها إلى ديارهم ، وإما حرقوها وأبادوها ، وما فِعْلُ التتر ببغداد عنا ببعيد !!

ومن هنا ؛ كانت مؤلفات علماء الأمة هى أبقى آثارها العلمية الدالة عليها ، بل وأهمها على الإطلاق ؛ بمالها من الانتشار والاستمرار فى مختلف الأعصار والأمصار .

وهذا ما يبلور أهمية وحتمية تناولنا لمؤلفات الشنقيطى بالإحصاء والاستقصاء ، فضلاً عن التصنيف والتعريف من خلال المباحث السبعة التالية :

---

(١) العقْد الفريد : لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربِّه ٢٠٨/٢ - شرحه وضبطه وصححه وعَنْوَنَ موضوعاته ورتَّبَ فهارسه: (أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإبيارى) - الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

(٢) الحِجْر : ٩ . (٣) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٤) سبَق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

المبحث الأول

مؤلفاته المخطوطة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : مخطوطاته ببلاده شنقيط .

٢ - **المطلب الثاني** : مخطوطاته ببلاد الحجاز .

ومعظمـها كان ببلاده شنقـيط قل أن يستقر به المقـام بأرض الحجاز ، وقد غلب علـيها (النظم) الذى يسود متون مختلف العلوم التى يحـفظها الشناقطة وَيَدْرُسُون شروحها ، وإلى هذا يشيـر الشيخ المجـذوب بقوله : تمثل هذه المؤلفات عـدداً من الأراجيـز على غرار تلك المنظومات التى شَبَّ شيخنا الشنقيطى على حفظها ودراستها[1].

كما أن هذه المخطوطات قد تنوعت فنونها ، وتعددت علومها ، على النحو الذى يشير إليه الشيخ عطية تلمـيذ الشنقيطى بقوله : لقد وجدت للشيخ رحمـه الله مؤلفات مخطوطة فى الفقه المالكى والمنطق والفرائض وغيرها ، والكل فى محاولة لطبعه إن شاء الله[2] .

وباستقصاء هـذه المخطـوطات وحصرها تبين أنها تشمل سَبْعَ مخطوطات ، منها خمس ببلاده شنقيط ، واثنتان ببلاد الحجاز كما يلى :

المطلب الأول
مخطوطاته ببلاده شنقيط

١ - ألفية المنطق :

وهو نظم فى فن المنطق يربو على ألف بيتٍ بدأه الشنقيطى بقوله :

حَمْـــداً لمَـــنْ أَظهَرَ للعقـــولِ ... حقائـــقَ المنقـــولِ والمعقـــولِ
وكَشَــفَ الرَّيْنَ[3] عـــن الأذهانِ ... بواضِـــحِ الدليـــلِ والبُـــرْهَانِ
وفَتَـــحَ الأبـــوابَ للألبَـــابِ ... حتـى استبانت مَا وراءَ البابِ[3]

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٧ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٧ (الجزء الثانى من التتمة) .

(٣) الرَّيْن والرُّيُون : الصدأ الذى يعلو كل شىء ويغطيـه ، ومنه قول الله تعـالى : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين : ١٤ - فإذا اشـتد الرين صار (طَبْعًـا) ومنه قول الله تعالى : ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة : ٨٧ - وإذا اشـتد الطبع صار (إقْفَـالاً) ومنه قول الله تعالى : ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمـد ﷺ : ٢٤ - انظر مادة (رَيَن) فى كل من لسان العرب : ٣/ ١٧٩٦ - مختار الصحاح : ص ٢٦٦ - المعجم الوسيط : ١/ ٤٠٠ .

وقد عَبَّـرَ الشنقيطىُّ بـ (الرَّيْن) هنا للدلالة على كل ما تعـيا العقول عن فهـم حقيقتـه ، وتعجز الأذهان عن إدراك معناه ؛ لغلبته عليها ، واستحكامه بها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٢ (من المقدمة) .

٢ - زيادة نظمه على رجز (البَحْر) :

وهو نظم مشهور فى علوم القرآن لمحمد بن بُوجَه المعروف عند الشناقطة بـ (البحر) حيث يتناول فيه كل ما يتعلق بضبط ورسم وتلاوة القرآن ، وذلك من خلال عرضه لكل كلمة متشابهة وردت فى القرآن مرة أو أكثر إلى سبع وعشرين مرة ، حيث يفرد لكل منها فصلاً خاصًا بها .

ومن أمثلة ذلك كلمة (أشياع) التى وردت فى القرآن مرتين ، فنراه ينظم موضعيْها هذين بقوله :

أشياعُ بالعين « فهلْ مِنْ مُدَّكِرْ » فـى سبأ « مِنْ قبل إنهـم » ذُكِرْ

وكان الشنقيطى قد حفظ هذا النظم ودرسه كاملاً فى طفولته ، ثم كانت له زيادة نظم على بعض أبياته كتلك التى زادها على هذا البيت لتوضيح معناه وبيان المراد منه بقوله :

فى سورة (القمر) خَاطِبْ وانْصِبَا وَجُـــرَّهُ وغَيِّبَنْهُ فـــى (سَـــبَا)

ويوضح الشنقيطىُّ بقوله هـذا مراد الناظم من أن كلمة (أشياع) قد وردت منصوبة لجماعة المخاطبين فى سورة القمر فى قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ الآية[1] فى حين وردت فى سورة سَبَأ مجرورةً لجماعة الغائبين فى قوله تعالى : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ الآية[2] .

وهكذا كان نهج الشنقيطى إزاء كل ما كان يحفظه أو يدرسه ويرى أنه بحاجة إلى زيادة فائدة أو زيادة إيضاح كهذا النظم وغيره من المنظوم الأخرى فى شتى العلوم ومختلف الفنون[3] .

٣ - شرحه على (سُلَّم الأخْضَرِيّ) :

وهو شرح مُفَصَّل على (سُلَّمِ الأخضرِى) فى فن المنطق كان قد أملاه الشنقيطى على مَنْ طَلَبه منه أثناء إقامته بدولة (النيجر) فى طريق رحلته للحج ، وقد أشار إلى هذا بقوله : وفى مدة إقامتنا عند الحاج (الكيدى توره) جاءنا رجل من أهل العلم من قبيلة تسمى (الطّلابه) اسمه (محمد إبراهيم) وطلب منا أن نبين له معانى (سُلَّم الأخضرى فى فن المنطق) بدرسٍ شافٍ فأجبته، فكان يكتب ما أُمْلِى عليه من إيضاح معانيه ليلاً ونهاراً ؛

---

(١) القمر : ٥١ . (٢) سبأ : ٥٤ .

(٣) راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٢٢ (من المقدمة) .

خوفًا من معاجلة السفر قبل الإتمام حتى أتى على آخره ؛ فجاء ذلك الإملاء شرحًا وافيًا ، وعن غيره كافيًا ، والحمد لله رب العالمين[1] .

٤ - نظم فى علم الفرائض :

وهو نظم طويل فى علم المواريث بدأه الشنقيطى بقوله :

تَرِكَــةُ الميــتِ بعــدَ الخامِــسْ ... مِنْ خمسة محصورةٌ عــن سادسْ
وحَصْرُهَا فــى الخمســةِ استقـراءْ ... وانبــذْ لحَصْــرِ العقــلِ بالعَــرَاءْ
أولهــا الحقــوقُ بالأعيـــانِ ... تعلقــتْ : كالرَّهْنِ أو كالجَانـى
وكزكـــاةِ التَّمْـــرِ والحبـــوبِ ... إنْ ماتَ بعدَ زمـنِ الوجـوبِ[2]

٥ - النظم الكبير فى فروع مذهب مالك :

وهو رجـز طويل يصل عدد أبيـاته إلى عدة آلاف ، ويخـتص بالعقـود من بيع ورهن وغيرهما ، وقد بدأه الشنقيطى بقوله :

الحمــدُ لله الــذى قــدْ نَدَبَــا ... لأنْ نَميزَ البَيْعَ عــن لَبْسِ الرِّبَا
ومَــنَّ بالمؤلِّفــينَ كُتُبَــا ... تتــركُ أطــوادَ الجَهَــالَةِ هبَّا
تَكْشِفُ عَــنْ عَيْنِ الفؤادِ الحُجُبَا ... إذا حجَــابٌ دُونَ علْــمٍ ضُرِبَا[3]

وقد استشهد الشنقيطى ببعض من هذا الرَّجَز فى سياق إقامته الحجة على أن القول المعتبر المقبول إنما هو بَيِّنَةُ المشترى لا البائع فى كلِّ غـائبٍ تَمَّ بيعُـهُ بالوصف ، لا بالنظر والمعاينة ، ولا بالرؤية المتقـدمة ، وفى ذلك يقول ما نصه : قال مقيد هذه الرحلة عفا الله عنه فى (نظمه الكبير فى فروع الإمام مالك) رحمه الله :

وَالبَيْــعُ إنْ بالوصـــفِ لا بالنَّظَرِ ... فالقولُ فى الصِّفَةِ قولُ المشترى[4]

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٩٤ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .
(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧١ .

المطلب الثانى
مخطوطاته ببلاد الحجاز

١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة فى الطائرة :

وهو العنوان الذى وضعه الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى لرسالة والده هذه والتى يُبيِّن فيها حكم صلاة المسافر بالطائرة لِمَنْ طَلَبَ منه ذلك ، حيث يقول فى مقدمتها ما نصه : أما بعد : فقد طلب منى بعض فضلاء إخواننا أن أقيد لهم حروفًا تظهر بها صحة صلاة مَنْ صَلّى فى الطائرة ؛ فأجبناهم إلى ذلك .

وقد بَيَّنَ الشنقيطى وجه استنباط صحة هذه الصلاة من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ثم من كلام العلماء على طريقة المناظرة الشرعية الخالية من اللجاج والجدل ، ولا تزال هذه الرسالة فى حوزة ابنه الدكتور عبد الله حتى الآن[١] .

٢ - هل الخلقُ مرزوقٌ من بَرَكتِه ﷺ أو أنّ للرزق أسبابًا أخرى ؟ :

وقد صدر هذا السؤال من أحد أمراء شنقيط حيث أرسله إلى الشنقيطى يريد منه الجواب ؛ ومن ثم فقد أفاض الشنقيطى فى الجواب مبينًا أن الحكمة التى خُلِقَ من أجلها العالَم ورُزِقَ إنما هى : (إلهيَّة ربانيَّة وليس نبويَّة) وقد جاءت هذه الرسالة فى إحدى عشرة صفحة ، ولا تزال أيضًا فى حوزة الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى حتى الآن[٢] .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٩ .

(٢) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٨ .

المبحث الثانى

مؤلفـــاته المطبوعـــة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تفسير (أضـواء البيان) خاصةً .

٢ - المطلب الثانى : بقية مـؤلفاته المطبوعة عـــامةً .

وكلها كانت بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز ، وبلغ عددها خمسةَ عشرَ مؤلفًا شملت كتبه ومحاضراته التى صدرت سواء فى حياته أو بعد رحيله ، ويأتى فى مقدمة هذه المؤلفات تفسيره : (أضواء البيان) وهو المَعْنِىُّ فى هذا البحث ؛ ومن ثم فقد رأينا أن نبدأ بإفراد الحديث عنه ، ثم نتبعه بقية هذه المؤلفات ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

تفسير (أضواء البيان) خاصة

وتمام اسمه : (أضواء البيَان فى إيضاح القرآن بالقرآن) وهو أَدَلُّ أعمال الشنقيطى الموسوعية ، بل يُعَدُّ أضخمها وأكملها ، وأعمها وأشملها ، وفيما يلى نُعَرِّفُ بهذا التفسير بشىءٍ من التفصيل الذى يناسب موقعه من هذا البحث ، وذلك من خلال تناولنا لكل من :

١ - السبب الباعث على تأليف الأضواء :

جاء تفسير (أضواء البيان) إثر سؤال وَجَّهَه الشيخ عطية إلى شيخه الشنقيطى أثناء قراءته عليه تفسير سورة البقرة الذى أتمه على مدار عامين كاملين فى حلقة الدرس الخاصة التى كانت تعقد يوميًا ما بين المغرب والعشاء ببيت الشيخ فى الرياض .

وفى هذا يحدثنا الشيخ عطية قائلاً : كانت تلك الدراسة على الشيخ رحمه الله هى رأس مالى فى جُلِّ تحصيلى ، وعليها أساس دراستى الحقيقية سواء فى المقررات أو غيرها ؛ لأن فى سورة البقرة جميع أبواب الفقه ، وعلى مباحثها تنطبق جل قواعد الأصول ، ولا يبعد مَنْ يقول : إن ما بعدها من السور يُعتبر تفسيرًا لها ، أو أن مَنْ أتقن تفسيرها سَهُلَ عليه تفسير ما بعدها ، وقد كانت دراستها سببًا فى تأليف كتابىْ : (دفع إيهام الاضطراب) و (أضواء البيان) وكل منهما إثر سؤال وجواب[1] .

ومع أن الشيخ عطية قد ذكر نص سؤاله الذى أَلَّف شيخه على إثره كتابه الأول[2] إلا أنه لم يذكر نص سؤاله الثانى الذى كان سببًا فى تأليف شيخه للتفسير .

٢ - طبعات الأضواء :

ما لبث أن فرغ الشنقيطى من تأليف الجزء السابع من (أضواء البيان) حتى سارع كثير

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٤ (من المقدمة) .

(٢) وسيأتى ذكر ذلك بعد قليل ضمن حديثنا عن بقية مؤلفات الشنقيطى المطبوعة .

من الأمراء والمحسنين والهيئات الإسلامية فى (المملكة العربية السعودية) إلى طبع هذا التفسير وتوزيعه مجانًا وقفًا لله تعالى على طلاب العلم .

هذا بالإضافة إلى دور النشر الخاصة فى كل من (مصر ولبنان) التى تتولى طبع ونشر وتوزيع هذا التفسير كلما نفذ ؛ نظرًا لما يلقاه من رواج ملحوظ ، وما يحظى به من قُبُول ملموس لدى طلاب العلم وباحثيه على السواء .

وفيما يلى نستعرض طبقات هذا التفسير منذ أن صدر فى طبعته الأولى فى حياة الشنقيطى وحتى طبعته الشرعية السابعة بعد رحيله ، وذلك على النحو التالى :

- ***الطبعة الأولى:***

صدرت هذه الطبعة فى حياة الشنقيطى عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) على نفقة صاحب المعالى الشيخ محمد بن عوض بن لأدِن وقفًا لله على طلبة العلم ، وقد تولّت إصدارها مطبعة المدنىّ (المؤسسة السعودية بمصر) بإشراف وتقديم صاحبها ومديرها الأستاذ علىّ صبح المدنىّ .

وقد وقعت هذه الطبعة فى سبعة أجزاء بدأت بتفسير (الفاتحة) وانتهت بتفسير (المجادلة) وقد لوحظ خلوها من ترجمة الشنقيطى وكذا خلوها من تصويب الأخطاء المطبعية ، بالإضافة إلى عدم ذكر الجملة الدُّعَائِية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير[1] .

- ***الطبعة الثانية:***

أصدر السلفيون هذه الطبعة التى تحمل رقم الإصدار الخامسَ عشرَ لهم ، وجاءت كسابقتها من حيث وقوعها فى سبعة أجزاء ، بالإضافة إلى خلوها من كل من : ترجمة الشنقيطى ، وتصويب الأخطاء المطبعة ، والجملة الدُّعَائِية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير .

ومع أن هذه الطبعة قد صدرت بدون تاريخ محدد ؛ إلا أن صدورها فى حياة الشنقيطى يحصرها ما بين عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) وهو (تاريخ الطبعة الأولى) وعام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) وهو (تاريخ وفاة الشنقيطى) .

---

(١) حيث كان الشنقيطى حَيًّا آنذاك ؛ ومن ثم لم تكتب هذه الجملة الدُّعَائِية إلا بعد وفاته ، أما خلو هذه الطبعة من ترجمته فلأنه لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه أو كتابة غيره عنه فى حياته جريًا على ما يشبه أن يكون فهمًا سائدًا أو اتفاقًا ضمنيًا لدى الباحثين من أن (المعاصرة حجاب) .

- **الطبعة الثالثة :**

وهـى الطبـعـة الثـانية الـتى أصدرها المـدنىّ عام (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) بـعد وفـاة الشنقـيطى ، وجاءت فى عشـرة أجزاء شـملت الأجزاء السـبعة التـى فسرها الشنـقيطى ، بالإضافة إلى الجزأين الثامـن والتاسع من تتمة تلميذه الشيخ عطية بداية من تفـسير (الحشر) وانتهاءً بتفـسير (الناس) واللذين وُسِمَا بعـنـوان : (الأول والثانى من التتمة) واشتملا علـى (رسالة فى النـاسخ والمنسوخ) عبـارة عن شرح للشنقـيطى على عشـرة أبيات للسـيوطى ، بالإضافة إلى (فهرس فقهى لكامل أضواء البيان) من عمل الشيخ عطية .

أما الجزء العاشر والأخـير فقد جاء مشتملاً على مـؤلفين للشنقيطى هما : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعـبد والإعجاز) و(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتـاب) بالإضافة إلى ترجمة الشنقيطى بقلم تلميذه الشيخ عطية .

- **الطبعة الرابعة :**

صـدرت هذه الطبعـة عام (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) عن الرئاسة العامـة لإدارات البحوث العلمية والإفتـاء والدعوة والإرشاد برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحـمه الله تعالى ، وقد جاءت كسابقتها تمامًا دون أدنى فرق يُذكر ، كما جعلت وقفًا لله على طلبة العلم .

- **الطبعة الخامسة :**

وهى الطبعـة التى اعتمـدها هذا البحث ، والصـادرة عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ، على نفقة صـاحب السمو الملكى الأمير أحمـد بن عبد العزيز ، وقفًا لله تعالى على طلبة العلم .

وقد جاءت هذه الطبـعة فى عشرة أجزاء ، ولم تخـالف سابقتها إلا فى مـوقع ترجمة الشنقـيطى التى جاءت فى أول الأضـواء لا فى آخـره ، ووُسِمَتْ بعنوان : (مع صـاحب الفضيلة والدنـا الشيخ مـحمد الأمين الشنقيطى رحمه الله - بقلم تلميذ الشـيخ عطية محمد سـالم القاضى بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة) واستغرقت أربعًا وستين صفحة .

أما اعـتماد البـحث هـذه الطبعـة فقد جـاء بناءً علـى أنها أوضـح وأحـسـن ، وأنسق وأضبط ، وأدق وأصوب طبـعات الأضواء التى صدرت حتى اليـوم ، وإن لم تكن أحدثها كما سيأتى بيانه بعد قليل .

هذا فضلاً عن أنها أول طبعة يشتـمل عنوانها على تاريخ وفاة الشنقيطى حيث جاء نص

العنوان كالتالى : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - المتوفى فى ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣ هـ رحمه الله) .

• **الطبعة السادسة :**

صدرت هذه الطبعة عن مؤسسة (عالم الكتب) ببيروت بلبنان بدون تاريخ ، إلا أنها جاءت بعد الطبعة الخامسة المعتمدة فى هذا البحث ، وليس ثمة فارق بينها وبين الطبعة الثالثة إلا من حيث اشتمالها على (جداول لتصويب الأخطاء المطبعية) بنهاية كل جزء من أجزاء الأضواء العشرة .

• **الطبعة السابعة :**

وهى الطبعة الشرعية الوحيدة التى أصدرها أخونا وصديقنا الأستاذ عبد الفتاح الزينىّ صاحب مكتبة (ابن تيمية) بالطالبية بالهرم عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) وذلك بموجب حصوله على كافة الحقوق الشرعية من ورثة الشنقيطى ليس فيما يتعلق بـ (أضواء البيان) فحسب ، بل وسائر آثاره العلمية الأخرى[(١)] .

وقد جاءت هذه الطبعة فى تسعة أجزاء فقط ؛ حيث اشتملت على الأجزاء السبعة التى فسرها الشنقيطى ، ثم الجزأين الثامن والتاسع (أو الأول والثانى) من تتمة تلميذه الشيخ عطية ، وتمت طباعتها بمطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، كما اشتملت فى أولها على تقديم موجز استغرق أربع صفحات ممهور فى نهايته باسم : (محمد بن أحمد بن إسماعيل عفا الله عنه)[(٢)] .

ومن الملاحظ على هذا التقديم الموجز أمران :

١ - أنه مُقْتَبَسٌ جُلُّه ما لم يكن كله من مجموع ما كتبه كل من : الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى ، والشيخ محمد المجذوب فى ترجمته للشنقيطى كذلك[(٣)] .

٢ - أنه يفتقد إلى موضوعية الباحث ، ومنهجية المتخصص ؛ وهذا ما يشهد له استعمال بعض المصطلحات فى غير موضعها ، من حيث اضطرابها فى الدلالة على المعنى

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ قبل أ (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ أ - د (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣ - ٦٤ (طبعة الرياض) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧١ - ١٩١ .

المقصود بها فى مجال البحوث الشرعية ، ومن أمثلة هذه المصطلحات : وصف الشنقيطى بأنه (من فقهاء المفسرين)(١) ثم وصف التفسير بأنه (التفسير السلفى الأثرى الفقهى)(٢) .

وهكذا يبدو ضم هذه المصطلحات بعضها إلى بعض لِتُكَوِّنَ عبارات عديمة الدلالة على المعنى الذى وُضِعَتْ له فى الاصطلاح ؛ الأمر الذى طبعها بالاضطراب وعدم الدقة ؛ لما يعوزها من التخصص والمنهجية .

٣ - عمل الشنقيطى فى الأضواء :

فسَّر الشنقيطى ثمانى وخمسين سورة بدأت بـ (الفاتحة) وانتهت بـ (المجادلة) حوتها سبعة أجزاء من (أضواء البيان) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسًا وأربعين صفحة (٤٩٤٥ ص) وذلك باستثناء الجزء العاشر الأخير الذى يُعْنَى بعلوم القرآن ويشتمل على كتابىْ : (منع جواز المجاز) و (دفع إيهام الاضطراب) حيث إنهما ليسا من صلب التفسير ، وإن كانا يتعلقان بموضوعه .

٤ - عمل التلميذ فى الأضواء :

أتم الشيخ عطية محمد سالم تفسير (أضواء البيان) بعد رحيل شيخه الشنقيطىّ ؛ وذلك استجابة لتكليف الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، والذى حثه على وجوب إتمام هذا التفسير من حيث انتهى شيخه(٣) .

وبناءً على هذا التكليف قام الشيخ عطية بتفسير ستٍ وخمسين سورة بدأت بـ (الحشر) وانتهت بـ (الناس) فى الجزأين الثامن والتاسع من (الأضواء) أو الأول والثانى من (التتمة) واللذين استغرقا ألفًا وأربعمائة واثنتين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) .

هذا بالإضافة إلى تلك المراجعة المستوعبة لسائر التفسير ، مع شرح بعض المفردات ، وكذا تحقيق بعض المواضع ، أو التعقيب على أخرى ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ب (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ج (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .
(٣) راجع هذا التكليف فى كل من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٣ (طبعة الرياض) .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٤٤ (طبعة عالم الكتب ببيروت) .

- **فمثال شرح المفردات :**

ذكره معنى (التُّبَّان) بضم وتشديد التاء ثم فتح وتشديد الباء أى (السراويل الصغير بمقدار الشِّبْرِ الذى يستر العورة)(١) .

- **ومثال تحقيق بعض المواضع :**

تخريجه بيت طرفة بن العبد فى معلقته ، حيث قال : والذى فى معلقته (لِهَجْسٍ خَفِىٍّ) بدلاً من (لِرِكْزٍ خَفِىٍّ)(٢) .

- **وأما مثال تعقيبه على بعض المواضع الأخرى :**

فتعليقه على ما ذهب إليه شيخه من وجوب اللؤلؤ والمَرْجَان فى كل من الماء المِلْحِ والعَذْبِ على السواء وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ الآية(٣) حيث عَلَّقَ على ذلك بقوله : يعتبر ذلك فتحًا من الله ؛ لأنه توصل إليه استنتاجًا ؛ فجاء الواقع يشهد بذلك ، وإنْ لم يطّلع عليه رحمه الله(٤) .

هذا بالإضافة إلى قيام الشيخ عطية بعمل الفهارس الفنية لكامل أضواء البيان (الأصل والتتمة) كما توضحه النقطة التالية .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦٣ (طبعة الرياض) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ يوسف : ٢٤ .

وقد قصر صاحب اللسان (التُّبَّان) على السراويل الصغير الذى يستعمله المَلَّاحُون ، حيث يكون بمقدار الشِّبْرِ الذى يستر عورتهم المغلَّظة فقط ، وذكر فى ذلك حديث عمر بن الخطاب ﵁ : « صَلَّى رجلٌ فى تُبَّانٍ وقميصٍ » والعرب تستعمله مُذَكَّرًا وتجمعه على (تَبَابِين) – انظر مادة (تَبَن) فى لسان العرب :١/ ٤٢٠ .

(٢) وفى هذا البيت يصف طرفة قوةَ سَمْعِ ناقته بقوله :

وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى ... لِهَجْسٍ خَفِىٍّ أو لصَوْتٍ مُنَدَّدِ

أى لها أذنان شديدتا الاستماع أثناء سيرها فى الليل بحيث يمكنها سماع الصوت الخفى فضلاً عن سماعها الصوت المرتفع – انظر معلقة طرفة بن العبد فى (شرح المعلقات السَّبع) : الزَّوْزَنِىّ ص ٤٥ – دار بيروت للطباعة والنشر – لبنان – بروت – ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

وفى رواية أخرى : (لِجَرْسٍ خفىٍّ) – انظر (شرح القصائد السَّبع الطوال الجاهليات) : لأبى بكر محمد بن قاسم الأنبارى ص ١٧٧ – تحقيق وتعليق : عبد السلام هارون – سلسلة (ذخائر العرب) – الكتاب رقم (٣٥) – ط ٤ – دار المعارف – القاهرة – ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٣) الرحمن ٢٢ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٤٨ هـ ١ .

٥ - فهارس الأضواء :

وكلها من عمل الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى ، وتشمل الفهارس الثلاثة التالية :

● **فهارس الأصل :**

ونقصد بها فهارس الأجزاء السبعة التى فَسَّرَهَا الشنقيطى من (أضواء البيان) وشملت ثمانى وخمسين سورة بداية بـ (الفاتحة) وانتهاءً بـ (المجادلة) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسًا وأربعين صفحة (٤٩٤٥ص) وجاء توزيعها كالتالى :

١ - الجزء الأول : ويشمل أربع سور من (الفاتحة) حتى (النساء)[١] .

٢ - الجزء الثانى : ويشمل ست سور من (المائدة) حتى (يونس).

٣ - الجزء الثالث : ويشمل سبع سور من (هود) حتى (بنى إسرائيل أو الإسراء) .

٤ - الجزء الرابع : ويشمل أربع سور من (الكهف) حتى (الأنبياء) .

٥ - الجزء الخامس : ويشمل سورتين هما (الحج) و (المؤمنون) .

٦ - الجزء السادس : ويشمل أربعَ عشرةَ سورة من (النور) حتى (الصّافّات) .

٧ - الجزء السابع : ويشمل إحدى وعشرين سورة من (ص) حتى (المجادلة) .

● **فهارس التتمة :**

وتشمل فهرسُ الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثانى من (تتمة الأضواء) التى فَسَّرَ فيها الشيخ عطية ستًا وخمسين سورة بداية بـ (الحشر) وانتهاءً بـ (الناس) واستغرقت ألفًا وأربعمائة واثنتين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) وجاء توزيعها كالتالى :

٨ - الجزء الثامن من الأضواء (الأول من التتمة) : ويشمل تسعَ عشرةَ سورة من (الحشر) حتى (المرسلات) .

٩ - الجزء التاسع من الأضواء (الثانى من التتمة) : ويشمل سبعًا وثلاثين سورة من (النبأ) حتى (الناس) .

وبهذا يكتمل أضواء البيان (الأصل والتتمة) بأجزائه التسعة التى شملت جميع سور

---

(١) مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الجزء الأول قد حوى فى أوله (ترجمة الشنقيطى) بقلم تلميذه الشيخ عطية ، بالإضافة إلى مقدمة فى (أنواع البيان) وذلك على مدار مائة صفحة كاملة .

القرآن الكريم البالغ عددها مائة وأربع عشرة سورة (١١٤) واستغرقت ستة آلاف وأربعمائة وسبعًا وثلاثين صفحة (٦٤٣٧ص) على وجه التحديد ، أو ستة آلاف وخمسمائة صفحة (٦٥٠٠ص) على وجه التقريب .

• **الفهرس الفقهى الكامل الأضواء :**

وعن هذا الفهرس الفقهى واطلاع شيخه الشنقيطى على بعضٍ منه فى حياته يحدثنا الشيخ عطية قائلاً : ومن فهارس الكتاب فهرس فقهى) لمواضيع الفقه الموجودة فى مواضع متفرقة فى جميع أجزائه ، وقد جُمِعَتْ مرتبة على أبواب الفقه ، ومُبَيَّنٌ مرجع كل مسألة بعنوانها فى البحث ، مع ذكر السورة والآية ، ثم رقم الجزء والصحيفة ؛ لِيَسْهُلَ تناولها والاستفادة منها ، وذلك تيسيرًا على الدارس ، وتوفيرًا للوقت ، وكان شيخنا رحمه الله قد اطلع على هذا الفهرس إلى الجزء السادس فاستحسنه ، ولم يمانع فى طبعه مع الجزء الأخير من الكتاب[١] .

وبالفعل فقد ألحق هذا الفهرس الفقهى بآخر الجزء التاسع الأخير من الأضواء (الثانى من التتمة) واستغرق خمس عشرة صفحة ، حيث تضمن تسعةَ عشرَ بابًا فقهيًا بالترتيب التالى : (الطهارة والنجاسة - الصلاة - الجنائز - المساجد - الزكاة - الصيام - الحج - البيوع والربًا - الإجارة - النكاح - الخُلْع - اللِّباس والزينة - الأطعمة - الميراث - الوقف - الأيمان والنذور - الرِّقّ - الجهاد - وأخيرًا : القضاء)[٢] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٦٩٦ - ٩/٧٤١ (الجزء الثانى من التتمة بتصرف يسير) .

(٢) راجع تفصيل هذا الفهرس الفقهى فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٧٤ - ٧٥٦ (طبعة الرياض) .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٤٥ - ٧٦٠ (طبعة المدنى) .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٤٥ - ٧٦٠ (طبعة عالم الكتب ببيروت) .

ومما يجدر الالتفات إليه أن هذا الفهرس الفقهى يتفق فى أرقام صفحاته مع سائر طبعات (أضواء البيان) التى تأتى ترجمة الشنقيطى بآخرها كطبعة المدنىّ بالقاهرة ، وطبعة عالم الكتب ببيروت ، فى حين لا يتفق مع تلك الطبعات التى تأتى ترجمة الشنقيطى بأولها وتستغرق أربعًا وستين صفحة فى بداية الجزء الأول مثل طبعة الرياض ، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

ولذا ؛ فإنه يلزم إضافة أربع وستين صفحة إلى كل رقم من صفحات الفهرس الفقهى فى طبعتى (المدنى وعالم الكتب) وما شابههما؛ حتى تتفق مع ترقيم الطبعات الأخرى (كطبعة الرياض، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) وما شابههما؛ الأمر الذى ينبنى عليه توحيد صفحات هذا الفهرس الفقهى فى سائر الطبعات ؛ تيسيرًا للفائدة ، وتوفيرًا للوقت .

المطلب الثانى
بقية مؤلفاته المطبوعة عامة

وعددها أربعةَ عشرَ مؤلفًا نورد التعريف بها بحسب ترتيبها الهجائى التالى :

١ - آدابُ البحث والمناظرة :

يقع هذا الكتاب فى جزأين ، ويختص موضوعه بـ (فن المنطق) وقد اقتصر الجزء الأول على (المقدمات المنطقية) فى حين تضمن الجزء الثانى (مسائل هذا الفن وقضاياه) ثم ختمه الشنقيطى تحت عنوان (خاتمة حسنة) ذكر فيها ما نصه : وفى الختام نوصى أنفسنا وإخواننا المسلمين بتقوى الله تعالى ، وعدم التهجم على الله تعالى وعلى كتابه بالدعاوى الباطلة ، والتمسك بنور الوحى الصحيح فى المعتقد وغيره ؛ لأن السلامة متحققة فى اتباع الوحى ، وليست متحققة فى غيره :

وَنَهْجُ سَبِيلِى وَاضِحٌ لِمَنْ اهتدى ولكنهـا الأهـواءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ

وبهذا الذى ذكرنا تعلم أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : (مذهب السلف أسلم) إقرار منهم بذلك ؛ لأن لفظ (أسلم) صيغة تفضيل من (السلامة) وما كان يَفْضُلُ غيره ويفوقه فى السلامة فهو أحكم منه وأعلم ؛ وبه يظهر أن قولهم : (ومذهب الخَلَف أحكم وأعلم) ليس بصحيح ، بل الأحكم والأعلم هو الأسلم كما لا يخفى[(١)] .

وقد فرغ منه الشنقيطى بالمدينة المنورة يوم الخميس (١٤ - ٥ - ١٣٨٨هـ) الموافق (٨ - ٨ - ١٩٦٨م) ثم أشرف على طبعه ووَضَعَ عناوينَه تلميذه الشيخ عطية المشرف آنذاك على مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى تولت على الفور طبع هذا الكتاب للمرة الأولى ، بل وقررته على طلابها بالفرقتين الأولى والثانية بكلية الدعوة وأصول الدين .

ثم توالت بعد ذلك طبعات هذا الكتاب بجزأيه والبالغ مجموع صفحاتهما مائتين وسبعًا وثلاثين صفحة ، منها ثمان وتسعون فى الجزء الأول ، ومائة وتسع وثلاثون فى الجزء الثانى[(٢)] .

٢ - الإسلامُ دينٌ كاملٌ :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطى بالحرم النبوىّ الشريف بحضرة ملك المغرب

(١) آداب البحث والمناظرة : الشنقيطى ٢/١٣٦ - طبع مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر بالقاهرة - ومكتبة العِلْم بجدة بالمملكة العربية السعودية - (د. ت) .
(٢) راجع نفس الطبعة السابقة .

الراحل محمد الخامس عند زيارته المدينة المنورة ، وقد دار موضوعها حول تفسير قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ الآية[1] .

وكان الشنقيطى قد ألقى هذه المحاضرة نزولاً على رغبة ملك المغرب الذى استأذن فى صحبة الشنقيطى فى طريقه من الرياض إلى المدينة المنورة؛ فرافقه تقديراً وإكرامًا، وإلى هذا يشير بقوله : (وبعد فهذه محاضرة ألقيتها فى المسجد النبوىّ بطلب من ملك المغرب)[2] .

وقد ضَمَّنَ الشنقيطى تفسير هذه الآية عشرَ مسائل مهمة جعل عليها مدار الدنيا وخير الآخرة ، حيث قال ما نصه : وهذه الآية الكريمة نص صريح فى أن دين الإسلام لم يترك شيئًا يحتاج إليه الخَلْق فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا أوضحه وبيَّنه كائنًا ما كان ، وسنضرب لذلك المثل ببيان عشر مسائل عظام عليها مدار الدنيا من المسائل التى تهم العَالَم فى الدارين ، وفى البعض تنبيه لطيف على الكل :

(الأولى : التوحيد - الثانية : الوعظ - الثالثة : الفرق بين العمل الصالح وغيره - الرابعة : تحكيم غير الشرع الكريم - الخامسة : أحوال الاجتماع بين المجتمع - السادسة : الاقتصاد - السابعة : السياسة - الثامنة : تسليط الكفار على المسلمين - التاسعة : مشكلة ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار فى العَدَد والعُدَد - العاشرة : مشكلة اختلاف القلوب بين المجتمع) وسنوضح علاج تلك المشاكل من القرآن الكريم[3] .

ونزولاً على الرغبة الملحة لطلاب العلم ؛ فقد قام الشنقيطى بتقييد هذه المحاضرة مشيراً إلى ذلك بقوله : وقد طلب منى بعض إخوانى تقييدها لنشرها ؛ فلبيت طلبه، راجيًا من الله تعالى أن ينفع بها[4].

وقد طبعت هذه المحاضرة مرارًا فى حياة الشنقيطى وبعد رحيله، وكان آخرها طبعة (دار الحديث الخيرية) بالمدينة المنورة تحت عنوان: (محاضرة كبيرة الفائدة للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطىّ) وجاءت فى كتيب من القَطْع الصغير بلغ عدد صفحاته اثنتين وثلاثين صفحة .

ولما كان حق طبع هذا الكتيب مكفولاً لكل مسلم كما ورد ذلك مدونًا على صفحته الداخلية ؛ لذا فقد قامت (مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) بإصداره مصوراً على طبعة (دار الحديث

(١) المائدة : ٣ .
(٢) الإسلام دين كامل : للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطى ص ٥ - (محاضرة ألقاها فى المسجد النبوىّ الشريف) - طبعة مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
(٣) الإسلام دين كامل : الشنقيطى ص ٦ - ٧ .
(٤) الإسلام دين كامل : الشنقيطى ص ٥ .

الخيرية) غير أنها استبدلت بعنوانه عنوانًا آخر استوحته من فحوى الآية ألا وهو : (الإسلام دين كامل) وهو ذات العنوان الذى اعتمده البحث وعَوَّل عليه .

٣ - بيان الناسخ والمنسوخ :

وتمام اسمه : (بيان الناسخ والمنسوخ مِنْ آى الذكر الحكيم) وهو عبارة عن رسالة بالغة الإيجاز تقع فى ست صفحات شرح فيها الشنقيطى عشرة أبيات للسيوطى من كتابه : (الإتقان فى علوم القرآن) .

وكان الشنقيطى قد أملاها على تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى (ذى الحجة ١٣٧٣ هـ = يوليو ١٩٥٤ م) والذى يشير إلى هذا بقوله: كنت قد درستها عليه ، وأعطانيها بخطه ، فبيضتها وصححتها عليه ، ثم ألحقتها فيما بعد بالتفسير لقوة ارتباطها به[١] .

وفيما يلى نص هذه الأبيات العشرة كما نقلها الشيخ عطية عن خط شيخه الشنقيطى ، وكما قرأها عليه :

قَدْ أكثرَ الناسُ فى[٢] المنسوخ مِنْ عدد ... وأدخلوا فيه آيًا[٣] ليسَ تَنْحَصِرُ
وهاكَ تحرير آيٍ[٤] لا مزيد لها ... عشرين حَرَّرَهَا الحُذّاقُ والكُبَرُ
أَيُّ التوجه حيث المرء كان وأنْ ... يوصِى لأهليه عندَ الموت مُحْتَضَرُ
وحرمةُ الأكلِ بعدَ النومِ مَعْ رَفَثٍ ... وفدية لمطيق الصوم مُشْتَهَرُ
وحقّ تقواه فيما صَحّ مِنْ أثرٍ ... وفى الحرامِ قتالٌ للأُولَى كفروا
والاعتدادُ بحَوْلٍ مع وصيتها ... وأن يُدَانَ حديثُ النفسِ والفكرُ
والحَلفُ والحبسُ للزانى وتركُ أُولِى ... كُفْرٍ وإشهادهم والصّبرُ والنّفرُ
ومنعُ عقد لزان أو لزانية ... وما علَى المصطفى فى العَقْدِ محتظرُ
ودفعُ مَهْرٍ لِمَنْ جاءتْ وآية نَجْ ... وَاهُ كذاكَ[٥] قيامُ الليلِ مستطرُ
وزِيدَ آيةُ الاستئذانِ مِنْ مَلَكَتْ ... وآية القِسْمَةِ الفُضْلَى لِمَنْ حَضَروا

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٤/٩ و ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .
(٢) وردت فى الأضواء (مِنْ) وصوابها (فى) حتى يستقيم الوزن على بحر البسيط : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) .
(٣) وردت فى الأضواء (أبا) وصوابها (آيًا) جمع (آية) .
(٤) وردت فى الأضواء (أى) وصوابها (آيٍ) جمع (آية) .
(٥) وردت فى الأضواء (كذلك) وصوابها (كذاكَ) حتى يستقيم الوزن المذكور .

ويختتم الشيخ عطية شرح شيخه على هذه الأبيات معقبًا بقوله : تمت بحول الله رسالة فضيلة الشيخ محمد الأمين المختصرة فى بيان أبيات السيوطى الرمزية تقريبًا فى هذا الفن ، وهى على إيجازها واختصارها كافية شافية للطالب الدارس ، أما المدرس والباحث المدقق والمناقش للأقوال ؛ فإن هناك المطولات لتتمة البحث لبيان إثبات النسخ على منكريه ، وبيان حكمته وأقسامه ، وبيان قوة الناسخ من كتاب أو سُنة ، ومراتبه من شدة إلى ضعف والعكس ، إلى غير ذلك[1] .

- **ملحوظة حول هذه الرسالة :**

على الرغم من أن السيوطى قد ذكر عشرين موضعًا للنسخ تضمنتها أبياته ؛ إلا أن الشنقيطى قد زادها إلى واحد وعشرين موضعًا أثبت النسخ فى ثمانيةَ عشرَ موضعًا ، ونفاه فى موضعين ، ثم ذكر الخلاف فيه فى موضع واحد ، كما أنه لم يشرح البيتين الأول والثانى لخلوهما من الآيات محل النسخ الذى تضمنته الأبيات الثمانية الأخرى .

وقد صدرت هذه الرسالة فى أولى طبعاتها بآخر الجزء التاسع من (الأضواء) والثانى (من التتمة) فى (آخر رمضان المعظم ١٣٩٦هـ = آخر سبتمبر ١٩٧٦ م) بعد رحيل مؤلفها .

٤ - دفعُ إيهام الاضطراب :

وتمام اسمه : (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ويختص موضوعه بـ (علوم القرآن) ويقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وقد صدر لأول مرة مع رسالة أخرى للشنقيطى بعنوان : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) حيث ضمهما الجزء العاشر من (أضواء البيان) من طبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) وهى ذات الطبعة التى اعتمدها البحث وعوّل عليها .

وعن السبب الباعث على تأليف الشنقيطى مثل هذا الكتاب فى علوم القرآن ، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : كان سببه سؤالاً عند الدرس عن مدى التوفيق بين قول الله

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٩ - ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .

- وراجع نص هذه الأبيات فى (الإتقان فى علوم القرآن) : للحافظ جلال الدين السيوطى ٣/ ٧٧ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾ الآيتان[١] مع قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ الآية[٢] ؟ فأجاب رحمه الله باستفاضة ، وذكر لها أمثلة عديدة قائلاً : إن السؤال متنوع ، والمواقف متعددة ؛ فسألته عن تأليف فيها ؟ فقال : لا أعلمه .

فكان رجائى منه أن يؤلف فيه لنفع المسلمين ؛ فوعد خيرًا ثم فعل ، وقد تتبع هذا النوع فى القرآن من أوله إلى آخره ، وهو تجربة أولى موفقة ، ولو أعيدت كتابته فإن فى القرآن بعض مواطن من موضوع الكتاب[٣] .

ثم يبين الشيخ عطية ما لموضوع هذا الكتاب من خصوصية فى بابه فيقول : وهذا الكتاب من أخص ما كُتِبَ فى علوم القرآن ، وموضوعه الجواب عن كل ما يوهم تعارضًا أو اضطرابًا بين بعض آيات القرآن مع بعض ، وهذا وإن كان موضوعه من حيث هو موجود كمفردات تَرِدُ فى مجالها من التفسير ؛ إلا أنها لم يوجد فيها كتاب قد تتبعها فى القرآن كله ، وجَمَعَهَا فى مَحَلٍّ واحد يَسْهُل تناوله ، بل ولا يوجد التنبيه على كل ما جاء فيه فى عمومات التفسير[٤] .

ويوضح الشيخ محمد المجذوب الهدف من هذا الكتاب قائلاً : ويريد شيخنا الشنقيطى رحمه الله بهذا الكتاب إيضاح ما قد يُشْكِل على الغافلين ، وما يثيره بعض المشككين ، من توهم التعارض بين بعضٍ وبعضٍ من آيات الله تعالى[٥] .

ثم يحدثنا الشنقيطى ذاته عن المنهج الذى توخاه فى هذا الكتاب ، والذى ضَمَّنَه المقدمة فيقول: أما بعد : فإن مقيد هذه الحروف عفا الله عنه أراد أن يبين فى هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التى يُظن بها التعارض فى القرآن العظيم ، مرتبًا لها بحسب ترتيب السور ، فيذكر الجمع بين الآيتين غالبًا فى محل الأولى منهما ، وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة ، وربما يكتفى بذكر الجمع عند الأولى ، وربما يحيل عند محل الأخيرة ؛ ولا سيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يُظَنُّ تعارضه إلاّ تلك الآية ؛ فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم[٦] .

---

(١) الصافَّات : ٢٤ - ٢٥ (آيتان) .
(٢) الرحمن : ٣٩ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٣ - ٩/ ٦٩٥ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٥ (تحت عنوان : شكر وتقدير) .
(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧ (بتصرف) .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ١٠/ ٣ .

• **ملاحظات حول هذا الكتاب:**

وبعد أن عرضنا لسبب تأليف هذا الكتاب ، وعَرَّفْنَا بموضوعه ، ثم بَيَّنَّا الهدف منه ، وأوضحنا منهج مؤلفه فيه ؛ فإننا نأتى إلى جملة تلك الملاحظات التى ترد على هذا الكتاب ، والتى نرصدها فيما يلى :

١ - أورد الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى ، وتابعه فى ذلك الشيخ محمد المجذوب من حيث ذكرهما هذا الكتاب ضمن مؤلفات الشنقيطى تحت عنوان : (دفع إيهام الاضطراب عن آى الكتاب) بذكر (آى) بدلاً من (آيات) التى نَصَّ عليها الشنقيطى نفسه[1] .

ومع أن معنى (آى) لا يختلف عن معنى (آيات) من حيث كونهما جمعًا لـ (آية) إلاّ أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما اختاره غيره ؛ ومن ثم لزم هذا التنويه من باب ضبط اسم الكتاب وتحريره كما وضعه مؤلفه ، واختاره له .

٢ - تتبع الشنقيطى فى هذا الكتاب كل ما يوهم التعارض فى جميع سور القرآن بحسب ترتيبها فى المصحف عدا اثنتى عشرة سورة هى : (الفاتحة فى أول القرآن) ثم إحدى عشرة سورة بعد المجادلة شملت كلاً من : (الشرح - البينة - التكاثر - الهمزة - الفيل - قريش - الكوثر - المسد - النصر - الإخلاص - الفلق) .

٣ - لم يورد الشنقيطى بعض الآيات التى يوهم ظاهرها التعارض فى مواضعها من سور القرآن ، سواء فى كتابه (دفع إيهام الاضطراب) أو تفسيره (أضواء البيان) بل نراه يورد بعض الإشكال على بعض الآيات فى (الدفع) ولا يورده فى (الأضواء) .

ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض من بين قول الله تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية[2] وبين كل من قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ الآية[4] .

---

(١) راجع فى ذلك كلا من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣/١ - ٦٩٥/٩ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ .

(٢) النور : ٢٦ . (٣) التحريم : ١٠ .

(٤) التحريم : ١١ - وانظر هذا الإشكال وجوابه فى (سورة النور) فى (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) المطبوع بآخر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢١٧/١٠ - ٢١٩ .

وأمـا بعض ما أورده من إشكـال فى (الأضواء) ولم يورده فى مـوضـعه المفـروض فى (الدفع) فمـثاله ما أجـاب به على ما قد يـوهم التعارض بين قـول الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ الآية[١] وقوله تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ الآية[٢] .

وأما دون ذلك من الإشكالات فـقد كررها الشنقـيطى فى كل من (الدفع) و (الأضواء) فى مواضعها من سور القرآن ، ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض بين قول الله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ الآية[٣] وقوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الآيتان[٤] .

٤ – صدر هذا الكتـاب فى طبعات أخرى منفـصلة عن الجزء العاشر من (أضـواء البيان) بطبعـة الرياض، ومن هذه الطبعـات المنفصلة (طبعـة مؤسسـة قرطبة للنشـر والتوزيع بالقاهرة) والتى أصدرها عام (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م)[٥] .

٥ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام :

صدر هذا الكتـاب بعد وفاة الشنقـيطى فى طبعتـه الأولى عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن دار الشروق بجـدة بالمملكة العربيـة السعـودية تحت عنوان : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الجكنى[٦] .

ويقع هذا الكتاب فى مائتين وسبع وثمانين صفحة ، استغرقت منها أحداث هذه الرحلة

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٣٥ .

(٢) الأنفال : ٦١ – وانظـر فى ذلك (أضواء البيـان): الشنقيطى ٥٩٦/٧ – ٥٩٩ (من تفـسيـر سورة محمد ﷺ) .

(٣) مريم : ٧١ .

(٤) الأنبياء : ١٠١ – ١٠٢ (آيتان) – وانظر فى ذلك كلا من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤٨/٤ (تفسير سورة مريم) .
- دفع إيهام الاضطراب (ضمن أضواء البيان) : الشنقيطى ١٩٢/١٠ – ١٩٣ (سورة مريم) .

(٥) انظر كتـاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتـاب) : لصاحب الفضـيلة العلامـة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى رحمه الله – مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٥) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الجكنى – ط ١ – دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع – جدة – المملكة العربية السعودية – ١٤٠٣ هـ= ١٩٨٣م .

- والجدير بالملاحظة أن يقـال : (الجكنى الشنقيطى) وليس : (الشنقـيطى الجكنى) لأن الأصوب تقديم النسب إلى القبيلة (بنى جاكان) على النسب إلى القطر (شنقيط) .

تسعًا وأربعين صــفحة ، فى حين استغرقت المباحث الـعلمية جُلَّ الصفحات البـاقية والبالغ عددها مائتين وثمانىَ وثلاثين صفحة ؛ مما يؤكد غلبة الطبيعة العلمية على هذه الرحلة .

وقد قَدَّم الشيخ عطية لكتاب شيخه هذا بمقدمة شاملة نافعة ، ضمنها موقع هذه الرحلة من أدب الرحلات ، فضلاً عن مغايرتها لأغلب الرحلات المعـروفة ، مبينًا ما اشتملت عليه من المباحث العلميــة سواء الشرعية منها أو اللغوية ، ومــشيرًا إلى براعة شيخـه فى عرضها واقتداره فى تناولها[١] .

كما قام الدكـتور محمد المختار الابن الأكبـر للشنقيطى بمقابلة هذه الرحلة على أصلْينِ لها ، مشيرًا إلى ذلك فى نهـايتها بقوله : هذا آخر ما كتبـه المؤلف رحمه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليْها فى (٢٥ رجب عام ١٣٩٩ هـ) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[٢] .

وعن الهدف الذى حمل الشنقيطى عـلى تقييد رحلته هذه فيوضحـه فى المقدمة بقوله : أما بعد : فليكن فى علم ناظره أنا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام ، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ لـيستفاد بما تضمنته من المذاكرة والأحكام ، وأخبار البـلاد والرجال ، وما تجوّل فـيه الأدباء من المجال ، والغرض الأكـبر من ذلك هو تقييد ما أجبنا به عن كل سؤال علمىّ سُئلنا عنه فى جميع رحلتنا[٣] .

وأما منهج الشنقيطى فى هذا الكتاب فيوضح لنا معــالمه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : لقد تميزت هذه الرحلة عن جمــيع الرحلات بما زخرت به من مبـاحث غاية فى الدقة ، وآية فى الروعة ، واشتمـلت صنوفًا وفنونًا كالرَّوْضِ ، أزاهير وأفانين ؛ فنرى الشـيخ رحمه الله قد بدأ رحلته بمقـدمة رائعــة الخيال فى براعــة الاستهـلال ، حيث بَيَّنَ الدوافع على الســفر ، واقتحام العقـبات ، وركوب الخطر ، ومفارقة الأوطان ، وفراق الإخـوان ، وهو امتثال أمر الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ الآية[٤] ثم أخذ يسجل ما ألقى عليه من الأسـئلة، وما قدَّم عـليها من الأجـوبة ، بأحسن ما يقــال ، فى دروس تُشَدُّ إليها الرِّحال[٥] .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ - ١١ (المقدمـة بعنوان : رحلة صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين رحمه الله) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٨٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ (تحت عنوان : فائدة تقييد رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

(٤) آل عمران : ٩٧ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧ (بتصرف) .

وفيـما يلى نعرض لبـعض أمثلة تلك المباحث العـديدة ، والمسائل المفيـدة ، من جملة العلوم الشرعية واللغوية التى احتواها هذا الكتاب ، وذلك على النحو التالى :

• العلوم الشّـرعيّـة :

وشملت ثمانية فنون تمثلت فى كل من :

١ - التفسـير :

مثل تفسيـر قول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآيـة[١] وقد عرض الشنقيطى من خلال تفسيره هذه الآيـة لموضعها المتعلق بقصة الغرانيق[٢] ثم أزال الإشكال المتوهم بين رسالة النبى ورسالة الرسول[٣] .

٢ - علوم القرآن :

وتشمل أسـباب النزول ، والناسخ والمنسـوخ ، والإسرائيليـات ، ومثال ذلك مـا ذكره الشنقـيطى من سبب نزول قـول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ الآية[٤] .

٣ - الحـديث :

ومثاله ما شرحه الشنقيطى من قـول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود؛ حتى يقول الحجر وراءه اليهوديّ : يا مسلم هذا يهوديّ ورائى فاقتلْهُ » الحديث[٥] .

---

(١) الحج : ٥٢ .

(٢) الغرَانيْق والغرَانقَة : الذكور من طيور الماء البيضـاء من ذوات الأعناق والقوائم الطويلة ، مثل طيور (الكَرْكيّ أو الكَرَاكيّ) وواحدها : (غُرْنُوق وغِرْنَوق، وغُرْنَيْق وغـرْنَيْق وغِرْنِيق ، وغِرْنَاق، وغُرَانِق ، وغَرَوْنَق) كما يُعَبَّرُ به عن كل أبيض شاب ناعم جميل ، ومنه قول الشاعر :

أَلاَ إِنَّ تَطَـلاَبَ الصِّبَا مِنْكَ ضِلَّةٌ   وَقَدْ فَاتَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ الغُرَانِقِ

• انظر مادة (غَرْنَق) فى لسان العَرب : ٣٢٤٨/٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٢٨ - ١٣٧ .

(٤) الرعد : ٣١ - وانظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطى ص ١٢٤ - ١٢٧ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

والحديث المذكور أخرجه البـخارى فى صحيحه (كتاب) الفتن (باب) لا تقـوم الساعة حتى يُغْبَطَ أهلُ القبور - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البـخارى : لابن حجر العسقلانى ٦٢/١٢ - حديث =

٥ - الأصــول :

ومـثال ذلك مـا ذكره الشـنقيطى من الفـروق بين كل من (دلالة الاقـتضـاء ، ودلالة الإشارة ، ثم دلالة الإيماء والتنبـيه) ومع أنها تندرج جـميعهـا تحت دلالة الالتزام ؛ إلا أن الشنقيطى قد عـرض لاختلاف الأصوليين بشأن : هل هى من المنطوق غـير الصريح أو من المفهوم؟[1]

٥ - الفقــه :

ومن ذلك ما فَـصَّلَ فيه الشنقيطى القـول بشأن أنساك الحج ، حيث حـشد الأدلة على تفضـيل الإفراد على كل من التمتع والقِـرَان ؛ وذلك كما يقتـضيه مذهب الإمـام مالك ، والذى كان عليه آنذاك قبل أن يستقر به المقام ببلاد الحجاز بعد حجه هذا[2] .

٦ - العقيــدة :

ومن ذلك ما أورده الشنقـيطى بشأن مذهب أهل السُّنة فى آيات الصفات ، حيث بَيَّنَ أنه المذهب الذى يُسَلِّمُ صاحـبه مِنْ ورطتىْ التعطيل والتشـبيه ، وهو ما كان عـليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين[3] .

٧ - علم الكلام :

ومن ذلك حديث الشنقـيطى عن الصفة النـفسية عند المنـاطقة ، والتى بَيَّنَ أنه لا يُدْرَك بدونها المـوصوف ، وكـذا حديثـه عــن تلك العـداوة والبغضـاء الناشبـة بين فِرَق اليـهود والنصارى ، وإقامته الدليل على ذلك كله[4] .

٨ - التاريخ والسيَر :

ومثال ذلك ما أشـار إليه الشنقيطى من قتال المسلمين والتُّـرْك ، وأن الأدلة تقتضى كونه من أشراط الساعة[5] .

= رقم (٢٩٢٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الفتن وأشراط الساعة (باب) لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ؛ فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - (طبع بيروت) .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧٣ - ٨٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٦ - ٢٥٤ .

• العلوم اللغوية :

وشملت أربعة فنون تمثلت فى كل من :

١ - النحو :

ومن ذلك تبيان الشنقيطى أن اجتماع الواو والياء فى كلمة واحدة ، وكانت السابقة منهما ساكنة سكونًا أصليًا ليس عارضًا ؛ فإنه يجب قلب الواو ياءً وإدغامها فى الياء ، ومن أمثلته : سَيِّد وأصله (سَيْوِد) ومَيِّت وأصله (مَيْوِت) وصَيِّب وأصله (صَيْوِب) .

وهذا ما بَيَّنَهُ الشنقيطى من خلال تحقيقه البيتين التاليين من ألفية ابن مالك :

إنْ يَسْكُنِ السَّابِقُ مِنْ وَاوٍ وَيَا ... وَاتَّصَلاَ ، ومِنْ عُرُوضٍ عَرِيَا
فَيَاءً الوَاوَ اقْلِبَنَّ مُدْغَمَا ... وَشَذَّ مُعْطًى غَيْرَ مَا قَدْ رُسِمَا(١)

٢ - الأدب :

ومن ذلك قصيدة جرير التى يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه من النصارى ، والتى بدأها بقوله :

بَانَ الخَلِيطُ ولو طُوِّعْتُ مَا بَانَا ... وقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرَانَا
حَيِّ المنازلَ إذْ لا نَبْتَغِي بَدَلاً ... بالدارِ دَارًا ولا الجيرانِ جِيرَانَا

وقد ذكر الشنقيطى تلك القصيدة بكاملها ، ثم شرح البيت الذى سُئِل عنه ، والذى يُعَيِّرُ جريرٌ به الأخطلَ وقومه بدين النصرانية وبتقربهم وتمسحهم بصُلْبَان النصارى ؛ مُدَّعِين أن فعلهم هذا يقربهم إلى الله ، حيث يقول :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إلى القِسِّينَ هِجْرَتَكُمْ ... ومَسْحَكُمْ صُلْبَهُم رَحْمَنَ قُرْبَانَا(٢)

---

(١) راجع شرح هذين البيتين فى كل من :
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٣٧ - ١٤٢ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٢٢٧/٤ (باب الإبدال) - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

(٢) ويقع هذا البيت قبل الأخير من تلك القصيدة البالغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتًا والتى ختمها جرير بقوله :

لَنْ تُدْرِكُوا المَجْدَ أو تَشْرُوا عَبَاءَتَكُمْ ... بالخَزِّ أو تَجْعَلُوا التَّنُّومَ ضَمْرَانَا

انظر هذه القصيدة بتمامها فى كل من :
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - ٢٧٦ . =

٣ - البلاغـــة :

ومن ذلك مبحثنا الاستعارة والمجاز اللذان تناولهما الشنقيطى بالتحليل والتفصيل(١) .

٤ - المعاجم :

ومن أمثلتهـا تأصيل الشنقيطى لكلمة (المُطْرَقَة) واشـتقاقها فى اللغـة، والتى حشد على فصاحـتها أدلته مـن القرآن كمـا فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ الآية (٢) ومن السنَّة كما فى قـول رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حـتى تقاتلوا التُّرْكَ صِغارَ الأعينُ حُـمْرَ الوجوه ذُلْفَ الأنوف كأنَّ وجـوههم المِجَانُّ المُطْرَقَة ، ولا تقـومُ السَّاعَةُ حتى تقاتلوا قومًا نِعَالُهُم الشَّعْر » الحديث(٣) ومن كلام العرب كقول زهير بن أبى سُلْمَى :

أَهْـوَى لها أَسْفَـــعُ الخَـدَّيْنِ مُطْرَّقٌ ريشَ القَوَادِمَ لم تُنْصَبْ له الشَّبَكُ(٤)

• ملاحظات حول هذا الكتاب :

بالرغم من عناية كل من الدكتور مـحمد المختار الابن الأكبر للشنـقيطى ، وكذا الشيخ عطية تلمـيذ الشنقيطى بهـذا الكتاب ؛ إلا أنه تَرِدُ عليه جمـلة من الملاحظات التى نرصدها فيما يلى :

= • ديوان جرير : شرح محمد بن حبيـب ١/ (١٦٠ - ١٦٧) - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٦٩ م .

و (التَّنُّوم) : نوع من الشجر ينبت فى الصـحراء ، أوراقه تميل إلى السواد ، وله حبـوب دَسِمَة تدقها الـنساء فى البادية ويأخذن من عـصيرها دُهْنًا أزرق اللون فيـه لزوجة فَيَدْهِنَّ به إذا امْـتَشَطْنَ - انظر مادة (تَنَم) فى لسان العرب : ٤٥١/١ .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٣٨ - ص ٢٨١ .

(٢) المؤمنون : ١٧ .

(٣) أخرجه البخـارى فى صحيحه (كتاب) الجـهاد والسِّيَرَ (باب) قتال التُّرْك - وانـظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٦٣/١٢ - حديث رقم (٢٩٢٨) - (طبع بيروت) .

(٤) راجع فى ذلك كلا من :

• مادة (طَرَقَ) فى لسان العرب : ٢٦٦٤/٤

• رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

• شرح ديوان زهير بن أبـى سُلْمَى : صَنْعَة الإمام أبى العبـاس أحمد بن يحيى بن زيد الشـيبانى المعروف بـ (ثعـلب) - ص١٧٢ - نسخة مـصورة عن طبعـة دار الكتب المصرية ضـمـن سلسلة (المكتبة العربية) من إصدار : وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة (١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م) - الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

١ - بُعْدُ الفارق الزمنى بين الفراغ من مقابلة الدكتور محمد المختار لهذا الكتاب على أصليْه عام (١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م) وبين صدور أول طبعة له عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) حيث مَرَّ على ذلك ما يقرب من أربعة أعوام دونما سبب ظاهر لهذا التأخير ؛ رغم الحاجة الماسة إلى الكتاب لدى طلاب العلم وباحثيه .

٢ - أورد الشيخ عطية بعد تقديمه هذا الكتاب ترجمة موجزة لشيخه الشنقيطى بعنوان : (ترجمة حياة موجزة للمؤلف رحمه الله) إلا أن إيجاز هذه الترجمة واختصارها جعلها دون الترجمة الضافية الوافية التى أوردها الشيخ عطية فى أول (أضواء البيان)[١] .

٣ - مع أن الشنقيطى قد أشار بنفسه إلى رحلته هذه فى كتابه : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز)[٢] ومع أن تلميذه الشيخ عطية قد أشار إلى ذلك أيضًا فى ترجمته لشيخه فى أول (أضواء البيان)[٣] إلاّ أن الشيخ عطية لم يورد (كتاب رحلة الحج) ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطى ، لا فى ترجمته التامة بـ (أول أضواء البيان) ولا فى مختصرها بـ (أول كتاب رحلة الحج) .

وإذا كان هذا راجعًا إلى مجئ هذه الترجمة عام (١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م) قبل صدور كل من الكتاب والتفسير ؛ إلاّ أن الشيخ عطية لم يستدرك ذلك بعد صدورهما عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

بل إن الشيخ محمد المجذوب قد تابع الشيخ عطية فى ذلك ؛ حيث لم يشر إلى (كتاب رحلة الحج) ضمن مؤلفات الشنقيطى فى ترجمته له للمرة الثالثة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) أى بعد صدور هذا الكتاب بثلاثة أعوام[٤] .

وذلك على الرغم من إشارته إلى أخبار هذه الرحلة فى ترجمته الأولى للشنقيطى بقوله : والمؤسف أننا لا نعرف الكثير عن انطباعات شيخنا الشنقيطىّ أثناء هذه الرحلة ، ويفهم من محاضرةٍ لتلميذه الشيخ عطية أنه كتب فيها أوراقًا ضَمَّنَها مباحث جليلة ، وقد

(١) قارن بين ترجمة الشنقيطى فى أول (أضواء البيان) على مدار اثنتين وستين صفحة من القطع الكبير (١/٣ - ٦٤) وبين مختصر هذه الترجمة فى أول (كتاب رحلة الحج) بعد المقدمة على مدار سبع وعشرين صفحة من القطع المتوسط (ص ١٢ - ٣٨) .

(٢) منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز (ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان) : الشنقيطى ١٠/ ٥٢ (طبعة الرياض) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٥ (من المقدمة) .

(٤) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٨ - ط ٣ - طبع دار النفائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

رَكَّز فيها على مشكلات أثارها معه بعض علماء أم درمان فى المعهد العلمى بالسودان حول مبحث (القضايا المُوَجَّهَة فى المنطق) وقد سمعنا بعض أخبار هذا الحوار منه رحمه الله ، وخلاصته أن بعض الإشكالات فى هذا الأمر كانت تعترى أولئك الفضلاء ؛ فكان لحواره معهم يومئذ أثره الطيب فى جلائها[1] .

٤ - صدر كتاب تحت عنوان : (مَنْسَك الإمام الشنقيطى) فى ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاتها ألفًا ومائة وإحدى وتسعين صفحة من القطع الكبير، وقد تَضَمَّن هذا الكتاب مسائل الحج والعمرة كما فَصَّلَها الشنقيطى فى تفسيره (أضواء البيان) والتى قام بجمعها والتعريف بها وترتيبها وتحقيقها والتعليق عليها وَوَضْع عناوينها وفهارسها ، بالإضافة إلى التعريف الموجز بمؤلفها كل من : الدكتور عبد الله الطيَّار ، والدكتور عبد العزيز الحجيلان ، الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بالمملكة العربية السعودية[2] .

وقد نَبَّهنَا إلى هذا الكتاب لئلا يُتَوَهَّم أنه يختص برحلة الشنقيطى إلى حج بيت الله الحرام ؛ خاصة وأن عنوانه قد جاء مَوْسُومًا بـ : (مَنْسَك الإمام الشنقيطى) وهو ما قد يُفْهَم منه تعلقه بالرحلة ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٦ - الرِّقّ : اصله ومشروعيته فى الإسلام:

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطى ضمن محاضراته بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى عُنِيَت بإصدار هذه المحاضرة فى كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها[3] وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٨/١ - ط ١ - طبع دار النفائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

- مَنْسَك الإمام الشنقيطى : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى المتوفى فى (١٧/ ١٢/ ١٣٩٣ هـ) وهو مجموع من تفسيره (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) - جَمَعَه ورتَّبه وحَقَّقه وعلَّق عليه ووضَعَ عناوينه وفهارسه وقام بالتعريف به وبمؤلفه كل من : الدكتور عبد الله بن محمد أحمد الطيَّار الأستاذ بقسم الفقه، والدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان الأستاذ المشارك بقسم الفقه - كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - ٣ أجزاء - ط ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

(٣) الرِّقُّ (أصلُه ومشروعيته فى الإسلام) : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى - من مطبوعات وإهداء وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (د.ت) .

الذى تناول فيه شبهة الرقيق ، ورفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار(١) .

وجدير بالذكر أن الشيخ عطية قد سلك سبيل شيخه إزاء نفس الموضوع الذى دارت عليه محاضرته بالجامعة الإسلامية ، والتى جاءت بعنوان : (الرِّق : معاملته وحقوقه فى الإسلام ، ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى فى معاملته) ضمن محاضرات الموسم الثقافى السنوى للجامعة الإسلامية(٢) .

٧ - المُثُلُ العُلْيَا :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطى فى افتتاحية الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) وقد أصدرتها فى كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه الذى بيَّنَ فيها المثالية فى العقيدة والتشريع والأخلاق(٣) .

٨ - مذكرة أصول الفقه :

وهى شرح على كتاب : (رَوْضَـة الناظِر ، وجُنَّة المُنَاظِر) لابن قدامة الحنبلى(٤) جمع

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .
- تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ محمد عطية محمد سالم ص ١٤ - من المقدمة التى جاءت بعنوان : (الجامعة الإسلامية ورسالتها) - المحاضرة رقم (٨) - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - ط ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤ - المحاضرة رقم (٩) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .

(٤) **ابن قدامة ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) :**

هو شيخ الإسلام الإمام المجتهد القدوة العلاّمة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المَقْدسىّ الجَمَّاعِيلىّ ثم الدمشقى الصالحى الحنبلى ، و(الجَمَّاعيلىّ) نسبة إلى مولده بقرية (جَمَّاعيل) بجبل (نَابُلُس) .

كان إمامًا فى التفسير والحديث والأصول وعلم الخلاف والنحو والحساب ، كما كان أوحد زمانه فى الفقه والفرائض ، وقد تَفَقَّهَ ببغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فبرع فيه وأفتى به ، وله مُصَنَّفَات عديدة مثلها : (المُغْنى فى شرح مختصر الخِرَقى - الكافى - المُقْنع - جزء فى مسألة العُلْو - جزء فى الاعتقاد - جزء فى ذَمِّ التأويل - جزء فى فضل العَشْر) كما يُعَدُّ كتابه (رَوْضَةَ النَاظِرِ وجُنَّة المُنَاظِر) من أشهر المصادر وأكثرها عناية بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل خاصة ، مع بيانه لأصول المذاهب الأخرى فى مواطن الخلاف عامة .

وقد عُرِفَ عنه زهده ووَرَعُه وجُودُه وحياؤه وتواضعه ، مع حُسْن أخلاقه وجمال سَمْته ونوره وبَهَاه ، ثم كثرة عبادته وقوة اتِّبَاعِه ، وكانت وفاته بمنزله بدمشق يوم عيد الفطر حيث صُلِّى عليه من =

فيه الشنقيطى بين أصول المذاهب الثلاثة : الحنبلى والمالكى والشافعى ، بالإضافة إلى المذهب الحنفى فى مواطن الخلاف[1] .

ويوضح لنا الشيخ عطية السبب الباعث على تأليف شيخه هذه المذكرة فى هذا الفن قائلاً : فى عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) افتتحت الكليات فى الرياض ، وقد بدأت آنذاك بكلية الشريعة ، وقُرِّرَ فيها كتاب (رَوْضَة النَّاظِر) للعلامة ابن قُدَامَة من أشهر أئمة الحنابلة ، وقد اختير هذا الكتاب لسعته وملاءمته وعنايته بقواعد مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، مع بيانه لأصول بقية المذاهب فيما فيه الخلاف .

ولما كانت دراسة هذا الفن جديدة آنذاك ؛ لذا فقد كان الطلاب يجدونه غريبًا وصعبًا ، ولا سيما أن الكتاب المقرر بأسلوبه المتقدم ، وتفريعاته الواسعة ، كان لابد للطلاب من مذكرة عليه تحل إشكاله، وتكشف غموضه ، وتجمع شتاته ، وتفصّل مجمله .

وكان الذى تولى تدريسه هو فضيلة المؤلف حفظه الله[2] ومن ثم فقد أملى هذه المذكرة فى السنوات الأولى من تدريسه فى الرياض ، غير أن الطلاب ظلوا يتناقلونها فيما بينهم دون أن تطبع لهم إلى أن تخرجتْ الدفعات الأربع الأُوَل .

وعندما افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) انتقل فضيلة المؤلف إلى الجامعة منذ عامها الأول ، وقد تولى تدريس المادة فى نفس الكتاب (رَوْضَة النَّاظِر) وتناقل الطلاب أيضًا نفس المذكرة[3] .

ولا يخفى الهدف المقصود من تأليف هذه المذكرة، والذى يوضحه الشيخ عطية فى

= الغد ودُفِنَ بِسَفْح جبل (قاسيون) من عامة المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٢٢/١٦٥ - ١٧٣ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٧/١١٦ - ١٢٠ .
- التكملة لوفيات النَّقَلَة : زكى الدين المنذرى ٥/١٥٨ - ١٥٩ .
- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة : للحافظ زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادى الدمشقى المعروف بابن رجب الحنبلى - (٢/١٣٣ - ١٤٩) - صححه ووقف على طبعه : محمد حامد الفقى - مطبعة السُّنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

(١) مذكرة أصول الفقه : تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى (على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة) ص ٤ - ٥ (بتصرف ويسير) - الطبعة ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

(٢) حيث كان الشنقيطى حيًا آنذاك ؛ ومن ثم قال : (حفظه الله) ولم يقل : (رحمه الله) .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٤ - ٥ (بتصرف) .

تقديمه لها بقـوله: تحل هذه المذكرة للطلاب إشكال هذا الفن ، وتكشف غمـوضه ، وتجمع شتاته ، وتُفَصِّلُ مجـمله ؛ ومن ثم يجدون فيها أكثر ما تصبـو إليه نفوسهم ، وتتطلع إليه أفكارهم فى فن الأصول ؛ مما يمكن أن تغنيهم عن غيـرها ولا يكاد يغنى غيرها عنها ، ولا سيمـا فى مواطن الترجيح والمباحث العـقلية ؛ حيث يجدونهـا بعيدة عن تعقيـد الفلسفة ، وخالصة من شوائب السفسطة ، وناصعة بنور الحق على هُدَى الكتاب والسُّنة وعقيدة سلف الأمة[1] .

وليس من شك فى أن هذه المذكرة قـد تركت أثرها الواضح على الأجيال المتـلاحقة من طلاب العلم فى بلاد الحجاز خاصة ، والعالم الإسلامى عامة ، وهذا ما يقرره الشيخ عطية بقوله : كانت هذه المـذكرة المباركة هى الأساس لجـميع المتخرجين فى كليـات الإدارة العامة للمعاهد والكليات لآل الشيخ[2] بل وقد عَمَّ نفعها ولله الحمد حتى أصبح لطلابها المتخرجين عليها مؤلفات فى هذا الفن ضمن مقررات المعـاهد العلمية التى درسوا فيها ، بالإضافة إلى معهد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومعاهد أخرى ثانوية خارج بلاد الحجاز[3] .

شرح الشنقيطى فى هذه المذكرة كتاب (رَوْضَة النَاظِر) لابن قدامة من خلال أربعة أقسام موزعة على مقررات أربع سنوات دراسية جاء بيانها على النحو التالى :

١ - مقـرر السنة الأولى : ويشمل حقـيقة الحكـم وأقسامه ، ثـم باب أدلة الأحكام وأولها القرآن الكريم.

٢ - مقرر السنة الثانية : ويشمل السُّنَّة وهى ثانى الأدلة ، ثم الإجماع وهو ثالث الأدلة مع تعريفه لغةً وشرعًا ، وتقسيمه إلى قَطْعِيٍّ وظَنِّيٍّ .

٣ - مقرر السنة الثـالثة : ويشمل اللغة من حـيث تقسيم الكلام ، ثم مسألة الأمـر يقتضى الفور ، وأخيرًا باب الفحوى والإشارة .

٤ - مقرر السنة الرابعة : ويشـمل القياس ، ثم الاجتهاد والتقليد ، وأخـيرًا تختتم المذكرة بملحق يتعلق بمبحث القياس .

ولشدة حاجة طـلاب العلم إلى هذه المذكرة ، وما تحويه من المسائل الأصوليـة المهمة ؛ فقد قام الشيخ عطية بجمـعها قائلاً : لما كانت هذه المذكرة متناثرة الأطراف لدى الطلاب ،

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ - ٦ .

(٢) ويقصد به سمـاحة مفتى الحجاز الأسبق الشـيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، حفـيد شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمهما الله تعالى .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

بحيث لا تـكاد توجد مجـتمـعة عند أحدهـم ؛ لذا فقد لَمَسْتُ فيـها من مهـام هذا الفن وتوجيهات قضاياه ما حَمَلَنِى على جمعها كلها والعناية بها[1] .

ويعود الشيخ عطيـة إلى مراجعة هذه المذكرة تمهيداً لطبـعها مِنْ قِبَلِ الجامعـة الإسلامية التى رغبت فى هذا ؛ حـيث يقول ما نصـه : وقد رغبت الجامـعة الإسلامـية فى جمعـها مكتملة بعد تحـقيقها وتدقيقـها وتصحيحها على فـضيلة المؤلف حفظه الله[2] لتكون أثراً من آثارها المجـيــدة ، فكان ذلك نعـمة مـتجـددة لِى بدراستـهـا وإتقانهـا، وها هى بين يدىْ الطلاب[3] .

وبالفعل فقـد صدرت هذه المذكرة فى طبعتـها الأولى عام (١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م) فى حيـاة مؤلفها الشـنقيطى ضمن مطبـوعات الجامعـة الإسلاميـة بالمدينة المنورة ، وجاءت فى ثلاثمائة وثمان وستين صفحة بتقديم جامـعها الشيخ عطية تلميذ المؤلف ، وهى ذات الطبعة التى اعتمدها البحث وعوّل عليها .

ملاحظات حول هذه المذكرة :

وبعد التعريف بهذه المذكرة ومحتواهـا ، وبيان السبب الباعث للشنقيطى على تأليفها ، وكذا هدفها الـــذى توخّاه منها ؛ فإنه تَرِدُ عليها جـملة من الملاحظات التـــى نرصدها من خلال :

١ - علـى الرغم من أن كـتـاب (رَوْضَة النَاظِر وجُـنَّة المُنَاظِر) لابن قدامـة يُعْنَى بأصـول المذهب الحنبلى ، إلا أنه قد تأثر بأصـول المذهب الشافـعى ، ثـم جـاءت المذكرة متأثرة بدورها بأصول المذهب المالكى ، ومقارنة بأصـول المذهب الحنفى فى مواطن الخلاف .

وجمع المذكرة لأصـول هذه المذاهب الأربعة هو ذات ما يشير إليه الشـيخ عطية بقوله : والجدير بالذكر أن الكتاب المقرر (رَوْضَة النَاظِر) متـأثر كـثيراً بكتاب (المُسْتَصْفَى) للغزالى[4]

---

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٢) حيث كان الشنقيطى حيّاً آنذاك كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٤) **أبو حامد الغزالى ت (٥٠٥ هـ = ١١١٢ م) :**

هو الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمـان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسىّ الشافعىّ الغزالىّ ، تفقه على إمام الحرمين ، وبرع فى علوم كثيرة ، وفنون عديدة ؛ حتى إنه ساد فى شبـيبته ، فدرّس فـى (النظاميّة) ببغـداد ، وكان يحضر له رؤوس العلماء فـى وقتـه آنذاك كابن عقـيل وأبى الخطّاب من أئمة الحنابلة ، وقد تـعجبوا مـن فـصاحتـه وذكائه واطلاعه .

=

فـى أصول الشافعـية ، وهذه المذكرة متأثرة أيضًا بـ (مَرَاقِى السُّعُود) فى أصول المالكية[1] وبهذا التأثر المزدوج تكون تلك المذكرة مفيـدةً أصالةً فى المذاهب الثلاثة : الحنبلىّ والشافعىّ والمالكىّ ، وأيضًا فى المذهب الحنفىّ فى مواطن الخلاف حينما تتعرض له[2] .

وهذا خـلاف ما قـد يفهم من أن هذا الكتـاب (رَوْضَة النَاظِر) لابـن قدامـة ، وشرح الشنقيطى عليه فى (مذكرة أصول الفقه) إنما يختصان فقط بأصول المذهب الحنبلى ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٢ - شَرَحَ الشنقـيطى فـى هذه المذكرة كتـاب (رَوْضَة النَاظِر) كامـلاً إلاّ مقدمة مـؤلفه ابن قدامة ، وهذا ما يُبيِّنه الشيخ عطيـة بقوله : شملت هذه المذكرة (روضة الناظر) كلها مـا عدا المقـدمة المنطقـية التى افـتتح بهـا المؤلف كـتابه ، والمتـضمنة مـا لابد منه من اصطلاحات المتكلمين المـتداخلة لهذا الفن ؛ وذلك تسـهيلاً لفهـمها ، ومـسايرة لمنهج دراستها ، وقد شملت مباحث : (الحد والبرهان ، وأنواع الدلالة ، ثم أقسام القضايا) ونحو ذلك مما لم تتعرض له هذه المذكرة[3] .

٣ - اختتم ابـن قدامة كتابه (روضـة الناظر) وتابعه الشنقيطى فى شرحـه علـيه فى (مذكـرة أصول الفقه) بمبحث القياس، غير أن الشيخ عطية قد أثبت بنـهاية المذكرة (مُلْحَقًا) بهذا المبحث كان قـد سَجَّلَه ونقله عن شيخـه الشنقيطى ، وهذا ما يوضحـه بقوله : مُلْحَق

= خرج عن الدنيـا بالكلية وأقبل على أعـمال الآخرة ، فكان يرتـزق من النَّسْخ ، وقد رحل إلى الشام فأقام بدمشق حـينًا ، ثم رحل إلى بيت المقدس مدة صنَّف خلالها كتابه الشـهير (إحياء علوم الدين) ومن مصنفاته الأخرى العـديدة : (البسيط - الوسيط - الوجيز - الخلاصـة - المستصفَى - المنخول - اللُّباب - المنتحل فى الجدل - تهافت الفلاسـفة - مَحَكّ النظر - شرح الأسماء الحسنى - المنقذ من الضلال) وغيرها .

وقد ابتنى رباطًا له فى داره ببلده (طوس) وغرس فـيها بستانًا أنيقـًا ، ثم أقبل على تلاوة القرآن وحفـظ الأحاديث الصـحاح، وقـد ظل على حاله تلك حـتى كانت وفـاته الاثنين الرابع عشـر من جمادى الآخرة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلِّكان ٤/٢١٦ - ٢١٩ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبىّ ١٩/٣٢٢ - ٣٤٦ .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكى ٦/١٩١ - ٣٨٩ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٦/٢١٣ - ٢١٥ .

(١) سيأتى التعريف به ضمن حديثنا عن شرح الشنقيطى عليه المسمى : (نثر الورود على مراقى السعود) فى أصول فقه المالكية ص من هذا البحث .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ (بتصرف يسير) .

لمبحث القياس كنت قد سَجَّلْتُه من دروس فضيلة الوالد الشيخ محمّد الأمين الشنقيطيّ فى المسجد النبويّ فى (رمضان عام ١٣٨٩ هـ = نوفمبر عام ١٩٦٩ م) فى التفسير عند قول الله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الآية(١) .

وقد ناقش فيه فضيلته إثبات القياس على منكريه ، وأورد أقسامه وأمثلته العديدة ؛ مما لا يتسع له محلّه من الكتاب المقرر ، ولا يستغنى عنه طالب لإيضاحه وشموله ، وقد دَوَّنْتُهُ وصححتُهُ على فضيلته ، ثم عُرِضَ بعد ذلك على سماحة رئيس الجامعة(٢) فارتأى طبعه مع هذه المذكرة تعميمًا للفائدة(٣) .

٤ - صدرت هـذه المذكرة فى عدة طبعات أخرى بعد ذلك نذكر منها هاتين الطبعتين **الأولى** : وهى طبعة المدرسة السلفية ، وقد كتب عليها (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) وهذا ما لم نعهده على مؤلفات الشنقيطى ألبتة !! بل ويخالف المبدأ الذى التزمه فى عدم التكسب بتلك المؤلفات التى جعلها لوجه الله الكريم ؛ خدمة لطلاب العلم وباحثيه ، **والثانية** : وهى طبعة المكتبة السلفية ، والتى قام بنشرها صاحبها محمّد عبد المحسن الكتبيّ بالمدينة المنورة ، وقد لوحظ صدور هاتين الطبعتين بدون تاريخ ، فضلاً عن عدم ذكر موطن الأولى منهما .

٩ - المَصَالِحُ المُرْسَلَة :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشيخ عطية نيابةً عن شيخه الشنقيطيّ ضمن محاضرات الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م)(٤) والتى أشار إليها ضمن مؤلفات شيخه بقوله : لقد بَيَّنَ رحمه الله فى هذه المحاضرة ضابط استعمال المصالح المرسلة بين الإفراط والتفريط(٥) .

وقد قامت الجامعة الإسلامية بطبع هذه المحاضرة فى كتيب صغير بلغ عدد صفحاته

---

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) والمقصود به الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، الذى كان رئيسًا للجامعة الإسلامية آنذاك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٣٤١ (بتصرف يسير) .

(٤) ترجمة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .

سبعَ عشرةَ صفحة ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها[1] .

١٠ - المنظوم وشرحه فى فن المنطق :

جاء ذكر هذا الكتاب على لسان الشنقيطى عقب ذكره مبحث (السَّبْر والتقسيم) عند المناطقة بقوله :

والسَّبْر والتقسيم عند المناطقة هو الشرطىّ المنفصل ، وهو ثلاثة أقسام ؛ لأن الشرطية المنفصلة التى يتركب منها الشرطىّ المنفصل ثلاثة أقسام ، وقد حررنا هذه المباحث فى كتابنا : (المنظوم وشرحه فى فن المنطق)[2] .

- **ملاحظات حول هذا الكتاب :**

١ - بالرغم من إشارة الشنقيطى السابقة إلى كتابه هذا ؛ إلاّ أن تلميذه الشيخ عطية لم يورده ضمن مؤلفات شيخه عند ترجمته ، بل وقد تابعه الشيخ محمد المجذوب فى ترجمته للشنقيطى كذلك[3].

٢ - طُبِعَ هذا الكتاب طبعة تعليمية فى حياة مؤلفه اقتصرت على طلاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والذين دَرَّسَ لهم أستاذنا الدكتور الحسينى أبى فرحه هذا الكتاب من خلال مادتىْ : (المنطق) و (الرد على المناطقة) عام (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م)[4] . ومنذ ذلك الحين لم يطبع هذا الكتاب طبعة تجارية يمكن من خلالها نشره خارج بلاد الحجاز بعيدًا عن هذا الغرض التعليمىّ .

٣ - لعل أصل هذا الكتاب مأخوذ عن (ألفية المنطق) التى أسلفنا ذكرها ضمن مؤلفات الشنقيطى المخطوطة .

---

(١) المصالح المرسلة : محاضرة لفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنىّ الشنقيطىّ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطىّ ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٥٣ - ٥٥ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٦ - ١٨٨ .

(٤) كما أخبرنى بذلك أثناء زيارتى العلمية لفضيلته بمنزله بالقاهرة عصر الجمعة (٢٨ - ٥ - ١٤٠٦ هـ) الموافق (٧ - ٢ - ١٩٨٦ م) فجزاه الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء .

١١ - منع جواز المجاز :

وتمام اسمه : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) وهو ما يُعَرِّفُه الشيخ عطية بقوله : هو عبارة عن رسالة موضوعها إبطال إجراء المجاز فى آيات الأسماء والصفات ، وإيفاؤها على الحقيقة(١).

والسبب الباعث على تأليف الشنقيطى هذه الرسالة فى علوم القرآن ، يوضحه تلميذه الشيخ عطية كذلك قائلاً : كان رحمه الله قد كتبها رداً على مناقشات أثيرت حول آيات الصفات ، وما يدور فيها من نقاش بين مذهبىْ السَّلف والخلف ، وإتيانها على حقائقها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

وقد بيَّنَ صرفها عن حقائقها بنوع تأويل على أسلوب المجاز فى اللغة العربية على ما هو متعارف؛ فكان القول بالمجاز فى اللغة أقوى موجب للتأويل فى آيات الصفات ؛ ومن ثم كانت هذه الرسالة لهذا الموضوع(٢) .

أما الهدف الذى قصد إليه الشنقيطى بتأليف هذه الرسالة فهو ما جاء على لسانه فى قوله : والمقصود من هذه الرسالة نصيحة المسلمين وتحذيرهم من نفى صفات الكمال والجلال ، التى أثبتها الله تعالى لنفسه فى كتابه العزيز ؛ بادعاء أنها مجاز وأن المجاز يجوز نفيه ؛ لأن ذلك من أعظم وسائل التعطيل(٣) .

ويزيد هذا الهدف توضيحًا تلميذه الشيخ عطية بقوله : وكان الغرض من هذه الرسالة هو الحفاظ على آيات الصفات من إدخال المجاز ، وعمدة ما فيها : أن المجاز وإن كان أسلوبًا لغةً ؛ فليس كلُّ ما جاز لغةً جاز قرآنًا(٤) .

كما يضيف الشيخ المجذوب بُعْداً آخر للهدف من تأليف الشنقيطى هذه الرسالة فيقول : وغرض شيخنا الشنقيطى من رسالته هذه هو نفى ادّعاء المجاز فى أسماء الله وصفاته ، وإجراؤها على طريقة السَّلف ، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ، كما يفعل بعض المتكلمين الذين يكادون يبطلون كلَّ ما أثبته الله لذاته فى الكتاب ، وكلَّ ما أثبته له رسوله ﷺ فى الحديث الصحيح(٥) .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٤/٩ (الجزء الثانى من التتمة) . .

(٣) منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز (ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/١٠ (طبعة الرياض) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٥/٩ (الجزء الثانى من التتمة) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ .

وقد تضمنت مقدمة هذه الرسالة منهج الشنقيطى فيها ، والذى يُبَيِّنُه قائلاً : وسَمَّيْتُه (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) ورَتَّبْتُه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلى :

المقدمة : فى ذكر الخلاف فى وقوع المجاز فى أصل اللغة ، وأنه لا يجوز فى القرآن على كلا القولين .

الفصل الأول : فى بيان أنه لا يلزم من جواز الشىء فى اللغة جوازه فى القرآن ، وذكر أمثلة لذلك .

الفصل الثانى : فى الجواب عن آياتٍ زعموا أنها من المجاز نحو قول الله تعالى : ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ الآية[1] .

الفصل الثالث : فى الأجوبة عن إشكالات تتعلق بنفى المجاز ونفى بعض الحقائق ، ويشتمل على أمور تتعلق بالموضوع .

الفصل الرابع : فى تحقيق المقام فى آيات الصفات ، مع نفى المجاز عنها .

الخاتمة : فى وجه مناظرة النافى لبعض الصفات بالطرق الجدلية[2] .

وقد وقع هذا الكتاب فى اثنتين وستين صفحة ، وصدر فى أولى طبعاته مضمومًا إلى كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ضمن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

وكان الشنقيطى قد أشار إلى فراغه من جمعه أثناء إقامته بمدينة الرياض ، حيث ذكر ذلك فى الخاتمة بقوله :

والحَقُّ أَبْلَجُ لاَ تَزِيغُ سَبِيلُهُ   والحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوو الألبابِ

وهنا انتهى ما أردنا جمعه بمدينة الرياض المحروسة ، جعلها الله آمنة مطمئنة ، ونرجو الله أن يرزقنا الإخلاص فى العمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل[3] .

---

(١) الكهف : ٧٧ .

(٢) منع جواز المجاز الشنقيطى ١٠/٤ - ٥ (طبعة الرياض) .

(٣) منع جواز المجاز : الشنقيطى ١٠/٤ - ٥ (طبعة الرياض) .

وجدير بالذكر أن إقامة الشنقيطى بمدينة الرياض قد امتدت على مدار عشر سنوات منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذى افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى انتقل إليها الشنقيطى للتدريس بها فى أول أيامها واستمر على ذلك حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

- **ملاحظتان حول هذا الكتاب :**

١ - ذكر الشيخ عطية في نهاية الجزء التاسع من (أضواء البيان) أو (الثانى من التتمة) أن من مؤلفات شيخه رسالة : (منع جواز المجاز عن المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) حيث ذكر (عن) بدلاً من (فى) خلافًا لاختيار المؤلف الذى ذكر (فى) ولم يذكر (عن)[١] .

ومع أن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض فى اللغة ؛ إلاّ أنه لا يخفى أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما يختاره سواه ؛ ومن ثم لزم هذا التنبيه .

بل إن الشيخ عطية نفسه قد أثبت اسم الكتاب فى مواضع أخرى بذكر (فى) بدلاً من (عن) كاختيار شيخه فى ذلك[٢] .

٢ - صدر هذا الكتاب فى طبعات أخرى منفصلة عن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض ، ومن هذه الطبعات : طبعة مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالهرم بالقاهرة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م)[٣] .

١٢ - منهجٌ ودِراساتٌ لآياتِ الأسماءِ والصفاتِ[٤] :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطى ضمن محاضراته العديدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك فى (رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م) حيث أصدرتها الجامعة لأول مرة آنذاك ضمن مطبوعاتها ، وجاءت فى ست وعشرين صفحة متوسطة ، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه بقوله : ومن المحاضرات العديدة ذات المواضيع المستقلة التى طبعت كلها ونفذت محاضرة : (آيات الصفات) التى أوضح فيها رحمه الله تحقيق إثبات صفات الله تعالى[٥] .

وقد أعيد طبع هذه الرسالة فى ست وعشرين صفحة من قِبَلِ دار الاعتصام للطبع

(١) منع جواز المجاز : الشنقيطى ١٠/٤ (طبعة الرياض) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١١/٥٣ (من المقدمة) .

(٣) منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز : لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - الهرم - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطى - ط ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٤ (من المقدمة) .

والنشر والتوزيع بالقاهرة التى تولت إصدارها عدة مرات[1] .

وأما الهدف الذى قصد إليه الشنقيطى فى هذه الرسالة العقائدية فيتمثل فى إبانته عن منهج السَّلف فى الاعتقاد من حيث فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، وهذا ما يوضحه فى مقدمة الرسالة بقوله : أما بعد : فإنا نريد أن نوضح لكم معتقد السَّلف ، والطريق المنجى نحو آيات الصفات ، واعلموا أن كثرة الخوض والتعمق فى البحث فى آيات الصفات ، وكثرة الأسئلة فى ذلك الأمر ؛ كل هذا من البدع التى يكرهها السَّلف[2] .

كما يحدد الشنقيطى الأسس الثلاثة التى ارتكز عليها منهجه فى هذه الرسالة فيقول : اعلموا أن مبحث آيات الصفات دَلَّ القرآن العظيم على أنه يتركز على ثلاثة أسس ، مَنْ جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذى كان عليه النبىّ ﷺ وأصحابه والسَّلف الصالح ﷺ ومَنْ أخَلَّ بواحد مِنْ تلك الأسس الثلاثة فقد ضَلَّ ، وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم كما يلى :

- أما أول هذه الأسس: فهو تنزيه الله جلَّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية[3] وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الآية[4] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[5] .

- وأما ثانى هذه الأسس : فهو الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله مِن الله : ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية[6] والإيمان بما وصفه به رسول ﷺ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى قال فى حقه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④﴾ الآيتان[7] .

- وأما ثالث هذه الأسس : فهو قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص الله عليه فى قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ الآية[8] .

(١) انظر تلك الطبعة بنص العنوان التالى :

- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: للشيخ محمد الأمين الشنقيطىّ المتوفى عام ١٣٩٣هـ رحمه الله وغفر له ، وأجزل له الأجر والثواب - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - نشر دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطىّ ص ٣ .

(٣) الشورى : ١١ . (٤) الإخلاص : ٤ . (٥) النحل : ٧٤ .

(٦) البقرة : ١٤٠ . (٧) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٨) طه : ١١٠ - وانظر (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) : الشنقيطى ص ٣ - ص ٢٤ (بتصرف) .

وفى النهاية يختم الشنقيطبى رسالته هذه بنصيحة المسلمين قائلاً : وختامًا يا إخوانى : نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله ، وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث ، ثم أورد ذات الأسس الثلاثة التى سلف ذكرها(١) .

١٣ - منهج التشريع الإسلامىّ وحكمته :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطىّ فى افتتاح الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م) حيث طبعها مركز شئون الدعوة الإسلامية بالجامعة لأول مرة آنذاك تحت رقم (٦٧) وجاءت فى خمس وعشرين صفحة(٢) .

وقد بيَّن الشيخ عطية مضمون محاضرة شيخه، موضحًا نضج وشمول ، وكمال وعموم منهج التشريع الإسلامى ؛ بما جعله منهجًا فريدًا متميزًا عما سواه ، خاصة وأن حكمة هذا المنهج تتمثل فى فوز مَنْ يلتزمه ويتمسك.به بنعيم الدارين فى الدنيا والآخرة ، وبهذا يقدّم لهذه المحاضرة قائلاً : وهذه المحاضرة مرآة ونبراس يعتز به كل مسلم يعمل لإعزاز دينه ؛ فهى تكشف له جانبًا هامًا(٣) من جوانب عظمة هذا الدين القويم فى منهجه وحكمته ؛ كما سيجد الداعى إلى الله حجة وسلطانًا للمناضلة أمام تيارات الغرب الجارفة ؛ تُسْكِتُ أبواق الدعاية الغربية ، وعُدَّةً لإحباط الحملات المنظمة للنيل من عزة الإسلام وحضارته .

بل هى كالصخرة التى تتحطم عليها تيجان عزة القوانين الوضعية(٤) التى هى غاية منتهى صنع البشر ونهاية إنتاج عقولهم ، فتجعلها تتهاوى على أطرافها أشلاءً وألوانًا تعبِّر عن حقيقة نشأتها من تلون الفكر الإنسانى وتغيره أمام المشاكل والأهداف ؛ فَتَخِرّ صاغرة أمام عظمة هذا المنهج الإسلامى القويم الذى جاء من لدن حكيم عليم لا يَعْزُبُ عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وسع كل شىء رحمة وعلمًا ، فهو سبحانه العالم بكل شىء ، والقادر على كل شىء ، ورحمته وَسِعَتْ كل شىء .

فبمقتضى علمه لا يطرأ على منهجه خَلَل، لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه ،

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطى ص ٢٦ .

(٢) منهج التشريع الإسلامى وحكمته : لفضيلة الشيخ محمّد الأمين الجكنىّ الشنقيطىّ - الطبعة ١ - الكتاب رقم (٦٧) - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) وصوابه (مُهِمًا) من قولهم : (أَمْرٌ مُهِمٌّ) أى يدعو إلى اليقظة والتدبير - انظر مادة (هَمَم) فى المعجم الوسيط : ٢/١٠٣٦ .

(٤) لا وجه هنا لإثبات العزة وتيجانها للقوانين الوضعية ؛ فهذا ما يؤدى إلى نقيض قصد المؤلف الذى يتمثل فى إبرازه تمام وكمال المنهج الإلهىّ الذى لا تدانيه عزة ولا تسمو فوقه تيجان !! ومن ثم فلا مسوغ لهذا التعبير سوى تخريجه على (تيجان العزة المزعومة) على حَدِّ ادّعاءات واضعى هذه القوانين ، ووفقًا لافترائاتهم .

وبمقتضى قدرته لا يلحقه عجز عن شيء ، وبمقتضى رحمته يخلو منهجه عن كل ضُرٍّ ويجلب لنا كل خير ؛ وبمقتضى الجميع يكون منهج شريعته شاملاً لكل خير ، مُبرأً من كلِّ ضُرٍّ ، كما روى عن رسول الله ﷺ : «ما تركتُ خيرًا إلاّ بيَّنتُه لكم وأمرتُكم به ، ولا تركتُ شرًا إلاّ بيَّنتُه لكم وحذرتُكم منه » الحديث[1] .

وسيرى قارئ هذه المحاضرة كيف سايرت الحكمة والرحمة هذا المنهج من مبدئه إلى اكتماله ؛ حتى أصبح شاملاً وافيًا مستغرقًا لجميع نواحى الفرد والجماعة والأمة ، عباداتهم ومعاملاتهم ، حركاتهم وسكناتهم ، لدنياهم وآخرتهم ؛ مما يكفل للسائرين عليه الفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة[2] .

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وما وجدته من روايات قريبة منه فبيانها كالتالى :

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن عمران عن صاحب له قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ما تركت شيئًا يقرّبكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلاّ قد بينته لكم» - انظر (المُصنَّف): للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعانى ت (٢١١ هـ = ٨٢٧ م) - (كتاب) الجامع (باب) القَدَر - ١١/ ١٢٥ - حديث رقم (٢٠١٠٠) - ومعه كتاب (الجامع) للإمام مَعْمَر بن راشد الأزدى برواية عبد الرزاق الصنعانى - الجزء الحادى عشر - عُنِيَ بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ المحدّث حبيب الرحمن الأعظمى - الطبعة ٢ - المكتب الإسلامى - عمّان - الأردن - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وأخرج الطبرانى من طريق فطر عن أبى الطفيل عن أبى ذر قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه فى الهواء إلاّ وهو يذكرنا منه علمًا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ما بقى شيء يقرّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بيِّن لكم » - انظر (المعجم الكبير) : للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ت (٣٦٠ هـ = ٩٧١ م) - ٢/ ١٦٦ - حديث رقم (١٦٤٧) - حققه وخرّج أحاديثه : حمدى عبد المجيد السلفى - الطبعة ١ - (الدار العربية للطباعة ببغداد) بالتعاون مع (لجنة إحياء التراث الإسلامى بوزارة الأوقاف) - العراق - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

وأخرج البيهقى من طريق عبد العزيز الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب أن رسول الله ﷺ قال : « ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلاّ وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئًا مما نهاكم الله عنه إلاّ وقد نهيتكم عنه » - انظر (السُّنن الكبرى) : للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - ٧/ ٧٦ - وفى ذيله (الجوهر النقى) : للعلامة علاء الدين على بن عثمان المارديني الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) - الطبعة ١ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م .

وأخيرًا فقد أورد الألبانى قول رسول الله ﷺ : « ما بقى شيء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بيِّن لكم » - انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) : للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - ٤/ ١١٦ - حديث رقم (١٨٠٣) - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) منهج التشريع الإسلاميّ وحكمته : الشنقيطيّ ص ١٥ - ١٧ .

• **ملاحظتان حول هذه المحاضرة :**

١ - طبعت هذه المحاضرة بعد طبعتها الأولى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدة طبعات كان آخرها طبعة دار التراث بالمدينة المنورة ، وذلك ضمن الكتاب التاسع من سلسلة (الرسائل المدينة) والذى ضم هذه المحاضرة مع محاضرة الشيخ عطية فى (تعدد الزوجات وتحديد النسل) وقد بلغ عدد صفحات هذا الكتاب مائة وثلاثًا وخمسين صفحة ، استغرقت محاضرة الشنقيطى أربعين منها من القطع المتوسط ، وذلك عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) (١) .

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه فى ترجمته له تحت عنوان : (حكمة التشريع) وليس : (منهج التشريع الإسلامى وحكمته) وقد تابعه فى ذلك الشيخ المجذوب فى ترجمته للشنقيطى(٢) ومن ثم فقد لزم التنبيه .

١٤ - نثرُ الوُرُود على مَرَاقِى السُّعُود :

وهو شرح للشنقيطى على كتاب : (مَرَاقِى السُّعُود لِمُبْتَغِى الرُّقِىِّ والصُّعُود) للشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوىّ الشنقيطىّ الذى نظم فيه كتاب تاج الدين السُّبكى المُسَمَّى : (جمع الجوامع) فى علم الأصول، مع زيادات كثيرة عليه بلغت به نحو ألف بيتٍ وبيتٍ .

وكان الشنقيطى قد أمْلَى هذا الشرح على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنىّ الشنقيطىّ عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) فى بيت الشنقيطى بالرياض بناءً على طلبه الذى قصد إليه عند أدائه حجة الإسلام آنذاك .

وقد أجابه الشنقيطى إلى ما طلب غير أنه ترك ما يقرب من خُمُسِ هذا النظم دون شرح بما يعادل مائة وخمسة وثمانين بيتًا ، منها واحد وعشرون بيتًا من أول النظم حتى قول الناظم :

كَلامُ رَبِّى إنْ تَعَلَّقَ بِمَا ... يَصِحُّ فِعْلاً لِلْمُكَلَّفِ اعْلَمَا

ثم مائة وأربعة وستون بيتًا من بقية مبحث (المجاز) حيث قول الناظم :

---

(١) انظر (منهج التشريع الإسلامى وحكمته) : لفضيلة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطى رحمه الله - ومعه (تعدد الزوجات وتحديد النسل) : لفضيلة الشيخ عطية محمّد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) راجع فى ذلك كلا من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٤ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمّد المجذوب ١/١٨٨ .

وَإِنْ يَجِـى الدليـلُ للخِـلاَفِ فَقَدِّمَنْـهُ بِـلاَ اخـتـلافِ

وانتهاءً بمبحث (العَامّ) حيث قول الناظم :

خِـطَابُ وَاحِـدٍ لغـيرِ الحنبلـىِّ مِـنْ غيرِ رَعْـى النَّصِّ والقَيْسِ الجَلِىِّ

وقد أكمل الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطى تلميذ الشنقيطى وابن عمه هذا الشرح الذى جاء فى جزأين بلغ عدد صفحاتهما سبعمائة وإحدى وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وصدر فى طبعته الأولى عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م)(١) .

ويتضح وصف هذا الشرح ومنهج الشنقيطىّ فيه من خلال الافتتاحية التى جاء تحتها ما نصه : لقد شرح الشيخ رحمة الله عليه هذا النظم شرحًا لا مثيل له ، يُغنى عن غيره ولا يُغنى عنه غيره؛ حيث امتاز عن غيره مِنْ كتب أصول الفقه بكثرة الأمثلة التى لم يَعْتَنِ بها الأصوليون غالبًا ، كما جمع فيه ثمرة الكثير من كتب الأصول ، واستطرد كثيرًا من المسائل الفقهية ، وأبدى اعتراضات على بعض الأصوليين موضحًا وجه الصواب فيها .

فصار هذا الشرح دُرَّةً ثمينة وجوهرة غالية ، استعمل فيه شيخنا الأسلوب السَّلس ، وتحاشى فيه الغموض الذى ملأ كتب أصول الفقه ؛ فهو لا غنى عنه للمبتدئ ولا للمنتهى ، بل يستطيع غير المتخصص فى فن الأصول أن يتابع دراسته فيه دون مشقة ولا إرهاق ، فى حين يستفيد منه المتخصص استفادة لا تحصى ولا ترام ؛ خاصة وأن الشيخ رحمة الله عليه قد جَنَّبَ هذا الشرح الكثير من كلام المنطقيين والجدليين والمتكلمين ؛ فجاء الكتاب صفوة الكتب السابقة ، وغِنًى عن الكتب اللاحقة(٢) .

- **ملاحظات حول هذا الشرح :**

١ - ظل هذا الشرح مخطوطًا لمدة أربعين عامًا تقريبًا منذ أن كان الشنقيطىّ ببلاده شنقيط ، وحتى إملائه على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطىّ عام (١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م) ببيت الشنقيطىّ بالرياض، ثم إكماله على يد تلميذه

---

(١) انظر هذا الشرح بنص عنوانه التالى :

- نثر الورود على مراقى السُّعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) - تحقيق وإكمال تلميذه : الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - الناشر : محمد محمود محمد الخُضْر القاضى - جزآن - الطبعة ١ - توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) نثر الورود على مراقى السعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ١/ ٦ - ٧ (بتصرف يسير) .

وابن عمه أيضًا الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطىّ الذى فرغ منه يوم الخميس (٣-١١-١٤١٣هـ) الموافق (٣-٧-١٩٩٢م) ببلد الله الحرام مكة المكرمة، وقد أعقب ذلك صدور الكتاب فى أول طبعة له عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)[(١)] .

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذا الشرح ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطى بقوله : وقد أملى رحمه الله شرحًا على (مَرَاقِى السُّعُود) فى بيته بمدينة الرياض على أخينا أحمد الأحمد الشنقيطى[(٢)] .

٣ - صدرت عدة شروح على (مَرَاقِى السُّعُود) غير شرح الشنقيطى المُسَمَّى (نثر الورود) نذكر منها :

- نشر البنود على مراقى السعود : لصاحب النظم عبد الله بن إبراهيم العلوىّ الشنقيطىّ الذى جاء شرحه هذا وافيًا على نظمه[(٣)] .
- فتح الودود على مراقى السُّعُود : للشيخ محمّد يحيى الولاتىّ الشنقيطىّ ، وهو على شرح مختصر على هذا النظم[(٤)] .
- مَرَاقِى السُّعُود إلى مَرَاقِى السُّعُود : للشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنىّ الشنقيطىّ ، وهو شرح مختصر أيضًا على هذا النظم[(٥)] .

وقد حقق هذا الشرح الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى ، ونال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى (رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١ م) .

---

(١) نثر الورود على مراقى السعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ١/ ٧ ، ١١ - ٢/ ٦٦١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .

(٣) صدر هذا الشرح على وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية بالتعاون مع دولة الإمارات العربية المتحدة ، وجاء فى جزأين بلغ عدد صفحات الأول منهما ثلاثمائة وست صفحات بتقديم الداى ولد سيدى بابا وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، فى حين بلغ عدد صفحات الجزء الثانى ثلاثمائة وستًا وخمسين صفحة بتقديم الدكتور أحمد رمزى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب .

وقد صدر هذا الكتاب بجزأيه فى طبعته الأولى عن المطبعة الحجرية بفاس بالمملكة المغربية ، ورغم صدوره بدون تاريخ إلا أن اختلاف وزيرىْ الأوقاف فى تقديم الجزأين يدل على وجود الفارق الزمنى بين صدور الجزء الأول وصدور الجزء الثانى آنذاك .

(٤) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠ .

(٥) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠ .

المبحث الثالث

مؤلفاته المُسَجَّلة

وتشمل أحاديث الشنقيطى العديدة التى جرت على لسانه من خلال دروسه ومحاضراته العامة ، أو فـى جلساته ومناظراته الخاصة ، والتى لا تزال مسجلة على أشرطة محفوظة سواء عند ولديه الدكتور محمد المختار الابن الأكبر ، أو الدكتور عبد الله الابن الأصغر ، أو عند أوّل وأخصّ تلامذته الشيخ عطية محمد سالم والذى أشار إلى ذلك قائلاً : وكان له رحمه الله تعالى العديد من الدروس والأحاديث والمحاضرات التى لم يَدَّخِرْ مِنْ خلالها وُسْعًا فى تعليمٍ ، ولم يَتَوَانَ فى توجيهٍ ، سواء مع الطلاب والمدرسين ، أو الحكام والعوام؛ مما يرسم الطريق الصحيح للدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد سُجِّلَت كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة ، وإنى لآمل أن أُوَفَّقَ لنقلها وطبعها إتمامًا للفائدة إن شاء الله تعالى[1] .

وعندما سئل الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى عن كيفية الحصول على آثار والده المسجلة وسبل الاستفادة منها ، والتى تبلغ ما يقرب من ألف شريط فى كل من مكتبة الحرم المكى ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحدهما ؛ فأجاب عن ذلك قائلاً : كانت تلك الأشرطة عندى ، غير أننى أعطيتها لعمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عقب وفاة الشيخ رحمة الله عليه ؛ لأن الإنسان فى الحقيقة ضعيف ؛ ومن ثم كنت أتأثر تأثرًا بالغًا إذا سمعت صوت الوالد فى السنوات الأولى التى أعقبت وفاته ، خاصة أننى كنت أستحضر ساعتها جلوسى فى الحلقة بالمسجد النبوىّ ، وصوته المباشر الذى يختلف تمامًا عن الخط أو الكتابة ؛ ولهذا فقد كان أن أخذت هذه الأشرطة كلها ودفعتها إلى عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية كما ذكرت .

غير أن أغلب أشرطة الوالد موجودة عند الشيخ سيد حبيب[2] الذى كان يسجل منذ عشرات السنين ؛ بما كوّن عنده الآلاف من تلك الأشرطة ، وسوف أحاول لقاءه بالمدينة المنورة لأبحث معه أمر هذه الأشرطة ، ولنجعل الواضح منها فى طريق ويعمم بإذن الله تعالى[3] .

ومن الجدير بالذكر أن تفسير الشنقيطى للقرآن الكريم قد سُجِّلَ كاملاً فى أشرطة من خلال حلقات التفسير بالحرم النبوىّ الشريف ، وهذا ما يُنَوِّهُ إليه ابنه الدكتور عبد الله

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤٧ - ٤٩ (من المقدمة بتصرف يسير) .

(٢) وهو صاحب (مدرسة العلوم الشرعية) المعروفة ، والتى تقع خلف (البقيع) بمنطقة الحرم النبوىّ الشريف بالمدينة المنورة .

(٣) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة بعنوان (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطىّ .

بقوله : أخبرنى بعض الناس أن تفسير القرآن الكريم كله مسجل بصوت الشيخ فى أشرطة لدى الشيخ سيد حبيب الذى دأب على ذلك بالحرم النبوىّ منذ زمن بعيد ؛ وتلك الأشرطة هى التى تُنْبِئُ عن علم الشيخ الحقيقى ؛ لأن كل كتب الشيخ لها منهج ، وليست مفتوحة كحلقات تفسيره ودروسه آنذاك[1] .

وفى الجملة يصوّر لنا الشيخ المجذوب كثرة ما خَلَّفَهُ الشنقيطى من الآثار المسجلة ، فضلاً عن تنوعها وعظيم نفعها للقاصى والدانى فيقول : إنّ ما سُجِّلَ وحُفِظَ من كلام الشيخ رحمة الله عليه لو نُقِلَ إلى الطُّرُوس[2] لألَّفَ قائمة طويلة من المؤلفات العظيمة ؛ فهناك دروسه القيّمة فى فصول الجامعة الإسلاميّة ، ثم دروسه العامة فى المسجد النبوىّ ، ثم محاضراته التى كان يُدْعَى لإلقائها فى دار الحديث الخيرية التابعة للجامعة أثناء المواسم الثقافية الخاصة بهذه المحاضرات ، فضلاً عن وفود الحجيج الذين كانوا يحضرون إلى الجامعة ليشهدوا محاضراته ، بالإضافة إلى دروسه الأخرى التى كان يختصُّ بها بعضَ أهل العلم فى بيته[3] .

---

(١) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الشنقيطى بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

وقد يَسَّرَ لى الله تعالى الحصول على شريط من تفسير الشنقيطىّ لقول الله سبحانه : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف : ٣١ - مما يظهرُ معه علمُ الشنقيطىّ ، ويقومُ شاهدًا على تمكنه من أدواته فى التفسير .

(٢) الطُّرُوسُ والأطْرَاسُ : أى (الكتب والصحف) ، ومفردها الطِّرْسُ أو الطِّلْسُ : أى (الصحيفة أو الكتاب الذى مُحِىَ ثم كُتِبَ) - انظر مادة (طَرَسَ) فى لسان العرب : ٤/ ٢٦٥٥ .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف يسير) .

المبحث الرابع

مؤلفـــاته الشِّعْـــرِيَّة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : قَرْضُه الشِّعْرَ ثم انصرافُه عنه .

٢ - المطلب الثانى : نظمُه العلميّ وشعره المتنوّع .

قَرْضَ الشنقيطى الشعرَ فى فتوته وشبابه أثناء مرحلة الطلب ببلاده ، ثم انصرف عنه مع قدرته عليه قبيل خروجه من بلاده لأداء حجة الإسلام والمقام ببلاد الحجاز ، وفيما يلى نعرض لسبب هاتين الحالتين مع ذكر إنتاج الشنقيطى من النظم العلمىّ ثم من الشعر المتنوع ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
قَرْضُهُ الشِّعْرَ ثم انصرافه عنه

١ - سبب قرض الشنقيطىّ الشعر :

حملَ الشنقيطىَّ على قرضِ الشعرِ ذلك المخزونُ الوافرُ الذى كان يحفظه ويتذوقه من شعر العرب ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : إن الغزارة فى محفوظ الشيخ من شعر العرب دليل قاطع على تذوقه إياه ؛ ولابد للحافظ المتذوق أن تواتيه الموهبة على صياغته ، وكذلك كان شيخنا طيب الله مثواه ، فهو رهيف الحسِّ ، سريع التأثر بالكلمة البليغة ، وقد طالعنا ببعض محاولاته الأولى ؛ فلمحنا ما وراءها من استعداد طيب آنذاك للتقدم والاستمرار(١) .

٢ - سبب انصرافه عن الشعر مع قدرته عليه :

وعلى الرغم من علو كعب الشنقيطىّ فى الشعر وتمكنه منه ؛ إلاّ أنه تركه ترفعًا واستحياءً ، لأنه لا يراه من صفات العلماء الأفاضل ، وهذا ما يسوقه عنه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وبالرغم من الشاعرية الرقراقة ، والمعانى العِذَاب الفياضة ، والأسلوب السهل الجَزْل ؛ فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر مع وفرة حفظه إياه .

وقد سألته رحمه الله عن تركه الشعر مع قدرته عليه وإجادته فيه ؛ فقال : لم أره من صفات الأفاضل ، وخشيت أن أشتهر به ، وتذكرت قول الشافعى فيما يُنْسَبُ إليه :

ولولا الشعرُ بالعلماءِ يزرى ‏ ‏ ‏ ‏ لكنتُ اليومَ أشعرَ مِنْ لبيدِ

ولأن الشاعر يقول فى كل مجال ، والشعر أكذبه أعذبه ؛ فلم أكثر منه لذلك(٢) .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٩٠ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢ (من المقدمة) .

وانظر البيت المذكور فى (ديوان الإمام الشافعى) : لأبى عبد الله محمّد بن إدريس الشافعى ت (٢٠٤ هـ= ٨٢٠ م) - ص٣٩ (تحت عنوان : الوقار وخشية الله) - جمعه وعلّق عليه: محمد عفيف الزعبىّ - الطبعة ٣ - نشر دار الجيل مع (مؤسسة الزعبى) - بيروت - لبنان - ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م .

غير أن الشيخ المجذوب يُوَجِّه قول الشنقيطيّ : (لم أره من صفات الأفاضل) قائلاً : وإنما يريد بنفيه عن الأفاضل ما يرى لبعض المتعاطين لـه من زلات يربأ بنفسه أن يتعرض لها ، لا كما فهمها بعض الجاهلين للشعر ، إذا اعتبروه منافيًا لكرامة العلم ، وهم الذين لا يحسنون إقامة البيت إذا حاولوا قراءته ؛ فليس لمثلهم حق فى الحكم عليه[1] .

والحق أننا نتفق مع الشيخ المجذوب فيما ذهب إليه من توجيه ؛ حيث يشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى ويؤكده فى سياق تناوله قضية (الشعر والشعراء) من المنظور الشرعيّ ؛ فعلى الرغم من ذم الله تعالى الشعراء العابثين الذى يخوضون فى كل مجال ، ويتخبطون فى كل وادٍ ، دون قيد أو ضابط ؛ إلاّ أنه استثنى سبحانه منهم تلك الطائفة الفاضلة التى تدعو من خلال شعرها إلى تأصيل الفضائل ، وترسيخ الأخلاق .

وهذا ما يقوم شاهدًا عليه قول الله تعالى : ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)**﴾ الآيات[2] .

وقد حفظ لنا تاريخنا الإسلاميّ المجيدُ نماذجَ عديدة لهؤلاء الشعراء الفضلاء الذين نمثل لهم بالشاعر المخضرم والصحابى الجليل حسَّان بن ثابت الأنصاريّ ﷺ حيث كان شاعر رسول الله ﷺ وشاعر الإسلام الأول الذى دافع عنه ونَافَحَ ؛ فأفحم خصومه ودَحَرَ أعداءه[3] .

ويؤكد الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى انصراف والده عن الشعر تورعًا وخشية مع قدرته عليه وتمكنه فيه فيقول : والوالد كان شاعرًا مُفْلِقًا ، وعنده أحاسيس جيَّاشة ؛ ومع ذلك فقد كان يستاء أن يقال عنه : (شاعر) ولأن أغلب شعره كان فى الغزل والنسيب ؛ لذا كنت إذا ذكرت له شعره يغضب غضبًا شديدًا ، وينهرنى قائلاً : (استحِ يا ولدى !! هذا الشعر أعوذ بالله منه ؛ فلا أنا أريده ، ولا أريد أن أشتهر به)[4] .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٩٠ .

(٢) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧ (أربع آيات) .

(٣) انظر فى ذلك (ديوان حسَّان بن ثابت الأنصارى) : صحّحه وشرحه د. محمد عزت نصر الله - من منشورات دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المطلب الثانى

نظمُه العلميّ وشعرُه المتنوع

للشنقيطى الكثير من النظم العلميّ فى فنون متعددة ، فضلاً عن أشعاره المتنوعة بأغراضها المختلفة، والتى جاءت مبثوثة فى مؤلفاته العلمية ، بالإضافة إلى ما ذكره عنه تلميذه الشيخ عطية فى ترجمته له .

• **نظمُه العلميّ:**

للشنقيطىّ خمسة نظوم علميّة بلغت أبياتها عدة آلاف ، وقد سبق أن فَصَّلْنَا القول فى أربعة منها ضمن مؤلفاته المخطوطة بالإضافة إلى النظم الخامس الذى سيأتى ذكره ضمن مؤلفاته المفقودة بعد قليل .

• **شعره المتنوع :**

اختلف شعر الشنقيطى باختلاف أغراضه ؛ بحيث واكبَ كلَّ غرضٍ من الأغراض ما يناسبُهُ من الشعر الذى يترجم عنه ويدل عليه ، وهذا ما يتضح من خلال النماذج التالية :

١ - فى الغزَل أيامَ صباه :

ومما قاله الشنقيطى متغزلاً فى أيام صباه الأولى تسعة أبيات ، نورد منها ما يلى :

بشَفَى الأُحَيْمرِ[1] قد عَرَفْتُ لِرَادِ ... دارًا ، مُرَادِى أنْ تكونَ مُرَادِى
عَهْدِى بهَا ، وبهَا فتاةٌ هَمُّهَا ... أعْذَبُ بهَا تعذيبَ كلِّ فؤادِ
والله لا أنسى مَبِيتِى عندها ... بشَفَى الأُحَيْمرِ عن جنوب الوادِ
إذ بِتُّ أشفى من رُضَابِ[2] بارد ... داءً تقادمَ حَرُّه بفؤادِ
وَيْلَ أُمِّهَا ! ما كان أطيبَ رِيقَهَا ... يا بردَ رِيقَتِهَا على الأكبادِ[3]

٢ - فى إيثاره طلب العلم على الزواج :

لما طال اشتغال الشنقيطى بطلب العلم وتحصيله عما سواه ؛ أَيِسَتْ منه مَنْ كانت ترغب فى الزواج منه وتطمح إليه ، ومن ثم تزوجت ببعض الأغنياء ؛ وعندئذ نصحه أصدقاؤه

(١) وهو اسم موضع معروف عندهم يقع جنوب (وادى شنقيط) وهذا ما أوضحه فى آخر البيت الثالث .
(٢) الرُّضَابُ: الرِّيقُ عامَّةً ، أو المرشوفُ منه خاصةً - انظر مادة (رَضَبَ) فى المعجم الوسيط: ١/٣٦٢ .
(٣) انظر تمام هذه الأبيات فى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطىّ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

بتعجيل الزواج خشية ألاَّ يجد مَنْ تصلح له مِنْ ذوات الحسَبَ والنَّسب والجمال إن هو تأخر أكثر من ذلك .

غير أن الشنقيطى أجابهم بما يفيد إيثاره العلم على ذلك كله ، بل وحَثَّهم على تحصيله والانشغال به عما سواه ؛ ليسلكوا ذات سبيله ويترسموا نفس خطاه ، ومما قاله فى ذلك أحدَ عشرَ بيتاً ، نورد منها ما يلى :

دَعَانى الناصحونَ إلى النكاحِ ... غداةَ تَزَوَّجَتْ بيضُ الملاَحِ
فقالوا لى : تَزَوَّجْ ذاتَ دَلٍّ ... خَلُوبَ اللَّحْظ جائلةَ الوشَاحِ[1]
فقلتُ لهم : دَعُونى إنّ قلبى ... من العيِّ الصُّرَاحِ[2] اليومَ صَاحِى
ولِى شُغْلٌ بأبكارٍ عَذارَى[3] ... كأنّ وجوهَهَا ضوءُ الصَّبَاحِ
أبيتُ مفكرًا فيها فتضحى ... لِفَهْمِ الفَدْمِ[4] خافضَةَ الجناحِ
أَبَحْتُ حَرِيمَهَا جَبْرًا عليها ... وما كان الحريمُ بِمُسْتَبَاحِ[5]

٣ - فى عَرْضِ حاجته إلى علم الصَّرْف :

قَدِمَ الشنقيطىُّ على بعض المشايخ ببلاده شنقيط ليدرس عليه ، ولم يكن الشيخ يعرفه ؛ فسأله مَنْ يكون ؟! وعلى الفور أجابه الشنقيطى بخمسة أبياتٍ ارتجلها فى مَلإٍ من تلامذة الشيخ قائلاً :

(١) الدَّلُّ : الدلال - الخَلُوبُ : الفاتنة - اللَّحْظُ : النظر بطرف العين - جَائلةُ الوشَاحِ : وشاحها مرفوع ظاهر - الوشَاح : نسيج عريض مُرَصَّع بالجوهر تشده المرأة على صدرها ما بين كتفها وخَصْرِها - وانظر مواد (جَوَلَ - خَلَبَ - دَلَلَ - لَحَظَ - وَشَحَ) على الترتيب فى كل من :
- لسان العرب : ١/ ٧٣٠ - ٢/ ١٢٢٠ - ٢/ ١٤١٣ - ٥/ ٤٠٠٧ - ٦/ ٤٨٤١ .
- المعجم الوسيط : ١/ ١٥٣ - ١/ ٢٥٧ - ١/ ٣٠٤ - ٢/ ٨٥١ - ٢/ ١٠٧٥ .

والمعنى : تَزَوَّجْ ذاتَ دلال تفتنُ مَنْ تنظرُ إليه بطرف عينها ؛ فتأخذ لُبَّه ، وتملكُ قلبَه ، خاصة وأنها لا تخطئها أعينُ الناظرين لطول قدِّهَا وتميز هيئتها .

(٢) العيُّ : الجهل بالشىء أو العجز عن بيان المراد منه - الصُّرَاحُ : الخالص مما يشوبه ويُكَدِّرُهُ - انظر مادتَىْ (صَرَحَ - عَيِىَ) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ١/ ٥٣١ - ٢/ ٦٦٥ .

(٣) ويقصد به معضلات العلم ومسائله البكر العذراء التى لم يسبقه غيره إليها بالبحث من قبل لحل مشكلها وبيان مجملها .

(٤) الفَدْمُ : ثقيل الفهم - انظر مادة (فَدَم) فى المعجم الوسيط : ٢/ ٧٠٢ .

(٥) انظر تمام هذه الأبيات فى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطى ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

هَذَا فتى مِنْ (بنى جاكانَ) قد نَزَلاَ ... به الصِّبَا ، عن لسان العرب قد عَدَلاَ
رَمَتْ بِه هِمَّةٌ عَلْيَاءُ نحوكمُ ... إِذْ شَامَ بَرْقَ علومٍ نوره اشْتَعَلاَ
فجاءَ يرجو رُكاماً مِنْ سَحَائبِه ... تكسُو لسَانَ الفتى أزهارُهُ حُلَلاَ
إِذْ ضَاقَ ذَرْعًا بجهلِ النحو ثم أَبَى ... أَلاَّ يَمِيزَ شكلَ العينِ مِنْ فَعَلاَ
قَدْ أَتَى اليومَ صَبًّا مُولَعًا كَلِفًا ... بـ (الحمدُ لله) لا أبغى به بَدَلاَ

ويقصد بذلك عرض حاجته لدراسة علم الصَّرْف الذى حصره فى (لاَمِيَّة الأفعال) المبدوءة بـ (الحمد لله)[1] .

٤ - فى رده دعوى مَن اتهمَهُ بأنه هَجَاءٌ :

وقعت شَحْنَاء بين رجلين من أهل العلم من قبيلة الشنقيطىّ (بنى جَاكَان) هما : (السالم) و (محمد محمود) وذلك بسبب رفض الأول إجازة الثانى وتزكيته لقادحٍ دينى يعتقده فيه ؛ ومن ثم فقد غضب الثانى وهَجَا الأول بعدة أبيات لاذعة .

غير أن الهاجى قد ادّعى على الشنقيطىّ أنه دَسَّ بعض الأبيات للمهجو لينتقم بها منه ؛ فغضب الشنقيطى ورد هذه الدعوى التى لا تليق به على صاحبها محمد محمود (الهاجى) وذلك من خلال قصيدة طويلة عَارَضَهُ بها ، وبلغت ثلاثين بيتًا نورد منها ما يلى :

أَرَى الرَّبْعَ مِنْ أسمائه وسُعَاده ... وسُعْدَاهُ قَفْراً غيرَ بَاقِى رَمَاده
إذا فَجَعَتْنِى الحادثاتُ بِنَكْبَة ... وربُّكَ حَسْبِى فى الأمور البَوَاده
مقالةُ أَنْ قد قلتُ : إنى أجبتُ ... عَنْ (إلى السَّالِم حَبْرِ بِلاَده)[2]
وتَمْنَعُنِى مِنْ ذاك نَفْسٌ عزيزةٌ ... غَلاَ سِعْرُهَا فى السُّوقِ يومَ كَسَاده
وإنى لم أَنْطِقْ بشىءٍ عَلِمْتُهُ ... سِوَى مجده قِدَماً وطُولِ نجَاده
وإنى لأَكْسُو الخِلَّ حُلَّةَ سُنْدُس ... إذا ما كَسَانى مِنْ ثِيابِ حِدَاده
صَلاَةُ إلهِ العَرْشِ مَا ذَرَا شَارِقٌ ... على خيرِ خَلْقِ الله هَادِى عِبَاده[3]

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٩ - ٣٠ (من المقدمة) .

(٢) يشير الشنقيطىّ بذلك إلى قصيدة محمد محمود التى هَجَا بهَا السالم ، والتى يقول فى مطلعها :

إلى السَّالم الفقيه حَبْرِ بلاَده ... أَخى الفَضْلِ والإفتاء طبق مدَاده

(٣) ذَرَا : طلع - الشَّارِقُ والشَّارِقَةُ وَالشَّرْقُ : الشمس - انظر مادتَىْ (ذَرَا - شَرَقَ) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ١/٣٢٣ - ١/٤٩٩ .

وعليه فقوله (ما ذَرَا شَارِقٌ) : أى كلما طلعت الشمس ؛ وذلك لإفادة دوام الصلاة على=

٥ - فى تأسفه لعدم ملاقاته ابن عمه :

قَدِمَ محمد البيضاوىّ باشا ابن عم الشنقيطى من مسافة جدٍّ بعيدة بقصد زيارة الشنقيطىِّ وأهله من (بنى جاكان) غير أن الشنقيطىّ لم يدرك لقاءه والاجتماع به ؛ فأنشأ فى ذلك عدة أبيات يتأسف بها على فوات هذه الفرصة ، إلاّ أنه لم يورد منها سوى البيتين التاليين :

بَلْ إنما اهتــاجَ الفــؤادُ لـشَــأنه ... أنْ فــاتَهُ مَــرْأى حُـلَى الأفــواجِ
رَاضَتْ به (جَـاكَـانُ) أثباجَ الـعُـلاَ ... مِنْ بـعــدِ زلزلـةٍ عن الأثبــاجِ[١]

٦ - فى خروجه للصيد :

كان الشنقـيطى يداوم على الخروج للصيـد كل جمعة فى ضـواحى المدينة المنورة خارج الحرم ، فلا يصيد فيه ، ولا يأخذ السواك منه ، كما كان راميًا من الطراز الأول ؛ فلا يكاد يخطئ إذا رمى ، وقد توفـى وعنده بندقيتـان إحداهما من نوع (شُـوزَن) والأخرى من نوع (سَاكَتُون) .

ومما أنشأه وكان دائمًا ما يكرره إذا خرج للصـيد مع أبنائه وتلاميذه تلك الأبيات الأربعة التى تتسم بخفة الرُّوح ، وطرافة الموضوع حيث يقول :

قالتْ قُتَـيْبَةُ : ما تَبْـقَى دَرَاهِمُنَا يَوماً ... ومـا بـنا سَـرَفٌ فـيـهـا ولا خَـرَقُ
إنا إذا اجـتــمـعــتْ يومًـا دراهـمُنَا ... وَلَّتْ إلى طُرُقِ الخـيـرات تَسْـتَبِقُ
لا يألفُ الدرهم المـضـروبُ صُـرَّتَنَا ... لكنْ يَـمُــرُّ عليــهــا وَهْوَ مُنْطَلَقُ
حــتى يصــيـــرَ إلى نَذْلٍ يُخَـلِّدُهُ ... يكـادُ مِنْ صَــرِّهِ إيَّـاهُ يَنْـمَــزِقُ[٢]

٧ - فى عزمه على ترك الشعر :

ولما عقد الشنقيطىُّ العـزمَ على هجر الشعر سَبَّبَ ذلك بعدة أبيات بَيَّنَ فيـها أن مقاصد

= رسول الله ﷺ - وانظر تمام هذه الأبيات الثلاثين للشنقيطىّ ، وكذا الأحدَ عشرَ بيتًا التى رَدَّ عليها فـى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطىّ ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(١) رَاضَتْ : ذَلَّلَتْ ومَلَكَتْ - أثْبَاج : جمع ثَبَج وهو وسط كل شيء عندما يصيـر بارزًا متميزًا - انظر مادتىْ (ثَبَجَ - رَوَضَ) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ١/٩٧ - ١/٣٩٥ .
والمعنى : أن قبيلة الشنقيطىّ من (بنى جاكَان) قد حـازت بزيارة المذكور لها قمة العزة والمجد ، بعد أن كانت تفتقد ذلك فى حالة بُعْده عنها .

(٢) راجـع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عـبد الله الابن الأصغر للشنقيطىّ بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

الشعراء ليست له بمقاصد ، من حيث توصلهم بشعرهم إلى أغراضهم ، فضلاً عن تكسبهم وأكلهم به عند ذوى السلطان من الملوك والأمراء ، ومما أنشأه فى ذلك أربعةَ عشرَ بيتًا نورد منها ما يلى :

أُنقــذْتُ منْ دَاءِ الهَـوَى بِعــلاَجِ ... شَـيْبٍ يَزِينُ مَـفَـارِقِى كـالتَّـاجِ

قَـدْ صَـدَّنِى حُلْمُ الأكَـابِرِ عَنْ لَمَى ... شَـفَـةِ الفـتـاةِ الطَّفْلَةِ المِغْنَاجِ[1]

مَـاءُ الشَّـبِيبَـةِ زارعٌ فـى صَـدْرِهَا ... رُمَّـانَتَـىْ رَوْضٍ كَـحُـقِّ العَـاجِ

وكـأنهـا قــد أُدْرِجَتْ فى بُـرْقُعٍ ... يَا وَيْلَـتَـاهُ بهـا شُـعَـاعُ سِـرَاجِ

وكـأنما شـمسُ الأصـيلِ مـذابةٌ ... تنسَـابُ فـوقَ جَبِـينِهَـا الوَهَّاجِ[2]

وهذه الأبيات وإن كـانت قد قيلت فى ترك الشنقـيطى الشعر ، إلاّ أنهـا تَحْمِلُ الطابع الغزلى مما يجعلها صالحة لأن تكون نموذجًا من شعره فى الغزل الوصفىّ .

---

(١) المِغْنَاجُ والغَنِجَةُ : المرأة التى تتدلل على زوجها بشتى العبارات والحركات التى تزيدها مَلاحَةً عنده – انظر مادة (غَنَج) فى المعجم الوسيط : ٢/٦٨٨ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٣٢ – ٣٣ (من المقدمة) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطىّ ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

المبحث الخامس

مؤلفاته المفقودة

ويمثلها مؤلف واحد فقط كان الشنقيطى قد نظمه قبل البلوغ فى بلاده شنقيط ، ثم عَنَّ له بعد ذلك أن يتخلص منه التماسًا لتصحيح نيته التى كانت مُوَجَّهَة بهذا النظم للتفوق على أقرانه آنذاك .

وعن هذا النظم يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : ومن مؤلفاته رحمه الله ما كان منها فى بلاده مثل : (نظمه فى أنساب العرب) وكان قد أَلَّفَهُ قبل البلوغ ، حيث يقول فى أوله :

سَمَّيْتُهُ بـ (خَالِصِ الجُمَان)[1] فى ذِكْرِ أنسَابِ بنى عدنان

وبعد البلوغ دَفَنَهُ ؛ مسببًا ذلك بقوله : (لأنه كان على نية التفوق على الأقران) وقد لامَهُ مشايخه على دفنه ، وقالوا له : (كان من الممكن تحويل النية وتحسينها)[2] .

(١) الجُمَان : اللؤلؤ ، وواحدته (جُمَانَة) - انظر مادة (جَمَنَ) فى المعجم الوسيط : ١٤٢/١ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥١ - ٥٢ (من المقدمة) .

المبحث السادس

مؤلفـــاته المنســـوبة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : نمـــط مُوهِمٌ من هذه المؤلفات .

٢ - المطلب الثانى : نمط صحيح من هذه المؤلفات .

تظهر ما بين حين وآخر مؤلفات مستقلة يجتزؤها أصحابها من تفسير (أضواء البيان) للشنقيطى، ثم يقومون بوضع عناوين خاصة لها مقرونة باسم الشنقيطى .

ومع أنهم يشيرون بداخلها إلى طبيعة عملهم فيها من حيث التقديم والتحقيق ، أو الترتيب والتعليق ، أو الفهرسة والتصنيف ، أو غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ إلا أن الناظر إلى هذه المؤلفات يتوهَّم للوهلة الأولى أنها (مؤلفات جديدة) للشنقيطى قد أخذت طريقها إلى النور مؤخراً ، والحق أنها ليست من وضعه ولا صنيعه على هذا النحو الذى صدرت به .

وإزاء هذا فإنه يمكننا أن نعرض لبعضٍ من هذه المؤلفات تنبيهًا بها على غيرها من خلال نمطيْن اثنين أولهما : (نمط مُوهِم من هذه المؤلفات) وثانيهما : (نمط صحيح من هذه المؤلفات) وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

نَمَطٌ مُوهِمٌ من هذه المؤلفات

ونكتفى منها بذكر ثلاثة نُسِبَتْ عناوينها إلى الشنقيطى مما يُوهِم بأنها من مؤلفاته ، وذلك وَفْقَ ترتيبها الهجائى التالى :

١ - الإقليد فى الأسماء والصفات . والاجتهاد والتقليد :

وهو نقل لنص المسألة الثالثة من تفسير سورة محمّد ﷺ فى (أضواء البيان) والتى أوردها الشنقيطى من جملة المسائل الثلاث حول تفسير قول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[1] وقد عقد الشنقيطى هذه المسألة بعنوان : (المسألة الثالثة : فى التقليد وبيان معناه لغةً واصطلاحًا ، وأقسامه ، وبيان ما يصح منها وما لا يصح)[2] .

كما جاء هذا الكتاب فى حوالى مائة وعشرِ صفحات ، وتم تحقيقه فى (عَمَّان بالأردن) وقد شملَ عملُ محققهِ وضعَ العنوان ، ثم المقدمة التى عرض من خلالها لموضوع الكتاب ومسائله والتنبيهات الواردة عليه ، ثم أتبع ذلك بتعريف موجز للغاية بالشنقيطى المؤلِف استقاه من ترجمته الواردة بأول (أضواء البيان) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً

(١) سورة محمّد ﷺ : ٢٤ .
(٢) انظر نص هذه المسألة على مدار تسع وتسعين صفحة فى (أضواء البيان): الشنقيطى ٧/ ٤٨٥-٥٨٣ .

عن ذكر إحالات الشنقيطى من (أضواء البيان) مع التعليق على بعض المواضع فى الكتاب[1] .

٢ - القول السديد فى كشف حقيقة التقليد :

وهو نفس موضوع ومادة الكتاب السابق مع اختلاف العنوان واسم المحقق ، وقد جاء هذا الكتاب فى مائة وعشرِ صفحات ، وانحصر عمل ناشره فى وضع العنوان والتقديم له تحت عنوان : (كلمة الناشر) .

ويلاحظ أن الناشر قد ذكر الشنقيطىْ فى عنوان هذا الكتاب باسم : (محمد أمين) خلافًا للصواب وهو : (محمد الأمين) بالألف واللام[2] .

٣ - مَحاسِنُ الإسلام والرّدُ على أباطيل خصُومِهِ :

وهو نقل لنص تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[3] من (أضواء البيان) للشنقيطى[4] .

وقد جاء هذا الكتاب فى مائة وخمس صفحات ، وتلخص عمل محققه فى وضع عنوان الكتاب ومقدمته ، ثم إيراده ترجمة موجزة للشنقيطى اقتبسها من ترجمته الواردة بأول (أضواء البيان) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً عن نقل إحالات الشنقيطىّ من (أضواء البيان) مع جملة من التعليقات المشفوعة بذكر بعض المصادر التى رجع إليها فى ذلك[5] .

---

(١) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

- الإقليد فى الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنىّ الشنقيطىّ - تحقيق : شريف بن محمد فؤاد بن هَزَّاع - الطبعة ١ - نشر مكتبة ابن تيميّة - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

- القول السَّديد فى كشف حقيقة التقليد : العلامة محمد أمين الشنقيطى - نشره : مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) الإسراء : ٩ .

(٤) انظر نص تفسير هذه الآية على مدار تسع وأربعين صفحة فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٣/٤٠٩ - ٤٥٧ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

- محاسن الإسلام والرّدّ على أباطيل خصومه : تأليف العلاّمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله - تحقيق وتعليق : الأستاذ ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - نشر المكتبة القيّمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

المطلب الثانى

نمطٌ صحيح من هذه المؤلفات

وعلى الرغم من وجود أنماط من تلك المؤلفات المنسوبة السابق ذكرها ، والتى تُوهِم بأنها من مؤلفات الشنقيطىّ ؛ إلاّ أن هناك نمطًا صحيحًا من هذه المؤلفات التى اجتزأها أصحابها من (أضواء البيان) غير أنهم قرنوا عنوان الكتاب باسم التفسير ؛ مما يُبيِّنُ أنه اجتزاءٌ منه ، ولا يُوهِم بأنه مؤلف جديد من مؤلفات الشنقيطى .

ومن أمثلة تلك المؤلفات كتاب (الحاكمية فى تفسير أضواء البيان) والذى يدور موضوعه حول مسألة (الحُكْم بما أنزل الله) بأدلتها وشواهدها من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وهذا ما استعرضه جامع هذا الكتاب فى المقدمة بقوله : وقد قمت باستخراج كلام شيخنا الشنقيطى رحمه الله على هذه المسألة من ثلاثة مواضع فى (أضواء البيان) هى :

الأول : عند قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] والثانى : عند قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية[2] والثالث : عند قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية[3] .

وهناك موضع رابع ليس من كلامه فى (الأضواء) وإنما قام بعض الإخوة بتفريغه من كلامه المسجل بصوته ضمن دروسه فى المسجد النبوىّ حول تفسير قول الله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية[4] .

وقد جاء هذا الكتاب فى أربع وستين صفحة من القطع الصغير شملت المقدمة والمواضع الأربعة المذكورة[5] .

---

(١) الإسراء : ٩ . (٢) الكهف : ٢٦ .

(٣) الشورى : ١٠ . (٤) التوبة : ٣١ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

- الحاكميَّة فى تفسير أضواء البيان: جمعها عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة والرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

المبحث السابع

حَصْرُ مؤلفات الشنقيطي وتصنيفها

وباستثناء مؤلفاته (المسجلة والشعرية والمنسوبة) فقد بلغت مؤلفاته (المخطوطة والمطبوعة والمفقودة) ثلاثة وعشرين (٢٣) مؤلفًا فى مختلف فنون العلم وفروعه ، وجاء تصنيفها على النحو التالى[١] :

- **أولاً : التفسير** :

وله فى ذلك تفسيره المشهور بـ (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) وهو موضوع هذا البحث .

- **ثانياً : علوم القرآن** :

وله فى ذلك أربعة مؤلفات هى :

١ - بيان الناسخ والمنسوخ مِنْ آى الذكر الحكيم .

٢ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .

٣ - زيادة نظمه على رجز البحر (مخطوط) .

٤ - منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز .

- **ثالثاً : العقيدة** :

وله فى ذلك كتابه المعروف بـ (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) .

- **رابعاً : علم الأصول** :

وله فى ذلك مؤلفان هما :

١ - مذكرة أصول الفقه .

٢ - نثر الورود على مَرَاقِى السُّعُود .

- **خامساً : الفقه** :

وله فى ذلك مؤلفان هما :

١ - النظم الكبير فى فروع مذهب مالك (مخطوط) .

٢ - نظم فى علم الفرائض (مخطوط) .

- **سادساً : فن المنطق** :

وله فى ذلك أربعة مؤلفات هى :

---

(١) ميَّزنَا المخطوط من هذه المؤلفات بوضع لفظ (مخطوط) بين قوسين أمامها ، أما سِوَى ذلك فقد ميَّزناه بلفظ (مطبوع) باستثناء مؤلف واحد مفقود وضعنا أمامه لفظ (مفقود) .

١ - آداب البحث والمناظرة .

٢ - ألفية المنطق (نظم مخطوط) .

٣ - شرحه على سُلَّم الأخْضَرِىّ (مخطوط) .

٤ - المنظوم وشرحه فى فن المنطق (طبعة جامعيّة تعليميّة) .

• **سابعًا : التاريخ والسِّيَر :**

وله فى ذلك مؤلفان هما :

١ - خالص الجُمَان فى أنساب بنى عدنان (نظم مفقود) .

٢ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام .

• **ثامنًا : موضوعات عامة :**

وله فى ذلك سبعة مؤلفات هى :

١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة فى الطائرة (مخطوط) .

٢ - الإسلام دينٌ كاملٌ .

٣ - الرِّقُّ : أصله ومشروعيته فى الإسلام .

٤ - المُثُلُ العُلْيَا .

٥ - المصالح المُرْسَلَة .

٦ - منهج التشريع الإسلامىّ وحِكْمَتُهُ .

٧ - هل الخَلْقُ مرزُوقٌ مِنْ بركته ﷺ أو أنَّ للرزقِ أسبابًا أخرى ؟

* * *

•• **وفى الجُمْلَة :**

فقد كان الشنقيطى مُقِلاً فى التأليف إذا ما قِيسَ بما كان منه فى دروسه ومحاضراته العامّة ، فضلاً عن جلساته ومناظراته الخاصة ؛ وهذا ما التهمَ جُلَّ وقته ، ولم يترك له إلاّ النزر اليسير ، والذى استوعبته بدورها مؤلفاته المذكورة.

وإلى انشغال الشنقيطى بالمشافهة ، وضيق وقته بها عن التأليف ، ينوه الشيخ المجذوب بقوله : إن مشاغله العلميـة رحمه الله فى الدروس والمحاضرات ، وكذا المجالس العامّة والخاصّة ؛ قد ضَيَّقَتْ عليه نطاق التأليف ، فلم يتيسر له الانقطاع إليه إلاّ قليلاً[1] .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمّد المجذوب ١/ ١٨٤ - ١٨٦ (بتصرف يسير) .

بل إن تلميذه الشيخ عطيـة يؤكد أن مشافهة شيخه كـانت أوسع مدى من تدوينه ، كما كانت دروسه أكثـر رحابة من كتبه ، مع تمكنه واقتداره فى كـلا الأمرين ، وفى هذا يحدثنا قائلاً : فى الواقع أن دروسه الشفـوية كانت أوسع مدى وأكثر انطلاقًا ، وقد سمـعته رحمة الله عليه يقـول: الارتجال أوسع مجال ؛ لأنه يترك الإنـسان يتجاوب مع شعـوره وما يخطر بباله ، أما التقيد بالكتابة فهو أدق ؛ لأنه لا يُفَوِّتُ على الإنسان شيئًا مما يقتضيه المقام .

غير أنه رحمة الله عليه كان إذا شافه استوفى واستغرق ، وإذا كتب وحَرَّرَ دَقَّق وحَقَّق ، وكلا الجانبين قَلَّ أن يستكملا لإنسان ؛ ولكنه فضل الله تعالى يؤتيه مَنْ يشاء مِنْ عباده[1] .

(٢) ضمن رَدّه المُسَجَّل على رسالتنا إليه .

تعقيبٌ

حـــول هـــذه الترجـــمة

وبعد هذا التطواف فى حـياة الشنقيـطىّ بمراحلها المتعـاقبة ، وأطوارها المخـتلفة ، منذ مولده وحـتى وفاته ، بما حَـوَتْهُ من نشاط علمىٍّ ورحـلات ، وما خَلَّفَـتْهُ من آثار علمـيّة ومؤلفات ؛ فإنه يطيب لنا أن نشير فى الختام إلى الأمرين التاليين :

أولاً : علمية هذه الترجمة ومنهجيتها :

تُعَدُّ هذه الترجمةُ هِيَ أوّلُ ترجـمةٍ علميّةٍ منهجيّةٍ مسئولةٍ ؛ فلم تكن كـغيرها من السِّير الذاتيـة ، أو التراجم التـاريخـية ، والتى يـغلبُ عليهـا طابع السَّـرد والحكاية ، أو القصّ والرواية ؛ فقـد جاءت مصبـوغة بالطابع العلمى ، ومتَّـسِمَةً بالتناول المنهـجىّ ؛ من حيث توخى الموسوعية والتفصيل ، والمناقشة والتحليل .

لذا ؛ فقد كان مما قَصَـدْتُ إليه أن تكون هذه الترجمة مختلفة علمـياً ومنهجياً عن نوع تلك التراجم السطحيّـة التى يَعْمَدُ فيها أصـحابها إلى الاكتفاء بذكر اسم المُتَـرْجَمِ له مقرونًا بتاريخ وموطن مـيلاده ، ثم إيرادهم أثرًا أو اثنين من مُصَنفاته ومؤلفاته ، وأخـيرًا إشارتهم إلى حيثية نهايته ووفاته .

ناسين فى ذلك أو متجاهلين حَقّ هذه الترجمة وأهميتها ، غير مدركين أو مقدِّرين خطر إغفالهـا وسطحيتها ؛ الأمـر الذى أدّى ببعض الباحثين أن ساد لديهم تصـورٌ دائم مفاده أن الترجمة ليست على هذه الدرجة من الأهمية ، بل بالغ بعـضهم حينما اعتقد وجَزَمَ بأنها لا تَمُتُّ إلى العِلْم بصِلَةٍ .

والحقُّ أن هذا المذهبَ على جانب عظيم من الخـطر ؛ لأنه مما ينبغى أن يُعْلم أن تراجم الرجال مـدارس الأجيـال ، ولا يُعْرَف العلماء الأعلام إلا باسـتيعاب تراجمـهم عـلى مَرّ الأيام .

ثانيا : صعوبة هذه الترجمة ومشقتها :

تمثلت تلك الصعوبة التى اعترضتنى إزاء هذه الترجمة فى ندرة المصادر التى تحدثت عن الشنقيطى أو تناولته بالذكر ، سـواء من معاصريه أو لاحقيه ، مـمّنْ يُعْنُوْنَ بتراجم المفسرين وتصنيف مناهجهم؛ خاصة وأن الشنقيطى لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه فى حياته ، كما لم يكن يرضى بأن يكتب عنه غيره سواء من أبنائه أو حتى أخص تلامذته .

هذا فضلاً عن مشقة تصنيف حياته على امتـدادها وثرائها إلى عدة مراحل متعاقبة ، ثم وَضْع كل مـرحلـة تحت العنوان الذى يناسِبُـهَـا ويُعَـرِّفُ بهـا ، بل يتـرجِمُ ويَدُلُّ علـى مضمونها .

وحياةٌ بهذا الامتداد ، وذلك الشمول ، كحياة الشنقيطى التى حفلـت بما لا يُحْصَى من الأخلاقيـات والطرائف ، والسلوكيات والمواقف ، والتى تجلّت فـيها أسمى صـور البذل ، وتحققت من خلالها أعلى درجات العطاء ، فضـلاً عما حفلت به مما لا يُعَدُّ من الأشخاص الذين التقى بهم الشنقيطى ، أو ممَّنْ سَعَوْا ، بل وحرصوا على القرب منه ، على اختلاف مواقعهم من المسئولية ، وتباين مستوياتهم الفكرية والاجتماعية .

فمـما لا شك فيـه أن تناول مثل هذه الحيـاة بالدراسة والتصنيف ؛ لا يفى به إلا سِـفْرٌ ضخمٌ يستوعب مراحلها المتعاقبة ، ويحتوى أطوارها المختلفة ، وهو أمر شاق كطبيعة الحياة ذاتها ؛ ولكن حسـبنا أن هذا هو شأن البحث ومتعتـه ، وهو مما لا يخفى بحال ، ولا يُنْكَرُ فى هذا المجال .

لكل ما سبق كانت حتمـيّةُ هذه الترجمة وأهميتها ، وكذا عِلْمِيَّتُهـا ومنهجيتُها ، بكل دقائقها وتفاصيلها، ومناقشتها وتحليلها؛ ولاسيما أنها تدور فى فَلَكِ الدراسات المتخصصة ، وتندرج تحت جملة الأبحاث المسئـولة ؛ وهى تهدف فى المقام الأول إلى تسليط الضوء على حياة الشنقيطى ، بما يكشف عن خصوصيتـها وثرائها ، وبما يُبين عن مدى فائدتها ونفعها ؛ أملاً فى أنْ تُسْهِمَ بوجهٍ أو بآخر فى إفادة مَنْ يرجع إليها ، أو يُعَوِّلُ عليها .

* * *

•• وأخـــيرًا:

فإنه لا يسعنا إلا أن نقول : رحِمَ الله تعالى الشنقيطىَّ ، وجعل حياته فى ميزان حسناته يوم اللقاء ، وجزاه كفاءَ ما قدّم لدينه خيرَ الجزاء ، وصـدق سبحانه فيما وَعَدَ به عبادَه ، إذ يقول تعالى : ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ الآية(١) .

بل وأكثر من هذا حـينما يَعِدُهُم سبحانه بأن يُـوَفِّيَ لهم الجزاء ، ويُجْزِلَ لهم العطاء ، بأزْيَدَ مما قَدَّمُوا ، وأحْسَنَ مما عَـملوا ، إذ يقول تعالى : ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ الآية(٢) ويقول تعالـى : ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ الآية(٣) .

(١) الرحمن : ٦٠ . (٢) يونس : ٢٦ . (٣) المزمل : ٢٠ .

القسم الثانى

المنهج

السِّمَات العامة

لمنهج الشنقيطى فى التفسير

وتنتظم تمهيداً وثلاثة أبواب وتعقيباً :

- تمهيد : بين المنهج ومَسْلك البحث .

الباب الأول : الجمع بين المأثـــور والمعقـــول .

الباب الثانى : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية .

الباب الثالث : التحليل لسائر ما يَعْرِض لـــه .

- تعقيب : حول هذا المنهج .

تمهيـــد

بين المنهج و مَسْلك البحث

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأو ل : المنهـــج :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولـى : ماهـية المنهج .

ب - المسألة الثانية : أهمية المنهج .

٢ - المطلب الثانى : مَسْلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولـى : مقدمة التفسير .

ب - المسألة الثانية : متن التفســير .

جـ - المسألة الثالثة : تَتِمَّة التفسـير .

القسم الثانى : المنهج

المطلب الأول

المنهـــــج

ونعرض للحديث عنه من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

ماهية المنهـــج

تتمثل ماهية المنهج فى تلك الركائز الأساسية ، والدعائم الرئيسة ، التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتى يشكل كل منها مَعْلَمًا بارزًا ، ويرسم ملمحًا واضحًا ، من معـالم هذا المنهج ومـلامحه ؛ الأمـر الذى يمكننا مـعه أن نعتـبر هذه الركـائز ، وتلك الدعائم ، بمثابة (السِّمَات العامة لمنهج الشنقيطى فى التفسير) والتى تمثلت فى كل من :

١ - السمة الأولى : الجمع بين المأثور والمعقول :

حيث يبدأ الـشنقيطى إزاء ما يَعْرِض له من الآيات بالتـفسير بجـمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذى يشمل تفسير النبىّ ﷺ وكذا تفـسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يُثَنِّى بعد ذلك بجمع ورصـد كل ما ورد بشأنها من المعقول والذى يشمل رأى كل مَنْ سبقه من عامة المفسِّرين وخاصّتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

٢ - السمة الثانية : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وبعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيـد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فَيُنْعِمُ فيه النظر ، ويُجِيلُ فـيه الفِكْر ؛ لِيُـوَصِّلَه فى النهاية من خلال إدراجـه تحت موضوعـات أحد العلوم السبعة المتمـثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

٣ - السمة الثالثة : التحليل السائر ما يَعْرِض له :

وبعد الجـمع والتأصـيل يعمد الشنقـيطى إلى تحليل ما جـمعه وأصَّلَـه من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من :

المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذى يشمل نقد الشنقيطى كلاً من: (الإسرائيليات- المفسِّرين- المحدّثين- الأصوليين- الفقهاء- الفِرَق الإسلامية - اللغويين- المؤرخين) .

ثم يأتى المحور الثانى المتمثل فى (الاستنباط) والذى يلجأ إليه الشنقيطى عندما لا ينتهى من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خَفَاءَه ، ويُزِيلَ إِشْكَالَه ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفقَ ضوابطه المعتبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل فى (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطى عندما يفتقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرته الذاتية ، ويُنْتِجَ على هَدْيِه رأيه الخاص ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتبرة كذلك.

المسألة الثانية

أهمية المنهج

تتبلور أهمية المنهج من خلال أهمية سماته الثلاث المذكورة ، والتى تتبلور بدورها فى الخاصتين التاليتين :

١ - المنهجيّة :

ونعنى بها تلك العلاقة المتوالية المتنامية ، بل ذلك الارتباط المتدرج المُحْكَم ، والذى تنتظم فى سِلْكِه هذه السِّمات الثلاث ؛ بحيث تعتمد كل سِمَة منها على سابقتها ، وتُسْلِمُ فى ذات الوقتَ إلى لاحقتها ، وذلك إضافة إلى دلالة مسميات هذه السِّمات على مضامينها، حيث تبدأ بالجمع ، ثم تمر بالتأصيل ، وتنتهى أخيراً بالتحليل .

أما الجمع فَيُعَدُّ البداية المنطقية ، والخطوة الأساسية ، والتى يتم من خلالها استحضار ورصد كل ما ورد من المأثور والرأى بشأن ما يتناوله الشنقيطى من آيات ، أو يَعْرِض له من تفسير .

وهذا الجمع يُسْلِم بطبيعة الحال إلى التأصيل ، والذى يتم من خلاله إدراج وتصنيف ذلك الرصيد المجموع تحت أحد موضوعات العلوم العربية والإسلامية العديدة ، وما يتصل بها من مسائلهما وفنونهما المختلفة .

ثم إنّ هذا التأصيل يُسْلِمُ بدوره إلى التحليل ، والذى يتم من خلاله البحث والتفنيد والمناقشة والتوجيه والترجيح ، أو رفع خَفَاء النص وإزالة إشكاله ، أو إنتاج رأى جديد غير منصوص عليه قياساً على ما هو منصوص عليه ، وهى ما نعبّر عنها جميعًا بـ (الانتقاد) ثم (الاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) .

وهكذا تتضح بجلاء منهجية هذه السِّمَات الثلاث التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير جمعًا وتأصيلاً وتحليلاً .

٢ - الشمولية :

وبالنظر إلى جملة هذه السِّمَات الثلاث ؛ فإنه يتبين لنا مدى ما تتميّز به من الشمول ، ومدى ما يتحقق فيها من الاستيعاب ؛ والذى يتأدّى عنه بالضرورة شمول منهج الشنقيطى واستيعابه .

لأن المنهج عندما يكون قائمًا على جمع المادة ، ثم النظر فيها لتأصيلها ، وأخيرًا تحليلها نقدًا واستنباطًا واجتهادًا ، من خلال هذا التسلسل المنطقىّ ، وذلك التتابع المنهجىّ ؛ فلابد وأن يتصف بالشموليّة ، ويَتَّسِمَ بالاستيعاب .

وهذا هو الشأن بالنسبة لمنهج الشنقيطى فى التفسير ، والذى يستطيع من خلال شموله واستيعابه أن يمتلك زمام المسألة التى يتناولها ، ويسيطر على حدود القضية التى يَعْرِض لها .

المطلب الثانى

مَسْلك البحث

وإزاء تحديد السِّمَات العامة التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتى تمثلت فى (الجمع) و (التأصيل) و (التحليل) فقد كان أن اعْتَمَدْتُ على دراسة واستقراء كل من (مقدمة التفسير) ثم (مَتْن التفسير) وأخيرًا (تَتِمَّة التفسير) والتى اسْتَخْلَصْتُ من مجموعها ملامح منهج الشنقيطى ومعالمه ، ثم كان أن صُغْتُهَا فى السِّمَات الثلاث المذكورة بعد أن بَيَّنْتُ ما ورد فى (المقدمة والمَتْن والتَّتِمَّة) وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

مقدمة التفسير

حيث يُضَمِّنُهَا الشنقيطىُّ السببَ الذى بعثه على تأليف تفسيره ، مشيرًا من خلال ذلك إلى بعض الخطوات المنهجية التى سلكها إزاء ما فسَّره من آيات القرآن العظيم ، قائلاً ما نصه : أما بعد فإنا لما عرفنا إعراض أكثر المُتَسَمِّينَ باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ، ونبذهم له وراء ظهورهم ، وعدم رغبتهم فى وعده ، وعدم خوفهم من وعيده ؛ علمنا أن ذلك مما يُعَيِّنُ على مَنْ أعطاه الله علمًا بكتابه أن يجعل همته فى خدمته ، من بيان

معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة الإشكال عما أُشْكِلَ منه ، وبيان أحكامه ، والدعوة إلى العمل به ، وترك كل ما يخالفه .

واعلم أن السُّنة كلها تندرج فى آية واحدة من بحره الزاخر وهى قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[1] ومن أهم المقاصد فى ذلك هو هذا الكتاب المبارك الذى هذه ترجمته[2] .

ثم اعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، والثانى : بيان الأحكام الفقهية فى جميع الآيات المُبَيَّنة فى هذا الكتاب ، والذى تَضَمَّنَ أمورًا زائدة على ذلك كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يُحتَاج إليه من صرف وإعراب ، والاستشهاد بشعر العرب ، وتحقيق ما يُحْتَاج إليه فيه من المسائل الأصولية ، والكلام على أسانيد الأحاديث .

وبعد ذلك نذكر مقدمة فى تعريف الإجمال والبيان ، وما يُحْتَاج إليه من مسائلهما من غير تطويل ، ثم نشرع إن شاء الله تعالى فى المقصود مرتبًا على ترتيب سور القرآن العظيم ، ونرجو من الله الكريم على ما فينا أن نكون داخلين فى قول رسول الله ﷺ الثابت فى (صحيح البخارى) من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ : « خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه » وفى رواية له : « إنّ أفضلكم مَنْ تعلم القرآن وعلّمه » الحديث[3] .

كما نرجوه تعالى أن يوفقنا للعمل بما علمنا من كتابه ، والتَّخَلُّق بما فيه من المكارم ، والتأديب بآدابه، وأن يُعَلِّمَنَا ما جَهِلْنَا ، ويذكرنا ما نُسِّينَا منه، وأن يرزقنا إخلاص النية فى جميع الأعمال، وأن يحفظنا بفضله ورحمته من فساد القصد فى الأعمال إنه رحيم كريم[4] .

المسألة الثانية

متن التفسير

ويشتمل على تفسير ثمان وخمسين سورة بدأها الشنقيطى بـ (الفاتحة) وختمها بـ (المجادلة) واستغرقت سبعة أجزاء من تفسيره (أضواء البيان) وقد ضمنها جُلَّ ما أشار إليه فى (المقدمة) من حيث التزامه بها ، وتطبيقه لها .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) ويقصد بقوله : (هذا الكتاب المبارك) أى تفسيره (أضواء البيان) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه بروايتيه (كتاب) فضائل القرآن (باب) خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٨٩/١٩ - حديث رقم (٥٠٢٧) وحديث رقم (٥٠٢٨) - (طبع الأزهرية) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٧/١ - ٦٩ (من المقدمة) .

وإلى نهايــة مــا فسَّره الشنقيطى يشير تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى آخر الجزء السابع قائلاً: قد انتهى ما كتبه فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى قبل وفاته رحمه الله رحمة واسعة ، وأَجْزَلَ له المثوبة ، وأَعْلَى له المنزلة ، ونَفَعَه بعد موته بما وَرَّثَ من علمه ، ونفع بعلمه طلابه ، وضاعف له بنفعهم ثوابه ، إنه سميع مجيب .

ولقد كان رحمه الله تعالى حريصًا كل الحرص على إنجاز هذا الجزء المبارك وتقديمه لطلاب العلم ، كما كان حريصًا على إتمام الكتاب لإكمال منهجه فيه والاستفادة منه ، ولكن إرادة الله نافذة ، وقدرته غالبة ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وجوار ربه سبحانه ؛ ومن ثم فقد قام أبناؤه وخاصة طلابه بالعمل على إنجاز هذا الجزء المبارك ، وتقديمه لطلاب العلم على النحو الذى كانوا يعملونه معه رحمه الله ، وهم جَادُّون فى إكمال الكتاب على ما ييسره الله لهم .

فَرَحِمَ الله المؤلفَ بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وشكر الله لأبنائه وطلابه وكل مَنْ ساهم فى هذا العمل من بعده، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه ، وصَلَّى الله وسَلَّم وبَارَكَ على عبده ورسوله محمد ﷺ (١) .

المسألة الثالثة

تتمـة التفسير

وهى من عمل الشيخ عطية محمد سالم أوّل وأخصّ تلاميذ الشنقيطى ، بل أقربهم إليه ، وأكثرهم ملازمة له ، وقد اشتملت على تفسير ست وخمسين سورة بدأها الشيخ عطية بـ (الحشر) وختمها بـ (الناس) واستغرقت الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثانى من (التَّتِمَّة) .

وفى بداية هذه التتمة يشير الشيخ عطية إلى محاولة التزامه منهج شيخه والسير عليه ، مع اعتذاره سلفًا عما قد يشوب ذلك من تقصير فيقول : وبعد فإن لكل كتاب مقدمة تنبئ عن موضوعه ، وتُوَجِّه القارئ إلى ما اشتملت عليه مباحثه، وتُبَيِّنُ منهج مؤلفه، لِيَسْتَهْدِى القارئ بها فى دراسته، ويَتَعَرَّفَ منها على مقاصده ؛ فيسير معه ، ولا يخرج عنه ، وتتمة

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٨٠ .

القسم الثانى : المنهج

الأضواء هذه التى نقدم لها ليست بكتاب مستقل يتطلب مقدمة مستقلة ، ولا هى جزء مما تَقَدَّمَهَا فَيُكْتَفَى لها بمقدمة الكتاب المتقدِّم ، بل إنها بمنزلة البعض التابع للكل ؛ فلا هى بمستقلة عنه ، ولا هى جزء منه .

وقد عمل الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه لكتاب (الأضواء) مقدمة واسعة شاملة، أودعها منهجه فى كتابه ، وبيَّن فيها مقاصده من تأليفه ، ثم بيَّن أن المسلك الذى سلكه واجب ومتحتم على كل مَنْ أعطاه الله علمًا بكتابه ، ثم دعا لانصراف الهِمَّة لخدمته فى بيان معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة كل إشكال عما يشكل منه ، وبيان أحكامه وطريقة استنباطها، ثم الدعوة القوية إلى تحكيمه والعمل به، وتَرْكِ كل ما يخالفه ؛ لأنه الذى ضَمِنَ الله للمتمسكين به الهداية فى الدنيا والسعادة فى الآخرة كما قال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ الآية[1] كما بيّن علاقته بالسُّنة، وعلاقة السُّنة به .

وقد كان رحمه الله حريصًا كل الحرص على إتمامه ؛ ولكن وافته المنية قبل ذلك بعد أن أنجز مَهَامَّه وأتم مقاصده، وذَلَّلَ صِعَابَه وفتح أبوابه، إلا اليسير اليسير منه، وهو ما بعد سورة (قد سمع) ومن ثم ؛ فقد كان على أكابر العلماء الذين أعطاهم الله حظًا من علم الكتاب والسُّنة أن ينهجوا نهجه ، ويتمّوا عمله ؛ وقد رَجَوْتُ ورغّبتُ الكثيرين فى ذلك مِمَّنْ هم أحق وأوْلَى بهذا من غيرهم ، فاعتذروا بأعمالهم وكثرة تَبِعَاتِهِم ، لا قصورًا فيهم ، ولا تقصيرًا منهم .

وبمواجهة الأمر الواقع من شدة الحاجة لإتمام الكتاب ، ومن اعتذار أصحاب الفضيلة عن ذلك ، ولما كان حقًا للشيخ على طلابه - وخاصة الذين لازموه وعملوا معه فيه ، ثم علموا مسلكه ومنهجه - أن يتموه ؛ لذا فقد استخرنا الله تعالى فى القيام بما أمكن ، مستعينين الله تعالى ، معترفين بالقصور ، مؤمّلين العذر فى التقصير .

غير أنه لما كان معلومًا عُرْفًا ، وموجودًا فعلاً ، فى فن التأليف ، أنه لا يتأتى من أى شخص أن يُكْمِلَ كتابًا لغيره ، ويكون على نفس المنهج الذى ابتدى به ، مهما كان ذلك الشخص ، من حيث القدرة العلمية ، ومهما كان بينهما من تقارب فى الفهم ، اللهم إلا النادر الفذ كتفسير (الجلالين) مثلاً ، وقد ساعد على تناسقهما إيجازه الذى لا يظهر معه

(1) طه : ١٢٣ .

الفَرْقُ عادة[1] لأنه من المعلوم أن لكل شخص منهجَه الخاص ، ومَشْرَبَه الذاتى ، ومَسْلَكَه العلمى ، وهذا واضح فى التفاسير المستقلة .

وقد سمعت الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه يؤكد هذا المعنى بقوله : (لو أن الإنسان يكتب مِنْ تلقاء نفسه ؛ لكان أيسر مِنْ التزامه بكتابٍ لغيره ، له وجهة نظره ، ولا يتأتى الخروج عليه) لذا ؛ فقد كان من العسير جدًا ، أو المتعذر فعلاً ، أن يأتى أحد بمنهج الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، ولا سيما مع ما أعطاه الله من سَعَة العلوم فى عدة فنون ، كالمتخصص فى كل فن .

ولعل فى ذلك العذر الشافى ، والاعتذار الكافى ، إزاء ما قمتُ به وأتممتُه ؛ فإن وجد القارئ الكريم فيه غَنَاءً ولو يسيرًا ، فبفضل من الله وإمداده ، ثم بتوجيه من الشيخ رحمه الله وحسن إعداده ، واستفادة من منهجه وإرشاده ؛ فلله الحمد والشكر والثناء الجميل ، وللشيخ الرحمة والثواب الجزيل ، وإن كان صحيفةً ومِداداً ؛ فإلى الله المشتكى مِنْ جُهْدٍ قليل ، وقِلَّةِ التحصيل ، وعلى أهل الفضل الإصلاح والتعديل .

ونرجو الله تعالى أن يجعل من أبناء الشيخ خير خَلَفٍ لخير سَلَفٍ ، إنه سميع مجيب ، وأن يرزقنا جميعًا إخلاص النيّة ، وحُسْنَ الطويّة ، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه ، إنه وَلِىّ ذلك والقادر عليه ، وصَلَّى الله وسَلَّمَ وبَارَكَ على صَفِيِّهِ من خلقه ، وخاتم رسله ، وعلى آله وصحبه أجمعين[2] .

كما ختم الشيخ عطية محمد سالم الجزء الثانى من هذه التَّتِمَّة بما يشبه ذلك من (الاعتذار) فضلاً عن (الشكر والتقدير) لكل مَنْ عمل معه فى (أضواء البيان) فساهم فى إنجازه ، وعاون على إتمامه[3] .

* * *

---

(١) انظر (تفسير الجلالين) : للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّىّ ت (٨٦٤ هـ = ١٤٥٠م) وجلال الدين عبد الرحمن السّيوطىّ ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - طبعة دار القلم - بيروت - لبنان - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

(٢) انظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨/٣ - ٨ (بتصرف من الجزء الأول من التتمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

(٣) انظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٩/ ٦٩١ - ٦٩٤ (الجزء الثانى والأخير من التتمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

القسم الثانى : المنهج

•• وبعـــد :

فإنّ هذه السِّـمات الثلاث (الجمع والتـأصيل والتحليل) بماهيتـها وأهميـتها ، لتَتـضافر جميعهـا ، وتتكاتف فيما بينها ؛ بهدف تجلية منهـج الشنقيطى ، وإبرازه للعيان ؛ ومن ثم فإنهـا تثمر ثمـرها ، وتُؤْتِى أُكُلَهَا ، من حيث تحـديدها خط السَّيْر الذى يلتـزمه الناظِر فى تفسير الشنقيطى ، مستهديًا بحدود هذا المنهج ، ومستضيئًا بمعالمه .

وليأخذ بيديْـه فى النهاية إلى تحقيق الهدف الكلىّ المنشود ، والذى يـتمثل فى (إحداث عمليـة الفهم الشامل للنص القرآنى سـواء على مستوى الإفـراد أو على مستوى التـركيب) ودون أن يُكَلِّفَه ذلك مُؤْنَة البحث ومشقته ، أو يُجَشِّمَه إهدار الوقت وإضاعته .

وبدون تحديد هذه السمـات الثلاث لا يتم تحديد منهج الشنقيطى ؛ ومن ثم نظل نفـتقد الوسيلة الفعلية ، والأداة العملية ، لتحقيق الهدف المنشود من تفسيره .

الباب الأول

السِّمَة الأولى
الجمع
بين المأثور والمعقول

وينتظم تمهيداً وفصلين :

- **تمهيد** : بين يدىْ هذا الباب .

١ - **الفصل الأول** : تفسير القرآن بالمأثور .

٢ - **الفصل الثانى** : تفسير القرآن بالمعقول .

تمهيــد

بين يدىْ هذا الباب

وقبل أن نشرع فى تناول السِّـمَـة الأولى من سِمَات منهج الشنقيطى الثلاث ؛ فإن الضرورة المنهجيّة تقتضينا أن نقدّم بين يدىْ ذلك بهذا التمهيد الذى يشمل الأمرين التاليين :

١ - التفسير عند الشنقيطىّ:

يأتى التفسير عند الشنقيطى مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتبين لنا بجلاء ووضوح مِن خلال التقعيد النظرىّ الذى ضَمَّنه مقدمة تفسيره ، ثم أكدّه من خلال التطبيق العملى الذى أورده فى ثناياه المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

أ - التقعيد النظرىّ:

حيث جاء (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) كقاعدة نظرية ينطلق منها الشنقيطى فى فهمه لهذا المصطلح، والذى يُضَمِّنَه مقدمة تفسيره قائلاً ما نصُّه : إنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله؛ إذ لا أحد أعلم بـ (معنى) كلام الله جلّ وعَلاَ مِنْ الله جلّ وعَلاَ[(١)] .

فهو يذكر هنا (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتفق بدوره مع تعريف التفسير فى كل من اللغة والاصطلاح ، وهو ما تبلوره خلاصة ما انتهى إليه البحث إزاء رأيه فى مصطلح التفسير ، والذى مفاده : (أن التفسير عبارة عن عملية الفهم الشامل ، والاستيعاب الكلىّ ، للنصّ القرآنىّ ، على مستوى لفظه المفرد ، ومستوى جملته المركبّة) وذلك بهدف استنطاق معناهما الظاهر القريب ، أو حملهما استنباطًا أو اجتهادًا إلى المعنى المؤول البعيد ، فى إطار الضوابط المعتبرة من اللغة والأصول ، ومن خلال الاستعانة بكل عِلْمٍ يؤدى إلى تحصيل تلك الغاية المرجوة ، وإدراك ذلك الهدف المنشود .

ب - التطبيق العملىّ:

ويؤكد الشنقيطى تقعيده النظرىّ لمفهوم التفسير كمرادفٍ للمعنى ومُسَاوٍ له ، وذلك من خلال تطبيقه العملى على هذا ، والذى نكتفى هنا بذكر بعضِ شواهده تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى تتمثل فيما يلى :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٦٧ (مِن المقدمة) .

- **الشاهد الأول :**

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ الآية[1] نراه يَشْرَع فى ذلك قائلاً : قال بعض العلماء : (يعنى) إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت فتابوا حينئذ ، وهذا التفسير يشهد له قول الله تعالى : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ الآية[2] .

ثم يستطرد قائلاً : وقال بعض العلماء : (معنى) « لن تقبل توبتهم » أى لن يُوَفَّقُوا للتوبة حتى تُقْبَلَ منهم ، ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ الآية[3] .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه[4] .

- **الشاهد الثانى :**

وفى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ الآية[5] نراه يَشْرَع فى ذلك قائلاً : (يعنى) ليزعموا أن النبى ﷺ إنما تَعَلَّمَ هذا القرآن بالدرس والتعليم عن غيره من أهل الكتاب ، كما زعم كفار مكة أنه ﷺ تعلم هذا القرآن من (جَبْر ويَسَار) وكانا غلامين نصرانيين بمكة ، وقد أوضح الله بطلان افترائهم هذا فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ الآية[6] وكقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ الآيات[7] و(معنى) يؤثر : أى يرويه محمد ﷺ عن غيره فى زعمهم الباطل .

ثم يستطرد الشنقيطى حتى ينتهى إلى أنّ تفسير كل من قول الله تعالى : ﴿ وكذلك نُصَرِّفُ الآيات ﴾ وقوله تعالى فى ذات الآية : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ إنما يرجع إلى (معنى واحد) وهو ما يُصَرِّح به فى قوله : قال مقيده عفا الله عنه : (ومعناهما) آيلٌ إلى شئ واحد ، ويشهد له القرآن فى آيات كثيرة دالة على أنه يُبَيِّن الحق واضحًا فى هذا الكتاب لِيَهْدِىَ به قومًا ، ويجعله حُجَّةً على آخرين ، كقول الله تعالى : ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

(1) آل عمران : ٩٠ .
(2) النساء : ١٨ .
(3) النساء : ١٣٧ .
(4) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٣٤٣ .
(5) الأنعام : ١٠٥ .
(6) النحل : ١٠٣ .
(7) المدثر : ٢٤ - ٢٦ (ثلاث آيات) .

به قَوْمًا لُدًّا﴾ الآية[1] .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه[2] .

- **الشواهد الأخرى:**

وما صنعه الشنقيطى فى الشاهدين السابقين من استعماله (التفسير) كمرادف لـ (المعنى) هو ذات ما صنعه أيضًا فى معرض تفسيره لجملة الآيات التالية :

فى قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ الآية[3] وفى قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ الآية[4] وفى قوله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ الآية[5] الذى يبيّن (معناه) قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية[6] وفى قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الآية[7] وأخيرًا فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾[8] .

هذا إلى غير ذلك من الآيات العديدة التى يَعْرِض الشنقيطى لـ (تفسيرها) على أنه مرادف لـ (معناها) وقد حرصنا على أن تشمل هذه الشواهد هنا أجزاء التفسير السبعة بمعدل شاهد من كل جزء ، وفى جملتها هذه تنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا التفسير المختلفة .

٢ - الجمع عند الشنقيطى :

ونعنى به جمع الشنقيطى بين المأثور والرأى فى تفسير ما يتناوله من الآيات ، حيث نقصد بالمأثور عنده كلاً من تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسُّنّة ، وأخيرًا تفسير القرآن بالآثار التى تشمل بدورها آثار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أما الرأى عنده فيأتى فى المرتبة الثانية ، ونقصد به تفسير القرآن بآراء العلماء السالفين من المفسرين المعتبرين من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصر الشنقيطىّ الذى كان فيه .

(١) مريم : ٩٧ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٠٦ .
(٣) الإسراء : ٦٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٦٠٣ .
(٤) مريم : ٣٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٢٧٥ .
(٥) الحج : ٢٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٤٨٩ .
(٦) البقرة : ١٩٨ .
(٧) الشعراء : ٢٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/٣٩٣ - ٣٩٤ .
(٨) الأحقاف : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٣٧٧ .

أما رأيه هـو والذى يتمثل فـى قوله الخاص ، ونظرتـه الذاتية ، إزاء ما يَعْـرِض له من قضايا ، أو يذهب إليه من آراء ؛ فـذلكم ما تَتَضَمَّنُه السِّمَة الثالثة من سِـمَات منهجه ونعنى بها (التحليل) والذى يشمل بدوره كلاً من (الانتقاد) و (الاستنباط) و (الاجتهاد) .

* * *

وفيمـا يلى نعرض لتفسير الـشنقيطى بكل من المأثور والرأى ، حيث نبدأ ذلك بتقـعيده النظرىّ لكل منهما ، ثم نُثَنِّى بعده بتطبيقه العملىّ عليهما .

الفصل الأول

تفسير القرآن بالمأثور

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

٢ - المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسُّنة .

٣ - المبحث الثالث : تفسير القرآن بالآثار .

المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظريّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العمليّ .

٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول

التقعيـــد النظـــرى

وينتظم المسائل الخمس التالية :

١ - المسألة الأولـى : إجمـــــاع العلمـــاء .

٢ - المسألة الثانيـة : موقــــــف الشنقيطى .

٣ - المسألة الثالثـة : تأكيـــــده لموقفـــه .

٤ - المسألة الرابعـة : احتجاجـــه بكـلام السُّيُوطِيّ .

٥ - المسألة الخامسة : استحفاظه القرآن واستظهاره له .

ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالقرآن كقاعدة نظرية ، وركيزة أساسية ، ينطلق منها ، ويصدر عنها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ، وفيما يلى نبيّن ذلك من خلال المسائل الخمس التالية :

المسألة الأولى

إجمـاع العلمـاء

يُجْمِعُ المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، على أنّ أعظم وأجلّ ما يُفَسَّرُ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ؛ ومن ثم فقد نصّوا على أنّ تفسير القرآنب القرآن إنما يُعَدُّ المصدر الأول للتفسير ، بل وينقل السيوطى إجماعهم على هذا قائلاً : قال العلماء : مَنْ أراد تفسير الكتاب العزيز ؛ فإنه يطلبه أولاً من القرآن ؛ فما أُجْمِلَ منه فى مكان فقد فُسِّرَ فى مكان آخر ، وما اختُصِرَ منه فى موضع فقد بُسِطَ فى موضع آخر[(١)] .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطى

وبعد : فماذا عَسَاه يكون موقف الشنقيطىّ من ذلك ؟

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقفًا واضحًا ليوافق به إجماع العلماء على أنّ أوّل ما يجب أنْ يُفَسَّرَ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، بل ويعلل ذلك بأنه لا أحد أعلم بكلام الله عزّ وجلّ مِن الله عزّ وجلّ ، وهذا ما ينصٌ عليه فى أحد الأمرين اللذين قصد بهما تأليف تفسيره ، وقد ضَمَّنَهُمَا مقدمته قائلاً : واعلم أنّ أهم المقصود بتأليفه أمران ، أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ؛ لإجماع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله ؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا مِنْ الله جلّ وعلا[(٢)] .

المسألة الثالثة

تأكيده لموقفه

حيث نرى الشنقيطىّ يؤكد تقعيده النظرىّ هنا من خلال تفسيره لقول الله تعالى :

(١) الإتقان فى علوم القرآن : السيوطىّ ٤/ ١٧٤ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٧ (من المقدمة) .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[1] حيث يقول فى ذلك ما نصه : ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمة أنه نَزَّلَ على رسوله هذا الكتاب العظيم تبيانًا لكل شىء ، وبيّن ذلك فى غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[2] على القول بأن المراد بالكتاب فيها (القرآن) أما على القول بأنه (اللَّوْح المحفوظ) فلا بيان بالآية .

وعلى كل حال ؛ فلا شك أنّ القرآن فيه بيان كل شىء ، بل والسُّنة كُلُّهَا تدخل فى آية واحدة منه وهى قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[3] .

المسألة الرابعة

احتجاجه بكلام السيُوطِيّ

وحالما يفرغ من ذلك نراه يفيض فى ذكر تفسير السيوطىّ لهذه الآية ، والتى يُبَيِّن من خلالها شمول القرآن وعمومه لكافة ما يتعلق بأمور الخلائق فى دنياهم وأخراهم ؛ وإزاء هذا ينقل نصّ كلام السيوطىّ بطوله وتمامه من كتابه المَوْسُوم بـ : (الإكليل فى استنباط التنزيل) والذى يمكننا معه أن نوجز فحواه فيما يلى :

يبدأ السيوطى كلامه فى كتابه المذكور بقوله :

قال الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[4] وقال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[5] وقال ﷺ : « ستكون فِتَنٌ ، قيل : وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكْمُ ما بينكم » الحديث[6] وعن ابن مسعود قال : (مَنْ أراد العلم فعليه بالقرآن ؛ فإنّ فيه خبر الأولين والآخرين)[7] قال البيهقى : أراد به أصول العلم .

(١) النحل : ٨٩ .
(٢) الأنعام : ٣٨ .
(٣) الحشر : ٧ – وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/ ٣٣٥ .
(٤) النحل : ٨٩ .
(٥) الأنعام : ٣٨ .
(٦) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .
(٧) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ – راجعه وصححه : أبو الفضل عبد الله محمد الصدّيق الغمارىّ الحسنى – طبع على نفقة السيد : أسعد الدرابزونى – دار العهد الجديد للطباعة – الخرنفش – القاهرة – (د.ت) .
وهذا القول أخرجه سعيد بن منصور عن خُدَيْج بن معاوية عن أبى إسحاق بن مُرَّة عن ابن مسعود ﷺ – انظر (سُنن سعيد بن منصور) ت (٢٢٧هـ = ٨٤٢ م) : ١/ ٧ – حديث رقم (١) – (قسم التفسير) – دراسة وتحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حُمَيِّد – الطبعة ١ – دار =

وعن الحسن البصرى قال : (أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة : التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ، ثم أودع الثلاثة الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن المفصّل ، ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب ؛ فمَنْ عَلِمَ تفسيرها كمَنْ عَلِمَ تفسير الكتب المُنزَّلة)[1] .

وعن الإمام الشافعىّ قال : (جميع ما تقول الأمة شرح للسُّنة ، وجميع شرح السُّنة شرح للقرآن)[2] وعن بعض السلف قال : (ما سمعت حديثًا إلاّ التمست له آيةً من كتاب الله)[3] وعن سعيد بن جبير قال : (ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه ؛ إلاّ وجدت مِصْدَاقَه فى كتاب الله)[4] وعن ابن مسعود قال : (إذا حدثتكم بحديث ؛ أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله)[5] وعنه أيضًا قال : (أُنزِلَ فى القرآن كُلُّ عِلْمٍ ، وبيَّنَ لنا فيه كُلُّ شىء ، ولكن عِلْمُنَا يَقْصُرُ عمّا بيَّنَ لنا فيه)[6] .

= الصميعى للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .

كما أخرجه البيهقى من طريق سعيد بن منصور عن حُدَيْج به - انظر (شُعَب الإيمان) : لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - ٢/ ٣٣٢ - حديث رقم (١٩٦٠) - تحقيق : أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م - وقد أشار المحقق إلى أن هذا القول سنده ضعيف إلا أنه صحيح لغيره .

وقد لاحظت أنه وقع فى (شُعَب الإيمان) اسم (خديج) بالخاء المعجمة وهو خطأ ، وصوابه (حُدَيج) تصغير (حَدَج) بالحاء المهملة ، وقد ترجمه الحافظ المِزّىّ على الصواب باسم (حُدَيج بن معاوية بن حُدَيج بن الرُّحَيل بن زُهَير ابن خيثمة الجُعْفىّ الكوفىّ) - انظر (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) : للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجاج يوسف المِزّىّ ت (٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م) = (٥/ ٤٨٨ - ٤٩٠) - حققه وضبط نصه وعلّق عليه : د. بشّار عوّاد معروف - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(١) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ - كما أخرجه البيهقى فى (شُعَب الإيمان) : ٢/ ٤٥٠ - حديث رقم (٢٣٧١) .

(٢) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٣) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٤) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٥) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٦) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخرجه الطبرى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل : ٨٩ - انظر (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - ١٤/ ١٦٢ - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله لو أغفل شيئًا لأغفل الذَّرَّة والخَرْدَلَة والبَعُوضَة » الحديث[1] وعن الشافعى قال : (جميع ما حكَمَ به النبىّ ﷺ فهو مما فهمه من القرآن) ويؤيد هذا قوله ﷺ : « إنى لا أُحِلُّ إلاّ ما أَحَلَّ الله فى كتابه ، ولا أُحَرِّمُ إلاّ ما حَرَّمَ الله فى كتابه » الحديث[2] .

وعن الشافعى أيضًا قال : (ليست تنزل بأحد نازلة إلاّ فى كتاب الله الدليل على سبيل الهُدَى فيها ، فإن قيل : مِن الأحكام ما ثبت ابتداءً بالسُّنة ؟! قلنا : إنّ ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة ؛ لأنّ كتاب الله ﷺ أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفَرَضَ علينا الأخذ بقوله ، وذات مرة كان الشافعى بمكة فقال : سَلُونى عمّا شئتم ؛ أخبركم عنه من كتاب الله ، فقيل له : ما تقول فى المُحْرِم يقتل الزُّنْبُور ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخرجه السيوطى فى كتابه (الحاوى للفتاوى) : ٢/ ٢٨٧ - مطبعة السعادة - القاهرة - (د. ت) - وانظر تخريجه أيضًا فى (موسوعة أطراف الحديث النبوىّ) : إعداد خادم السُّنة المطهرة أبى هاجر محمد السعيد ابن بسيونى زغلول - ٣/ ١٨٦ - الطبعة ١ - عالم التراث للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - محرم ١٤١٠ هـ = أغسطس ١٩٨٩ م .

● ويقصد بـ (الذَّرَّة) هنا ما جاء من ذكرها بمواضعها السِّتة فى جملة الآيات التالية :

فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء : ٤٠ - وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ يونس : ٦١ - وقوله تعالى : ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ سبأ : ٣ - وقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ سبأ : ٢٢ - وقوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ الزلزلة : ٧ - وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة : ٨ .

● كما يقصد بـ (الخَرْدَلَة) ما جاء من ذكرها فى موضعيها من الآيتين التاليتين :

فى قول الله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء : ٤٧ - وقوله تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان : ١٦ .

● وأخيرًا فإنه يقصد بـ (البَعُوضَة) ذكرها فى موضعها الوحيد فى القرآن فى قول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة : ٢٦ .

(٢) ذكر السيوطى تخريج الطبرانى له فى (معجمه الأوسط) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - انظر (الإكليل فى استنباط التنزيل) ص ٥ .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[1] وقال النبىّ ﷺ : « اقتدوا باللَّذَيْنِ مِنْ بعدى أبى بكر وعمر » الحديث[2] وأنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أمر بقتل المُحْرِمِ الزُّنْبُورَ)[3] .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده : ٥/ ٣٨٢ حديث رقم (٢٣٢٩٣) - ٥/ ٣٨٥ حديث رقم (٢٣٣٢٤) - ٥/ ٣٩٩ حديث رقم (٢٣٤٣٤) - ٥/ ٤٠٢ حديث رقم (٢٣٤٦٧) - (طبع قرطبة) .

كما أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب ٥٠) المناقب عن رسول الله ﷺ (باب ١٦) فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما - ٥/ ٥٦٩ حديث رقم (٣٦٦٢) - ٥/ ٥٧٠ حديث رقم (٣٦٦٣) - (طبع العلمية) .

وأخرجه ابن حِبَّان فى صحيحه (كتاب ٦١) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين (باب) ذكر أمْر المصطفى ﷺ المسلمين بالاقتداء بأبى بكر وعمر بعده - قال المحقق : هذا حديث صحيح إسناده حسن - انظر (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبّان) : تأليف الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسىّ ت (٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م) - ١٥/ ٣٢٧ - حديث رقم (٦٩٠٢) - حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : شعيب الأرنؤوط - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

أما ما أورده الشنقيطى من رواية السيوطى التى ذكرها عن الشافعى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير بن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ فقد أخرجها البيهقىّ عن الشافعىّ بإسناده إلى حذيفة رضي الله عنه - انظر (معرفة السُّنن والآثار ، عن الإمام أبى عبد الله محمد ابن إدريس الشافعىّ ، مُخَرَّجٌ على ترتيب مختصر أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنِىّ) : تصنيف الإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن علىّ البيهقى - ٤/ ٢٣٣ - حديث رقم (٣٢٣٦) - تحقيق : سيد كسروى حسن - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

(٣) أخرجه البيهقى بسنده عن الشافعى من رواية سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » - كما أخرج البيهقى بسنده عن الشافعى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أنه أمر بقتل الزنبور) - انظر (معرفة السُّنن والآثار) : البيهقى (كتاب ١٢) المناسك (باب ٦٨٢) أصل ما يَحِلُّ قتله من الوحش وما يَحْرُمُ عليه - ٤/ ٢٣٣ - حديث رقم (٣٢٣٦) .

● وقد لاحظت أنه وقع فى (معرفة السُّنن والآثار) اسم (طاووس بن شهاب) وهو خطأ ، وصوابه (طارق بن شهاب) وقد ترجمه ابن أبى حاتم الرازى على الصواب باسم (طارق بن شهاب البجلى الأحمسى) - انظر (كتاب الجرح والتعديل) : للحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) - ٤/ ٤٨٥ - الطبعة ١ - (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند) بالتعاون مع (دار الكتب العلمية ببيروت بلبنان) - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

كما ترجمه الحافظ المزّىّ على الصواب كذلك باسم (طارق بن شهاب) فى كتابه (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) : ٢١/ ٣١٨ .

وعن ابن مسعود قال : (لَعَنَ الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحُسْن ، المغيِّرات لِخَلْق الله) فقالت له امرأة فى ذلك ! فقال : (وما لى لا ألعن مَنْ لَعَنَ رسولُ الله ﷺ وهو فى كتاب الله ؟!) فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ؟! قال : لئن قرأتيه فلقد وجدتيه ! أمَا قرأت قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[1] قالت : بَلَى ؛ قال : فإنه قد نهى عنه[2] .

وعن ابن بَرَّجَان[3] قال : (ما قال النبىّ ﷺ من شىء فهو فى القرآن ، أو فيه

---

(1) الحشر : ٧ .

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب ٦٥) تفسير القرآن (باب ٤) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الحشر : ٧ - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ٨/ ٦٣٠ - حديث رقم (٤٨٨٦) - رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، واستقصى أطرافه ونبَّه على أرقامها فى كل حديث : محمد فؤاد عبد الباقى - كما قام بإخراجه وتصحيح تجاربه ، وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - (د.ت) .

وقد أخرجه البخارى مختصراً فى أربعة مواضع أخرى من (كتاب اللباس) فى الجزء العاشر من (صحيحه) على النحو التالى :

(كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٢) المتفلجات للحسن - ١٠/ ٣٧٢ حديث رقم (٥٩٣١) - ثم (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٤) المتنمصات - ١٠/ ٣٧٧ حديث رقم (٥٩٣٩) - ثم (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٥) الموصولة - ١٠/ ٣٧٨ حديث رقم (٥٩٤٣) - وأخيراً (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٧) المستوشمة - ١٠/ ٣٨٠ حديث رقم (٥٩٤٨) .

كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٣٧) اللباس والزينة (باب ٣٣) تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجات والمغيرات خَلْقَ الله - انظر (صحيح مسلم) : ٣/ ١٦٧٨ - حديث رقم (٢١٢٥) - وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه ، وعَدَّ كتبَه وأبوابه وأحاديثه ، وعلّق عليه مُلَخَّصُ شرح الإمام النووى مع زيادات عن أئمة اللغة ، خادم الكتاب والسُّنة : محمد فؤاد عبد الباقى - طبع دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبى - القاهرة - (د. ت) .

(3) ابن بَرَّجَان ت (٥٣٦ هـ = ١١٤٢ م) :

هو الإمام القدوة أبو الحكَم عبد السلام بن أبى الرجال محمد بن عبد الرحمن اللَّخْمِىّ المَغْرِبِىّ الإفريقى ثم الأندلسىّ الإِشْبِيلِىّ ، وضبط (بَرَّجَان) بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء بعدهما جيم مفتوحة ثم ألف ونون .

كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام ، كما عُرِفَ بالتصوف والزهد وكثرة العبادة فأطلق عليه (شيخ الصوفية) ومن تصانيفه المفيدة : (كتاب شرح أسماء الله الحُسْنَى) وغيره ، وقد توفى مُغَرَّبًا عن وطنه بـ (مَرَّاكُش) ودُفِنَ بجوار قبر الزاهد الكبير (أبى العباس العريف) من العام المذكور .

أصله قَرُبَ أو بَعُدَ ، فهـمه مَنْ فهمه ، أو عَمِهَ عنه مَنْ عَمِـهَ ، وكذا كلُّ ما حكَمَ أو قَضَى به) وقال غيره : مـا من شىء إلاّ يمكن استخراجه من القرآن لِمَنْ فَهَّـمَه الله تعالى ؛ حتى إن بعضهم قد استنبط عُـمُرَ النبىّ ﷺ ثلاثًا وستين سَنَةً من قول الله تعالى : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ الآية[1] فإنـها رأس ثلاث وسـتين سورة ، وقـد عَقَّـبهَا بـسورة (التغابُن) ليظهر التغابن فى فَقْدِه .

ثم ينقل السـيوطى بعـد ذلك كلامًا طويلاً عـن الإمام المُرْسِى[2] بشـأن شمول الـقرآن وإحاطته ، وهو ما يمكننا أن نوجز منه قوله التالى :

جمع القرآن علوم الأولين والآخِرِين ؛ بحيث لم يُحِطْ بهمـا عِلْمًا حقيقةً إلا المتكلم به

= راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلِّكان ٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٢٠/ ٧٢ - ٧٤ .
- طبقات المفسِّرين : للحافظ شمس الدين الداودى ١/ ٣٠٠ - ٣٠١ .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : لحاجى خليفة ١/ ٦٩ - ٧٠ .

(١) المنافقون : ١١ .

(٢) الإمام المُرْسِىّ ت (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م) :

هو العلاّمة المفسِّر المحدِّث الأديب النحوى الفقيه ذو الفنون شرف الدين أبو عبـد الله محمد بن عبد الله بن محـمد ابن أبى الفضل السُّلَمِىّ المرسى الأندلسى نسبة إلى مولده بمدينة (مُـرْسِيَة) ببلاد الأندلس ، وقد كان نبيلاً ضريرًا يحدِّث بكتاب (السُّنن الكبـرى) للبيهقىّ ، وكتاب (غرائب الحديث) للخطَّابىّ ، ومن مصنفـاته العديدة : (الضوابط النحـوية فى علم العربية - الإمـلاء على المُفَصَّل - كتاب فى أصـول الفقه والدين - كتاب فى البلاغـة والبديع - مختصر صـحيح مسلم - الكافى فى النحو - تعليق على موطأ مالك) وغيرها - كما كان كثير الشيوخ والسماع ، وقد حدَّث بالكثير فى كل من : (مصـر والشام والعراق والحـجاز) ثم كانت وفـاته (بين العريش والزَّعْقَـة فى طريقه إلى دمشق) فَدُفِنَ بتل الزعقة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) - (١٨/ ٢٠٩ - ٢١٣) .
- سير أعلام النبـلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ت (٧٤٨ هـ = ١٣٧٤ م) - (٢٣/ ٣١٢ - ٣١٨) .
- طبقات الشافعـية الكبرى: لتاج الدين السبكى ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - (٨/ ٦٩ - ٧٠) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحى) .
- بغيـة الوعاة فـى طبقات اللُّغويين والنحـاة : للحافظ جلال الديـن عبـد الرحمن السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - (١/ ١٤٤ - ١٤٦) - تحـقـيق : محـمـد أبى الفـضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

سبحانه ، ثم رسوله ﷺ خلا ما استأثر الله تعالى به ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس الذى قال : (لوضاع لى عقالُ بعير لوجدتُه فى كتاب الله) ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم تقاصرَتْ الهِمَم ، وفَتَرَتْ العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ؛ ومن ثم فقد نوّعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى (القُرَّاء) بضبط لغاته وتحرير كلماته ، واعتنى (النُحَاة) بالمعرب منه والمبنى وجميع ما يتعلق بهما ، واعتنى (الأصُوليّون) بما فيه من الأدلة العقليّة والشواهد النظريّة ، وأحكم (الفقهاء) صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، وتَلَمّح (المؤرّخون) ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية ، وتنبّه (الخطباء والوعاظ) لما فيه من الحِكَم والمواعظ والأمثال التى تقلقل قلوب الرجال وتكاد تُدَكْدكُ الجبال ، واستنبط (المعبِّرون) ما فيه من أصول التعبير فى الرؤيا والعُرْف ، وأخذ منه (أهلَ الفرائض) سِهَام المواريث وأربابها ، ونظر (الفلكيون) إلى آياته الدالة على المواقيت وما يتعلق بها ، ونظر (الكُتّاب والشعراء) إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم .

وإلى جانب هذه الفنون التى أخذتها المِلّة الإسلامية من هذا القرآن العظيم ، فقد احتوى على علوم أُخَرَ من علوم الأوائل مثل : (الجَدَل - الهيئة - الطب - الهندسة - الجبر - المقابلة - النجامة) وغيرها ، كما حَوَى من أصول الصنائع التى تدعو الضرورة إليها كلاً من : (البناء - الغزل - النسج - الصيد - الرمى - الغوص - الخَبْز - الطحن - الطبخ - الغَسْل - الحدادة - الخياطة - الصباغة - الصياغة - الزِّجَاجَة - الفخارة - القِصَارَة - الفلاحة - الملاحة - الجزارة - الحِجَارَة - النجارة - التجارة)[1] فضلاً عما فيه من أسماء الآلات ، وما اشتمل عليه من ضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع وتقع فيه الكائنات .

---

(١) الزِّجَاجَة : أى صناعة الزُّجَاج ، وهى مهنة (الزَّجَّاج) - انظر مادة (زَجَج) فى المعجم الوسيط : ٤٠٣/١ .

● القِصَارَة : أى تقصير الشَّعْر ، وهى مهنة (القَصَّار) وهو المعروف لدينا اليوم بـ (الحَلاَّق) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿مُحلِّقِينَ رءوسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ﴾ الفتح : ٢٧ - وانظر مادة (قَصَرَ) فى لسان العرب : ٣٦٤٤/٥ .

● الحِجَارَة : أى العمل فى الأحجار بالنَّحْت أو القَطْع أو التكسير أو ما شابه ذلك ، وهى مهنة (الحَجَّار) الذى يقوم بهذا فى (المَحْجَر) أى فى المكان الذى تقطع منه الأحجار فى الجبال - انظر مادة (حَجَرَ) فى المعجم الوسيط : ١٦٣/١ .

ثـم يضيف السيوطى إلى كلام المُرْسِى السـابق قـوله : وقد اشتمل كتاب الله على كل شىء ، فأنواع العلوم ليس منها باب ولا مسـألة هى أصل ؛ إلاّ وفى القرآن ما يدل عليها ، كما أن فيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والأرض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى ، وبَدْء الخَلْق ، ومشاهير الرسل والملائكة ، وأخبـار الأمم السالفة ، كما أن فيه شأن النبىّ ﷺ وسيرته ، وبَدْء خَلْق الإنسان إلى موته وكيفيته ، وعذاب القبر وسؤاله ، ومقـر الأرواح ومصيـرها ، وأشراط الساعـة الكبرى وعـلامتهـا ، وأحوال البعث وشـئون الحساب بدرجاته ودركاته[1] .

وأخيـراً فقد اشـتمل القـرآن على جميع أسـماء الله الحسنى إلـى جانب ألف اسم من أسمائه المطلقـة سبحانه ، فضـلاً عن اشتماله على جملة من أسـماء النبىّ ﷺ ثم شُعَب الإيمان البِضْع والسـبعين ، وشرائع الإسلام الثلاثـمائة وخمسَ عشرةَ ، وكـذا أنواع الكبائر وكثـير من الصغائـر ، ثم ختام ذلك كله باشـتماله على تصـديق كل حديث ورد عن النبىّ ﷺ .

وحالما يـفرغ الشنقـيطى من نقله نصّ كلام السـيوطىّ هذا ؛ ؛ فـإنه يَعْمَـد عندئذ إلى التعقيب على هذا النقل مُعَلّلاً طوله وتمامه بقوله : وإنما أوردناه بِرُمَّتِه مع طوله ؛ لما فيه من إيضاح أنّ (القرآن فيه بيان كل شىء) وإنْ كانت فى الكلام المذكور أشياء جديرة بالانتقاد ، غير أننا تركنا مناقشتها خوف الإطالة المملّة ، مع كثرة الفائدة فى جملة الكلام المذكور[2] .

المسألة الخامسة

استحفاظه القرآن واستظهاره له

أتم الشنقيطى الحِفظ عندما أتم العاشرةَ من عُـمره ، حتى إذا استوى عوده ، ونَضِجَتْ مداركه ؛ عَمَـد عندئذ إلى معايشة القرآن لفظًا ومعنى ، وظل يدأب على هذا حـتى استقر كتاب الله فى جَنَانَيْه : (قلبـه وعقله) وقد ساعده ذلك على استـقراء القرآن والإحاطة به ، فضلاً عن استيعاب دقائقه وتفاصيله ، وكذا الإلمام بجملة علومه المختلفة .

(١) الدَّرَجَات عكـس الدَّرَكَات : فالأولى بمعنى الارتقـاء والصُّعود ومن ذلك قـول الله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف : ٧٦ - وأما الثانية فبـمعنى الانحطاط والهبوط ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء : ١٤٥ - والله تعالى أعلى أعلم .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٣٣٦ - ٣٤٥ (بتصرف واسع) .

حتى إذا ما قصد الشنقيطى إلى التفسير وتوجّـه إليه ؛ تَجَلَّى وقتئذ أَثَرُ استحفاظه القرآن واستحضاره جميع الآيات المتماثلة فى موضع الشاهد الذى يريده ويَعْرِض له ، وكأنّ القرآن بهذا منشور أمامه ، وموضوع نصب عينيه ، يقع فـيه على ما يشاء وقتما يشاء ، من أقرب السبل وأيسـرها ؛ وصدق الحق سبحانه فى تيـسيره هذا القرآن العظيم ، لـمَنْ رغب فيه ، وأقبل عليه ؛ إذ يقـول فى محكم التنزيل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ الآية[1] .

والشنقـيطى دون أى شـك وبلا أدنى ريب أحـد هـؤلاء العـلماء الذين أتمّ الله عليـهم النعمـة ، وأسبغ لهم المِنّة ؛ فنالوا بذلك حظًا وافـرًا ، وغنموا قسطًا عظيـمًا ، من تيسـير القرآن لهم ، وجمعه واستحفاظه فى صدورهم .

* * *

•• وبعـــد :

فقد رأينا كيف أن الشنقيطى يفيض فى الاحتجـاج لموقفه ، بل والتأكيد عليه من خلال ما يحشده من الأدلة الشرعية ، وما يسوقه من الشـواهد المعتبرة ، والتى تُطْبِقُ جميعها على حقيقة موقفه الذى يمكننا ذكر خلاصته بقولنا :

إن تفسيـر القرآن بالقرآن إنما يُعَدُّ عند الشنقـيطى بمثابة تلك القاعدة النـظرية ، والركيزة الأساسية ، التى ينطلق منها ، بل ويعتـمد عليها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسـير ، وقد ساعـده على ذلك كله استحفـاظه القرآن واستظهاره له ، وهذا مـا يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

(١) القمر : ٤٠ .

المطلب الثانى

التطبيــق العملــىّ

وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - **المسألة الأولى :** الأشكال الأربعة :

وذلك من خلال كـل من : (جزء الآية - كل الآية - أجــزاء الآيات - جـــملة الآيات) .

٢ - **المسألة الثانيــة :** الطرائق الأربعة :

وذلك من خـلال كل من : (التمـاثل - الإيضاح - الإحالة - التكرار) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بالقرآن ، والذى يُجَسِّد من خلاله تطبيقه العمليّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظريّ ، وقد تمثل هذا السلوك الفعليّ فى أشكال أربعة تنازعتها بدورها طرائق أربعة ، وفيما يلى نَعْرِض لتفصيل شواهدها من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

الأشكال الأربعة

لم يلتزم الشنقيطى نمطًا واحدًا إزاء ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وإنما اختلف تناوله من آية إلى آية ، ومن سورة إلى سورة ؛ الأمر الذى أنتج بدوره الأشكال الأربعة التاليّة :

١ - جزء الآية :

حيث يلجأ الشنقيطيّ أحيانًا إلى تفسير جزء أو أكثر من الآية الواحدة ، تاركًا بذلك أجزاءها الأخرى دون تفسير ، وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا فيما يلى :

أ - مثال الجزء من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الآية[1] نراه لا يفسّر من هذه الآية سوى قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ حيث يقول ما نصه:

الاستعانة بالصبر على أمور الدنيا والآخرة لا إشكال فيها، وأما نتيجة الاستعانة بالصلاة فقد أشار الله تعالى لها فى آيات من كتابه ؛ فذكر أنّ من نتائج الاستعانة بها : النهى عما لا يليق وذلك فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ الآية[2] وأنها تجلب الرزق وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآية[3] ولذا كان ﷺ إذا حَزَبَه أمْرٌ بَادَرَ إلى الصلاة[4] .

ب - مثال الجزأين من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ الآية[5] نراه لا يفسّر من هذه الآية

(١) البقرة : ٤٥ .
(٢) العنكبوت : ٤٥ .
(٣) طه : ١٣٢ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٧ .
(٥) البقرة : ٤٠ .

سوى قـوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ حيث يقول ما نصه :

قوله تـعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لم يبيّـن هنا ما النعمة التى أنعمها عليهم ، ولكنه بيّنها فى آيات أخر كقوله تعالى : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ الآية[1] وقـوله تعـالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ الآيتان[3] إلى غير ذلك من الآيات[4] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ لم يبيّن هنا ما عهـده وما عهدهم ، ولكنه بيّن ذلك فى مواضع أخرى كـقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية[5] فعهدهم هو المذكـور فى قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضًا بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية[6] إلى غير ذلك من الآيات[7] .

٢ - كل الآية :

حيث يلجـأ الشنقيطى أحيانًا إلى تفسير الآية كلها ، إمّـا بتناولها دفعـة واحدة ، وإمّا بتناولها على عدة دفعات ، وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا فيما يلى :

أ - مثال الدفعة الواحدة :

ففى معرض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية[8] نراه يعرض لتفسـير هذه الآية بتمامها دفـعة واحدة ، حيث يقول ما نصه :

---

(١) البقرة : ٥٧ .
(٢) البقرة : ٤٩ .
(٣) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٦
(٥) المائدة : ١٢ .
(٦) آل عمران : ١٨٧ .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٦ .
(٨) الكهف : ٦٥ .

هذا العبد المذكور فى هذه الآية الكريمة هو (الخضر) عليه السلام بإجماع العلماء ، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبىّ ﷺ وهذه الرحمة والعلم اللّدنىّ اللذان ذكر الله امتنانه عليه بهما، لم يبيّن هنا : هل هما رحمة النبوّة وعِلْمُها ، أو رحمة الولاية وعلمها ؟ كما أن العلماء مختلفون فى الخضر : هل هو نبىّ أو رسول أو ولّى ؟! وفى ذلك يقول الراجز :

واختلفتْ فى (خَضْر) أهل العُقول قيل : نبىٌّ أو ولِىٌّ أو رسُول

وقيل : إنه مَلَك ، ولكنه يُفْهَمُ من بعض الآيات أنّ هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوّة ، وأنّ هذا العِلم اللّدنىّ عِلم وَحْى ، مع العِلم بأنّ فى الاستدلال بهما على ذلك مناقشات معروفة عند العلماء .

وقد استطرد الشنقيطى فى ذكر تلك المناقشات وتحليلها ، مع الإدلاء برأيه فيها ، والرّدّ على مخالفيها ، على مدار اثنتين وعشرين صفحة كاملة[١] .

ب - مثال العدة دفعات :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية[٢] نراه يعرض لتفسير جُلّ هذه الآية على أربع دفعات جاءت على النحو التالى :

قوله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ .

وقد استغرق تفسيره لهذه المقاطع الأربعة من خلال تلك الدفعات الأربع قرابة ست صفحات كاملة[٣] .

٣ - اجزاء الآيات :

حيث يلجأ الشنقيطى أحيانًا إلى تفسير الجزء الأخير من نهاية آيةٍ مع الجزء الأول من بداية الآية التى تليها ، أو الجزء الأخير من نهاية آيةٍ مع كامل الآية التى تليها ؛ وضابط الشنقيطى فى ذلك إنما يرجع إلى (تمام المعنى) لذلك يجمع بين تلك الأجزاء ، على ما يذهب إليه ويراه ، وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا فيما يلى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/١٥٧ - ١٧٩ .
(٢) الكهف : ٢٦ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٨٠ - ٨٥ .

أ - مثال آخر الآية مع أول التى تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ الآيتان[1] نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى التى حيث قول الله تعالى : ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ الآية[2] مع المقطع الأول من الآية الثانية حيث قول الله تعالى : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ الآية[3] .

ب - مثال آخر الآية مع كامل التى تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ الآيتان[4] نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى حيث قول الله تعالى : ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ مع كامل الآية التى تليها[5] .

٤ - جملة الآيات :

حيث كثيراً ما يلجأ الشنقيطى إلى الجمع بين تفسير جملة من الآيات داخل السورة الواحدة ، وأغلب ما يقع منه ذلك فى السور ذوات الآيات القصيرة ، وقد تراوحت جملة هذه الآيات التى يجمع بين تفسيرها فى آن واحدة ما بين آيتين وخمس وتسع وأربعَ عشرةَ آيةً ؛ حيث لم تقل جملة هذه الآيات المجموعة عن آيتين ، ولم تزد على أربعَ عشرةَ آيةً على مدار تفسيره كله ، ومن ذلك ما يلى :

أ - الجمع بين آيتين :

وذلك فى معرض جمعه بينهما فى قول الله تعالى : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ وقوله تعالى : ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ الآيتان[6] .

---

(١) طه : ٨٦ - ٨٧ (آيتان) .
(٢) طه : آخر الآية ٨٦ .
(٣) طه : أول الآية ٨٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٩١ - ٤٩٦ .
(٤) طه : ٨٧ - ٨٨ (آيتان) .
(٥) طه : آخر الآية ٨٧ مع كامل الآية ٨٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٦) طه : ٢٧ - ٢٨ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٠٥ .

وأيضًا فى معرض جمعه بين قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الآيتان[1] .

ب - *الجمع بين خمس آيات* :

وذلك فى معرض جمعه بين جملة هذه الآيات فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ الآيات[2] .

جـ - *الجمع بين تسع آيات* :

وذلك فى معرض جمعه بين جملة هذه الآيات فى قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١)﴾ الآيات[3] .

د - *الجمع بين أربعَ عشرة آية* :

وذلك فى معرض جمعه بين جملة هذه الآيات فى قول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٣٧)﴾ الآيات[4] .

---

(١) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ (خمس آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/ ٦٠٥ .

(٣) النجم : ٣٣ - ٤١ (تسع آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧١١ .

(٤) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ (أربعَ عشرةَ آية) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٦٦٨ .

المسألة الثانية

الطـرائق الأربعـة

لم يلتـزم الشنقيطى طريقـة واحدة ، ولم يَسِـرْ على درب واحد ، إزاء تـفسيـره تلك الأشكال الأربعة من الآيات ، وإنما سلك فى سبيل تحقـيق ذلك أربع طرائق تفسيرية ، وقد استمرت هذه الطرائق الأربعة واطَّرَدَتْ من مَبْدأ تفسيره حتى منتهاه ، وتتمثل فيما نَعْرِض له بالتفصيل من خلال شواهدها التالية :

١ - التماثل :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيـره للآية التى هو بصددها إلى ذكر الآيات المماثلة لها فى المعنى ؛ حتى يوشك بذلك أن يَحْصُرَ جميع ما يناظرها فى معناها فى مختلف مواضعها من سُوَر القـرآن الكريم وآياته ؛ الأمر الذى يبـدو وكأنه (**قاموس قـرآنى شامل**) أو (**معجم مفهرس جامع**) من حيث حصره جمـيع الآيات التى تماثل الآية المفسَّرة فى المعنى ؛ والذى يتأدّى عـنه فى النهاية تحـقيق مـعنى هذه الآية المقصـودة ، عن طريق المعانى المـماثلة لتلك الآيات المحصورة .

غير أنّ هذا الحصر قد يكون ناقصًا وهو ما نسـميه بـ (التماثل بالقِلَّة) وقد يكون كاملاً تقريبًا وهو ما نسميه بـ (التماثل بالكثرة) وهما ما نَعْرِض لهما على النحو التالى :

أ - التماثل بالقِلة :

ففى مـعرض تفـسير الـشنقيطى لقـول الله تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ الآية[1] نراه يورد جملةً من الآيات القليلة التى لا تمثل حصرًا كـاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول مـا نصه : قوله تعالى فى هذه الآية عن إبليس : ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ يدل فيه إنكار إبليس للسجود بهمزة الإنكار على إبائه واستكباره عن السجود لمخلوق من طين .

وقد صرّح بهذا الإباء والاستكبار فى مواضع أُخَر ، فـصرح بهما معًا فى قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ الآية[2] وصرّح بإبائه فى قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ الآية[3] وصرّح باستكباره فى قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ الآية[4] كما بيَّن سبب استكباره فى قوله تعالى : ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ**

(١) الإسراء : ٦١ . (٢) البقرة : ٣٤ . (٣) الحِجْر : ٣١ .
(٤) صٓ : ٧٤ .

مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الآية فى موضعين(1) .

فتلكم ست آيات مماثلة لمعنى الآية المذكورة ، وهو عدد قليل بالنسبة لجملة الآيات الأخرى المماثلة، والتى عرضت لقضية إباء إبليس واستكباره على السجود لآدم ؛ حيث بلغ مجموع هذه الآيات اثنتى عشرةَ آيةً ، وباستثناء الآيات السِّت المذكورة هنا ؛ يصير الباقى منها ست آيات لم يذكرها الشنقيطى .

وفيما يلى نورد نص هذه الآيات السّت بحسب ترتيب سورها فى القرآن على النحو التالى :

فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾(2) وفى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (33)﴾ الآيتان(3) وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ الآية(4) وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ الآية(5) وأخيرًا فى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الآية(6) .

ب - التماثل بالكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية(7) نراه يعرض لقضية الرِّقِّ فى الإسلام ، فيفسِّر من خلالها (مِلْك الرقيق) على أنه (مِلْك اليمين) موردًا فى ذلك جملة من الآيات الكثيرة التى توشك أن تمثل حصرًا كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : لم يختلف المسلمون فى جواز الملك بالرِّقّ ، ومعلوم أنّ سببه أَسْرُ المسلمين الكفارَ فى الجهاد ، والله تبارك وتعالى يعبِّر فى كتابه عن المِلْك بالرّقّ بعبارة هى أبلغ العبارات فى توكيد ثبوت مِلْك الرقيق وهى مِلْك اليمين ؛ لأن ما ملكته يمين

(1) الأعراف : 12 مع صٓ : 76 - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى 3/ 604 .
(2) الأعراف : 11 . (3) الحجْر : 32 - 33 (آيتان). (4) الكهف : 50 .
(5) طه : 116 . (6) صٓ : 75 . (7) سورة محمد ﷺ : 4 .

الإنسان فهو ملْك له تمامًا ، وتحت تصرّفه تمامًا ؛ وذلك كقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[1] وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الآية[6] وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ الآية[7] وقوله تعالى : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[9] وقوله تعالى : ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية[10] وقوله تعالى : ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾ الآية[11] .

فالمراد بملْك اليمين فى جميع هذه الآيات هو الملْك بالرِّقّ ، ثم إنّ الأحاديث والآيات التى بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهى معلومة ؛ فلا ينكر الرق فى الإسلام إلاّ مكابر أو ملحد أو مَنْ لا يؤمن بكتاب الله ولا بسُنّة رسوله ﷺ[12] .

فهذه اثنتا عشرة آية ساقها الشنقيطى نظرًا لتماثل معناها مع معنى الآية المذكورة ، وهذا ما يشبه أن يكون حصرًا كاملاً لجميع هذه الآيات المماثلة ؛ ومن ثم فإننا نرى أن قول الشنقيطى : (والآيات التى بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهى معلومة) هو قول غير دقيق من حيث دلالته على مقصوده ؛ لأنّ هذه الآيات التى لم يذكرها لا تتجاوز ثلاث آيات فقط هى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[13] وقوله تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية[14] وقوله تعالى : ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية[15] .

(١) النساء : ٣ . (٢) المؤمنون: ٦ – المعارج : ٣٠ . (٣) النساء : ٢٤ .
(٤) النور : ٣٣ . (٥) النساء : ٣٦ . (٦) الأحزاب : ٥٢ .
(٧) الأحزاب : ٥٠ . (٨) النور : ٣١ . (٩) النساء : ٢٥ .
(١٠) النحل : ٧١ . (١١) الروم : ٢٨ .
(١٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤١٩ – ٤٢٠ . (١٣) النور : ٥٨ .
(١٤) الأحزاب : ٥٠ . (١٥) الأحزاب : ٥٥ .

وبهذا تصل جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة خمسَ عشرةَ آية تمثل الحصر الكامل لجميع هذه الآيات فى القرآن ؛ ومن ثم فأين تَعَذُّرُ هذا الحصر الذى يصرّح به الشنقيطى ؟! خاصة وأنه أورد اثنتى عشرةَ آية من المجموع الكلىّ لهذه الآيات والبالغ خمسَ عشرةَ آية !! فهذه الآيات الثلاث لا ترقى لئن تكون مُسَوِّغاً لحكم الشنقيطى عليها بتعذر الحصر ، كما لا يشفع له فى ذلك العلمُ بها !!

ونظراً لكثرة ما دأب عليه الشنقيطى من ذكره جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك فى (الفهرس الشامل) الذى وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة فى حياة شيخه وبعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدها تنبيهًا بها على غيرها مما ورد فى فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ والآيات المُفْهِمَة معنى ذلك[1] وقوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ والآيات المشيرة لمعنى ذلك[2] وقوله تعالى : ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ وصف القلوب بالكَظْم الذى هو صفة أصحابها، ونظير ذلك من القرآن[3] وقوله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ﴾ والآيات التى بمعناها[4] وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾ والآيات المشابهة لها فى المعنى[5] .

٢ - الإيضاح :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى ذكر الآيات المُوَضِّحَة لمعناها غير المنصوص عليه فيها ، وذلك بخلاف طريقة التماثل السابقة التى تختص بالآيات التى يدور معناها حول قضية رئيسة منصوص عليها تماثل ذات القضية التى يدور حولها معنى الآية المقصودة بالتفسير مثل قضية (عدم سجود إبليس لآدم) وقضية (مِلْك الرقيق بمعنى مِلْك اليمين) كما سبق ذكرهما قبل قليل .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطى يَعْمَد إلى إيراد الآيات المُوَضِّحَة لمعنى الآية المقصودة ، إمّا عن

(١) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٥١٢ (من الفهرس) .
(٢) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٥١٢ (من الفهرس) .
(٣) غافر : ١٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٨٢ (من الفهرس) .
(٤) الأعراف : ١٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٥٢٠ (من الفهرس) .
(٥) سبأ : ٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٢٧ (من الفهرس) .

طريق ذكر القليل من هذه الآيات وهو ما نسميه بـ (الإيضاح بالقلة) أو عن طريق ذكر الكثير من هذه الآيات بما يشبه أن يكون حصرًا لها وهو ما نسميه بـ (الإيضاح بالكثرة) وهما ما نَعْرِض لهما على النحو التالى:

أ - الإيضاح بالقلة :

١ - ففى معرض تفسير الشنقيطى لقوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ الآية[1] نراه يورد آية واحدة توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبيّن هنا ما هذه الكلمات ، ولكنه بيّنها فى قوله تعالى : ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية[2] .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الآية[3] نراه يورد آيتين توضحان معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبيّن هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكنه بيّن ذلك فى مواضع أُخَر كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ الآية[4] .

فعهدهم هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضًا بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية[5] إلى غير ذلك من الآيات[6] .

٣ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية[7] نراه يورد ثلاث آيات توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبيّن هنا ما هذه النعمة التى أنعمها عليهم ، ولكنه بيّنها فى آيات أُخَر كقوله تعالى : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية[9] وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ

(١) البقرة : ٣٧ .
(٢) الأعراف : ٢٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/١٣٦ .
(٣) البقرة : ٤٠ . (٤) المائدة : ١٢ . (٥) آل عمران : ١٨٧ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٦ . (٧) البقرة : ٤٧ . (٨) البقرة : ٥٧ .
(٩) البقرة : ٤٩ .

﴿فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ⟨٦⟩﴾ الآيتان[١] إلى غير ذلك من الآيات[٢] .

وهكذا يتراوح عدد الآيات المُوَضِّحَة لمعنى الآية المقصودة ما بين آية إلى اثنتين إلى ثلاث آيات ، وهذا مما يعد قليلاً قياسًا إلى جملة الآيات الكثيرة التى يَعْمَد إليها الشنقيطى لتوضيح معانى بعض الآيات الأخرى .

ب - الإيضاح بالكثرة :

لا يكتفى الشنقيطى بإيراد جملة الآيات الكثيرة التى تُوَضِّح معنى الآية المقصودة ، وإنما يلجأ إلى إيراد المزيد من تلك الآيات المُوَضِّحَة ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نعرض لهذا الإيضاح هنا من خلال نوعيْه التاليين :

١ - الكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ⟨١٠٧⟩ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ⟨١٠٨⟩﴾ الآيتان[٣] نراه يورد جملة من الآيات الكثيرة التى توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية أن أهل النار يَدْعُون ربهم فيها فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إلى ما لا يرضيك بعد إخراجنا منها فإنا ظالمون ، وأن الله يجيبهم بقوله تعالى : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أى امكثوا فيها خاسئين أى أذلاء صاغرين حقيرين ، لأن لفظة (اخْسَأْ) إنما تقال للحقير الذليل كالكلب ونحوه ، فقوله تعالى : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أى ذلوا فيها ماكثين فى الصَّغار والهوان .

وهذا الخروج من النار الذى طلبوه قد بيّن الله تعالى أنهم لا ينالونه ، وذلك فى عدة آيات أُخَر كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية[٤] وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ الآية[٥] وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية[٦] وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية[٧] إلى غير ذلك من الآيات .

---

(١) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٣٦ .
(٣) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .
(٤) المائدة : ٣٧ .
(٥) البقرة : ١٦٧ .
(٦) الحج : ٢٢ .
(٧) السجدة : ٢٠ .

وقد جاء فى القرآن أجوبة متعددة لطلب أهل النار ، فهنا قالوا : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فأجيبوا ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ الآيتان[١] وفى موضع آخر قالوا : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فأجيبوا : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الآيتان[٢] وفى موضع آخر : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فأجيبوا : ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ الآيتان[٣] وفى موضع آخر : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فأجيبوا : ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ الآية[٤] وفى موضع آخر : ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجابون : ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ الآية[٥] وفى موضع آخر : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجابون : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ الآية[٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مثل هذه الأجوبة[٧] .

وهكذا يصل مجموع تلك الآيات التى ساقها الشنقيطى لإيضاح معنى الآية المقصودة وما يتفرع عليها إلى عشر آيات ، وهذا مما يُعَدُّ كثيرًا إذا قيس بما اتبعه سابقًا فى (الإيضاح بالقلَّة) .

ونظرًا لكثرة ما دأب عليه الشنقيطى من ذكره جملة الآيات الموضحة لمعنى الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك فى (الفهرس الشامل) الذى وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة فى حياة شيخه وبعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدها تنبيهًا بها على غيرها مما ورد فى فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآيات المُوَضِّحَة لها[٨] وقوله تعالى : ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ والآيات المُوَضِّحَة لمعناها[٩] وقوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ والآيات المُوَضِّحَة لذلك[١٠] وقوله تعالى : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ والآيات

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .
(٢) السجدة : ١٢ - ١٣ (آيتان) .
(٣) غافر : ١١ - ١٢ (آيتان) .
(٤) الزخرف : ٧٧ .
(٥) إبراهيم : ٤٤ .
(٦) فاطر : ٣٧ .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٨٢٦ - ٨٢٧ .
(٨) البقرة : ٢٥٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١١ (من الفهرس) .
(٩) البقرة : ٢٧٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١١ (من الفهرس) .
(١٠) البقرة : ٢٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١١ (من الفهرس) .

المُوَضِّحَة لمعنى غِنَاه عن خلقه[1] وقوله تعالى : ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ والآيات المُوَضِّحَة لمعنى ذلك[2] وقوله تعالى : ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ والآيات المُوَضِّحَة لهذا الاعتذار الذى اعتذر به هارون[3] وقوله تعالى : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وما يُوَضِّح ذلك من الآيات[4] .

٢ - الزيادة :

ونظرًا لكثرة ما يلجأ إليه الشنقيطى من ذكره المزيد من الآيات المُوَضِّحَة لمعنى الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية لا يفتأ أيضًا أن يشير إلى ذلك فى فهرس التفسير فيقول ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك[5] وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك[6] وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك[7] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ وما يَزِيد ذلك إيضاحًا من القرآن[8] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وما يَزِيد ذلك إيضاحًا[9] .

٣ - الإحالة :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى الإحالة على الآيات المماثلة لها فى المعنى ، وسواء كانت هذه الآيات قد سبق أن فسّرها فى مواضع أخرى من قبل ، أو تلك التى ينتوى أن يفسرها فى مواضع أخرى من بعد .

---

(١) آل عمران : ٩٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٣/١ (من الفهرس) .
(٢) آل عمران : ١٩٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٥/١ (من الفهرس) .
(٣) الأعراف : ١٥٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٢٠/٢ (من الفهرس) .
(٤) الحج : ٧٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٨/٥ (من الفهرس) .
(٥) يوسف : ٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٤١/٣ (من الفهرس) .
(٦) الرعد : ١٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٤٢/٣ (من الفهرس) .
(٧) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٥٨/٣ (من الفهرس) .
(٨) المؤمنون : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٩/٥ (من الفهرس) .
(٩) المؤمنون : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٩/٥ (من الفهرس) .

وقد تنازعت هاتيين الإحالتين السابقة واللاحقة ثلاثة أنواع شملت الإحالة بالنص ، ثم الإحالة بالمعنى ، وأخيراً الإحالة العامة ، وفيما يلى نَعْرِض لقسمىْ الإحالة الاثنين مع أنواعها الثلاثة على النحو التالى :

• قسما الإحالة :

أ - إحالة سابقة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ الآيات[1] يقول ما نصه : قد قدمنا ما يُوَضِّح هذه الآيات إلى آخر القصة من القرآن فى سورة (مريم) فأغنى ذلك عن إعادته هنا[2] .

وهكذا يكتفى الشنقيطى هنا فى تفسير هذه السبعَ عشرةَ آية المتعلقة بقصة نبى الله إبراهيم بالإحالة على تفسيره للآيات العشر المتعلقة بالقصة ذاتها ، والتى سبق له أن تناولها فى سورة (مريم) بَدْءً من قول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآيات[3] .

وهذه الإحالة تعد طويلة نسبيًا من حيث كثرة عدد هذه الآيات التى قامت مقام تفسيرها ؛ ومن ثم جعلناها هنا بمثابة الشاهد البارز على (الإحالة السابقة) تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة.

ب - إحالة لاحقة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الآية[4] يقول ما نصه : واعلم أن مسألة الحجاب وإيضاح كون الرجل لا يجوز له النظر إلى شىء من بدن الأجنبية ، سواء كان الوجه والكفين أو غيرهما ، فقد وعدنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك وغيرها من المواضع بأننا سنوضح ذلك فى سورة (الأحزاب) فى الكلام على آية الحجاب ، وسنفى إن شاء الله تعالى بالوعد فى ذلك بما يظهر به للمنصف ما ذكرنا[5] .

---

(١) الأنبياء : ٥١ - ٦٧ (سبعَ عشرةَ آية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٥٨٧ .

(٣) مريم : ٤١ - ٥٠ (عشر آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٨٢ - ٢٩٠ .

(٤) النور : ٣١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٢٠٠ .

والمقصود بهـذا الوعد الذى قطعه الشنقيطى على نفسـه هو ما ذكره فى مقدمة تفسيره حيث قـال ما نصـه : ومن أنواع البيـان الذى تضمنهـا هذا الكتاب المبارك أن يـقول بعض العلمـاء فى الآية قولاً ، ويكون فى نفس الآيـة قرينة تدل على بطلان ذلك القـول ، ومن أمثلته : قول كثير من الناس : إن آية الحجاب وأعنى بها قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآية[1] خاصّة بأزواج النبىّ ﷺ .

غيـر أن تعليل الله تعالى لهـذا الحكم الذى هو (إيجـاب الحجاب) بكونه أطهـر لقلوب الرجال والنســاء من الرِّيبة فى قـوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية[2] هو قرينة واضحة على قصد تعميم هذا الحكم ، وسنرى إن شاء الله تحقيق مسألة (الحجاب) فى سورة (الأحزاب)[3] .

وهكذا يقيم الشنقيطى الإحالة اللاحـقة فيما بعد من سورة (الأحزاب) مـقام تفسير هذه الآيات هنا من سورة (النور) وفيما ذكرناه تنبيه به على غيره .

- **أنواع الإحالة :**

أ - الإحالة بالنّص :

وفيها يُسَمِّى الشنقيطى موضع النَّصِّ الذى يُحِيل عليه ، ويشمل ذلك كلاً من الآية، أو السورة ، أو الآية والسورة معًا ، وذلك كما يلى :

١ - نص الآيـة :

ففى معرض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الآية[5] يقول مـا نصه : قد قدمنا الآيات المُوَضِّـحَة لهمـا فى الكلام على قول الله تـعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية[6] وقوله تعالى: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ الآية[7] .

---

(١) الأحزاب : ٥٣ . (٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) أضواء البـيان : الشنقـيطى ١/ ٧٥ - ٧٧ (من المقدمـة) - وانظر تفسـير الآية المذكـورة من سورة (الأحزاب) فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/ ٥٨٤ - ٦٠٣ .

(٤) القمر : ٢٤ . (٥) القمر : ٢٥ . (٦) ص : ٤ .

(٧) ص : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٢١ .

٢ - نص السورة :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ الآية[١] يقول ما نصه : تقدم إيضاحه فى سورة (الحجّ) وغيرها[٢] .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية[٣] يقول ما نصه : قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية فى أول سورة الأعراف وأول سورة الكهف[٤] .

٣ - نص الآية والسورة معاً :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا﴾ الآيات[٥] يقول ما نصه : إلى آخر القصة ، قد قدمنا إيضاحه فى سورة (الحِجْر) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الآيات[٦] وفى سورة (هود) فى القصة المذكورة ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا[٧] .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآية[٨] يقول ما نصه: قد قدمنا الآيات المُوَضِّحَة له فى سورة (قٓ) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ الآية[٩] .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية[١٠] يقول ما نصه : قد قدمنا الكلام عليه فى سورة (الزخرف) فى بعض المناقشات التى ذكرناها فى الكلام على قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الآية[١١] .

ب - الإحالة بالمعنى :

وفيها يُسَمِّى الشنقيطى موضع المعنى الذى يُحِيل عليه فى السورة القرآنية التى تتحدث عنه وتشير إليه ، ونكتفى من ذلك بالشاهد التالى :

---

(١) الفرقان : ٥٥ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٣٤٢ .
(٣) الفرقان : ٥٦ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٣٤٤ .
(٥) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ (أربعَ عشرةَ آية) .
(٦) الحِجْر : ٥١ - ٦٠ (عشر آيات) .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٦٦٨ .
(٨) الذاريات : ٤٧ .
(٩) قٓ : ٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٢٩ .
(١٠) القمر : ٤٩ .
(١١) الزخرف : ٨١ - وانظر (أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٦٦٩ .

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١)﴾ الآيات[1] نراه يُحيل على المعنى المماثل لمعنى هذه الآيات مُسَمِّيًا موضعه فى سورة (الإسراء) فيقول ما نصه : وقد قدمنا تفسيره مُوَضَّحاً فى سورة (بنى إسرائيل) وأن الإنسان لا يملك ولا يستحق إلا سعى نفسه ، وقد اتضح بذلك أنه لا يمكن أن يتحمل إنسان ذنوب غيره ، وقد دلَّتْ على ذلك آيات كثيرة معلومة[2] .

ويقصد بذلك تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الآية[3] والذى سبق له تناوله من خلال تفسيره لسورة (الإسراء)[4] .

جـ - الإحالة العامة :

وفيها يُعْرِضُ الشنقيطى عن تَسْمِيَة الموضع الذى يُحيل عليه سواء كان آية أو سورة أو هما معًا ، مكتفيًا فى ذلك بمجرد الإشارة العامة المُبْهَمَة إلى ما سبق أن تناوله من الآيات المماثلة فى مواضع متقدمة من تفسيره ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١ - ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾ حتى قوله تعالى : ﴿لَعْنًا كَبِيراً﴾ الآيات[5] نراه يكتفى فى تفسيرها هنا بالإحالة على تفسير مثيلاتها من الآيات التى فسّرها مِن قبل ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : تقدّمت الآيات المُوَضِّحَة له مِرَارًا[6] .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ﴾ الآية[7] نراه يكتفى فى ذلك أيضًا بالإحالة العامة المُبْهَمَة ، والتى يشير إليها فيقول ما نصه : قد قدّمنا الآيات المُوَضِّحَة له ، وأَحَلْنَا عليها مِرَارًا[8] .

٤ - التكـــرار :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى تكرار تفسير ما يماثلها من

(١) النجم : ٣٣ - ٤١ (تسع آيات) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١١ .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) أضواء البيان: الشنقيطى ٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠ .
(٥) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ (خمس آيات) .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٦٠٥ .
(٦) النجم : ٤٧ .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ .

الآيات الأخرى التى سبق له أن تناولها من قبل ، وهو لا يفتأ أن يشير إلى تكراره هذا بين الحين والآخر فى موضعه من التفسير ، ومن أمثلة هذا التكرار نذكر ما يلى :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية[1] نراه يقول ما نصه : واعلم أن الله جلّ وعلا بيّن فى آيات كثيرة صفات مَنْ يستحق أن يكون له الحُكْم ؛ فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة ، ويقابلها مع صفات البشر المُشَرِّعين للقوانين الوضعية ، فينظر هل تنطبق عليهم صفات مَنْ له التشريع ؟ سبحان الله وتعالى عن ذلك ، فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون ؛ فليتبع تشريعهم ، وإن ظهر يقينا أنهم أحقر وأخسّ ، وأذلّ وأصغر من ذلك ؛ فليقف بهم عند حَدِّهم ، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية، سبحانه وتعالى أن يكون له شريك فى عبادته، أو حُكْمِه ، أو مُلْكِه[2] .

ثم يسوق الشنقيطى بعد ذلك ثمانيَ عشرةَ آيةً تتضمن صفات مَنْ له الحُكْم والتشريع ، نذكر منها قول الله تعالى : ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الآية[6] وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الآية[7] .

وعلى الرغم من هذه الطائفة الكثيرة من الآيات التى ساقها هنا ليفسِّر بها الآية المقصودة ، وفضلاً عما تناوله من آيات أخرى مماثلة لهذه الآية فى مواضع سابقة من التفسير ؛ إلاّ أنه يقرر إعادة وتكرار ما يراه كافيًا فى هذا الموضع من تلك الآيات التى سبق أن فسّرها من قبل ، وفى ذلك يقول ما نصه : والآيات الدالة على هذا كثيرة ، وقد قدمناها مِراراً ، وسنعيد منها ما فيه كفاية[8] .

وعندئذ يَشْرَع الشنقيطى فى إعادة وتكرار ما سبق أن تناوله من آيات مماثلة ، والتى من أبرزها عنده آيتان فى سورة (الأنعام) وآيتان فى سورة (النحل) حيث عَمَدَ إلى تكرارهما على النحو التالى :

(1) الشورى : ١٠ .
(2) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٣/٧ .
(3) القصص : ٨٨ .
(4) القصص : ٧٠ .
(5) يوسف : ٤٠ .
(6) يوسف : ٦٧ .
(7) الأنعام : ٥٧ .
(8) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٩/٧ .

أ - آيتا الأنعام :

وهما قول الله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية(١) وقوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآيـة(٢) .

وقد مَهّدَ الشنقيطى لتكرار تفسيرهما هنا بقوله: وَقَعَتْ مناظرة فى زمن النبىّ ﷺ بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، فى حكم من أحكام التحريم والتحليل ، وحزب الرحمن يتبعون تشريع الرحمن فى تحريمه ، وحـزب الشيطان يتبعون الشيطان فى تحليله ، وقد حكَمَ الله تعالى بينهما ، وأفتى فيما تنازعوا فيه ، فتوى سماوية قرآنية تُتْلَى فى سورة الأنعام(٣) .

وهذا على الرغم من أنه سبق له تفسير هاتين الآيتين فى موضعيْهما من سورة (الأنعام) خاصة الآية الثانية التى استغرقت وحدها ما يقرب من ثنتين وثلاثين صفحة(٤) .

ب - آيتا النحل :

وهمـا قول الله تعـالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الآية(٥) وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الآية(٦) .

وقد مَهَّد الشنقيطى أيضاً لتكرار تفسـيرهما هنا بقوله : ومن الآيات الدالة على نحو ما دَلَّتْ عليه آيتا الأنعـام المذكورتان قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ حيث صَرّح بتوليهم للشيطان أى باتباع ما يزيّن لهم من الكفر والمعاصى ؛ مـخالفًـا لما جاءت به الرسـل ، ثم صرّح بأنّ ذلك إشـراك به سبـحـانه فى قوله تعـالى : ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ كما صرّح أن الطاعة فـى ذلك الذى يُشَرِّعُه الشيطان ويُزَيِّنُه لهم إنما هى عبادة منهم لهذا الشيطان(٧) .

وهذا على الرغم من أنه سبـق له أيضًا تفسيـر هاتين الآيتين فى موضـعيْهمـا من سورة (النحل)(٨) .

---

(١) الأنعام : ١١٩ .   (٢) الأنعام : ١٤٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٩/٧ .

(٤) راجع تفسير آيتىْ (الأنعام) المشار إليهما بتـرتيبهما فى (أضواء البيان): الشنقيطى (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) - (٢٤٦/٢ - ٢٧٧) .

(٥) النحل : ٩٩ .   (٦) النحل : ١٠٠ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ١٧١ .

(٨) راجع تفسير آيتىْ (النحل) المشار إليهما بترتيبهما فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٥٧/٣ - ٣٥٩ .

المطلب الثالث

التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

١ - الملاحظة الأولى : ما يفسره من الآيات .

٢ - الملاحظة الثانية : ما لم يفسره من الآيات .

٣ - الملاحظة الثالثة : ما يتوقف عن تفسيره من الآيات .

٤ - الملاحظة الرابعة : ظاهرة الإحالة .

٥ - الملاحظة الخامسة : الجمع بين الطرائق .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسيره للقرآن بالقرآن ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

ما يفسره من الآيات

وإزاء ما يَعْرِض له الشنقيطى من الآيات بالتفسير فإنّ هناك ثلاث ملاحظات تتعلق بكل من :

أ - ترقيم الآيات :

حيث من الملاحظ على الشنقيطى أنه لم يلتزم بذكر أرقام الآيات فى سورها حال عرضه لها بالتفسير ، وهذا ما سار عليه فى ثنايا تفسيره المختلفة بأجزائه السبعة ، ولا يُستثنى من ذلك سوى الجزء الرابع منه ، والذى يضم بدوره تفسير أربع سور تمثلت فى : (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) والتى التزم بترقيم جميع ما فسّره من آياتها ، وذلك على النحو التالى :

١ - ذكره رقم آية واحدة :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ حيث يقول : آية (١١)[١] .

٢ - ذكره رقمى آيتين معاً :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ حيث يقول : آية (٢٥ و ٢٦)[٢] .

٣ - ذكره أرقام جملة من الآيات :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ

(١) مريم : ١١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٢٠ .

(٢) مريم : ٢٥ مع ٢٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٤٩ .

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ حيث يقول بعد ذكره جملة هذه الآيات : آية (٤١ - ٤٥)[١]

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطى منهم خاصّة ، بترقيم ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يُعَدُّ أمرًا منهجيًا محمودًا ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث فى الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادى سينال حظه أيضًا من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن ترك المفسِّر ترقيم ما يفسّره من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يُعَدُّ من جملة (المآخذ الشكلية) التى تُحْسَب عليه فى منهجه التفسيرىّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطىّ .

ب - تخريج الآيات :

لا يلتزم الشنقيطى غالبًا بتخريج الآيات التى يسوقها فى معرض تفسيره للآية المقصودة ، فى حين يَعْمَد أحيانًا إلى تخريج تلك الآيات ، وذلك كما يلى :

- **أمثلة تخريجه :**

١ - تخريجه لآيتين :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية[٢] حيث يسوق الشنقيطى اثنتىْ عشرةَ آية مماثلة لهذه الآية فى المعنى .

ومع ذلك نراه لم يُخَرِّجْ من جملة هذه الآيات سوى آيتين اثنتين نظرًا لتكرارهما فى سورتين معًا ، وهما قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ (الآيتان) حيث يعقب إيراده لها بقوله : فى سورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة (سأل سائل)[٣].

ومن ثم ؛ فقد كان لزامًا على الشنقيطى أن يُخَرِّج هاتين الآيتين نظرًا لتكرارهما فى هاتين السورتين معًا.

---

(١) مريم : ٤١ - ٤٥ (خمس آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٨٢ .

(٢) سورة محمّد ﷺ : ٤ .

(٣) المؤمنون : ٥ - ٦ (آيتان) مع المعارج : ٢٩ - ٣٠ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٤٢٠ .

٢ - تخريجه لجملة من الآيات :

فى معـرض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ الآيتان[١] حيث يسوق الشنقيطى جملة من الآيات المُوَضِّحَة لهاتين الآيتين ، مع تخريجه إياها فى سـورة الأربع التى شملت كلاً من : (المائدة - البقرة - الحج - السجدة) بتـرتيب ذكره لها، ثم يسوق جملة أخرى من الآيات المـوضحة لجواب الملائكة عـلى أهل النار ، مع تخريجه إياها أيضًا فـى سورها السِّت التى شملت كلاً من : (المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر) بترتيب ذكره لها .

وهكذا يصل عدد السور التى خـرّج الشنقيطى آياتها هنا إلى عشر سُـوَر لم يلتزم بمثلها سوى فى مواضع قليلة من تفسيره[٢] .

- **امثلة عدم تخريجه :**

١ - عدم تخريجه للآية الواحدة :

وذلك فى معـرض تفسـيره لقـول الله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ الآية[٣] حيث يـفـسر هـذه الآية بآية أخـرى مماثلة لها فى المعنـى وهى قول الله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية[٤] ومع أن هذه الآية هى الوحـيدة الممـاثلة للآية المقصـودة فى القرآن كـله ؛ إلاّ أنّ الشنقيطى لم يخـرّجهـا فى موضعها من القرآن[٥] .

٢ - عدم تخريجه لجملة من الآيات :

وذلك فى معـرض تفسـيره لقـول الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ الآيات[٦] حيث يسوق خمس آيات مماثلة فى المعنى لهذه الآيات المعنية هنا بالتفسير ، ومع ذلك لم يعمد الشنقيطى إلى تخريج أىٍّ من هذه الآيات الخمس ، وهـذا ما يتـبعه غـالبًا فى تفسـيره سـوى بعـض المواضع القليلة التى يُخَـرِّج فيهـا مثل هذه الآيات .

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٨٢٦ .

(٣) الأنعام : ١٢٥ .

(٤) الزمر : ٢٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٢١٠ .

(٦) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦١١ .

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطى منهم خاصة بتخريج ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمرًا منهجيًا محمودًا ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث فى الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أنّ القارئ العادى سينال حظه أيضًا من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم تخريج المفسّر لما يتناوله من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يعد من جملة (المآخذ الشكلية) التى تحسب عليه فى منهجه التفسيرىّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطىّ.

جـ - ترتيب الآيات :

لا يلتزم الشنقيطى بالترتيب المصحفىّ للآيات التى يسوقها فى مَعْرِض تفسيره للآية المقصودة ، وسواء فى ذلك ما كان مُخَرَّجًا من هذه الآيات أو ما كان غير مُخَرَّجَ منها ، وذلك كما يلى :

١ - فى حالة تخريجه للآيات :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ الآيتان[1] حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطى قد أورد فى معرض تفسيره لهذه الآية عشر آيات مع تخريجه لها فى سورها ، أما الآيات الأربع الأولى التى وضّح بها معنى الآية المقصودة فقد أوردها على غير ترتيبها المصحفىّ وهى : (المائدة - البقرة - الحج - السجدة) مع أن ترتيبها المصحفىّ هو : (البقرة - المائدة - الحج - السجدة) .

وأما الآيات الست الأخرى التى وضّح بها جواب الملائكة على أهل النار فقد أوردها على غير ترتيبها المصحفىّ كذلك وهى : (المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر) مع أن ترتيبها المصحفىّ هو : (إبراهيم - المؤمنون - السجدة - فاطر - غافر - الزخرف)[2] .

٢ - فى حالة عدم تخريجه للآيات :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ الآيتان[3] حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطى قد

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦١١ .
(٣) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .

أورد فى مَعْرِض تفسيره لهذه الآية خمس آيات مع عدم تخريجه لها فى سورها، حيث أورد هـذه الآيات على غير ترتيبها المصـحفىّ وهى : (يونس - الأنعام - العنكبوت - لقمان - الزمر) مـع أن ترتيبها المصحفىّ هو : (الأنعام - يونس - العنكبوت - لقمان - الزمر)(١) .

والحق أن التزام المفسرين عامّـة ، والشنقيطى منهم خاصّـة ، بالترتيب المصحـفىّ لِمَا يَعْرِضُون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمرًا منهجيًا محمودًا ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث فى الوصـول إلى ما ينشده من أقرب سـبيل وأيسره ، فضلاً عـن أنّ القارئ العادى سينال حظه أيضًا من هذا التيـسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظـر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم التزام المفسِّر بالتـرتيب المصحفىّ لما يتناوله من الآيات فى ثنايا تفسيـره المختلفة؛ إنما يعد من جملة (المآخذ الشكلـيّة) التى تُحْسَبُ عليه فى منهجـه التفسيرىّ ، وهو ذات مـا وقع فيه صاحبنا الشنقيطى .

الملاحظة الثانية

ما لم يفسّره من الآيات

إن الناظر فى تفسيـر الشنقيطى يلحظ من الوهلة الأولى أنه لا يتناول جمـيع ما يَمُرُّ به من الآيات بالتفـسير ؛ ويشهـد لذلك ما قمنا به من إحـصاء فعلىّ للآيات التى فَسَّرَها فى الجزء الرابع من التـفسير ، والذى يضم بدوره أربع سـور هى : (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) وذلك بقصد تحديد نسبة ما فَسَّره الشنقيطى إلى ما لم يفسره من آيات هذه السور .

وقبل أن نشرع فى إجراء هذا الإحـصاء فإنه يجدر بنا أن نشير إلى أن اختـيارنا قد وقع على هذا الجزء الرابع من التفسير نظرًا لأنه الجزء الوحيد من أجزاء التفسير السبعة الذى فسّر الشنقيطى آياته مقرونة بأرقامها فى سورها ؛ الأمر الذى كان سـببًا فى تيسير عملية الإحصاء المنشودة ، والتى تتضح من خلال الجدول التالى :

الســورة	عدد آياتها	عدد ما فَسَّرَه	النسبة ٪
الكهف	١١٠	٦٤	٥٨ ٪
مريم	٩٨	٧٥	٧٧ ٪
طه	١٣٥	٦٦	٤٩ ٪
الأنبياء	١١٢	٦٤	٥٧ ٪

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦١١ .

وبالنظر إلى هذا الجدول الإحصائى فإنه يتبيّن لنا أن الشنقيطىّ قد فسَّر من آيات هذه السور ما تتراوح نسبته التقريبية ما بين النصف إلى الثلاثة أرباع ؛ وهو ما يؤكد أنه لا يفسّر جميع ما يَمُرُّ به من آيات السورة ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم بقوله : وعليه ؛ فإنه ينبغى أنْ يُعْلَمَ أن (أضواء البيان) ليس تفسيرًا شاملاً لجميع آى القرآن كما يظنه البعض ويتطلب فيه تفسير كلٍّ ما أُشْكِلَ عليه[1] .

الملاحظة الثالثة

ما يتوقف عن تفسيره من الآيات

يمتنع الشنقيطى أحيانًا عن تفسير بعض الآيات مُعَلِّلاً لذلك بأنه لم يجد ما يماثلها فى المعنى أو ما يُوَضِّحُها من آيات القرآن الأخرى ؛ ويشهد لذلك ما صنعه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الآية[2] حيث نراه يسوق قولين للعلماء فى وصف السماء وحالتها يوم القيامة ، أما أولهما : فوصفها بحُمْرَةِ لَوْنِهَا الذى يشبه لون الجِلْد الأحمر ، وأما ثانيهما : فوصفها بحالة الذوبان والميوعة التى تشبه الدُّهن الذائب المائع .

وهنا يَرُدُّ الشنقيطى القول الأول مُعَلِّلاً ذلك بأنه لا يَعْلَمُ من آيات القرآن ما يشهد لهذا الوصف حيث يقول ما نصه : أما على القول الأول فلا نعلم آية من كتاب الله تعالى تبيّن هذه الآية على أن السماء ستحمرّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجِلْد الأحمر[3] .

وحَرِىَ بالذكر أنَّ تَوَقُّفَ الشنقيطى عن تفسير بعض الآيات لذات العِلَّة أو لغيرها ، لم يقع منه فى تفسيره إلاّ نادرًا ، وأن ما استشهدنا به هنا هو من قبيل النادر الذى نقصده ، والذى نبَّه إليه ، ونصَّ عليه ، أما تلك الآيات التى تركها دون تفسير ؛ فهى مما يجرى على طريقته التى تقضى بعدم تعرضه للآيات التى لا تحتاج إلى تفسير ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها .

ومن ثم ؛ فإنه لا يَعْرِض لتفسير مثل هذه الآيات دون أن يُنَبِّهَ إلى ذلك أو يَنُصَّ عليه ، مثل صنيعه فى الآية المذكورة هنا حيث نبَّه إلى عدم تفسيره لها ونصّ عليه ، مُعَلِّلاً ذلك بأنه لا يعلم آية من كتاب الله تعالى تبيّن أن السماء ستحمرّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجِلْد الأحمر .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٨/ ٥ (الجزء الأول من التتمة) .
(٢) الرحمن : ٣٧ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧٥١ .

ومن تلك الآيات التى تركها الشنقيطى دون أن يَعْرِض لتفسيرها ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها ، نذكر جملة الآيات التالية تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى تشمل كلا من :

١ - قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ الآية[1] حيث ترك الشنقيطى تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية[3] .

٢ - قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٦)﴾ الآيات[4] حيث ترك الشنقيطى تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[6] .

٣ - قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الآية[7] حيث ترك الشنقيطى تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية[9] .

الملاحظة الرابعة

ظاهرة الإحالة

توشك الإحالة أن تشكل (ظاهرة بارزة) فى منهج الشنقيطى فى تفسيره لـ (القرآن بالقرآن) وقد بَدَا هذا واضحًا من خلال كثرة هذه الإحالات التى وقعت منه فى تفسيره ، ثم أثر هذه الإحالات التى انعكس على ثنايا تفسيره المختلفة ، وهذا ما نَعْرِض له فيمايلى :

---

(١) البقرة : ٣ . (٢) البقرة : ٢ .
(٣) البقرة : ٣ - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/١٠٧ .
(٤) البقرة : ٤ - ٦ (ثلاث آيات) . (٥) البقرة : ٣ .
(٦) البقرة : ٧ - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/١٠٧ - ١٠٩ .
(٧) المجادلة : ١٨ . (٨) المجادلة : ١٧ .
(٩) المجادلة : ١- وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٨٢٢ - ٨٢٧ .

أ - كثرة هذه الإحالات :

أكثر الشنقيطى من الإحالات فى تفسيره للقرآن بالقرآن ، وذلك فى تفسيره عامة ، وفى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصة[1] .

وقد تنازعت هذه الإحالاتِ الكثيرةَ حالتان أمّا أولاهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير بعض الآيات ، وأمّا ثانيتهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير معظم الآيات ، وذلك على النحو التالى :

١ - إحالات بمنزلة بعض الآيات :

ومن الأمثلة التى تقوم شاهداً على ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لأربع آيات متتالية من سورة (الفرقان) حيث تَمَثَّلَ تفسيره لها فى إحالاته فقط والتى استغرقت صفحة كاملة من تفسيره على النحو التالى :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ الآية[2] نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لأول سورتىْ الأعراف والكهف ، ويقصد بذلك كلاً من قول الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ الآيات[4] .

وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ الآية[5] نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية[6] .

وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ الآية[7] نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الآية[8] ثم يكمل بقيّة

---

(١) حيث يبلغ مجموع السور التى يشتمل عليها هذان الجزآن خمسًا وثلاثين سورة ، موزعة بين أربعَ عشرةَ سورة يضمها الجزء السادس تبدأ بـ (النور) وتنتهى بـ (الصافّات) وإحدى وعشرين سورة يضمها الجزء السابع تبدأ بـ (صٓ) وتنتهى بـ (المجادَلة) - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى (الجزء السادس) من (١) إلى (٧٣٢) - و(الجزء السابع) : من (١) إلى (٨٨٠) .

(٢) الفرقان : ٥٦ .

(٣) الأعراف : ٢ .

(٤) الكهف : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .

(٥) الفرقان : ٥٧ .

(٦) هود : ٢٩ .

(٧) الفرقان : ٥٨ .

(٨) الفاتحة : ٧ .

الآية فى قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ فيُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾(١) .

وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية(٢) نره يحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية(٣) .

٢ - إحالات بمنزلة معظم الآيات :

وأحيانًا تستغرق إحالات الشنقيطى معظم آيات السورة التى يتناولها بالتفسير ؛ إلى الحد الذى توشك أن تقوم معه تلك الإحالات مقام تفسيره للسورة كلها ، ومن الأمثلة التى تقوم شاهدًا على ذلك نذكر ما يلى تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

- ففى سورة (صٓ) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير ثمانىَ وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ست عشرة إحالةً ، أى ما يزيد على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة(٤) .

- وفى سورة (الزمر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير إحدى وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها أربعَ عشرةَ إحالة ، أى ما يزيد كذلك على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة(٥) .

- وفى سورة (غافِر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير أربعًا وأربعين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ثمانىَ وعشرين إحالة ، أى ما يزيد أيضًا على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة(٦) .

وهكذا يبدو تفسير هذه السور الثلاث (صٓ - الزمر - غافِر) وكأنه إحالة كله أو معظمه ، خاصّة وأن ما تبقى من آياتها إنما يسلك فيه الشنقيطى سبيل التماثل أو الإيضاح السابق ذكرهما .

---

(١) الإسراء : ١٧ . (٢) الفرقان : ٥٩ .
(٣) الأعراف : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/ ٣٤٤ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٥ - ٣٨ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤١ - ٦٦ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٦٩ - ١٠١ .

ب - أثر هذه الإحالات :

انعكس أثر الإحالات الكثيرة بصورة واضحة جليّة على تفسير الشنقيطى عامّة ، وعلى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصّة ؛ وقد تمثل أثر هذه الظاهرة فى (اقتصاد واختصارِ) الشنقيطى لِسُوَر هذين الجزأين اللذين يَضُمَّان خمسًا وثلاثين سورة ، وذلك على النحو التالى :

- ففى الجزء السادس :

بلغ عدد السور التى يضمها أربعَ عشرةَ سورة ، غير أن الشنقيطى قد اقتصد فى تفسير عشر سور منها شملت كلاً من : (الشعراء - القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - سبأ - فاطر - يسٓ - الصافّات)[1].

- وفى الجزء السابع :

بلغ عدد السور التى يضمها إحدى وعشرين سورة ، غير أن الشنقيطى قد اقتصد فى تفسير سبع سور منها شملت كلاً من : (صٓ - الدخان - الفتح - قٓ - الطور - القمر - الحديد)[2] .

وهكذا يصل مجموع السور التى اقتصد الشنقيطى فى تفسيرها إلى سبعَ عشرةَ سورة ، وهو ما يعادل تقريبًا نصف السور التى يضمها هذان الجزآن معًا .

- وفى فهرس الجزء السابع :

لا يخفى على الناظر فى فهرس هذا الجزء الأخير من التفسير أثر ظاهرة الإحالات الكثيرة التى يشير إليها وينص عليها الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى الأول ، وواضع فهارس التفسير فى حياة شيخه وبعلمه .

ومن آثار هذه الإحالات الكثيرة نذكر بعض الأمثلة التالية تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

١ - قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الآية[3] والآيات المُوَضِّحَة لذلك ، وقد تقدّم البحث فى سورة المائدة عند الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الآية[4] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ١ - ٧٣٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ١ - ٨٨٠ .

(٣) الزمر : ٣ .

(٤) المائدة : ٣٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٨٣٠ (من الفهرس) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الآية[١] والإيضاح على ما يماثل ذلك فى سورة (يسٓ)[٢] .

٣ - قول الله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ الآية[٣] مع بيان الإنذار ، والإحالة على بيانه السابق وأنواعه فى (الأعراف)[٤] .

٤ - قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ الآية[٥] إعرابه وبيان معناه ، وبيان قُرْب قيام الساعة ، وأدلة ذلك من القرآن ، والتحويل عليه فى أول سورة (النحل)[٦] .

٥ - قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ الآية[٧] والآيات الموضحة لها ، والإحالة على أمثالها مراراً[٨] .

٦ - قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ الآيتان[٩] والآيات المُوَضِّحة لهما ، مع الإحالة على مثلهما كثيراً[١٠] .

٧ - قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية[١١] مع الإحالة على إيضاح ذلك فى سورة (الروم) وغيرها[١٢] .

الملاحظة الخامسة

الجمع بين الطرائق

تَنَازَعَتْ منهجَ الشنقيطيِّ فى تفسير القرآن بالقرآن طرائقُ أربعة تمثلت فى كل من : (التماثل - الإيضاح - الإحالة - التكرار) وقد سبق لنا تفصيل القول فى كل منها على

---

(١) غافر : ٦ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٣ (من الفهرس) .
(٣) غافر : ١٨ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٤ (من الفهرس) .
(٥) غافر : ١٨ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٤ (من الفهرس) .
(٧) غافر : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٤ (من الفهرس) .
(٩) غافر : ٤٧ - ٤٨ (آيتان) .
(١٠) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٦ (من الفهرس) .
(١١) غافر : ٨٢ .
(١٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٧ (من الفهرس) .

حدَة ، وذلك من حيث استخدام الشنقيطى لهـا ، وشواهده عليها ؛ ومع ذلك فـقد يلجأ الشنقيطى أحيانًا إلى الجـمع بين هذه الطرق فى مَعْرِض تفسيره للقـرآن بالقرآن، غير أنّ أبرز هذه الطرق من حيـث جمعـه بينهـا فإنه يتـمثل فـى كـل من : (التماثل مع الإحالة) ثم (الإيضاح مع الإحالة) وذلك كما يلى :

أ - الجمع بين التماثل والإحالة :

وذلك فـى مَـعْـرِض تفسيـره لقول الله تعـالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ حتى قـوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الآيتان[(١)] .

حيث يبـدأ الشنقيطى أولاً بـ (التمـاثل) من خلال ذكره الآيات المماثلة لمعنى هذه الآية فيقول : وما ذكره الله تعالى هنا من الأمر بالتقـوى ، ذكره فى مواضع كثيرة جدًا من كتابه كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ الآية[(٢)] والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا[(٣)] .

ثم يتبع الشنقيطى هذا (التماثل) بـ (الإحالة) على ما سبق أن تناوله من قَبْل فى مواضع أخرى من تفسيره فـيما يتعلق بمعنى تقوى الله تعالى حيث يقول مـا نصه : وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ قد أوضحنا فيما مضى مـعنى التقوى بشواهده العربية ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا[(٤)] .

ب - الجمع بين الإيضاح والإحالة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ الآيتان[(٥)] .

حيث يبـدأ الشنقيطى أولاً بـ (الإيـضاح) من خلال ذكـره الآيات التى تُوَضِّح أن خَلْق النوعين الذكر والأنثى إنما يُستدل به على قدرة الله سبحانه على بَعْث خَلْقه ، كما يُستدل به على أنّ الله سبـحانه لم يخلق الإنسان إلاّ للتكـليف والجزاء ؛ ومن ثم يقول الشنقـيطى ما نصه : وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الاسـتدلال بخَلْق النوعين أعنى الذكر والأنثى من النطفة ، قد جاء مُوَضَّحاً فى غـير هذا الموضع ، وأنه يُستدل به على أمرين هما : قدرة الله على البعث ، وأنه ما خلق الإنسان إلاّ ليكلفه ويجازيه .

(١) الحج : ١ - ٢ (ايتان) .
(٢) النساء : ١ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٥ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٦ .
(٥) النجم : ٤٥ - ٤٦ (آيتان) .

وقد جمع كلا الأمرين قول الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾ الآيات[١] فذكر دلالة ذلك على البَعْث فى قوله تـعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ وذكر أنه مـا خلقه ليـهمله من التكليف والجـزاء ، مُنْكرًا على مَنْ ظَنَّ ذلك بقوله تـعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى مُهْمَلاً من التكليف والجزاء[٢] .

ثم يتـبع الشنقيطـى هذا (الإيضاح) بـ (الإحـالة) على مـا سبق أن تناوله من قـبل فى مواضع أخرى من تفسيره حيث يقول ما نصه : وقد قدّمنا بعض الكلام على هذا فى سورة (الفرقان) عند الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الآية[٣] .

* * *

•• وبعـــد :

فإنه يتضح لنا مما سبق أن تفسير (القرآن بالقرآن) إنما يُعَدُّ الأساسَ الأول الذى يقوم عليه بناء منهج الشنقيطىّ فى التفـسير ، من حيث اعتماده عليه ، ورجـوعه إليه ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يَعْرِضُ له من تفسير ؛ ومن ثم فقد اقتضتنا الضرورة المنهجيّة أن نفصّل القول فى هذا الصدد نظرًا لما فى ذلك ما فيه من (الأولويّة والأهميّة) .

---

(١) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (خمس آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ .

(٣) الفرقان : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ .

المبحث الثانى

تفسير القرآن بالسُّنة

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملىّ .

٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول

التقعيـــد النظـــرى

وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : اتفاق أغلـب العلماء .

٢ - المسألة الثانيـة : موقـف الشنقيطى .

ونعنى بــه موقف الشنقيطىّ من تفـسير القرآن بالسُّنَّة من حيث كونهـا الخطوة الثانية ، والمرحـلة التـالية، بعد تفـسير القـرآن بالقرآن ، وهذا مـا نَعْرِض له مـــن خـلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

اتفاق أغلب العلماء

يذهب أغلب المفسرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ، على أن أعظم وأجلّ ما يُفَسَّرُ به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو سُنة رسول الله ﷺ ومن ثم فقد نصّوا على أن تفسير القرآن بالسُّنَّة إنما يعد المصـدر الثانى للتفسـير ؛ ولذا فقد كـان (من القواعد المتفق عليـها بين أهل العلم أن يفسّر القرآن بكل من القرآن والسُّنة)[1] .

- **موقف الشنقيطىّ:**

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقـفًا واضحًا ليوافق به إجـماع أغلب العلماء على أن ثانى ما يجب أن يفسَّر به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو السُّنة المطهرة ؛ وذلك لما يراه من منزلة السنة ، وأهميـة موقعهـا من القرآن ؛ من حيث كـونها شارحة لما خـفى من معناه ، ومُوَضِّحة لما أُشْكِلَ من فهمه .

الأمر الذى لا يمكن معه الاستغنـاءُ عن السُّنة بالقرآن ؛ بل ويبيّن فى الوقت ذاته سقوطَ دعوى مَنْ يقولون به ، فَيُـبْطِلُ مذهبهم ، ويَدْحَضُ افتراءهم ، من أمثـال طائفة (القرآنيين) ومَنْ شَايَعَهُم[2] ولقد دلّل الشنقيطى على مـوقفه هذا واحتج له فى مقدمة تفسـيره ، فضلاً عن تصريحه به فى غير موضع من ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

١ - فى مقدمة التفسير :

حيث يقول الشنقيطى ما نصــه : واعلم أن مما التزمنا فى هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مبيِّنٌ من القرآن غـير واف بالمقصود من تمام البيان ؛ فإننا نتـمم البيان من السُّنَّة مـن حيث إنها تفسير للمـُبيَّن ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ الآيــة[3] فقـد أشـار سبـحانه إلى أوقـاتها فى قولـه تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ

(١) منزلة السُّنة فى الإسلام : محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٢ .

(٢) انظـر ردّنا على هذه الطائفـة بأدلتنا مـــن القرآن والسُّنة تحت عنـــوان : (ضـلال طائفـة القرآنيين) ص من هذا البحث .

(٣) النساء : ١٠٣ .

الشَّمْسِ ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الآية[3] على ما ذكره جَمْعٌ من العلماء من أنها أوقات الصلاة .

وكقول الله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الآية[4] على القول بأنها فى الزكاة وأنها غير منسوخة ؛ فإنها تشير لها آيات الزكاة كقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ الآية[6] .

وكقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية[7] فإن القرآن قد زيد فيه على هذا الحصر تحريم الخمر ؛ ومن ثم فإنا نبيّن ما زاده ﷺ بالسُّنة الصحيحة .

فمثل هذه المسائل بنيّنها بيانًا تامًا بالسُّنَّة تبعًا للبيان القرآن[8] .

٢ - فى ثنايا التفسير :

لا يفتأ الشنقيطى أن يكرر إشارته إلى ما ضَمَّنَه مقدمة تفسيره ، حيث يؤكد ذلك فى غير موضع من ثنايا تفسيره المختلفة قائلاً ما نصه :

أ - وقد قدمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنّ الآية إنْ كان لها بيان فى كتاب الله غير وافٍ بالمقصود ؛ فإننا نتمم ذلك البيان من السُّنة ، فَنُبيِّن الكتاب بالسُّنة من حيث إنها بيانٌ للقرآن المبيِّن[9] .

ب - اعلم أن الآية قد يكون لها بيان من الكتاب قد أوضحته السُّنة ؛ فصار بضميمة السُّنة إلى القرآن بيانًا وافيًا بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية[10] .

(١) الإسراء : ٧٨ . (٢) هود : ١١٤ .
(٣) الروم : ١٧ . (٤) الأنعام : ١٤١ .
(٥) البقرة : الآيات (٤٣-٨٣-١١٠-١٧٧-٢٧٧) - وقد تكررت هذه الآية بلفظ (آتى) ومشتقاته ثنتين وثلاثين مرة من خلال تسعَ عشرةَ سورة بما فى ذلك المواضع الخمسة المشار إليها هنا فى سورة البقرة .
(٦) البقرة : ٢٦٧ . (٧) الأنعام : ١٤٥ .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٩١ (من المقدمة) .
(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ١٩٤ .
(١٠) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ١٨١ .

جـ - وأخيراً يؤكـد الشنقيطى هذا الأصل بهذه الجملة الصـريحة الموجزة فيقول : وخـير ما يُفَسَّرُ به القرآن هو كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ[1] .

* * *

•• وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفـسير القرآن بالسُّنة يأتى فى المرتبة الثانية عند الشنقيـطى بعد تفسير القـرآن بالقـرآن ذاته ؛ وليوافـق بذلك ما انعـقد عليـه رأى أغلب المحـققين مـن العلمـاء المعتبرين ؛ وهذا ما يبدو مـترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه الـعملىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٦٥-٥/ ٤٩٢ (موضعان) .

المطلب الثانى

التطبيق العملىّ

وينتظم الطريقتين التاليتين :

١ - الطريقة الأولى : الجمع بين القرآن والسُّنَّة .

٢ - الطريقة الثانية : الاكتفاء بالسُّنَّة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والذى يُجَسِّدُ من خلاله تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ؛ وقد تمثل هذا السلوك الفعلىّ فى جملةٍ من الشواهد التى نَعْرِض لها بالتفصيل من خلال الطريقتين التاليتين :

الطريقة الأولى

الجمع بين القرآن والسنّة

ولا يلجأ الشنقيطى إلى هذا الجمع بين القرآن والسُّنة فى تفسير الآية التى هو بصددها إلا فى حالتين اثنتين :

أ - لإكمال الدلالة :

وذلك حينما يرى أن القرآن غير وافٍ بالمقصود من تفسير الآية التى هو بصددها ؛ وعندئذ يَعْمَد إلى تفسيرها بالسُّنة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إكمال دلالتها ، وإيفاء معناها ، على النحو الذى يريده، والوجه الذى يذهب إليه .

وفيما يلى نكتفى بذكر المثال التالى تنبيهًا به على غيره كشاهدٍ على منهج الشنقيطى فى جمعه بين القرآن والسُّنة لتفسير الآية التى هو بصددها ؛ وقد اكتفينا بهذا المثال دون غيره نظرًا لأنه من أوضح الأمثلة وأتمها إزاء ما نحن بصدده ؛ ومن ثم فسوف نورده بطوله وتمامه على النحو الذى أورده به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى:

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان[1] نراه يقول ما نصه : اعلم أولاً أنا قد قدّمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفى بإيضاح المقصود ، وقد بيّنه النبىّ ﷺ فإنا نُتَمِّم بيانه بذكر السُّنة المبيِّنة له ، فإذا عَلِمْتَ ذلك ؛ فاعلم أن هاتين الآيتين الكريمتين لهما بيان من الكتاب أوضحته السُّنة ؛ فصار بضميمة السُّنة إلى القرآن بيانًا وافيًا بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية[2] .

(١) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) .

(٢) النحل : ٤٤ .

فإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن هذه الآية الكريمة(١) وآية الأنبياء(٢) قد دلّتا فى الجملة على أنّ السَّدَّ الذى بناه (ذو القرنين) دون (يأجوج ومأجوج) إنما يجعله الله دكًّا عند مجىء الوقت الموعود بذلك فيه ؛ وقد دلّتا على أنه بقُرْب يوم القيامة ؛ لأنه قال تعالى هنا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان(٣) .

وأظهر الأقوال فى الجملة المُقَدَّرَة التى عَوَّضَ عنها التنوين فى «يَوْمَئِذٍ» من قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ أنه (يوم إذا) جاء وعد ربى بخروجهم وانتشارهم فى الأرض ، ولا ينبغى العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم .

وآية الأنبياء المشار إليها هى قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيتان(٤) لأن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ وإتباعه ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يدل فى الجملة على ما ذكرنا فى تفسير آية الكهف التى نحن بصددها ، وذلك يدل على بطلان قول مَنْ قال : إنها (روسيّة) وإنّ السَّدَّ فُتِحَ منذ زمان طويل .

فإذا قيل : إنما تدل الآيات المذكورة فى (الكهف) و (الأنبياء) على مطلق اقتراب يوم القيامة من دك السَّدِّ واقترابه من يوم القيامة ، لا ينافى كونه قد وقع بالفعل كما قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الآية(٥) وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ الآية(٦) كما قال النبىّ ﷺ : «ويل للعرب من شر قد اقترب ؛ فُتِحَ اليومَ من رَدْم يأجوج ومأجوج مِثْلُ هذه ، وحلّقَ بأصبعيه : الإبهام والتى تليها» الحديث(٧) وقد

(١) ويقصد بذلك آيتىّ الكهف السابقتين .

(٢) ويقصد بذلك قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الأنبياء : ٩٦-٩٧ (آيتان) .

(٣) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) . (٤) الأنبياء : ٩٦-٩٧ (آيتان) .

(٥) الأنبياء : ١ . (٦) القمر : ١ .

(٧) أخرجه البخارى فى أربعة مواضع من صحيحه - انظر فى ذلك (فتح البارى) على النحو التالى :
(كتاب ٦٠) الأنبياء (باب ٧) قصة يأجوج ومأجوج - ٦/٣٨١ حديث رقم (٣٣٤٦) - ثم (كتاب ٦١) المناقب (باب ٢٥) علامات النبوة فى الإسلام - ٦/٦١١ حديث رقم (٣٥٩٨) - ثم (كتاب ٩٢) الفتن (باب ٤) قول النبى ﷺ : «ويل للعرب من شر قد اقترب» - ١٣/١١ حديث رقم (٧٠٥٩) - ثم (كتاب ٩٢) الفتن (باب ٢٨) يأجوج ومأجوج - ١٣/١٠٦ حديث رقم (٧١٣٥) - (طبع السلفية) .
=

قدَّمناه فى سورة المائدة[1] .

فقد دَلَّ القرآن والسُّنَّة الصحيحة على أن اقتراب ما ذُكِرَ لا يستلزم اقترانه به ، بل يصحّ اقترابه مع مُهْلَة ؛ وإذًا فلا ينافى دَكّ السَّدِّ الماضى المزعوم الاقتراب من يوم القيامة ؛ ومن ثم فلا يكون فى الآيات المذكورة دليل على أنه لم يُدَكّ السَّدُّ حتى الآن ، فالجواب هو ما قدمنا من أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيًا بتمام الإيضاح إلاّ بضميمة السُّنَّة له ؛ ولذلك فقد ذكرنا أننا نتمم مثله من السُّنَّة لأنها مبيِّنة للقرآن .

قال مسلم بن الحجّاج رحمه الله فى (صحيحه) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنى يحيى بن جابر الطائى (قاضى حِمْص) حدثنى عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمىّ : أنه سمع النواس بن سمعان الكلابىّ (ح) .

وحدثنى محمد بن مهران الرازى (واللفظ له) حدثنى الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائىّ ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه جبير بن نفير ، عن النَّوَّاس بن سَمْعَان قال :

«ذكر رسول الله ﷺ الدَّجال ذاتَ غداةٍ ، فَخَفَضَ فيه ورَفَعَ حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فينا ؛ فقال : ما شأنكم ؟! قلنا : يا رسول الله ذكرتَ الدّجال غداة فخفضتَ فيه ورفعتَ حتى ظنناه فى طائفة النخل ! فقال : غير الدّجال أَخْوَفُنِى عليكم ! إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم .

= وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراط الساعة (باب ١) اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج - ٤/٢٢٠٧ حديث رقم (٢٨٨٠) - (طبع الحلبى) - كما أخرجه أحمد فى مسنده : ٦/٤٢٨ حديث رقم (٢٧٤٥٣) - ٦/٤٢٨ حديث رقم (٢٧٤٥٤) - ٦/٤٢٩ حديث رقم (٢٧٤٥٦) - (طبع قرطبة) .

● ويلاحظ أن كل مواضع التخريج المذكورة هنا تبدأ بـ : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب» ما عدا الحديث رقم (٢٧٤٥٦) فى (مسند أحمد) فيبدأ بـ : «ويل للعرب» .

(١) حيث أورد الحديث المذكور فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة : ١٠٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/١٦٩ .

إنه شاب قَطَطٌ[١] عينه طَافِئَةٌ[٢] كأنى أشبهه بـ (عبد العُزّى بن قطن) فمَنْ أدركه منكم فليقرأ عليه (فواتح سورة الكهف) إنه خارجٌ خلَّةً[٣] بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا وعاث شمالاً ، يا عبادَ الله فاثبتوا .

قلنا : يا رسول الله ، وما لُبْثُه فى الأرض ؟ قال : أربعون يومًا ، يوم كَسَنَة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم[٤] قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كَسَنَة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله ، وما إسْرَاعُه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استَدْبَرَتْه الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ؛ فيأمر السماءَ فَتُمْطِر ، والأرضَ فتُنْبِت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرًا ، وأسبغه ضروعًا ، وأمدّه خَوَاصِر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله ؛ فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين[٥] ليس بأيديهم شىء من أموالهم ، ويَمُرُّ بالخَرِبَة[٦] فيقول لها : أخرجى كنوزَكِ ، فتتبعه كنوزها كيَعَاسيب النَّحْل[٧] ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمْيَةَ الغَرَض[٨] ثم يدعوه فيقبل ويتهلل ووجهه يضحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق

---

(١) قَطَطٌ : أى ذو شَعْر جَعْد متموِّج قصير بما يشبه شَعْر الزنوج ، ومنه قولهم : (رَجُلٌ قَطٌّ وقَطَطٌ والجمع أقْطَاطٌ وقطَاطٌ وقَطُّونَ وقَطَطُونَ) وكذا قولهم : (امرأة قَطَّةٌ وقَطَطٌ والجمع قَطَطَاتٌ) - انظر مادة (قَطَط) فى كل من لسان العرب : ٥/ ٣٥٧١ - المعجم الوسيط : ٢/ ٧٧٣ .

(٢) طَافِئَة : أى خامدة لا بريق لها ، وناتئة بارزة فوق وجهه بما يشبه الشىءَ الطافى فوق سطح الماء - انظر مادة (طَفَا) فى كل من لسان العرب : ٤/ ٢٦٨٤ - المعجم الوسيط : ٢/ ٥٨٠ .

(٣) خُلَّة : أى الأرض المملوءة بـ (الشَّوْك) وهى مَرْعَى للإبل التى يقال لها : (إبلُ الخُلَّة) حتى إذا ما مَلَّتْ هذا الطعام من الشوك ؛ تم تحويلها إلى أرضٍ أخرى ذات نباتٍ وشجرٍ لترعى فيها - انظر مادة (خَلَل) فى كل من لسان العرب : ٢/١٢٤٨ - المعجم الوسيط : ١/ ٢٦١ .

(٤) ويُسْتَنْبَطُ من هذا الحديث أنّ مدة مُكْث الدّجال فى الأرض تصل فى جملتها إلى ما يقرب من أربعمائة وأربعين يومًا بحساب أيامنا الآن .

(٥) مُمْحِلين من المَحْل : وهو القَحْطُ والشِّدَّة والجوع الشديد ، والجمع : (أمْحَال ومُحُول) - انظر مادة (مَحَلَ) فى لسان العرب) : ٥/ ٤١٤٧ .

(٦) الخَرِبَة : موضع الهَدْم والخَرَاب وهو ضد البناء والعمران ، والجمع : (خَرِبَاتٌ) رانظر مادة (خَرِب) فى لسان العرب : ٢/ ١١٢١ .

(٧) يَعَاسيب النَّحْل : جمع (يَعْسُوب) وهو ذَكَرُ النحل وأميرها الذى تجتمع حوله إناث النحل وغيرها - انظر مادة (عَسَب) فى لسان العرب : ٤/ ٢٩٣٥ .

(٨) رَمْيَة الغَرَض : أى كرمية الصياد التى يصيب بها هدفه - انظر مادة (رَمى) فى لسان العرب : ٣/ ١٧٣٩ .

بين مَهْرُودَتَيْنِ(١) واضعًا كفيْه على أجنحة مَلَكَين ، إذا طأطأ رأسه قَطَر ، وإذا رفعه تحدّر منه جُمَان كاللؤلؤ(٢) فلا يَحِلُّ لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهى حيث ينتهى طَرْفُه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ(٣) فيقتله ، ثم يأتى عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه ؛ فيمسح عن وجوههم ، ويحدِّثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إنى قد أخرجت عبادًا لايَدَانِ لأحدٍ بقتالهم ؛ فَحَرِّزْ عبادى إلى الطُّور .

ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حَدَبٍ ينسلون ، فيمرّ أوائلهم على بُحَيْرَة (طَبَرِيَّة) فيشربون ما فيها ، ويمرّ آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مَرَّةً ماء ، ويُحْصَرُ نبىُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم .

فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله عليهم النَّغَفَ(٤) فى رقابهم ؛ فيصبحون فَرْسَى(٥) كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهُمْ(٦) ونَتَنُهُم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت(٧) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا لا يكون منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ(٨) فيغسل الأرض حتى يتركها

---

(١) مَهْرُودَتَيْن : أى فى ثوبين مصبوغين باللون الأصفر كلون الزعفران وما شابهه - انظر مادة (هَرَدَ) فى لسان العرب : ٤٦٤٨/٦ .

(٢) جُمَان : جمع (جُمَانة) وهى الحَبَّة التى تصنع من الفضة على شكل اللؤلؤ ، وقد شُبِّهَتْ بها حَبَّاتُ عَرَق النبى ﷺ - انظر مادة (جَمَن) فى لسان العرب : ٦٨٩/١ .

(٣) (لُدّ) و (اللُّدّ) : اسم رَمْلَة بالشام، وقيل بفلسطين - انظر مادة (لَدَد) فى لسان العرب: ٤٠١٩/٥ .

(٤) النَّغَف : الدُّود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم ، وهى جمع (نَغَفَة) - انظر مادة (نَغَف) فى لسان العرب : ٤٤٨٩/٦ .

(٥) فَرْسَى : أى قَتْلَى ، وهى جمع (فَرِيس) كقتيل ، ومنه قولهم : (فَرَسَ الذئبُ الشاةَ وافترسها) إذا قتلها ، والأصل فيه قولهم : (فَرَسَ الذبيحةَ يَفْرِسُها فَرْسًا) إذا قطع نخاعها وفَصَلَ عُنُقَها ، و (الفَرْس) دَقُّ العُنُق ، ثم كَثُرَ حتى جُعِلَ كُلُّ قتلٍ فَرْسًا - انظر مادة (فَرَس) فى لسان العرب : ٣٣٧٨/٥ .

(٦) زَهَمُهُمْ : من (الزُّهُومَة) وهى رائحة اللحم السَّمين المنتن ، والمعنى : أن الأرض سوف تُنْتِنُ من رائحة جِيَفِهم الكريهة المتغيِّرة - انظر مادة (زَهِم) فى لسان العرب : ١٨٨١/٣ .

(٧) البُخْت والبُخْتِيَّة : هى الإبل الخراسانية ، وقيل : إنها عربية ، وهى إبل طوال الأعناق ، الجَمَلُ الواحد منها (بُخْتِىّ) والناقة منها (بُخْتِيَّة) والجمع (بُخْتٌ وبَخَات) وقيل : (بَخَاتِىّ وبَخَاتِى وبَخَاتَى) - انظر مادة (بَخَت) فى لسان العرب : ٢١٩/١ .

(٨) مَدَر : أى قِطَعُ الطين اليابس ، وقيل : الطين العَلِك أى اللَّيِّن الذى لا رمل فيه ، وواحدته (مَدَرَة) - انظر مادة (مَدَر) فى لسان العرب : ٤١٥٩/٥ .

وَبَر : أى صوف الإبل والأرانب ونحوها ، وواحدته (وَبَرَة) والجمع (أَوْبَار) - انظر مادة (وَبَر) =

كالزَّلَفَة[1] ثم يقال للأرض: انبتى ثَمَرتَك ، ورُدِّى بَرَكَتَك ؛ فيومئـذ تأكل العِصَابَة مـن الرُّمَّانَة[2] ويستظلـون بقحْـفِهَا[3] ويُبَارَكُ فى الرِّسْلِ[4] حتى إنَّ اللِّقْـحَة[5] من الإبل لتكفى الفِئَام[6] من الناس، واللِّقْحَة من البقر لتكفى القَبِيلَة[7] من الناس ، واللِّقْحَة من الغنم لتكفى الفَخِذ[8] من الناس .

فبـينما هم كذلك إذ بعث الله ريحـاً طيبة فتـأخذهم تحت آباطهم ، فتـقبض رُوحَ كل

= فى لسان العرب : ٦/ ٤٧٥٢ .

والمعنى : أى جميع البُـيُوت ، سواء ما كان منها مـبنيًا من الطين اللَّيِّن والطوب اللَّبِن النَّيِّء فى الحَضَر والحَـضراء ، أو ما كان مصنوعًا منهـا من الصوف ونحوه على هيئة خـيام فى البادية والصحراء .

(١) الزَّلَفَة : أى أن المطر ينزل على الأرض فيجعل منها أغادير وممرات مملوءة بالماء ؛ فتصير الأرض كأنها مَصْنَعَةٌ من مصانع الماء ، فضلاً عن استوائها ونظافتـها كالمرآة ، وكذا نُضْرَتُهَا وخُضْرَتُهَا كالرَّوضة - انظر مادة (زَلَف) فى لسان العرب : ٣/ ١٨٥٣ .

(٢) العِصَابَة والعُصْبَة : الجماعة من الناس من عشرة إلى أربعين ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ يوسف: ١٤ - انظر مادة (عَصَبَ) فى لسان العرب : ٤/ ٢٩٦٣ .

الرُّمَّانَة : واحـدة (الرُّمَّـان) وهو حَمْلُ أو ثَمَـرُ شجرة معـروفة من الفواكـه ، ومـن ذلك قـول الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ الرحمن : ٦٨ - انظر مادة (رَمَـن) فى لسان العرب : ٣/ ١٧٣٩ .

والمعنى : أن البركة ستعم آنذاك إلى الحد الذى تكفى فيه الرُّمَّانة الواحدة العِصَابةَ الكثيرة من الناس .

(٣) بقحْفِهَا : أى بقشر شجـرة الرُّمَّان الذى يستظلون بظلّه ، وذلك تشبيهًـا له بِقِحْفِ الرأس الذى فوق الدِّمَاغ - انظر مادة (قَحَف) فى لسان العرب : ٥/ ٣٥٣٧ .

(٤) الرِّسْلُ : القطيع من كل شىء فى حدود عشرة من أفراده ، والجمع (أَرْسَال) - انظر مادة (رَسَل) فى لسان العرب : ٣/ ١٦٤٣ .

(٥) اللِّقْـحَةُ واللَّقْـحَةُ : الأنثى التى توشك أن تلد من النوق أو البـقر أو الغنم ، ثم الغـزيرة اللبن بعد الولادة ، ولا يزال ذلك اسمها حتى ينفصل عنها وليدها ، والجمع (لِقَحٌ ولِقَاح) - انظر مادة (لَقِح) فى لسان العرب : ٥/ ٤٠٥٧ .

(٦) الفِئَام : أى الجماعـة من الناس ، ولا واحد له من لفظه ، والعوام ينطقونه (فِـيَام) بلا همز - انظر مادة (فَأَم) فى لسان العرب : ٤/ ٣٣٣٦ .

(٧) القَبِيلة : هى الجماعة من أب واحد ، أو الجماعـة من قبائل العرب وغيرهم من سائر الناس - انظر مادة (قَبِل) فى لسان العرب : ٥/ ٣٥١٦ .

(٨) الفَخِذ: هم نَفَرُ الرجل من حَيِّـه الذين هم أقرب عشيرته إليه، والجمع (أَفْـخَاذ) والترتيب من الأقل إلى الأكثر هو: (الفَخِذ - البَطْن - العِمَارَة - الفَصِـيلَة - القَبِيلَة - الشَّعْب) - انظر مادة (فَخِذ) فى لسان العرب : ٥/ ٣٣٦٠ .

مؤمن وكل مسلم، ويبقى شِرَارُ الناسِ يَتَهَارَجُونَ فيها[1] تَهَارُجَ الحُمُرِ[2] فعليهم تقوم الساعة » انتهى بلفظه من (صحيح مسلم) رحمه الله تعالى .

وهذا الحديث الصحيح قد رأيتَ فيه تصريحَ النبى ﷺ بأن الله يوحى إلى عيسى بن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدّجال ؛ فمَنْ يدّعى أنهم (رُوسِيَّة) وأنّ السَّدَّ قد اندكَّ منذ زمان ؛ فهو مخالف لما أخبر به النبىّ ﷺ مخالفة صريحة لاوجه لها ؛ ولا شك أن كل خبر نَاقَضَ خبر الصادق المصدوق ﷺ فهو باطل ؛ لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم ، كما أنه لم يثبت فى كتاب الله ولا سُنة نبيه ﷺ شىء يعارض هذا الحديث الذى رأيتَ صحةَ سَنَدِهِ ، ووضوحَ دلالته على المقصود[3] .

ب - لإيضاح الدلالة :

وذلك حينما يرى الشنقيطى اشتراك كُلٍّ من القرآن والسُّنة فى ذات الدلالة على المقصود من الآية التى هو بصددها ؛ وعندئذ يَعْمَد إلى تفسيرها بالسُّنَّة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إيضاح دلالتها ، وإيفاء معناها ، على النحو الذى يريده ، ووَفْقَ الوجه الذى يذهب إليه ، على أنه لا يفتأ يشير من خلال ذلك إلى جمعه بين القرآن والسُّنة الصحيحة فى تفسيره للآية التى هو بصددها ، ومُعَلِّلاً لذلك بأن كلاً من القرآن والسُّنَّة يَدُلَّان معًا على المقصود منها فى مَحَل تفسيره لها.

وفيما يلى نكتفى بذكر المثال التالى تنبيهًا به على غيره كشاهدٍ على منهج الشنقيطى فى جمعه بين القرآن والسُّنة لإيضاح دلالة الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ، وقد اكتفينا بهذا المثال دون غيره نظرًا لأنه من أوضح الأمثلة وأتَمِّها إزاء ما نحن بصدده ؛ ومن ثم فسوف نورده بطوله وتمامه على النحو الذى أورده به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى:

---

(٧) يَتَهَارَجُون : أى يَكْثُرُون ويتخالطون ويُفْتَنُون فيتقاتلون ويتناكحون أو يَتَسَافَدُون كَتَنَاكُحِ وتَسَافُدِ البهائم – انظر مادة (هَرَجَ) فى لسان العرب : ٦/٤٦٤٧ .

(٨) الحُمُر : هى خير الإبل ، ومنه قولهم : (حُمْرُ النَّعَم) – و (تَهَارُج الحُمْر) أى كثرتها واختلاطها وتقاتلها وتناكحها أو تسافدها – و (الحُمْر) جمع (أَحْمَر) – انظر مادة (حَمِر) فى لسان العرب : ٢/٩٨٩ .

(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/١٨١-١٨٥ (خمس صفحات) – والحديث المذكور أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراط الساعة (باب ٢٠) ذكر الدّجال وصفته وما معه – ٤/ ٢٢٥٠ حديث رقم (٢٩٣٧) – (طبع الحلبى) – وقد أخرجه أحمد فى مسنده : ٤/ ١٨١ حديث رقم (١٧٦٦٦) – (طبع قرطبة) – كما أخرجه الترمذى فى سُننه (كتاب ٣٤) الفتن (باب ٥٨) ما جاء فى فتنة الدّجّال – ٤/ ٤٤٢ حديث رقم (٢٢٤٠) – (طبع العلمية) .

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية[١] نراه يقول ما نصه : واعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً فى هذه الآية قائلين : إنها تدل على أنه ينبغى التقشف والإقلال من التمتع بالمآكل والمشارب والملابس ونحو ذلك ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل فى عموم مَنْ يقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة فى ذلك ، كما يذكرون أحوال (أهل الصُّفَّة) وما لاقَوْهُ من شدة العيش .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : التحقيق إن شاء الله تعالى فى معنى هذه الآية هو أنها فى الكفار ، وليست فى المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التى أباحها الله لهم ؛ لأنه تعالى ما أباحها لهم ليُذْهِبَ بها حسناتهم ، وإنما قلنا : إن هذا هو التحقيق ؛ لأن الكتاب والسُّنة الصحيحة دَالَّانِ عليه ، والله تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية[٢] .

أما كون الآية فى الكفار فقد صرّح الله تعالى به فى قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية[٣] والقرآن والسُّنة الصحيحة قد دَلَّا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحًا مطابقًا للشرع ، مخلصًا فيه لله كالكافر الذى يَبَرُّ والديْه ، ويَصِلُ الرَّحِم ، ويُقْرِى الضيف ، ويُنَفِّسُ عن المكروب ، ويُعِين المظلوم ، يبتغى بذلك وجه الله ؛ يثاب بعمله فى دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية ، ونحو ذلك ، ولا نصيب له فى الآخرة .

ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآيتان[٤] وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الآية[٥] وقد قيَّد الله تعالى هذا الثواب الدنيوى المذكور فى الآيات بمشيئته وإرادته فى قوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ الآية[٦] .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله لا

(١) الأحقاف : ٢٠ .
(٢) النساء : ٥٩ .
(٣) الأحقاف : ٢٠ .
(٤) هود : ١٥-١٦ (آيتان) .
(٥) الشورى : ٢٠ .
(٦) الإسراء : ١٨ .

يظلم مؤمنًا حسنة يُعْطَى بها فى الدنيا ويُجْزَى بهـا فى الآخرة ، وأما الكافر فَيُطْعَمُ بحسناته ما عمل بها لله فى الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها» هذا لفظ مسلم فى (صحـيحه) الحديث[1] وفى لفظ له عن رسول الله ﷺ : «إن الكافـر إذا عمل حسنة أُطْعِمَ طُعْمَةً بها فى الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يدّخر له حسناته فى الآخرة ، ويَعْقُبُه رزقًا فى الدنيا على طاعته» الحديث[2] . فهذا الحديث الثابت عن النبى ﷺ فيه التصريح بأن الكافر يُجَازَى بحسـناته فى الدنيا فقط ، وأن المؤمن يُجَازَى بحسـناته فى الدنيا والآخرة معًا .

وبمقتـضى ذلك يتعيَّن تعـيينًا لا مَحِـيصَ عنه أن الذى أذهب طيبـاته واستمـتع بها هو الكافر ؛ لأنه لا يُجْزَى بحسناته إلاّ فى الدنيا خاصة ، وأما المؤمن الذى يُجْزَى بحسناته فى الدنيا والآخرة معًا ؛ فلم يُذْهِبْ طيبـاته في دنياه ، لأن حسناته مُدَّخَرَة له فى الآخرة مع أن الله يثيبه عليها فـى الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ الآيتان[3] فجعل المخرج من الضيق له ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ثوابًا فى الدنيا ، وليس يَنْقُصُ أجر تقواه فى الآخرة .

والآيات بمثل هذا كثيـرة معلومة ، وعلى كل حال فالله جلّ وعلا قـد أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات فى الحياة الدنيا ، وأجاز لهم التمتع بها ، ومع ذلك جعلها خاصة بهم فى الآخرة كمـا قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية[4] .

فدَلّ هــذا النـص القرآنـى على أن تمتع المؤمنين بالزينة والطـيبات من الرزق فى الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهـم بالتنعم بذلك يوم القيامة ، وهو صريح فى أنهم لم يُذْهِبُوا طيبـاتهم فى حياتهم الدنيـا ؛ ولا ينافى هذا أن مَنْ كان يعـانى شدة الفقـر فى الدنيا كـ : (أصحـاب الصُّفَّـة) يكون لهم أجر زائد على ذلك ؛ لأن المؤمنين يؤجـرون بما يصيـبهم فى الدنيا من المصائب والشدائد كما هو معلوم[5] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيـحه (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتـاب) صفة القيامة والجنة والنار (باب ١٣) جزاء المـؤمن بحسناته فى الدنيـا والآخرة ، وتعجـيل حسنات الكافـر فى الدنيا - ٤/ ٢١٦٢ حديث رقم (٢٨٠٨) - (طبع الحلبى) - كما أخرجـه أحمد فى مسنده : ٣/ ١٢٣ حديث رقم (١٢٢٥٩) - ٣/ ١٢٥ حــديث رقم (١٢٢٨٦) - ٣/ ٢٨٣ حــديث رقـم (١٤٠٥٠) - (طبع قرطبة) .

(٢) نفس تخريج مسلم فى الحديث السابق .

(٣) الطلاق : ٢-٣ (آيتان) .

(٤) الأعراف : ٣٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٩٣-٢٩٥ (ثلاث صفحات) .

الطريقة الثانية

الاكتفـــاء بالسنة

ولا يلجأ الشنقـيطى إلى الاكتفاء بالسُّـنة فى تفسير الآية التى هو بصـددها إلاّ عندما لا يكون لها مُبَيِّن من القرآن ذاته ؛ ومن ثم يَـعْمَد إلى السُّنة لبيان المراد من الآية ؛ وإزاء ذلك فإننا نراه بين أحد أمرين أولهما : تمهيده بين يدىْ الآية بالإشارة إلى تفـسيرها بالسُّنة ، وأما ثانيهما : فعـــدم تمهيـده لذلك ، بل شروعه مباشرة فى تفـسير الآية بالسُّنة ، وذلك على النحو التالى :

أ - تمهيده للتفسير بالسنة :

وذلك فى مَعْرِض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الآية[1] نراه يشير إلى أنه سَيُفَسِّر هذه الآية بما وردت به السُّنة فيقول ما نصه : ذكر الله جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمـة أنه آتى نبيه ﷺ سـبعًا من المثـانى والقرآن العظيم ، ولم يبيِّن هنا ما المـراد بذلك ؟ وقد قدّمنا فى ترجمة هذا الكتـاب المبارك أن الآية الكريمة إن كان لهـا بيان من كتاب الله غـير واف بالمقصود ؛ فـإننا نُتَمِّم ذلك البيـان من السُّنة ، فَنُبَيِّن الكتاب بالسُّنة من حيث إنها بيان للمُبَيَّن .

وإذا علمت ذلك ؛ فـاعلم أن النبىّ ﷺ قـد بَيَّنَ فى الحـديث الصحـيح أن المراد بـ (السَّبع المثـانى والقرآن العظيم) فى هذه الآية الكريمة هـو : (فاتحة الكتـاب) ففاتحـة الكتاب ليست مـبينة للمـراد بالسبع المثـانى والقرآن العظيم ؛ وإنما بينت ذلك بإيـضاح النبىّ ﷺ لذلك فى الحديث الصحيح :

قال البخـارىّ فى (صحيحه) فى تفـسير هذه الآية الكريمة : حدثنى محـمد بن بشار ، حدثنـا غندر ، حدثنا شـعبة عن حبيب بن عبد الرحـمن ، عن حفص بن عاصـم ، عن أبى سـعـيد بن المعلـى قال : مَـرَّ بى النبيُّ ﷺ وأنا أصلى ، فـدعانى فلم آتِهِ حـتى صلّيـت ، ثم أتيت ؛ فـقال : «مـا منعك أن تأتينى ؟» فقلت : كنت أصلى ، فـقال : «ألم يقل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية[2] ثم قال : «ألا أعلمك أعظم سـورة فى القرآن قبل أن أخـرج من المسجـد ؟» فذهب النبى ﷺ ليـخرج فَذَكَّرْتُه ؛ فقال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية[3] هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى

(١) الحِجْر : ٨٧ . (٢) الأنفال : ٢٤ . (٣) الفاتحة : ٢ .

أوتيته» الحديث[1] .

وحدثنا آدم ، حدثنا ابن أبى ذئب ، حدثنا سعيد المقبرىّ ، عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أُمّ القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم» الحديث[2] فهذا نص صحيح من النبى ﷺ فى أن المراد بـ (السبع المثانى والقرآن العظيم) : فاتحة الكتاب؛ وبه تعلم أن قول مَنْ قال : إنها (السبع الطوال) غير صحيح ؛ إذ لا كلام لأحد معه ﷺ .

ومما يدلّ على عدم صحة ذلك القول أن آية (الحِجْر) هذه مكية ، وأن (السبع الطوال ما أُنزلَتْ إلاّ بالمدينة ، والعلم عند الله تعالى .

وقيل لها : (مثانى) لأنها تُثَنَّى قراءتها فى الصلاة ، وقيل لها : (سبع) لأنها سبع آيات ، وقيل لها : (القرآن العظيم) لأنها هى أعظم سورة فى القرآن ؛ كما ثبت ذلك عن النبىّ ﷺ فى الحديث الصحيح المذكور آنفًا .

وإنما عُطِفَ (القرآن العظيم) على (السبع المثانى) مع أن المراد بهما واحد وهو (الفاتحة) لِمَا عُلِمَ فى اللغة العربية من أن الشئ الواحد إذا ذُكِرَ بصفتين مختلفتين ؛ جاز عطف إحداهما على الأخرى ، وذلك (تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) ومنه قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ الآيات[3] ومنه أيضاً قول الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابن الهُمَام   ولَيْثِ الكَتيبَةِ فى المُزْدَحَم[4]

---

(١) أخرجه البخارى فى أربعة مواضع من صحيحه - انظر فى ذلك (فتح البارى) على النحو التالى : (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١) ما جاء فى فاتحة الكتاب - ٨/١٥٦ حديث رقم (٤٤٧٤) - ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال : ٢٤ (استجيبوا : أجيبوا - لما يحييكم : لما يصلحكم) - ٨/٣٠٧ حديث رقم (٤٦٤٧) - ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحِجْر : ٨٧ - ٨/٣٨١ حديث رقم (٤٧٠٣) - ثم (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٩) فضل فاتحة الكتاب -٩/٥٤ حديث رقم (٥٠٠٦) - (طبع السلفية) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه - انظر فى ذلك فتح البارى (كتاب ٦٥) التفسير (باب) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحِجْر : ٨٧-٨/٣٨١ حديث رقم (٤٧٠٤) - (طبع السلفية) .

(٣) الأعلى : ١ - ٤ (اربع آيات) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/١٩٤ - ١٩٥ (صفحتان) .

القَرْم: هو السيد والرئيس المعظم، ذو الرأى المقدَّم بين الرجال ؛ وذلك لِعظَم شأنه وعُلو منزلته، تشبيهاً له بمنزلة الفَحْل بين الإبل، والجمع (قُرُوم) - انظر مادة (قَرِم) فى لسان العرب: ٥/٣٦٠٤ . =

ب - عدم تمهيده للتفسير بالسنة :

وذلك فى مَعْـرِض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ الآية[1] نراه يشرع مباشـرة فى تفسير الآية بما يُوَضِّح معناها من السُّنة فـيقول ما نصه : جاء عن النبى ﷺ : أنه سئل عن هذه الآية الكريمة فقيل : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟! فقال ﷺ : «نور يقذف فيه ؛ فينشرح له وينفسح» قالوا : فهل لذلك أمارة يُعْرَف بها ؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قَبْل لقاء الموت» الحديث[2] . ويدلّ لهذا قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ

= **الهُمَام** : اسم من أسماء المَلِك ، وقد سُمِّىَ به لعظَم همَّتـه ؛ لأنه إذا هَمَّ بأمر أمضاه وأنفذه كما أراد ، فلا يُرَدُّ عنه ، ولا يتحول إلى سواه - انظر مادة (هَمَمَ) فى (لسان العرب) : ٤٧٠٢/٦ .

لَيْثٌ : أى الأسد ، ويطلق على كـل شديد قوىٌّ من الرجـال ، تشبيـهاً لشدته وقـوته بـ (لُيُوثَة الأسد) أى شدته وقوته ، والجمع (لُيُوث) - انظر مادة (لَيَث) فى لسان العرب : ٤١١٢/٥ .

الكَتِيبَة : هى الجيش أو القطعة العظيمة منه ، وقيل : هى جمـاعة الخيل المجهزة بفرسانها والتى يتراوح تعـدادها بين مائة وألف إذا أغارت فى الحـروب ، والجمع (كَتَائِب) - انظر مـادة (كَتَبَ) فى لسان العرب : ٣٨١٦/٥.

المُزْدَحَم : أى مكان ازدحام الجنود واجـتماعهم تمهـيداً لِبَدْءِ القـتال ، والأصل فيه من (الزَّحْـمَة والزِّحَام) وهو اجتمـاع القوم فى مكان واحد يضيق بهم إلى حد مُـدَافَعَة ومضايقة بعـضهم بعضاً - انظر مادة (زَحَمَ) فى لسان العرب : ١٨١٩/٣ .

والشاهد : أن الشاعر قد لجأ هنا إلى العطف بحرف الواو بين هذه الصفات الثلاث مع أنه يصف بها شخصاً واحداً هو (المَلِك) وذلك إنزالاً لكل صفة منها منزلة مـستقلة بها لشخص خاص بها غير الملك ، فكأنه بذلك يصف ثلاثة أشخاص مـختلفين بهذه الصفات الثلاث المختـلفة ، وهذا ما يعنيه الشنقيطى بقوله : (وذلك تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) والله تعالى أعلى وأعلم .

(١) الأنعام : ١٢٥ .

(٢) أخرجة الحـاكم فى مستدركـه على الصحيحـين من طريق القاسم بن عبد الرحـمن عن أبيه عن ابن مسـعود عن النبى ﷺ - انظر (المستـدرك على الصحيـحين في الحديث) : للحافظ أبى عـبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى ت(٤٥٨هـ = ١٠٦٦م) -٣١١/٤ - وبذيله (تلخيص المستدرك) : للحـافظ أبى عبد الله شمس الدين محمـد بن أحمد الذهبى ت(٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .

كما أخرجه الطبرى فى عدة مواضع من تفسيره بطبعتىْ (دار المعارف) و(الحلبى) على النحو التالى :

أولاً : مواضع طبعـة (دار المعارف) بتحقيق (الأخوين شـاكر) : ٩٨/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٢) - ٩٩/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٣) - ١٠٠/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٤) وكلهـا من طرق عن عمرو بن مُرّة عن أبى جعفر المدائنى مُرْسَلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ١٠٠/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٥) من طريق أبى عـبيدة عن أبيـه عبـد الله بن مسـعود عن رسول الله ﷺ ثم ١٠١/١٢ حـديث رقم =

فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الآية(١) .

= (١٣٨٥٦) من طريق خالد بن أبى كـريمة عن عبد الله بن المسور مـرسلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ١٢/١٠٢ حديث رقم (١٣٨٥٧) من طريق عبـد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عـن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ .

ثانيًا : مواضع طبعة (الحلبى) غير المحققـة : ٨/٢٦-٢٧ من طرق عن عمرو بن مُرَّة عن أبى جعفر المدائنى مرسلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ٨/٢٧ عن طريق أبى عبيـدة عن أبيه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ - ثم ٨/٢٧ عن طريق عبد الرحمن بن عبـد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن رسـول الله ﷺ - ثم ٨/٢٧ عن طريق خالد بن أبى كـريمة عن عـبد الله بن المسـور مرسـلاً عن رسول الله ﷺ - انظر (جامع البيان عن تأويل آى القرآن): لأبى جعـفر محمد بن جرير الطبرى - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٣هـ= ١٩٥٤هـ .

كما أخرجه ابن أبى حاتم فى موضعين من تفسيره هما : ٤/١٣٨٤ من طرق عن عمرو بن مُرَّة عن أبى جعـفر المدائنى مرسـلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ٤/١٣٨٤ من طريق عمـرو بن مُرَّة عن عبـدالله المسور مـرسلاً عن رسول الله ﷺ - انظر (تفسـيـر القرآن العظيم مـسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين) : للإمام الحافظ عبـد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى المعروف بابن أبى حاتم ت (٣٢٧هـ = ٩٣٩م) - تحقـيق : أسعد محمـد الطيب - الطبعة ٢- المكتبـة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ملاحظات حول هذا الحديث والحكم عليه :

أولاً : ترجم الحافظ الذهبىّ لعبد الله بن المسور ذاكراً أنه هو نفسه أبو جعفر المدائنى قائلاً : عبد الله ابن المسور بن جـعفر بن أبى طالب ، هو أبو جـعفر الهاشـمى المدائنى ، ليس بثقة - انظر (مـيزان الاعتدال فى نقد الرجال) : للحافظ أبى عبـد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (٢/٥٠٤ - ٤/٥١١) - تحقيق: على محمد البجاوى - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م.

ثانيًا : حَكَمَ الشيخ محمود شاكر على الأحاديث أرقام (١٣٨٥٢ - ١٣٨٥٣ - ١٣٨٥٤) بأنها أخبار معلولة ضعَاف واهية ، وبعد أن ضَعَّفَ أيضًا الحديثين رقمىْ (١٣٨٥٥-١٣٨٥٧) قال ما نصه : فكل ما قاله الحافظ ابن كثيـر (من أن هذه الأخبار جاءت بأسانيد مُرْسَلَة ومتصلة يشـد بعضها بعضًا) هو قول ينفيه شرح هذه الأسانيد كما رأيتَ ، والله الموفق للصواب - انظر (تفسير الطبرى) : ١٢/٩٩-١٠٢ (بتحقيق الأخوين شاكر - طبع دار المعارف) .

ثالثًا : ضَعَّف الألبانىّ هذا الحديث قائلاً : وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف ، لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذى فى جميع طرقـه ، وبعضها أشد ضعفًا من بعض ، فليس فيها ما ضَـعْفُهُ يسير يمكن أن يَنْجَبِر ، وذلك خلافًا لما ذهب إليه ابن كـثير ، وإن كان قد قلَّده فى ذلك جماعة مِمَّنْ ألفوا فى التـفسير ، كالشوكانى فى (فتح القـدير) وصدِّيق حسن خان فى (فتح البيان) كمـا جزم الآلوسى فى (روح المعانى) بنسبته إلى رسـول الله ﷺ ومن قبله ابن القيِّم الذى عزاه فى (الفوائد) للترمذى فجاء بوهم آخر - انظر (سـلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأثرها السىء فى الأمة) : للشيخ محمد ناصـر الدين الألبانىّ - ٢/٣٨٣ حيث رقم (٩٦٥) - الطبعة ٤ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(١) الزمر : ٢٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٢١٠ .

المطلب الثالث

التعقيـــــب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

١ - الملاحظة الأولـى : الرواية بالنـص .

٢ - الملاحظة الثانيـة : الرواية بالمعنى .

٣ - الملاحظة الثالثـة : التخريـــج .

٤ - الملاحظة الرابعـة : بعـض الميزات .

٥ - الملاحظة الخامسة : بعض المآخـذ .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسيره للقرآن بالسُّنة ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

الروايــــة بالنّص

حيث يورد الشنقيطى معظم الأحاديث بنصها وتمامها فى مَعْرِض تفسيره للآية التى هو بصددها ؛ وخير شاهد على ذلك (حديث الدّجال) الذى سبق أن ذكرناه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ الآيتان[1] ذلك الحديث الذى أورده الشنقيطى بطوله وتمامه من (صحيح مسلم) مفسِّرًا به الآيتين المذكورتين .

الملاحظة الثانية

الروايــــة بالمعنى

حيث يكتفى الشنقيطى أحيانًا بإيراد معنى الحديث دون ذكر نَصِّه فى مَعْرِض تفسيره لبعض الآيات ، ومن ذلك ما صنعه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الآيات[2] حيث يقول ما نصه: وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أى نذكّر الناسَ بها فى دار الدنيا - إذا أحسوا شدة حرارتها - نارَ الآخرة التى هى أشد منها حرًا ؛ لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار .

وقد صَحَّ عنه ﷺ : أن حرارة نار الآخرة مضاعفة على حرارة نار الدنيا سبعين مرة ، فهى تفوقها بتسع وستين ضِعْفًا ، كل واحد منها مثل حرارة نار الدنيا[3] .

---

(١) الكهف : ٩٨ - ٩٩ (آيتان) .

(٢) الواقعة : ٧١ - ٧٣ (ثلاث آيات) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٩٦ - والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) بَدْء الخلق (باب) صفة النار وأنها مخلوقة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها (باب) فى شدة حَرِّ جهنم - (طبع بيروت) .

وهكذا يكتفى الشنقيطى هنا بإيراد معنى الحديث دون النَّصِّ عليه إزاء بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير .

الملاحظة الثالثة

التخريج

وإزاء ما يورده الشنقيطى من الأحاديث التى يفسِّر بها ما يَعْرِض له من الآيات ، فإننا نجده يَعْمَد أحيانًا إلى تخريج هذه الأحاديث برواياتها المختلفة ، كما نراه يُعْرِض أحيانًا أخرى عن ذلك مكتفيًا بذكر الحديث دون تخريجه ، وذلك دونما سبب واضح ، أو مبرر مقبول ، وفيما يلى نَعْرِض لكلتا الحالتين على النحو التالى :

١- فى حالة التخريج :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ الآيتان[١] حيث نراه يشير من خلال تفسيره لهذه الآية إلى خلاف العلماء بشأن وقت وقوع الزلزلة : هل ستكون بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عَرَصَاتِ القيامة[٢] أم ستكون عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من القبور فى آخر الدنيا ؟

وهنا يذهب الشنقيطى إلى ترجيح القول الأول مؤيدًا ذلك بالثابت من حديث رسول الله ﷺ فيقول ما نصه : وأما حُجَّة أهل القول الآخر القائلين بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ، فهى ما ثبت فى الصحيح عن النبىّ ﷺ من تصريحه بذلك ؛ وبه تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى .

قال البخارى رحمه الله فى (صحيحه) فى (التفسير) فى (باب) قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ الآية[٣] : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا

---

(١) الحج : ١ - ٢ (آيتان) .

(٢) عَرَصَات : جمع (عَرَصَة) وهى كل موضع واسع لا بناء فيه ، ينشط فيه القوم ويتقافزون ، أو يلعب فيه الصبيان فُيقبِلون ويُدْبِرُون - انظر ماده (عَرِص) فى لسان العرب : ٤/٢٨٨٣ .

والمعنى : أنها أرض الحَشْر التى يُحْضَرُ إليها الناسُ بعد بعثهم من أجداثهم مفزوعين مضطربين ، فيتدافعون مُقْبِلين مُدْبِرين ؛ تمهيدًا لبَدْء حسابهم يوم القيامة .

(٣) الحج : ١ .

الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبى سعيد الخدرىّ قال : قال النبىّ ﷺ : « يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لَبَّيْك ربنا وسَعْدَيْكَ ، فيُنَادَى بصوت : إن الله يأمرك أن تُخْرِجَ من ذريتك بَعْثًا إلى النار ؛ قال : يا رب ، وما بَعْثُ النار ؟ قال : من كل أَلْف أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حَمْلَها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكنّ عذاب الله شديد ؛ فَشَقَّ ذلك على الناس حتى تغيّرت وجوههم؛ فقال النبىُّ ﷺ : من (يأجوج ومأجوج) تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد ، وأنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا (رُبُع) أهل الجنة ؛ فكبّرنا ، ثم قال : (ثُلُث) أهل الجنة ؛ فكبّرنا ، ثم قال (شَطْر) أهل الجنة ؛ فكبّرنا » الحديث[1] وفيه تصريح النبى ﷺ بأن الوقت الذى تضع فيه الحامل حَمْلَها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، هو يوم القيامة لا آخر الدنيا[2] .

وبعد ذلك يتعقب الشنقيطى الروايات المختلفة لهذا الحديث فيخرّجها فى (صحيحىْ البخارى ومسلم) قائلاً :

١ - قال البخارى فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) : الرِّقَاق ، فى (باب) : زلزلة الساعة شىء عظيم[3].

٢ - وقال البخارى فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) : بَدْء الخَلْق ، فى: (أحاديث) الأنبياء فى (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[4] .

٣ - وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) فى آخر (كتاب) : الإيمان (بكسر

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ الحج : ٢ - ١٨/ ٤٤ حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ١١ - ١٢ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى: لابن حجر العسقلانى (كتاب) الرِّقَاق (باب) قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج : ١ - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ القمر : ١ - ٢٤/ ١٩٥ حديث رقم (٦٥٣٠) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الكهف : ٩٤ - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الكهف : ٨٣- ٨٤ (آيتان) - ١٣/ ١٢١ حديث رقم (٣٣٤٨) .

الهمزة) فى (باب) : كون هذه الأمة نصف أهل الجنة[1] .

وهكذا نرى الشنقيطى يُخَرِّج هذا الحديث برواياته الأربع ، ثلاث منها عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، موردًا كل رواية منها بطولها وتمامها سندًا ومتنًا كما أوردها الشيخان[2] .

ب - فى حالة عدم التخريج :

ويشمل عدم تخريج الشنقيطى هنا نوعين من الأحاديث ، أما أولهما : فتلك الأحاديث التى اشتهرت وذاعت صحتها عند الناس ، وأما ثانيهما : فتلك الأحاديث الأخرى التى لم يُكْتَبْ لها مِثْلُ هذا الحظ من الشهرة والذيوع ، وفيما يلى نَعْرِض لكلا النوعين على النحو التالى :

١ - عدم تخريجه للأحاديث الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ الآية[3] حيث نراه يتناول إطلاق (الفتنة) فى القرآن على أربعة مَعَانٍ[4] ذاكرًا فى المعنى الثالث منها أنها تُطْلَق على

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من رواية هَنَّاد بن السَّرِىّ عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - يعنى ابن مسعود - قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « أمَا تَرْضَوْنَ أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنة ؟ قال : فكبّرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة ؟ قال : فكبّرنا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك : ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود ، أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض» - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٩٥) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة - ١/ ٢٠٠ حديث رقم (٢٢١) - (طبع الحلبى) .

(٢) راجع نص الروايات الأربع سندًا ومتنًا فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/ ١١ - ١٣ (ثلاث صفحات) .

(٣) النمل : ٤٧ .

(٤) وعن هذه المعانى الأربعة للفتنة فى القرآن يقول الشنقيطى ما نصه : أطلقت الفتنة فى القرآن على أربعة مَعَانٍ هى :

- الأولُ : إطلاقها على (الإحراق بالنار) كقول الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ الذاريات : ١٣ - وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ البروج : ١٠ - أى حرقوهم بنار الأخدود على أحد التفسيرين ، وقد اختاره بعض المحققين .
- الثانى : إطلاق الفتنة على (الاختبار) وهذا هو أكثرها استعمالاً كقول الله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء : ٣٥ - وقوله تعالى : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ الجن : ١٧ - ١٨ (آيتان) والآيات بمثل ذلك كثيرة . =

(نتيجة الاختبار) إن كانت سيئة كإطلاقها على الكفر والضلال ، وفى ذلك يقول ما نصه :

المعنى الثالث : إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصّة ، ومن هنا أُطْلِقَتْ على الكفر والضلال كقول الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآيه[1] أى حتى لا يَبْقى شِرْكٌ ، وهذا التفسير الصحيح دَلّ عليه الكتاب والسُّنّة :

• أما الكتاب : فقد دلّ عليه فى قوله تعالى بعده فى البقرة : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ الآية[2] وفى الأنفال قوله تعالى : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الآية[3] فإنه يُوَضِّح أن معنى : «لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أى لا يَبْقَى شِرْكٌ ؛ لأن الدين لا يكون كله لله ما دام فى الأرض شِرْك كما ترى .

• وأما السُّنّة : ففى قوله ﷺ : « أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألاّ إله إلاّ الله » الحديث[4] فقد جعل ﷺ الغاية التى ينتهى إليها قتاله للناس هى شهادة (ألاّ إله إلاّ الله

= • الثالث : إطلاق الفتنة على (نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصّة) ومن هنا أطلقت الفتنة على (الكفر والضلال) وهذا موضع الشاهد الذى نَعْرِض له هنا بالتفصيل .

• الرابع : إطلاق الفتنة على (الحُجَّة) كقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام : ٢٣ - كما قاله غير واحد ، والعلم عند الله تعالى .

راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/٤٠٦ - ٤٠٩ .

(١) البقرة : ١٩٣ . (٢) البقرة : ١٩٣ . (٣) الأنفال : ٣٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٢) الإيمان (باب ١٧) ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ التوبة : ٥ - ١/٧٥ حديث رقم (٢٥) - (طبع السلفية) - ويلاحظ أن الأجزاء الثلاثة الأولى فقط من هذه الطبعة قد صدرت بتاريخ (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م) وجاء مكتوبًا على غلافها الداخلى ما نصه : (قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا، وأشرف على مقابلة نُسَخه المطبوعة والمخطوطة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض) .

وقد أخرج مسلم الحديث المذكور فى صحيحه من رواية أبى هريرة رضي الله عنه - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبى ﷺ وأنّ مَنْ فعل ذلك عَصَمَ نفسه وماله إلاّ بحقها ، ووُكِلَتْ سريرته إلى الله تعالى ، وقتال مَنْ منع الزكاة وغيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام - ١/٥٢ حديث رقم (٢١) - وأيضًا من رواية عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما - نفس الكتاب والباب - ١/٥٣ حديث رقم (٢٢) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية أبى هريرة رضي الله عنه - ٢/٣٤٥ حديث رقم (٨٥٢٥) - ومن رواية أنس بن مالك رضي الله عنه - ٣/١٩٩ حديث رقم (١٣٠٧٨) - ٣/٢٢٤ حديث رقم (١٣٣٧٢) - ومن رواية أوس بن أبى أوس الثقفى رضي الله عنه - ٤/٨ حديث رقم ١٦٢٠٨) - (طبع قرطبة) .

وأنّ محمداً رسولُ الله ﷺ) وهو واضح فى أن معنى : «لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أى لا يَبْقَى شِرْكٌ .

فالآية والحديث كلاهما دالّ على أن الغاية التى ينتهى إليها قتال الكفار هى ألاّ يَبْقَى فى الأرض شِرْك ، إلاّ أن الله تعالى قد عبّر عن هذا المعنى بقوله سبحانه : ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وقد عبرّ رسوله ﷺ عنه بقوله : « حتى يشهدوا ألاّ إله إلاّ الله » فالغاية فى الآية والحديث واحدة فى المعنى كما ترى[1] .

٢ - عدم تخريجه للأحاديث غير الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الآية[2] حيث يقول ما نصه : صَرَّح الله تعالى فى هذه الآية الكريمة بأن الأختين ترثان الثلثين ، والمراد بهما الأختان لغير أُمٍّ كأن تكونا شقيقتين أو لأَبٍ بإجماع العلماء ، ولم يُبيِّن هنا ميراث الثلاث من الأخوات فصاعداً ، ولكنه أشار تعالى فى موضع آخر إلى أن الأخوات لا تزدن على الثلثين ولو بلغ عددهن ما بلغ ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الآية[3] ومعلوم أن البنات أَمَسُّ رَحِماً ، وأقوى سبباً ، فى الميراث من الأخوات ، فإذا كن لا تزدن على الثلثين ولو كثرن ؛ فكذلك الأخوات من باب أَوْلَى .

وأكثر علماء الأصول على أن (فحوى الخطاب) أعنى مفهوم الموافقة الذى المسكوت فيه أَوْلَى بالحكم من المنطوق ، وذلك من قبيل اللفظ ، لا من قبيل القياس ؛ خلافاً للشافعىّ وقوم آخرين ، وكذلك المُساوِى على التحقيق ، فقول الله تعالى : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ الآية[4] يفهم منه من باب أَوْلَى حرمة ضربهما[5] .

وهنا يسوق الشنقيطى أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة الأصوليّة من أحاديث رسول الله ﷺ فى إطار تفسيره لآية الميراث المذكورة فيقول ما نصه : وقوله ﷺ : « مَنْ أعتق شِرْكاً له فى عَبْد » الحديث[6] يفهم منه أنّ الأَمَةَ كذلك ، ولا نزاع فى هذا عند جماهير

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٠٨/٦ .
(٢) النساء : ١٧٦ .
(٣) النساء ١١ .
(٤) الإسراء : ٢٣ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩٥/١ - ٤٩٦ .
(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ أعتق شِرْكًا له فى عبد، فكان له مال يبلغ ثمن العبد؛ قُوِّمَ العبد عليه قيمةَ عَدْلٍ، فأعطَى شُركاءَه حصصهم ، وعَتَقَ عليه العبد، وإلاّ فقد عَتَقَ منه ما عَتَقَ » - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤٩) العتق (باب ٤) إذا أعتق عبداً بين اثنين ، أو أَمَةً بين=

العلماء ، وإنْ كان قد خالف فيه بعض الظاهرية(١) .

وهكذا نرى كيف أن الشنقيطى قد أعرض عن تخريج هذا الحديث غير الذائع عند الناس هنا ، كصنيعه أيضًا من قبل إزاء عدم تخريجه للحديث الذائع هناك .

الملاحظة الرابعة

بعض الميزات

وبالنظر إلى جملة الأحاديث التى أوردها الشنقيطى فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض الميزات التى تُحْسَبُ لمنهجه فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والتى تتمثل فى كل من :

أ - غلبة النص على المعنى :

ومع أن الشنقيطى يجمع فى تفسيره للقرآن بالسُّنة بين رواية الأحاديث بنصها ، وبين روايتها بمعناها ؛ إلاّ أن روايته لتلك الأحاديث بنصها سندًا ومتنًا يغلب على روايته لها بمعناها وفحواها ، وهذا ما يتضح لنا من خلال بعض الشواهد التى سقناها لكل من (الرواية بالنص) أو (الرواية بالمعنى).

ب - كثرة الروايات :

يلجأ الشنقيطى إلى حشد ما يستطيعه من رواياتٍ للحديث الواحد من مختلف كتب السُّنة الصحيحة ، وذلك فى مَعْرِض استشهاده به إزاء تفسير ما يتناوله من الآيات ؛ وهو

= الشركاء - ٥/ ١٥١ حديث رقم (٢٥٢٢) - طبع (السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من نفس رواية نافع المذكورة ، إلا أنه أثبت فى لفظه (قيمةَ العَدْل) بدلاً من (قيمةَ عدْل) - انظر صحيح مسلم (كتاب ٢٨) الأيمان (باب ١٢) مَنْ أعتق شِرْكًا له فى عبد - ٣/ ١٢٨٦ حديث رقم (٤٧/ ١٥٠١) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه البيهقى فى سُنَنه من رواية نافع عن ابن عمر ﷺ لكن بلفظ آخر عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أعتق شركًا فى عبد ؛ فقد عتَق كله إنْ كان للذى عتَق نصيبه من المال ما يبلغ ثمنه ، يقيّمه عليه قيمةَ العَدْل ، فيدفع إلى شركائه أنصباءَهم ، ويُخلى سبيله » - انظر السُّنن الكبرى : للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقىّ ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - وبذيله (الجوهر النقى) : للعلامة علاء الدين على بن عثمان المارديني الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م) - ١٠/ ٢٧٧ - الطبعة ١ - دار المعرفة للطباعة والنشر - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٩٦ .

يهدف من وراء هذا إلى تعضيد حُجَّته ، ودعم أدلته ، لتأييد رأيه ، وتأكيد ما يذهب إليه ، من خلال إيراده أكثر من رواية للحديث الواحد ، وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة تنبيهًا بها على غيرها مما يقوم شاهدًا على ذلك فى ثنايا تفسيره المختلفة .

١ - ما أورده من روايات حديث (السبع المثانى) فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالي: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الآية[1] حيث ذكر روايتىْ هذا الحديث فى (صحيح البخارىّ) الأولى: عن أبى سعيد بن المعلى، والثانية: عن أبى هريرة رضي الله عنه[2] .

٢ - ما أورده من روايات حديث (الرَّجُل السَّمين) فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ الآية[3] حيث ذكر أن السُّنّة الصحيحة قد دلت على أن معنى هذه الآية يشمل الكافر السمين العظيم البدن الذى لا يزن عند الله جناح بعوضة يوم القيامة .

وإزاء ذلك يورد الشنقيطى ذلك الحديث برواياته الثلاث ، منها اثنتان عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، فيقول :

١- جاء فى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرأوا « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا » الحديث .

٢- كما جاء فى البخارى أيضًا رواية ثانية لهذا الحديث عن أبى الزناد رضي الله عنه وهى مماثلة لروايته الأولى[4] .

٣ كما جاء فى مسلم رواية ثالثة لهذا الحديث تماثل روايتيْه السابقتين عند البخارى[5] .

---

(١) الحجْر : ٨٧ . (٢) راجع ذلك ص   من هذا البحث .

(٣) الكهف : ١٠٥ - والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية المغيرة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٦) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الكهف : ١٠٥ ، ٨/٤٢٦ حديث رقم (٤٧٢٩) - (طبع السلفية) .

(٤) أخرجه البخارى أيضًا فى صحيحه مُعَلَّقًا بقوله : وعن يحيى بن بُكَيْر عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه - انظر فتح البارى (نفس الكتاب والباب) - (طبع السلفية) .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه واصلاً ما عَلَّقه البخارى بقوله : حدثنى أبو بكر بن إسحاق حدثنا يحيى ابن بُكَيْر إلى آخر إسناد البخارى المذكور - انظر صحيح مسلم (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتاب) صفة القيامة والجنة والنار - ٤/٢١٤٧ حديث رقم (٢٧٨٥) - (طبع الحلبى) .

جـ - عدم الخلط :

ونعنى به دقة الشنقيطى وضبطه من حيث تحريه وعدم خلطه بين ما يورده من أحاديث السُّنة ، وبين ما يورده بجوارها من أقوال أهل العلم المأثورة ، والتى قد يُوهِمُ ظاهرها بأنها من أحاديث السُّنة ؛ وذلك نظرًا لشيوعها وإلْفِ الناس لها ، وذلك على النحو التالى :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ الآية[1] يقول ما نصه : ومع أن بعض أهل العلم قال : (إنّ كلّ ذنب كبيرة) إلاّ أنّ قول الله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ الآية[3] يدل على عدم المساواة ، وأنّ بعض المعاصى كبائر ، وبعضها صغائر ، والمعروف عند أهل العلم : أنه (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) والعلم عند الله تعالى[4] .

وهكذا يفرّق الشنقيطى بين ما هو حديث نبوىّ وبين ما هو قول مأثور لأهل العلم ؛ الأمر الذى يؤكد ضبطه ودقته إزاء ما يورده من أحاديث السنة فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، ولولا هذا الضبط ، وتلكم الدقة ؛ لوقع الشنقيطى فى الخلط هنا إزاء احتسابه هذين القولين المأثورين: (إنّ كل ذنب كبيرة) و : (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) من أحاديث رسول الله ﷺ خاصّة وأن ظاهرهما قد يُوهِمُ بمثل هذا الخلط المحتمل .

الملاحظة الخامسة

بعض المآخذ

وكما ذكرنا بعض الميزات ؛ فإنه بالنظر كذلك إلى جملة الأحاديث التى أوردها الشنقيطى فى معْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض المآخذ التى تُحْسبُ على منهجه فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والتى تتمثل فى كل من :

١ - عدم التخريج :

ولقد تمثل ذلك فيما سبق أن أوردناه بشواهده من حيث إعراض الشنقيطى عن تخريج بعض الأحاديث التى يتناولها فى مَعْرِض تفسيره لبعض الآيات ، سواء كانت هذه الأحاديث من الذائعة المنتشرة على ألسنة الناس ، أو كانت غير ذلك مما ليس ذائعًا ولا منتشرًا بينهم .

(١) الشورى : ٣٧ . (٢) النساء : ٣١ .
(٣) النجم : ٣٢ . (٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٠٠ .

ب - الخطأ فى التخريج :

حيث يقع الشنقيطى أحيانًا فى الخطأ من حيث تخريجه بعض روايات الحديث الذى يسوقه فى مَعرِض تفسيره للآية ، ومن ذلك ما وقع فيه إزاء خطئه فى تخريج إحدى روايات حديث النبى ﷺ الذى يُبَشِّر فيه بأن (نصف أمته سيدخلون الجنة) حيث يقول الشنقيطى ما نصه :

وقال البخارى فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) : بَدْء الخَلْق ، فى (أحاديث الأنبياء) فى (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[1] .

وهذا من قبيل الخطأ فى تخريج هذه الرواية ، والتى صواب تخريجها عند البخارى هو (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[2] - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[3] .

جـ - النقص فى التخريج :

يُخَرِّجُ الشنقيطى أحيانًا بعض روايات الحديث تخريجًا ناقصًا عن تخريجها الوارد بكتب السُّنة المختلفة ، ومن ذلك تخريجه الناقص لإحدى روايات حديث (دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث يقول الشنقيطىّ ما نصه : قال البخارىّ فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) الرِّقاق ، فى (باب) إن زلزلة الساعة شىء عظيم .

وذلك تخريج ناقص لهذه الرواية ، والتى تمام تخريجها عند البخارىّ هو (كتاب) الرِّقاق (باب) قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[4] - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ الآية[5] - وقوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[6] .

د - عدم ترتيب الروايات :

لا يلتزم الشنقيطى فى كثير من الأحيان بترتيب الروايات التى يخرّجها للحديث الواحد وفق ترتيب كتبها وأبوابها التى وردت تحتها فى مصادرها من كتب السُّنة المختلفة ؛ وخير شاهد على ذلك تلك الروايات غير المرتبة التى أوردها الشنقيطى لحديث :

---

(1) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .

(2) الكهف : ٩٤ .

(3) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .

(4) الحج : ١ .

(5) النجم : ٥٧ .

(6) القمر : ١ .

(دخـول نصـف أمـة رسـول الله ﷺ الجنة) حيث ذكر رواياتـه علـى النحـو التالـى :

١ - (كتاب) التـفسير (باب) قـول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ الآية[١] .

٢ - (كتاب) الرّقاق (باب) قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[٢] .

٣ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[٣] .

٤ - قال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) فى آخر (كتاب) الإيمان (بكسر الهمزة) فى (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

وكان الأولَى أنْ يورد الشنقيطى روايات هذا الحديث مرتبة وَفْقَ ترتيب كتبها وأبوابها فى صحيحىْ البخارىّ ومسلم اللذين أورداها على النحو التالى :

- **روايات البخارىّ الثلاث :**

١ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[٤] - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾[٥] .

٢ - (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ الآية[٦] .

٣ - (كتاب) الرّقـاق (باب) قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[٧] - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ الآية[٨] - وقوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ الآية[٩] .

- **رواية مُسلم الوحيدة :**

(آخر كـتاب) الإيمان (بكسر الـهمزة) فـى (باب) كـون هـذه الأمـة نصـف أهـل الجنة .

---

(١) الحج : ٢ .
(٢) الحج : ١ .
(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .
(٤) الكهف : ٩٤ .
(٥) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (ايتان) .
(٦) الحج : ٢ .
(٧) الحج : ١ .
(٨) النجم : ٥٧ .
(٩) القمر : ١ .

هـ - غريبُ الحديث :

يُعْرِضُ الشنقيطى فى كثير من الأحيان عن شرح الألفاظ الغريبة التى تشتمل عليها مفردات ما يورده من الأحاديث فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ وخير شاهد على ذلك حديث (الدَّجال) الذى اشتمل على (سبعة وعشرين لفظًا لم يتناول الشنقيطى أيًّا منها بشرح معناه فى اللغة ، أو حتى الإشارة الموجزة إلى مدلوله فى هذا الحديث ؛ الأمر الذى اقتضانا أن نَعْرِض لجملة هذه الألفاظ بشرح معناها فى اللغة ؛ ومن ثم توضيح دلالتها فى الحديث .

ولقد تمثلت هذه الألفاظ فى كل من : (قَطَط - طافئَة - خَلَّة - مُمْحلين - الخَرِبَة - يَعَاسيب النحل - رَمية الغَرَض - مَهرُودتَيْن - جُمَان - بَاب لُدٍّ - النَّغَف - فَرْسَى - زَهَمْهم - البُخْت - مَدَر - وبَر - الزَّلَفة - العصَابَة - الرُّمَّانَة - بِقحفها - الرِّسْل - اللَّقْحَة - الفِئام - القَبِيْلَة - الفَخِذ - يَتَهارَجُون - الحُمُر)[1] .

(١) راجع تفصيل هذه الألفاظ من حيث معناها فى اللغة ، ودلالتها فى الحديث ، وذلك ص من هذا البحث

المبحث الثالث

تفسير القرآن بالآثار

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملىّ .

٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول

التقعيد النظري

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بآثار الصحابة .

٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بآثار التابعين .

٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطى مما يخالف الكتاب والسُّنة .

ونعنى به موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بآثار كل من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ؛ من حيث كونه الخطوة الثالثة التى تلى تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسُّنة ، وهذا ما نَعْرِض له من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بآثار الصّحابة

يتفق الشنقيطىّ مع ما يُطْبِقُ عليه المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، فيما يذهبون إليه من أنّ أعظم وأجلّ ما يُفَسَّر به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة إنما هو تفسيره بآثار الصحابة ؛ وذلك لأنهم يثبتون لتفسير الصحافة حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ على الشرطين التاليين[1] :

١ - أن يكون تفسيرهم متعلقًا بما لا مجال للرأى فيه مثل أسباب النزول، وأحوال القيامة، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

٢ - ألاّ يكون الصّحابىّ معروفًا برواية الإسرائيليات ، ومشتهرًا بأخذها عمَّنْ أسلموا من أهل الكتاب الذين هم مُنْشِئوهَا ومُرَوِّجُوهَا .

ومن ثم؛ فإننا نرى الشنقيطى يذهب بدوره مذهب مَنْ سبقه من العلماء إزاء إثبات حكم رفع تفسير الصحابة إلى رسول الله ﷺ بل إنه يرى أن حكم الرفع هذا إنما هو زيادة فى وصف الصّحابة ﷺ بالعَدْل والقَبُول ، وفى ذلك يقول ما نصه : والرفع من زيادات العُدُول ، وهى مقبولة ، وفى ذلك يقول صاحب (مراقى السُّعود) :

والرَّفْعُ والوَصْلُ وزيْدَ اللَّفْظ مقبولةٌ عندَ إمـامِ الحِفْظ[2]

ويشرح الناظم بيتَيْه هذين فى كتابه أيضًا المسَمى : (نشر البنود على مراقى السُّعود)

---

(١) راجع فحوى هذين الشرطين فى كل من :

- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : د. محمد محمد أبى شهبة ص ٧٩ - إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - سلسلة البحوث الإسلامية) - السنة (١٤) - الكتاب رقم (٤) - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م .
- نزهة النظر شرح نخبة الفكَر فى مصطلح أهل الأثر : للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) - ص ٤٣ - مذيلاً بتعليقات نافعة تكمل فوائده للأستاذ : إسحاق عزوز (مدير مدرسة الفَلاَح بمكة المكرمة) - الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٤١ .

فيقـول : يعنى أنّ الرفع مُقَدَّم عند إمام الحـفظ (الذى هو الإمام مالك)(١) على الوقف عند التعـارض بينهما؛ بأن رواه بعض الـثقات مرفـوعًا إلى النبىّ ﷺ فى حين رواه بعـضهم موقوفًا على الصّحابىّ ﷺ وذلك لأن تقديم الرفع والوصل هو الراجح فى الفقه وأصوله ؛ لأنه من زيادة العدل ، وهذه الزيادة مقبولة عند مالك والجمهور(٢) .

● لها حكم الرفع ولكن :

والشنقيطى وإنْ كان يذهب مذهب جمهور العلماء فى إثبات حكم رفع تفسير الصحابىّ إلى رسول الله ﷺ مُقِراً بأن ذلك من وصفه بزيادة العَدْل ، إلاّ أنه يشترط فى الوقت ذاته نفس الشرطين اللذين اشترطـهما المحققون من العلماء المعتـبرين من أن حكم الرفع لا يثبت للصحابة ﷺ إلاّ فـيما يتعلق بالأمـور التوقيفيـة التى لا مجال للرأى فيـها ، والتى تشمل أسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

● رأى البحث :

وأيّاً ما كـان الأمر ؛ فـإننا نرى إثبات حكم الرفـع لآثار الصّحابـة ﷺ إلى رسول الله ﷺ بشرط ألاّ يكون الصّـحابىّ معروفًـا برواية الإسرائيليات ، أو مـشتهراً بأخـذها عمَّنْ أسلموا من أهل الكتاب ، وهذا هو الشرط الأول الذى نوافق فيه الشنقيطىّ .

غير أننا نختلف معه فى الشرط الثانى الذى يُخَصِّص من خلاله قول الصحابىّ ، فيقيده بحصره فى الأمور التوقـيفية دون غيرها ، والحق أن هذا التخصـيص ، أو ذاك التقييد ، لا وجه له ، بل ومردود عليه بأن الصحابىّ متى مـا كان سالمًا من رواية مثل هذه الإسرائيليات التى هى مظنة الكذب ؛ فليس بعد صِـدْقه المتيقن من شىء ، ولا على مـا يرويه بعد ذلك من سبيل ؛ وإلاّ لَرُدَّتْ أقوال الصـحابة ﷺ برُمَّتِهَا أو بِجِلَّتِهَـا ، وهذا ما لا يُقْبَل بحال ، ولا يسوغ تحت أىّ مقال .

وأنَّى يكون ذلك ؟ ! وهم الذين لهم ما لهم مما سـبق بيانه من شرف صحبـتهم لرسول الله ﷺ وسَبْق تلقيهم عنه ، فضلاً عمّا لهم من نفوس صالحة ، وعقول راجحة ؛ قادتهم

---

(١) ومن المعلوم كما سبق أن ذكـرنا أن مذهب الإمام مالك هو المذهب الفقهىّ السائد فى غـرب إفريقيا عامّـة ، وفـى شنقيط خـاصّة ؛ ومن ثم ك فـقد كان صـاحبنا الشنقيـطى مالكىَّ المذهب فـى نشأته العلميـة ، غير أنه عَـدَلَ عن تلك المذهبية حـالما استقر به المقـام فى بلاد الحجاز ، حـيث صار إلى اللامذهبـية التى تقـتضى طلب الدليل ك وهذا ما يؤكـد أن مذهبيـته كانـت مذهبيّـة نشأة وطلب ، لامذهبية فِكْر ومنهج .

(٢) نشر البنودِ على مراقى السُّعود : عبد الله العلوىّ الشنقيطىّ ٢/ ٤٢ .

إلى مطابقة القول للفعل ، وملازمة العلم للعمل ، بعد أن بذلوا أقصى طاقتهم ، واستفرغوا غاية جهدهم ، فى التأكد من صحة ما يأخذون ، بل وتوثيق ما يُطَبِّقون ؛ وهو ما سبق احتجاجنا له ، وتدليلنا عليه ، بشأن حُجيَّة أقوال الصحابة ﷺ التى تناولت كلاً من : (السَّبْق والفضل - التأكد والتوثيق - العلم والعمل) وذلك من خلال شواهدها المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اختلافنا مع الشنقيطى فى شرطه الثانى الذى ذهب إليه ، وذلك من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصّلنا فيه القول بشأن رأينا فى (مصطلح المأثور) بصفة عامّة ، و (آثار الصّحابة ﷺ) بصفة خاصة[1] .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بآثار التابعين

يتفق الشنقيطىّ كذلك مع ما يذهب إليه أغلب المفسِّرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ، من أنّ أعظم وأجلّ ما يُفَسَّر به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصّحابة إنما هو تفسيره بآثار التابعين ﷺ .

- مُسْتند الشنقيطىّ :

ومما يتعين ذكره أن الشنقيطى إنما يَصْدُرُ فى موقفه هذا من تلك الحقيقة المقررة فى كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ والتى تُثْبتُ ما لهؤلاء التابعين من الخيريّة والفضل ، والسَّبْق والرضوان ؛ من حيث إلحاقهم بالصحابة وإتباعهم ، إضافة إلى أنهم خير الناس بعدهم ﷺ ومن ثم ؛ فإننا نراه يُلْحق التابعين بالصحابة فى دخولهم جميعًا فى رضوان الله تعالى، بل يحكم على كل مَنْ يَسُبُّهُم أو يُبْغِضُهُم بأنه ضالٌّ مُخَالِفٌ لله عزّ وجلّ ثم لرسوله ﷺ .

وهذا مفاد كلامه الذى ساقه فى مَعْرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ الآية[2] حيث يقول ما نصه : صرّح الله تعالى فى هذه الآية الكريمة بأنّ الذين اتبعوا السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار بإحسان ؛ أنهم داخلون معهم فى رضوان الله تعالى ، وكذا فى الوعد بالخلود فى الجَنَّات والفوز العظيم.

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٢/٨٨-٩٣ من هذا البحث .
(٢) التوبة : ١٠٠ .

ويبيّن سبحانه فى مواضع أخرى أنّ الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم فى الخير ، ومن ذلك قوله جلّ وعلا : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ الآية[3] .

ولا يَخْفَى أن الله تعالى قد صرّح فى هذه الآية الكريمة بأنه قد رَضِىَ سبحانه عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؛ وهو دليل قرآنى صريح فى أنّ كُلَّ مَنْ يَسبُّهُم أو يُبْغِضهُم أنه ضالّ مُخَالفٌ لله جلّ وعلا ؛ حيث أَبْغَضَ مَنْ رَضِىَ الله عنهم ، ولا شك أنَّ بُغْضَ مَنْ رَضِىَ الله عنه مضادة لله جلّ وعلا ، وتمرد وطغيان[4] .

وليس ثمة شك فى أن منزلة كهذه للتابعين لَتَجْعَلُ الشنقيطى يقف من أقوالهم فى التفسير ذلك الموقف الذى يقضى بحُجيَّة رجوعه إليها فى تفسير القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصحابة ﷺ وهو لا يخرج فى ذلك عمّا أجمع عليه غالب علماء الأمة من الأئمة المعتبرين الذين عَدُّوا أقوال التابعين فى جملة التفسير بالمأثور ؛ ومن ثم (فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم ؛ لأن غالبها قد تلقوها عن الصحابة وهو ما عليه عمل المفسرين)[5] .

وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السُّنة ، ولا وجدتَه عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية فى التفسير ؛ ولهذا كان سفيان الثورى يقول : (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فَحَسْبُكَ به) وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبى العالية ، والربيع ، وابن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين[6] .

(١) الجمعة : ٣ . (٢) الحشر : ١٠ . (٣) الأنفال : ٧٥ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٢/ ٤٧٤ .
(٥) البرهان فى علوم القرآن : الزركشىّ ٢/ ١٧٩ (بتصرف يسير) .
(٦) مقدمة فى أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) - ص ٤٧ - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عُنِيَتْ بنشره : المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م - وانظر طبعة ثانية بتحقيق : د. عدنان زرزور - ص ٦٨ - (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة ببيروت) ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م - وانظر كذلك طبعة ثالثة بعناية : أبى حذيفة إبراهيم بن محمد - ص ٩٧ - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

بل يذهب ابن تيمية إلى ما هو أبعد من ذلك حينما يشير إلى تابعى التابعين ومَنْ بعدهم مؤكدًا رجوع كثير من علماء الأمة وأئمتها إلى أقوالهم فى التفسير بعد أقوال أسلافهم من التابعين ، فهو بعد أن يُسَمِّى بعض هؤلاء التابعين نراه يُرْدِفُ ذلك بقوله : (وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومَنْ بعدهم)[1] .

ولئن كان قد حكى عقب ذلك عن شعبة بن الحجاج وغيره قولهم : (إنّ أقوال التابعين فى الفروع ليست حجّة فكيف تكون حُجَّة فى التفسير ؟!) إلاّ أنه عَمَدَ إلى توجيه هذا الرأى بقوله : (يعنى أن أقوال التابعين لا تكون حُجَّة على غيرهم مِمَّنْ خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا اجتمعوا على الشىء فلا يرتاب فى كونه حُجَّة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حُجَّة على بعض ، ولا على مَنْ بعدهم)[2] .

وفى إطار هذا يمكننا توجيه ما قد يذهب إليه بعض العلماء مِمَّنْ يَرَوْنَ أنه لا ضرورة للرجوع إلى أقوال التابعين ومَنْ بعدهم فى التفسير .

- **رأى البحث :**

وأيًّا ما كان الأمر ؛ فإننا نرى أنّ أقوال التابعين هى جُزْءٌ لا يَتَجَزَّأُ من (التفسير بالمأثور) الذى يتحتم على علماء الأمة وجوبُ رجوعهم إليه ، وضرورة اعتمادهم عليه ، إزاء تفسيرهم للقرآن بعد رجوعهم واعتمادهم على تفسيره بالقرآن والسُّنّة وآثار الصحابة رضي الله عنهم .

وأنَّى لا يكون ذلك ؟! وهم الذين لهم ما لهم من الخيريّة وعِظَم الفضل ، ومن الصلاح وشَرَف الرُّتْبَة ؛ ما جعلهم مَحلاً صالحًا لِنَيْلِ رضا الله تعالى فى الدنيا ، والفوز بجنته فى الآخرة ، هذا فضلاً عن أن آثار التابعين إنما تَسْتَمِدُّ مصدقيتها ، وتُتَابع اتصالها ، بآثار الصحابة قبلها ، وهم الذين بدورهم تَسْتَمِدُّ آثارهم مصدقيتها بلا أدنى شك ، وتُتَابِع اتصالها دون أى ارتياب ، برسول الله ﷺ .

وعبادٌ هذا شأنهم ، وتلك خِصَالهم ؛ أجدر بأن تدعو الحاجة إلى رجوع الأمة إلى أقوالهم فى التفسير ، من حيث الأخذ بها ، والاعتماد عليها ، إزاء ما أُشْكِلَ فهمُه ، أو خَفِىَ معناه ؛ وهذا ما سبق احتجاجنا له ، وتدليلنا عليه ، بشأن حُجيَّة أقوال التابعين رضي الله عنهم التى تناولت كلا من : (فضل التابعين ورتبتهم - الحاجة إلى تدوينهم - توجيه خلاف

(١) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيمية ص (٤٩ - ٥٠) - (طبع السلفية) .
(٢) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيمية ص (٥٠) - (طبع السلفية) .

العلمـاء - منزلة الصلة والتكميل - مـا عليه عـمل المفسـرين) وذلك من خلال شـواهدها المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اتفاقنا مع الشنقيطى فيما ذهب إليه بشأن موقفه من آثار التابعين ، وذلك من خلال احتكامنا إلى مـا سبق أنْ فصّلنا فيه القـول بشأن رأينا فى (مصطلح المأثور) بصفة عامة ، و (آثار التابعين ﷺ) بصفة خاصة[1] .

المسألة الثالثة

موقف الشنقيطىّ مما يخالف الكتاب والسنّة

والحـق أن الشنقـيطى يقف موقـفًا واضـحًا إزاء رَدِّه لكل ما يـخالف نصوص الـكتاب والسُّنة ، وسـواء كانت هذه المخـالفة تتـعلق بأثر من آثار الصـحابة أو تتـعلق بأثر من آثار التابعين ﷺ لأن نصوص الكتاب والسُّنة لا تُرَدُّ بما يخالفها مـن تلك الآثار ولا من غيرها .

وفى هذا يصـرّح الشنقيطى قـائلاً ما نصـه : وتأويل الصحـابة والتابعين ﷺ لبـعض الآيات على مـعنى يخالف القـرآن والسُّنة ؛ لا يجب الرجوع إلـيه[2] لأن غيـره فى معنى الآيات أولَى بالصواب منه ؛ ولأن المقرر عنـد جمهور العلماء أن نصوص كـتاب الله تعالى وسُنة رسـوله ﷺ لا تُرَدُّ بمـا يخالفـهـا من تأويل بعـض الصـحابة أو التـابعين لبـعض الآيات[3] .

* * *

●● وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بـآثار الصحابة والتابعين ﷺ يأتى فى المرتبة الثالثة عند الشنقيطى بعد تفـسير القرآن بكل من القـرآن والسُّنة ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليـه إجماع أغلب المفسِّرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ؛ وهذا ما يبدو مترجمًا بصورة فعليّة من خلال تطبيقه العملىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

---

(١) راجع تفصيل ذلك ٢/٩٣-٩٩ من هذا البحث .

(٢) يوهم قوله هنا : (لا يجب) باحتمال (الجـواز) أو (الندب) ومن ثم فقد كان من الأنسب أن يقول : (لا يصح) بدلاً من : (لا يجب) لقطع هذا التوهم المحتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٤٢١ .

المطلب الثانى

التطبيق العملىّ

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

١ - **المسألة الأولى** : تفسير القرآن بآثار الصحابة .

٢ - **المسألة الثانية** : تفسير القرآن بآثار التابعين .

٣ - **المسألة الثالثة** : تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين معًا .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين ﷺ والذى يجسِّد من خلاله تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلىّ فى ثلاث طرقٍ نعرض لتفصيل شواهدها من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تفسير القرآن بآثار الصحابة

ترددت فى ثنايا تفسير الشنقيطىّ أكثر من غيرها أسماء كل من : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبَيٍّ بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأم المؤمنين عائشة ﷺ وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطىّ بآثار هؤلاء الصحابة تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الآية[(١)] نراه يأخذ بقول ابن عباس فى أن القرون التى كانت بين آدم ونوح عليهما السلام ، إنما كانت على الإسلام ، كما كانت عدتها عشرة قرون ، وفى ذلك يقول ما نصه: قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ يدل على أنّ القرون التى كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام كما قال ابن عباس : كانت بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، نقله عنه ابن كثير فى تفسير هذه الآية ، وهذا المعنى تدل عليه آيات أُخَر[(٢)] .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الآية[(٣)] نراه يأخذ بقول ابن مسعود فى زينة المرأة مُعَلِّلاً ذلك بأنه أظهر الأقوال وأحوطها ، كما أنه أبعد هذه الأقوال عن أسباب الريبة والفتنة ، وفى ذلك يقول ما نصه : إن المراد بالزينة هو كل ما تتزين به المرأة خارجًا عن أصل خِلْقَتِهَا ، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شىء من بَدَنِها كقول ابن مسعود ومَنْ وافقه من أنها ظاهر الثياب ؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خِلْقَتِها ، وهى ظاهرة بحكم الاضطرار كما ترى ، وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها ، وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة[(٤)] .

---

(١) الإسراء : ١٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٤٩١ .

(٣) النور : ٣١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦/ ١٩٧-٦/ ٢٠٠ .

المسألة الثانية

تفسير القرآن بآثار التابعين

ترددت فى ثنايا تفسير الشنقيطى أكثر من غيرها أسماء كل من : مجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمه مولى ابن عباس[1] وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامة السدوسىّ ﷺ وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطى بآثار هؤلاء التابعين تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية[2] نراه يأخذ بقول مجاهد بن جبر فى وجوب زكاة عُرُوض التجارة ، وفى ذلك يقول ما نصه : وما فسرها به مجاهد ، وإجماع عامة أهل العلم ، إلاّ مَنْ شَذَّ عن السواد الأعظم ؛ يكفى فى الدلالة على وجوب الزكاة فى عُرُوض التجارة ، والعلم عند الله تعالى[3] .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره قول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان[4] نراه يأخذ بقول الحسن البصرىّ فى دلالة هذه الآية على مشروعية

---

(١) ولدفع توهم الخلط المحتمل بين عكرمة المذكور وعكرمة بن أبى جهل نقول : إن عكرمة مولى ابن عباس هو أبو عبد الله عكرمة بن البربرىّ ، تعهده عبد الله بن عباس ﷺ بالتربية والتعليم منذ صغره حتى صار أحد الأئمة الأعلام ، وكان ابن عباس ﷺ يقسو عليه فى ذلك ؛ حتى إنه يقول : (كان ابن عباس يجعل فى رِجْلَىَّ الكَبْل ؛ ويعلمنى القرآن والسُّنن) - والكَبْل : هو القَيْد من كل شىء ، والجمع (كُبُولٌ) - انظر مادة (كَبَل) فى المعجم الوجيز: ص ٥٢٦ - الطبعة ١ - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

ويقول عكرمة أيضًا : (كل شىء أحدثكم فى القرآن فهو عن ابن عباس) كما كان يقول كذلك : (لقد فسرت ما بين اللوحين) أى ما بين دَفَّتَىْ المصحف ، أما من حيث منزلة عكرمة من الجرح والتعديل : فقد اختلف العلماء فى ذلك ما بين مُجَرِّح له وهم القلّة ، وبين مُعَدِّل مُوَثِّق له وهم الكثره وحسبه توثيقًا رواية أمير المحدِّثين وإمامهم البخارىّ عنه فى صحيحه ، فضلاً عن شهادة بعض كبار الأئمة له كشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر فى (مقدمة فتح البارى) وكذا الإمام الشَّعْبِىّ الذى قال عنه : (ما بَقِىَ أحدٌ أعلمُ بكتاب الله من عكرمة) وقد كانت وفاته فى مستهل القرن الثانى الهجرىّ الثامن الميلادىّ عام (١٠٥هـ = ٧٢٤م) .

- راجع فى ذلك (الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير) : د. محمد محمد أبى شهبة ص ٩٦ (بتصرف) .

(٢) البقرة : ٢٦٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٢/ ٤٦٢ .

(٤) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

الاجتهاد، وأنّ كلاً من سليمان وداود عليهما السلام قد اجتهدا فى حكمهما، فأصاب سليمان فَحُمِدَ له ذلك، ولم يُصِبْ داود فَعُذِرَ فى ذلك، وفى هذا يقول الشنقيطىّ ما نصه :

وممَّنْ فسرها بذلك الحسن البصرى رحمه الله كما ذكره البخارىّ وغيره عنه ، قال البخارىّ رحمه الله فى (صحيحه) باب (متى يستوجب الرجل القضاء) وقال الحسن : أخذ الله على الحكام ألاّ يتبعوا الهوى ، ولا يخشوا الناس ، ولا تشتروا بآياتى ثمنًا قليلاً ، إلى أن قال : وقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان[1] فَحُمِدَ سليمان ، ولم يُلَمْ داود .

ولولا ما ذكره الله تعالى من أمر هذين ؛ لرأيتَ أنّ القضاة هلكوا ، فإنه تعالى أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده ، انتهى محل الغرض منه ؛ وبه تعلم أن الحسن البصرى رحمه الله يرى أن معنى الآية الكريمة كما ذكرنا[2] .

المسألة الثالثة

تفسير القرآن بآثار الصّحابة والتابعين معًا

يجمع الشنقيطى فى كثير من الأحيان بين أقوال الصحابة والتابعين فى تفسير ما يَعْرِض له من الآيات؛ الأمر الذى يمثل معه هذا الجمعُ السِّمةَ الغالبة على منهجه من حيث تفسيره للقرآن بالآثار ، وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة الشاهدة على ذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ الآية[3] نراه يأخذ فى معنى : ﴿ تَؤُزُّهُمْ ﴾ بقول كل من : عبد الله بن عباس من الصحابة ، ومجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة السدوسىّ من التابعين ﷺ فيقول ما نصه : وقوله تعالى ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أى تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصى ، وأقوال أهل العلم فى الآية راجعة إلى ما ذكرنا .

ومن ذلك قول ابن عباس : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أى تغويهم إغواء ،

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٩٩/٤ .

(٣) مريم : ٨٣ .

وقول مجاهد : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أى تُشْلِيهِم إشْلاَءً[1] وقول قتادة : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أى تزعجهم إزعاجًا[2] .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ الآيـــة[3] نراه يأخذ فى معنى : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ بقـول عبد الله بن عـباس ، وعـبد الله بن عـمـر مـن الصحابة ، ومـجاهد بن جبر ، وقتـادة بن دعامة السدوسىّ ، وسـعيد بن زيد ، وأبى العالية ، والشَّعبىّ ، والضحاك بن مزاحم من التابعين ﷺ فيقول ما نصه :

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والضحاك ، وابن زيد : هو نفخ الرُّوح فيه بعد أن كان جَمَادًا ، وعن ابن عباس : خروجه إلى الدنيا ، وقال قتـادة : عن فرقة نبات شَعْـرِه ، وقال الضحاك : خروج الأسنان ، ونبـات الشَّعْر ، وقال مجاهد : كمال شبابه ، وروى عن ابن عمـر : أن الصحيح عمومه فى هذا وفى غيره من النطق والإدراك ، وتحصيل المعقولات إلى أن يموت .

والظاهر أنَّ جميع أقـوال أهل العلم فـى قـوله تعالى : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ أنه صار بَشَرًا سَوِيًّا ، بعد أن كان نطفة ، ثم مُضْغَة ، ثم عَلَقَة ، ثم عظامًا ، كما هو واضح[4] .

---

(١) تُشْلِيـهم إشْلاءً : أى تغـريهم إغـراءً ، من (الإشْلاء) وهو الإغـراء بالشىء والدعوة إليـه ، ومـنه قولهم : (أَشْلَيْتُ الكلب) أى دعوتُهُ إلى الصيد وأغريتُهُ به ، وفى ذلك يقول زياد الأعجم :

أَتَيْنَا أبا عَمْرٍو فَأَشْلَى كلابَهُ ... علينا فكدْنا بين بَيْتَيْه نُؤْكَلُ

كما يقال : (أَشْلَيْتُ الشَّـاةَ والناقةَ) أى دعوتُهُمَا بأسمائهما لأَحْلِبَـهُمَا ، وفى ذلك يدعو الراعى ناقتَيْه (عِفَاس وبَرْوَع) قائلاً :

وإنْ بَرَكَتْ منها عَجَاسَاءُ جِلَّةٌ ... بِمَحْنِيَّةٍ أَشْلـى العِفَاسَ وبَرْوَعَا

• انظر مادة (شَلا) فى لسان العرب : ٤/٢٣١٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٣٨٩ .

(٣) المؤمنون : ١٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٧٨٠ .

المطلب الثالث

التعقيب

وينتظم الملاحظات الثلاث التالية :

١ - الملاحظة الأولى : الجمع بين آثار الصحابة والتابعين .

٢ - الملاحظة الثانية : عدم عَزْو بعض الآثار .

٣ - الملاحظة الثالثة : رَدّ بعض الآثار .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسير القرآن بآثار كل من الصحابة والتابعين ﷺ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الثلاث التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

الجمع بين آثار الصحابة والتابعين

حيث يجمع الشنقيطى أحيانًا بين آثار كلٍّ من الصحابة والتابعين ﷺ فى تفسير ما يَعْرِض له من الآيات ، وهذا ما سبق أن استشهدنا له ، ودلّلنا عليه ؛ تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة[1] .

الملاحظة الثانية

عدم عزْو بعض الآثار

يورد الشنقيطى أحيانًا بعض الآثار على وجه الإجمال دون أن يعزو أيًّا منها إلى أىٍّ من الصحابة أو التابعين ﷺ وفيما يلى نكتفى بمثال واحد تنبيهًا به على غيره من الشواهد القليلة التى وقعت فى ثنايا تفسيره المختلفة :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ الآية[2] نراه يورد اسم مَلَكِ الموت المُوكَّل بقبض أرواح الخلائق مِن قِبَلِ الله تعالى على أنه : (عزرائيل) مشيراً بذلك إلى أن هذا هو ما أثبتته بعض الآثار دون أن يعزو أيًّا منها إلى قائليها من الصحابة أو التابعين ﷺ حيث يقول ما نصه : وظاهر هذه الآية الكريمة أن الذى يقبض أرواح الناس مَلَكٌ واحدٌ معينٌ، وهذا هو المشهور؛ فقد جاء فى (بعض الآثار) أنّ اسمه : (عزرائيل)[3] .

الملاحظة الثالثة

ردّ بعض الآثار

يقف الشنقيطى موقفًا جليًا واضحًا إزاء تلك الآثار التى تخالف نصوص الكتاب والسُّنّة ، سواء كانت هذه الآثار تُعْزَى إلى الصحابة أو تُعْزَى إلى التابعين ﷺ وهذا ما

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث . (٢) السجدة : ١١ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٥٠٤ .

يُحْسَبُ لمنهجه فى تفسير القرآن بهذه الآثار ؛ لأن المجمع عليه عند جمهور العلماء أن نصوص الكتاب والسُّنة لا تُرَدُّ بما يخالفها من تلك الآثار ولا مِن غيرها[1] .

ولذا ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الآية[2] نراه يرد تأويل أم المؤمنين عائشة ﵂ لمخالفته ما ثبت فى السُّنة الصحيحة دون مُعَارِض له من كتابٍ أو سُنةٍ ، حيث يقول ما نصه: إن النصوص الصحيحة عن رسول الله ﷺ فى سماع الموتى لم يثبت فى الكتاب ولا فى السُّنة شيءٌ يخالفها ، وتأويل عائشة ﵂ بعضَ الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة (لايجب) الرجوع إليه[3] لأن غيره فى معنى الآيات أوْلَى بالصواب منه ؛ فلا تُرَدُّ النصوص الصحيحة عن النبىّ ﷺ بتأويل الصحابة أو التابعين ﵃ بعضَ الآيات[4] .

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) النمل : ٨٠ .

(٣) انظر ملاحظتنا على قوله : (لا يجب) ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٤٢١ .

ختام هذا الفصل

تعقيب حول التفسير بالمأثور عند الشنقيطى

وفى ختام عرضنا لمنهج الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بالمأثور والذى يشمل كلاً من القرآن والسُّنة والآثار؛ فإنه يمكننا أن نرصد هاتين الملاحظتين اللتين تَرِدَانِ على ذلك فيما يلى :

١ - الجمع بين القرآن والسنة والآثار :

حيث يَعْمَد الشنقيطى فى كثير من الأحيان إلى الجمع بين محاور المأثور الثلاثة المتمثلة فى كل من (القرآن والسُّنة والآثار) فى تفسير ما يَعْرِض له من الآيات ؛ وحسبنا أن نشير فى هذا المقام إلى بعض الآيات التى جمع الشنقيطى فى تفسيره لها بين هذه المحاور ؛ وذلك من باب التنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

أ - الآية الأولى :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ الآية[١] .

ب - الآية الثانية :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الآية[٢] .

جـ - الآية الثالثة :

وهى قول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية[٣] .

٢ - أصالة تفسير الشنقيطىّ بالمأثور :

وبالنظر إلى مَسْلَك الشنقيطىّ إزاء منهجه فى تفسير القرآن بالمأثور على مستوى تقعيده النظرىّ ، ثم على مستوى تطبيقه العملىّ ؛ فإننا نتبيّن مدى أصالة هذا المنهج من حيث اتفاقه مع ما ذهب إليه المحققون بين العلماء من العلماء المعتبرين مِن أنّ أعظم وأجلّ طرق التفسير أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن ، ثم بالسُّنة ، ثم بآثار الصحابة والتابعين ﷺ وهى المحاور الثلاثة التى يتنازعها التفسير بالمأثور .

---

(١) النساء : ١١٩ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٧٨/١-٤٨١ .

(٢) النحل : ٦١ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢٨٨/٣-٢٩١ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٢/٧-٣٩٥ .

وهذا المَسْلَك هو ذات ما نصَّ عليه شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة واصفًا إياه فى (مقدمته) بأنه (أحسن طرق التفسير) حيث يقول ما نصُّه : **فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب** : إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن ؛ فما أُجْمِلَ فى مكان فإنه قد فُسِّر فى موضع آخر ، وما اختُصِرَ فى مكان فقد بُسِطَ فى موضع آخر .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنة فإنها شارحة للقرآن ومُوَضِّحَة له ؛ فإن لم نجد التفسير فى القرآن لا فى السُّنة ، رجعنا حينئذ فى ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين .

فإذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السُّنة ، ولا وَجَدْتَه عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين ﷺ[1] .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيميّة ص ٤٢-٤٧ .

الفصل الثانى

تفسير القرآن بالرأى

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

٣ - المبحث الثالث : التعقيب .

المبحث الأول

التقعيد النظرى

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : مِحْوَرَا الرأى .

٢ - المطلب الثانى : أدلة الرأى .

٣ - المطلب الثالث : ضابطا الرأى .

٤ - المطلب الرابع : شروط الرأى .

٥ - المطلب الخامس : أنواع الرأى .

ونعنى به موقف الشنقيطىّ مـن تفسير القرآن بالرأى ؛ من حيث كـونه المحور الثانى ، والمرحلة التالية لتفسير القرآن بالمأثور .

- **ولكن ما الذى نعنيه بـ (الرأى) ؟**

والحـق أننا نعـنى بـه جمـلة آراء المفـسرين المعتبرين مِمَّنْ سلفـوا قبل الشنقيطى من لدن عصر تابعـىْ التابعين وحتى عصـره الذى كان يعيش فيه ، باستثناء رأيه الذاتى الذى يصدر منه ، ويعبِّر عنه[1] .

لأنه غالبًا ما يَرْجِع المفسِّر إلى آراء مَنْ سبقـه من العلماء المحققين الذين عَرَضُوا لمثل ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، فما انتـهى إليه السابقون ، هو ذات ما يبدأ به اللاحقون ، وبهذا يتأكـد تواصل علماء الأمة ، ويستـمر عطاؤهم ، عبر الأجـيال المتعاقبـة ، والأعصر المتتابعة .

وصـاحـبنا الشنقـيطى أحـد هؤلاء العلمـاء الذين ينتظمـون فى حلقـات سلسلة هذا التواصل ؛ فهو كمـا يأخذ بآراء مَنْ قبله من العلمـاء السابقين ، فإن رأيه سَيُعَدُّ بمثابة الرأى لِمَنْ بعـده من العلماء اللاحـقين ، ثم إن آراء هؤلاء اللاحقين سَـتُعَدُّ آراءً لِمَـنْ بعدهم ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

- **الرأى عند الشنقيطىّ :**

تتجلّى حقيقـة التفسير بالرأى عند الشنقيطى من خلال محورين أساسـيين يمثلان مفهوم الرأى عنده ، ثم من خلال أدلتـه على ذلك من القرآن والسُّنة والآثار ، فضـلاً عن تحديده لكل من ضوابط هذا الرأى ، وشروطه ، وأنواعه .

وفيـما يلـى نَعْـرِض لكلٍ من هذه المسائل على النحـو الذى يتأدّى عنه بيـان قوله فى الرأى ، وبما تتضح مـعه خلاصة موقـفه منه ، مع رصد رأى البحث فى خـتام جملة هذه المسائل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

(١) وذلك لأن مسيرة التفسير تتوزع فى رأى البحث بين حقـبتين أولاهما (حقبة التفسير بالمأثور) : وتبدأ من لدن بَدْء نزول الوحى على رسول الله ﷺ وتنتهى بآخر مَنْ يمكن الاستشهاد بقوله ، والرجوع إليه ، من تابعىّ التابعين ، وأما ثانيتهما (فحقبة التفسير بالرأى) : وتبدأ من بعد عصر تابعىّ التابعين وتـستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

المطلب الأول

محورَا الرأى

ويتنازع الرأى عند الشنقيطى محوران رئيسان يتمثلان فى كل من : (التأويل) ثم (الاجتهاد) وهذا ما نَعْرِض له على النحو التالى :

١ - الشنقيطىّ والتأويل :

- **التأويل فى اللغة :**

ينقل الشنقيطى ما قاله الطبرىّ فى ذلك فيقول ما نصه : قال ابن جرير الطبرىّ : وأصل التأويل من (آل الشىء إلى كذا) : إذا صار إليه ورجع ، و (يؤول أَوْلاً ، وأَوَّلْتُهُ أنا) : إذا صيرتُه إليه ، ثم قال الطبرىّ : وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

عَلَى أنها كانت تَأَوُّلُ حُبِّهَا ... تَأَوُّلَ رِبْعِىِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا

قال : ويعنى بقوله : (تَأَوُّلُ حُبِّهَا) أى مصير حبها ومرجعه ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيراً فى قلبه ، ثم آل من الصغر إلى العظَم ؛ فلم يزل ينبت حتى أَصْحَبَ فصار قديمًا كالسَّقْبِ الصغير الذى لم يزل يشب حتى أَصْحَب فصار كبيراً مثل أمه[١] .

- التأويل فى الإصطلاح :

أشار الشنقيطى إلى أنّ للتأويل ثلاثة مدلولات اصطلاحية منها اثنان فى اصطلاح المفسِّرين ، ومدلول ثالث فى اصطلاح الأصوليين ، وهذا ما عناه بقوله : اعلم أنّ التأويل يُطْلَقُ ثلاثةَ إطلاقات[٢] نذكرها كما يلى :

١ - مدلول المفسِّرين :

يذكر الشنقيطى مدلولىْ التأويل عند المفسرين فيقول :

الأول : وهو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التى يؤول إليها الأمر ، وهذا هو معناه فى القرآن .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٨ .
و (رِبْعِىُّ السَّقْب والسِّقَاب) : هو كل ما وُلِدَ من الإبل فى أول النتاج ، وقيل : هو ما وُلِدَ من الإبل فى الربيع - انظر مادة (ربَعَ) فى لسان العرب : ٣/١٥٦٥ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٩ .

الثانى: يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قول رسول الله ﷺ فى ابن عباس : «اللهمّ فقهه فى الدين وعلمْه التأويل» الحديث[1] وقول ابن جرير وغيره من العلماء : (القول فى تأويل قوله تعالى : كذا وكذا) أى : تفسيره وبيانه .

ومنه قول عائشة ﵂ الثابت فى (الصحيح) : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لى» الحديث[2] يتأوّل القرآن : تعنى يمتثله ويعمل به ، والله تعالى أعلم[3] .

٢ - مدلول الأصوليين :

يذكر الشنقيطى مدلول التأويل وأنواعه عند الأصوليين فيقول : ومعناه المتعارف فى اصطلاح الأصوليين هو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك[4] .

---

(١) أخرجه البخارى غير تام بلفظ : «اللهمّ فقهه فى الدين» من رواية ابن عباس ﵄ - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤) الوضوء (باب ١٠) وضع الماء عند الخَلاَء - ١/ ٢٤٤ حديث رقم (١٤٣) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم أكثر اختصارًا بلفظ : «اللهمّ فَقِّهه» - انظر صحيح مسلم (كتاب ٤٤) فضائل الصحابة (باب ٣٠) فضائل عبد الله بن عباس ﵄ - ٤/ ١٩٢٧ حديث رقم (٢٤٧٧) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده بلفظه تامًا - ١/ ٢٦٦ حديث رقم (٢٣٩٧) - ١/ ٣١٤ حديث رقم (٢٨٨١) - ومختصرًا بلفظ : «اللهم فَقِّه» - ١/ ٣٢٧ حديث رقم (٣٠٢٣) - ثم تامًا بلفظه : ١/ ٣٢٨ حديث رقم (٣٠٣٣) - ١/ ٣٣٥ حديث رقم (٣١٠٢) - (طبع قرطبة) .

وقد أثبته الشيخ أحمد شاكر تامًا بلفظ «اللهم فقهه فى الدين» مُعَلِّقًا على ذلك بقوله: (فى ح : «اللهم فقه» ولم يُذكر فيها: «فى الدين» وقد صححناه من ك) - انظر المُسْند للإمام أحمد بن حنبل: شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر - ٥/ ١٢ حديث رقم (٣٠٢٣) - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م .

(٢) أخرجه البخارى فى موضعين من صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ١٠) الأذان (باب ١٣٩) التسبيح والدعاء - ٢/ ٢٩٩ حديث (٨١٧) - وكذا فى (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١١٠) سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ النصر : ١-٨/ ٧٣٣ حديث رقم (٤٩٦٨) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٤) الصلاة (باب ٤٢) ما يقال فى الركوع والسجود - ١/ ٣٥٠ حديث رقم (٢١٧/ ٤٨٤) - (طبع الحلبى) - كما أخرجه أحمد فى مسنده - ٦/ ٤٣ حديث رقم (٢٤٢٠٩) - ٦/ ٤٩ حديث رقم (٢٤٢٦٩) - (طبع قرطبة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢٩ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢٩ .

ب - الشنقيطى والاجتهاد :

يشير الشنقيطى إلى مفهومه للاجتهاد من خلال قوله بضرورة اجتهاد العَالِم قدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى حالما يفتقد نصوص القرآن والسُّنة التى تعينه على ذلك ، وفى هذا يقول ما نصه : ومن المعلوم أن المسألة إنْ لم يوجد فيها نص من كتاب الله تعالى أو سُنة نبيه ﷺ فاجتهاد العالم حينئذ بقدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى ليعرف حكم المسكوت عنه من المنطوق به ؛ فإن ذلك لا وجه لمنعه ، وقد كان جاريًا بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين[1] .

المطلب الثانى

أدلـــة الـــرأى

وتتمثل أدلة الرأى عند الشنقيطى فيما يسوقه من الأدلة على كل من : (التأويل) و (الاجتهاد) من القرآن والسُّنة والآثار ، وهو ما نَعْرِض له فيما يلى :

أ - أدلته على التأويل :

- من القرآن :

يسوق الشنقيطى دليله القرآنى على التأويل من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ الآية[2] حيث يقول ما نصه : يحتمل أن يكون المراد بالتأويل فى هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى ، ويحتمل أن يكون المراد به حقيقة أمره التى يؤول إليها ، وقد قدّمنا فى مقدمة هذا الكتاب أنّ من أنواع البيان التى ذكرناها فيه أنّ تكون أحد الاحتمالين هو الغالب فى القرآن يبيّن أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أَوْلَى من الحمل على غيره .

وإذا عرفت ذلك ؛ فاعلم أن الغالب فى القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التى يؤول إليها كقول الله تعالى : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ الآية[6] إلى غير ذلك من الآيات[7] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٣٠ - ٣/ ٥٧٧ .
(٢) آل عمران : ٧ .
(٣) يوسف : ١٠٠ .
(٤) الأعراف : ٥٣ .
(٥) يونس : ٣٩ .
(٦) النساء : ٥٩ .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢٨ .

● من السُّنة :

ودليل الشنقيطى على التأويل من السُّنة يتمثل فيما سبق أن ذكرناه من دعاء النبىّ ﷺ لابن عباس قائلاً : «اللهّم فقهه فى الدين وعَلِمْه التأويل» الحديث .

● من الآثار :

وفى ذلك يسوق الشنقيطى دليله المتمثل فيما سبق أن ذكرناه من قول عائشة ﵂ : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهّم وبحمدك ، اللهّم اغفر لى» يتأول القرآن .

ب - أدلته على الاجتهاد :

● من القرآن :

يسوق الشنقيطىّ دليله القرآن على الاجتهاد من خلال تفسيره لثلاث آيات من كتاب الله تعالى نوردها على النحو التالى :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الآية[1] نراه يقول ما نصه : أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة منع التقليد ، وقالوا : لأنه اتباع غير العلم .

قال مقيده عفا الله عنه : لا شك أن التقليد الأعمى الذى ذَمَّ الله به الكفار فى آيات من كتابه تدل هذه الآية وغيرها من الآيات على منعه ، وكفر متبعه ، كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ الآية[2] إلى غير ذلك من الآيات .

أما استدلال بعض الظاهرية كابن حزم ومَنْ تبعه بهذه الآية التى نحن بصددها وأمثالها على منع الاجتهاد فى الشرع مطلقًا ، وتضليل القائل به ، ومنع التقليد من أصله ؛ فهو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه ، كما هى حال كثير من الظاهرية .

لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بِفُتْيَاه ؛ أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامىّ يسأل بعض أصحاب النبى ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل فتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين[3] .

---

(١) الإسراء : ٣٦ . (٢) البقرة : ١٧٠ .

(٣) أضواء البيان للشنقيطى ٣/٥٧٧ .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان[١] نراه يقول ما نصه : وفى الآية قرينة على أن حكمهما كان باجتهاد وليس بوحى ، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته ، وأن داود مع أنه لم يُصِبْ إلا أنه لم يستوجب لومًا ولا ذماً بعدم إصابته .

وقد أثنى على سليمان بـالإصابة فى قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وأثنى عليهما بقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فدلّ قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ على أنهما حكَمَا فيها معًا ، كل منهما بحُكمٍ مخالف لِحُكْمِ الآخر ، ولو كان وَحياً لما ساغ هذا الخلاف .

كما أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ دَلّ أيضًا على أنه لم يفهمها داود ، ولو كان حُكْمُه فـيها بوحى ؛ لكان مفهـمًا إياها كما ترى ، فقـوله تعالـــى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ مع قوله تعالـــى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قرينة على أن الحكم لم يكن بوحى بل كان باجتهاد ، وقد أصاب فيه سليمان دون داود بتفهيم الله إياه ذلك .

والقرينة الثانيـة هى أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ يدل على أنه فَهَّمَهُ إياها من نصوص ما كـان عندهم من الشرع ؛ لا أنه أنزل فيهـا وحيًا جديداً ناسـخًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ ففهَّمْناهَا ﴾ أليق بالأول من الثانى كما ترى[٢] .

٣ - وفى معْرض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية[٣] نراه يقول مـا نصه : (الهمزة) فى قـوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ للإنكار ، والتقدير : أيُعرِضُون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن ، و (أَمْ) فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ منقطعة بمعنى بل؛ فقد أنكر الله تعـالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التى هى الهمـزة ، وبَيَّنَ أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفـتح للخير ، ولا تنفتح لفهم القرآن .

كما أن ما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على مَنْ أَعْرَض عن تدبر كتاب الله تعـالى قد جاء مُوَضَّحًـا فى آيات كثيرة كـقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ الآية[٤] وقد ذَمَّ الله جلّ

(١) الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٥٩٦ .

(٣) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٤) النساء : ٨٢ .

وعلا المُعْرِضَ عن هذا القرآن العظيم فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الآية[1] .

ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أى تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعْرِض عنها ، غير متدبر لها ؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور فى الآيات، إن كان الله تعالى قد أعطاه فهمًا يَقْدرُ به على التدبر ، وقد شكا النبىّ ﷺ إلى ربه سبحانه من هجر قومه هذا القرآن كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ الآية[2] .

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لابد منه للمسلمين ؛ وقد بيَّنَ النبىّ ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ، كما ثبت عنه ﷺ فى (الصحيح) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : «خيركم مَنْ تَعَلَّم القرآن وعَلَّمَه» الحديث[3] وقال الله تعالى : ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ الآية[4] .

فإعراض كثير من الأنظار عن النظر فى كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السُّنة الثابتة المبيِّنة له ، لَهُو من أعظم المناكر وأشنعها ، وإنْ ظن فاعلوه أنهم على هُدى[5] .

- من السُّنَّة :

استند الشنقيطى فى قوله بمشروعية الاجتهاد إلى حديثين من السُّنة المطهرة يتمثلان فى [illegible]

١ - الحديث الأول :

وهو قول رسول الله ﷺ : «إذا حكم أحدكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» الحديث[6] .

---

(١) الكهف : ٥٧ .
(٢) الفرقان : ٣٠ .
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٢١) خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه - ٩/ ٧٤ حديث رقم (٥٠٢٧) (طبع السلفية)
(٤) آل عمران : ٧٩ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٢٨ .
(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه من روايتىْ عمرو بن العاص وأبى هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا إلى النبىّ ﷺ ثم [illegible] من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن مُرْسَلاً عن النبىّ ﷺ دون ذكر أبى=

وفى مَعْرِض استدلال الشنقيطىّ بهذا الحديث يقول ما نصه : ومن النصوص الدالة على مشروعية الاجتهاد فى مسائل الشرع ، ما ثبت فى (الصحيح) عن النبىّ ﷺ فى ذلك ، حيث قال مسلم بن الحَجَّاج فى (صحيحه) : عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال : (الحديث) .

وبعد أن أورد الشنقيطى هذا الحديث بطرقه المختلفة فى (صحيح مسلم) قال ما نصه : فهذا نص صحيح من النبىّ ﷺ صريح فى جواز الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ، وحصول الأجر على ذلك وإن كان المجتهد مخطئًا فى اجتهاده ، وهذا يقطع دعوى الظاهرية المتمثلة فى قولهم بمنع الاجتهاد من أصله ، وتضليل فاعله والقائل به ، قَطْعاً باتًا كما ترى .

ثم يحكى الشنقيطى عن النووى إجماع العلماء واتفاقهم بشأن ما ذهب إليه فى فهم هذا الحديث قائلاً : قال النووى فى شرح هذا الحديث : قال العلماء : أجمع المسلمون على أن هذا الحديث فى حاكمٍ عالمٍ أهلٍ للحُكْم ، فإن أصاب فله أجران : أجر باجتهاده ، وأجر بإصابته ، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده، وفى الحديث محذوف تقديره : (إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد) .

قالوا : فأما مَنْ ليس بأهلٍ للحُكْم فلا يَحِلُّ له الحُكْم ؛ فإنْ حكَم فلا أجر له ، بل هو آثم ، ولا ينعقد حُكْمُه ، سواء وَافَقَ الحُكْمَ أم لا ؛ لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعى ، فهو عاص فى جميع أحكامه ، سواء وَافَقَ الصواب أم لا ؛ ومن ثم فهى مردودة كلها ، ولا يُعْذَرُ فى شىء من ذلك .

= هريرة ؓ - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٩٦) الاعتصام بالكتاب والسُّنّة (باب ٢١) أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ٣١٨/١٣ حديث رقم (٧٣٥٢) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من رواية عمرو بن العاص ؓ ثم من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ؓ كلتا الروايتين مرفوعتان إلى رسول الله ﷺ - انظر صحيح مسلم (كتاب ٣٠) الأقضية (باب ٦) بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ١٣٤٢/٣ حديث رقم (١٧١٦) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ١٩٨/٤ حديث رقم (١٧٨٠٩) - ومن رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ٢٠٤/٤ حديث رقم (١٧٨٥٤) - (طبع قرطبة) .

ويلاحظ أن كلا من (البخارى ومسلم وأحمد) قد أخرجوا هذا الحديث بلفظ : «إذا حكم الحاكم» وليس : «إذا حكم أحدكم» .

وقد جاء فى (السُّنن) من حديث رسول الله ﷺ : «القضاة ثلاثة : قاضٍ فى الجنة ، واثنان فى النار ، قاضٍ عَرَفَ الحقّ فقضى به فهو فى الجنة ، وقاضٍ عَرَفَ الحقّ فقضى بخلافه فهو فى النار ، وقاضٍ قضى على جهل فهو فى النار» الحديث[1] انتهى الغرض من كلام النووى .

وإضافة إلى رواية مسلم بطرقه المختلفة لحديث : «إذا حكم أحدكم فاجتهد» يورد الشنقيطى رواية البخارى لذات الحديث من طريقَىْ أبى هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ثم يُعَقِّبُ على ذلك قائلاً : فهذا الحديث المتفق عليه يدل على بطلان قول مَنْ منع الاجتهاد من أصله فى الأحكام الشرعية ، ثم إنّ محاولةَ ابن حزم تضعيفَ هذا الحديث المتفق عليه الذى رأيتَ أنه فى أعلى درجات الصحيح لاتفاق الشيخين عليه ؛ لا نحتاج دليلاً إلى إبطالها لظهور سقوطها كما ترى ؛ لأنه حديث متفق عليه مروى بأسانيد صحيحة عن صحابيين جليلين من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبىّ ﷺ[2] .

٢ - *الحديث الثانى* :

وهو قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن قائلاً له : «فَبِم تَحكُمُ ؟ قال . بكتاب الله ، قال : فإنْ لم تجد ؟ قال : بسُنَّة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ؛ قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال :

---

(١) أخرجه الترمذى فى سُننه من رواية بُرَيْدَة عن رسول الله ﷺ - انظر سُنن الترمذى المعروفة بالجامع الصحيح . لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذى ت (٢٧٩هـ=٨٩٣م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ١) ما جاء عن رسول الله ﷺ فى القاضى - ٣/٦١٣ حديث رقم (١٣٢٢ مكرر) - تحقيق وتخريج وتعليق خادم الكتاب والسُّنة :محمد فؤاد عبد الباقى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د. ت).

وأخرجه أبو داود فى سُننه من رواية بُرَيْدَة عن رسول الله ﷺ - انظر سُنن أبى داود : للإمام الحافظ ، المُصنِّف المتقن ، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت (٢٧٥هـ = ٨٨٩م) - (كتاب) الأقضية (باب) فى القاضى يخطىء - ٣/٢٩٧ حديث رقم (٣٥٧٣) - دار الحديث القاهرة - (د.ت) .

كما أخرجه ابن ماجه فى سُننه من رواية بُرَيْدَة عن رسول الله ﷺ - انظر السُّنن : للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المعروف بابن ماجه ت (٢٧٣هـ = ٨٨٧م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) الحاكم يجتهد فيصيب الحق - ٢/٧٧٦ حديث رقم (٢٣١٥) - حقق نصوصه ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقى - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) القاهرة - ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م .

(٢) راجع تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) : ٣/٦١١ ، ٦١٣ ، وقد سبق تخريج الحديث المذكور ص من هذا البحث .

الحمد لله الذى وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرْضِى رسولَ الله ﷺ » الحديث(1) .

(1) ونظرًا لأهمية هذا الحديث ، وكثرة ما ورد عليه من كلام العلماء من قدامى ومحدثين ؛ فإننا نورد تفصيل أقوالهم بشأنه وحكمهم عليه على النحو التالى :

● **أولاً: تخريج الحديث:**

أخرج أصحاب السُّنَن والمسانيد هذا الحديث عن شُعْبَة موصولاً مرة ، وعنه مُرْسلاً مرة أخرى ، وذلك على النحو التالى :

١ - تخريجه موصولاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عَوْن الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو يحدّث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حِمْص عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ) وممن أخرجه بهذا الإسناد نذكر كلاً من :

الترمذى فى سُنَنه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٣/٦١٦ حديث رقم (١٣٢٨) .

أبو داود فى سننه : ٣/٣٠٢ (كتاب) الأقضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء .

أحمد فى مسنده : ٥/ ٢٣٠ حديث رقم (٢٢٠٦٠) - ٥/ ٢٤٢ حديث رقم (٢٢١٥٣) .

الدارمى فى سننه : ١/ ٦٠ (باب) الفتيا وما فيه من الشدة .

الطيالسى فى مسنده : ١/ ٤٥٤ حديث رقم (٥٦٠) - انظر مسند أبى داود الطيالسى سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤هـ = ٨٢٠م) - الطبعة ١ - تحقيق : (د. محمد بن عبد المحسن التركى) بالتعاون مع (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر) - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ابن سعد فى طبقاته : ٢/ ٣٤٧ - ٣/ ٥٨٤ - انظر الطبقات الكبرى : لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م - وجدير بالذكر أن تمام اسم طبقات ابن سعد هو : (الطبقات الكبرى فى ذكر مَغَازى رسول الله ﷺ وسَرَاياه ، وفى مرض النبى ﷺ ودفنه والمراثى ، وذكر مَنْ كان يفتى بالمدينة ، وجَمْع القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ على عهده وبعده ، وذكرُ مَنْ كان يفتى بالمدينة بعد أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار) كما اختص المجلد الثالث بأن كُتِبَ على غلافه الداخلى عبارة : (فى البدريين من المهاجرين والأنصار) .

الخطيب البغدادى : ١/ ٣٩٧ حديث رقم (٤١٣) - ١/ ٤٧٠ حديث رقم (٥١٢) - ١/ ٤٧١ حديث رقم (٥١٣) - ١/ ٤٧٢ حديث رقم (٥١٥) - انظر الفقيه والمتفقه : للحافظ المؤرخ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى ت (٤٦٣هـ = ١٠٧١م) - الطبعة ١ - تحقيق : أبى عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازى - دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

٢ - تخريجه مُرْسَلاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عَوْن الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو يحدّث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حِمْص أن رسول الله ﷺ قال) وممن أخرجه بهذا الإسناد نذكر كلاً من : =

... ...

= الترمذى فى سُنَنه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٣/ ٦١٦ حديث رقم (١٣٢٧) .

أبو داود فى سُننه (كتاب) الأقـضية (باب) اجتهاد الرأى فى القـضاء - ٣/ ٣٠٢ حديث رقم (٣٥٩٢) .

أحمد فى مسنده : ٥/ ٢٣٦ حديث رقم (٢٢١١٤) .

● **ثانيًا : درجة الحديث :**

تناول عدد غير قليل من قدامى العلماء ومحدثيهم هذا الحديث ببيان درجته والحكم عليه ، سواء من ناحيه سَنَده ورجاله ، أو من ناحية مَتْنه ومعناه ، ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر كلا من :

ابن حجـر العسقـلانى عن ابن حزم قوله : لا يصح هذا الحـديث ؛ لأن (الحارث) مجـهول ، وشيـوخه لا يُعْرَفُون ، وقـال ابن طاهر فى (تصنيف مفرد له فـى الكلام على هذا الحديث) : اعلم أننى فحصت عن هذا الحديث فى المسانيد الكبار والصغار ، وسألت مَنْ لقيته عن أهل العلم بالنقل؛ فلم أجد له غـير طريقين وكـلاهما لا يصح - انظر (تلخـيص الحبيـر فى تخريج أحـاديث الرافعى الكبير) : للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محـمد بن محمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢هـ = ١٤٤٨م) - ٤/ ١٨٢ - عُنِىَ بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى - المدينة المنورة - ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م (دون ذكر بيانات الطبع) .

وقال ابن الجوزى : هذا حديث لا يصح ، وإنْ كان الفقهاء كلـهم يذكرونه فى كتبهم ويعتمدون عليه ، ولعمـرى إنْ كان معناه صحيحًـا ؛ إنما ثبوته لا يُعْرَف ؛ لأن (الحارث بن عمرو) مـجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حِمْص لا يُعْرَفُون ؛ ومـا هذا طريقُه فلا وجه لثبوته - انظر (العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية) : للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجرزى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) - ٢/ ٢٧٣ - حققه وعلق عليه : الأستاذ إرشاد الحق الأثرى - نشر إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان - (د.ت).

وقال محـقِّق مسند أبى داود الطيالسى : هذا الحديث إسناده ضـعيف ؛ لجهالة أصحـابه معاذ ، والاختلاف فى وصله وإرساله ، وفى (علل الدارقطنى) يقول الطيالسى : وأكثر ما كان يحدثنا شعبة عن أصحاب معـاذ أن رسول الله ﷺ ثم يقول المحقق : وفى هذا الحديث كلام كثـير ؛ فقد أعلّه البخارى والترمذى والعُقَيلى والدارقطنى وابن حزم وابن الجوزى والذهبى والحافظ ابن حجر ، أعلّوه بما سبق ذكره من الجهالة والإرسال ، كما قوّاه آخرون - انظر (مسند أبى داود الطيالسى) : ١/ ٤٥٥ بتحقيق : د. مـحمد بن عبد المحسن التركى - وانظر أيضًـا (العِلَل الواردة فى الأحاديث النبويّة) : تأليف الحـافظ أبى الحسن على بن عـمر بن أحمـد بن مهـدى الدارقطنى ت (٣٨٥هـ = ٩٩٥م) - ٦/ ٨٩ - الطبعة ١ - تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفى - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية- ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

وقـال الألبـانى : وجـملة القـول أن هذا الحديث لا يـصح إسناده لإرساله ، وجـهـالة راويه (الحارث بن عمـرو) فمَنْ كان عنده من المعرفـة بهذا العلم الشريف ، وتبيَّن له ذلك ؛ فـبها ، وإلا فحـسبه أن يستحـضر أسماء الأئمـة الذين صرّحوا بتضعـيفه ، فيـزول الشك من قلبه ، وها أنا ذا أسردها وأقربها إلى القراء الكرام، وهم: (البخارى - الترمذى - العُقَيلى - الدارقطنى - ابن حزم - =

وفى مَعْـرِض استدلال الشنقيطى بهـذا الحديث يقول مـا نصه : ومن الأدلة الدالة على ذلك مـا روى عن مـعاذ بن جـبل ﷺ أن النبـىّ ﷺ حين بعثـه إلى اليـمن قـال له : (الحديث) .

ويحصـر الشنقيطى روايات هذا الحديـث قائلاً : واعلم أن جمـيع روايات هذا الحديث المذكورة فى المسـند والسنن كلها من طريق شـعبة ، عن أبى عَـوْن ، عن الحرث بن عـمرو (وهو ابن أخى المغيرة بن شـعبة) عن أُنَاسٍ من أصحاب معـاذ ، عن معاذ ، عن رسول الله ﷺ .

= ابن طاهر - ابن الجوزى - الذهبى - السبكى - ابن حجر) فكل هؤلاء وغـيرهم ممن لا نستحضرهم قد ضـعّفوا هذا الحديث ؛ ولن يضـل بإذن الله مَنْ اهتدى بهديهم ، كـيف وهم أَوْلَى الناس بالقول المأثور : (هم القوم لا يشقى جليسهم) هذا ولما أنكر ابن الجـوزى صحته أَتْبَعَ ذلك بقوله : وإن كان معناه صحيحًا كما تقدم ؛ فأقول : هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص ، وهذا مما لا خلاف فيه ، ولكنه ليس صحيح المعنى عندى فـيما يتعلق بتصنيف السُّنة مع القرآن وإنزاله إياه معـه منزلة الاجتـهاد منهمـا ، فكما أنه لا يجـوز الاجتـهاد مع وجود النص فى الكـتاب والسُّنة ؛ فكذلك لا يأخذ بالسُّنة إلا إذا لم يجد فى الكتاب ، وهـــذا التفـريق بينهما مما لا يقول به مسلم ، بل الواجب النظر فى الكتاب والسّنة معًـا وعدم التفريق بينهما ؛ لِمَا عُلِمَ مـن أن السُّنة تُبَيِّن مُجْمَل القرآن ، وتُقَيِّد مطلقه ، وتُخَصِّص عمومه ، كـما هو معلوم - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة) : ٢/ ٢٧٣ حديث رقم (٨٨١) .

وفى موضع آخر يذكر الألبانى كلامًا قريبًا من كلامه السابق إلا أنه يُصَدِّره بقوله : وحسبى الآن أنْ أذكر أنّ أميـر المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى رحـمه الله تعالى قال فـيه : (حديث منكر) - انظر (منزلة السُّنة فى الإسـلام ، وبيان أنه لا يستـغنى عنها بالقرآن) : للشـيخ محمـد ناصر الدين الألبانى ص ١٦ - الطبعة ١ - طبع : المطبـعة الفنية - توزيع : دار المسلم - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

أما (الحارث بن عمـرو) الذى روى هذا الحديث عن أصحاب معاذ بن جـبل ﷺ فقد قال عنه البخارى ما نصه : والحارث بن عمرو ، ابن أخى المغيرة بن شعبة الثقفى ، عن أصحاب معاذ ، عن معاذ ، قد روى عنه أبو عَوْن ، ولا يصح ، ولا يُعْرَف إلاّ بهذا ، مُرْسل - انظر (التاريخ الكبير) : للحافظ أبى عـبد الله محـمد بن إسمـاعيل البـخارى ت (٢٥٦هـ=٨٧٠م) - ٢/ ٢٧٧ - طبع تحت مراقبة : د. محمد عبد المعيد خان - يطلب من : دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان - (د.ت) .

كما أنّ (الحارث بن عمرو) المذكور هنا قد ترجمه العُقَيلى ضمن الضعفاء - انظر (كتاب الضعفاء الكبير) : للحافظ أبى جعـفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّـاد العقيلىّ المكىّ - ١/ ٢١٥ ترجمة رقم (٢٦٢) - الطبعة ١ - حققه ووثقه: د. عبد المعطى أمين قلعجى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

وبهذا يمكننا أن نلخص مـا انتهت إليه أقوال العـلماء من القدامى والمحدثين بشـأن حكمهم على هذا الحديث فنقول : هذا الحديث وإنْ كان ليس صحيح الإسناد ؛ إلا أنه صحيح المعنى ، بل وعليه عمل الأمة سلفًا وخلفًا ، وهذا هو وجه شهرته التى تُعَضِّد قَبولَه والأخذَ به ، والله تعالى أعلم .

ثم يورد الشنقيطى بعد ذلك جملة أقوال العلماء فى حُكْمِهم على هذا الحديث من حيث الصحة والضعف ، وعلى رجاله من حيث الجرح والتعديل ، بادئًا ذلك بَعْرِض أقوال كل من ابن قدامة فى كتابه: (رَوْضَة النَّاظِر) ثم أقوال ابن كثير فى كتابيْه : (تفسير القرآن العظيم) و (تاريخ ابن كثير) فيحلّل هذه الأقوال ويُعَلِّق عليها ، وفى النهايه يحتكم إلى ما ذهب إليه ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة فى كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن حُكْمِه على الحديث المذكور بالصحة والقَبُول(١) .

- من الآثار :

استند الشنقيطى إلى جملة غير قليلة من الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ﷺ فى إقامة الحُجَّة على مشروعية الاجتهاد والقول به ، وهذا ما نَعْرِض له على النحو التالى :

أ - من آثار الصحابة :

يحتج الشنقيطى فى ذلك بجملة من اجتهادات الصحابة ﷺ فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، والتى لم يلقوا إزاءها أدنى معارضة ، أو حتى أقل نكير ؛ ومن ثم يبدأ استدلاله بهذا قائلاً : اعلم أنّ الصحابة ﷺ كانوا يجتهدون فى مسائل الفقه فى حياة النبىّ ﷺ ولم ينكر عليهم ، وبعد وفاته من غير نكير ، ومن تلك الاجتهادات ما يلى :

١ - صلاة العَصْر :

حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه ﷺ أن يُصَلُّوا العصر فى (بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق ؛ وقال : لم يُرِدْ منا ﷺ تأخير العصر ، وإنما أراد منا سرعة النهوض ، فنظروا بذلك إلى المعنى ، واجتهد آخرون وأَخَّرُوهَا إلى (بنى قريظة) فصلّوها ليلاً ؛ وقد نظروا بذلك إلى اللفظ ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس(٢) .

٢ - غلام اليمن :

حيث كان عَلِىٌّ ﷺ باليمن ؛ فأتاه ثلاثة نَفَرٍ يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم : هو ابنى ! فأقرع عَلِىٌّ ﷺ بينهم ؛ فجعل الولد للقارع ، وجعل عليه للرجلين الآخرين

---

(١) انظر تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) : (٣/ ٥٨٣ ٥٨٦) - (٤/ ٦٠٠-٦٢٥) .

(٢) أضواء البيان - الشنقيطى ٤/ ٦٢٥ .

ثلثيْ الديَة ؛ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فضحك حتى بَدَتْ نواجذه من قضاء عَلِيٍّ رضي الله عنه[1] .

٣ - مَسألة الكَلالَة :

حيث اجتهد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في الكلالة قائلاً : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صوابًا فمن الله تعالى ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان : (أراه ما خلا الوالد والولد) فلما استُخْلِفَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إنى لأستحيى من الله تعالى أنْ أَرُدَّ شيئًا قاله أبو بكر رضي الله عنه[2] .

ب - من آثار التابعين :

يحتج الشنقيطى فى ذلك بِمَسْلَك التابعين وتابعيهم ومَنْ بعدهم إزاء اجتهاداتهم فيما لم يهتدوا فيه بنص يستندون إليه من الكتاب أو السُّنة أو آثار الصحابة قبلهم رضي الله عنهم ومن ثم ؛ نراه ينقل فى ذلك ما أورده ابن القيِّم فى كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الصحابىّ شريح رضي الله عنه على لسان الشَّعْبِىّ التابعىّ رضي الله عنه حيث يقول ما نصه : قال ابن القيِّم فى كتابه (إعلام الموقعين) :

قال الشعبى عن شريح : قال لى عمر : اقْضِ بما استبان لكَ من كتاب الله ، فإنْ لم تعلم كل كتاب الله ؛ فاقْضِ بما استبان لكَ من قضاء رسول الله ﷺ فإن لم تعلم كل أقضية رسول ﷺ فاقْضِ بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين ؛ فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح[3] .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشنقيطى قد استدل بغير ذلك من الآثار الكثيرة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فى القول بمشروعية الاجتهاد ، غير أن فيما ذكرناه منها تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

المطلب الثالث

ضابطا الرأى

يحكم الرأى الشنقيطى ضابطان اثنان يتمثلان فى كل من اللغة والأصول ، ونَعْرِض لهما كما يلى :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٢٥-٦٢٦ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٢٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٢٨ .

أ - الضابط الأول (اللغة) :

ونكتفى فى إشارة الشنقيطى إلى إعمال هـذا الضابط اللغوىّ بما لا يفتأ أن يصرّح به بين الحين والآخر من احتكامه إلى ما تقضى به لغة العـرب ، وما يجرى على قواعدها الثابتة ، ومن ذلك ما يذكره قائلاً : وأظـهر الأقوال فى الآية عندى هو جريانها على اللغة الفـصيحة من غير إشكال ولا تقدير[1] .

ب - الضابط الثانى (الأصول) :

ونكتفى فى إشارة الشنقـيطى إلى إعمال هذا الضابط الأصولى بذكر القـاعدتين التاليتين تنبيهًا بهما على غيرهما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - قاعدة (الأخذ بظاهر القرآن) :

حيث يحتكم الشنقيطى فى تفسـير الآية إلى ظاهر القرآن ما لم يَصْرِف عن ذلك الظاهر دليل آخر ؛ جريًا علـى ما يقرره علماء الأصول فى هذا الصـدد ، وهو ذات ما ينقله عنهم الشنقيطـى قائلاً ما نصـه : والقاعدة المقـررة فى علم الأصول : (أن ظاهر القـرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه)[2] .

٢ - قاعدة (دلالة الإشارة) :

حيث يـحتكـم الشنقـيطى أيضًا فـى تفـسيـر الآية إلى ضمـها إلى غيـرها من الآيات الأخرى ؛ ليـتأدى عن ذلك إكتـمال دلالتـها ، وتمام معناها ، جـريًا على ما يقـرره علماء الأصول فى هذا الصدد ، وهو ذات ما ينقله الشنقـيطى عنهم قائلاً ما نصه : لا تدل بعض الآيات على معناها إلاّ بضمهـا إلى بعض الآيات الأخرى ، وتلكم الدلالة هى المعروفة عند علماء الأصول بـ : (دلالة الإشارة)[3] .

المطلب الرابع

شـروط الـرأى

ويتنازع تلك الشروط عند الـشنقيطىّ محوران أولهـما : (شروط المُجْـتَهِد) وثانيهـما : (شروط المُجْتَهَد فيه) وهما ما نَعْرِض لهما على النحو التالى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٣٦٣ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٥٨٥ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٣٨٥ .

أ - شروط المُجتهد :

يسوق الشنقيطى جملة هذه الشروط من خلال رَدِّه على متأخرى الأصوليين الذين يوقفون العمل بكتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ على تحصيلها ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : اعلم أنّ المتأخرين من أهل الأصول الذين يقولون بمنع العمل بالكتاب والسُّنة مطلقاً إلا للمجتهدين يقولون :

إن شروط الإجتهاد هى : كون المجتهد بالغًا - عاقلاً (أى شديد الفهم) - عارفًا بالدليل العقلى (أى استصحاب العدم الأصلى حتى يَرِدَ نقل صارف عنه) - عارفًا باللغة العربية (من نحو وصرف وبلاغة) - وبعضهم يزيد المُحتَاجَ إليه من فن المنطق (حيث شرائط الحدود والرسوم والبرهان) - عارفًا بالأصول (حيث العلم بأدلة الأحكام من الكتاب والسُّنة) - عارفًا بالحديث (حيث العلم بشروط التواتر والآحاد والصحيح والضعيف) - عارفًا بعلوم القرآن (حيث أسباب النزول والناسخ والمنسوخ) - عارفًا بالسيرة والرجال (حيث أحوال الصحابة ورواة الحديث) - عارفًا بمدارك النصوص فى المصحف وكتب الحديث (ولا يشترط عندهم حفظه لها) - عارفًا بالحقائق الشرعيّة والعُرْفِيَّة - عارفًا بمواقع الإجماع والخلاف (مع خلافهم فى شرط عدم إنكاره القياس)(١) .

فتلكم اثنا عشرَ شرطًا أمكننا حصرها وتصنيفها من خلال ذكر الشنقيطى لها على لسان متأخرى الأصوليين ، غير أنه يَعْمَد بعد فراغه منها إلى التعقيب عليها بقوله : واعلم أن الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عند متأخرى علماء الأصول لا يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من : كتاب ولا سُنة ولا إجماع ولا قياس جَلِىّ ولا أثر عن الصحابة(٢) .

أما رَدُّ الشنقيطى على متأخرى الأصوليين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بمنع تدبر القرآن والسُّنة وتفهمهما والعمل بهما إلاّ لِمَنْ بلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه الاثنى عشرَ التى أسلفنا ذكرها ، فهو ما يتمثل فى إبطاله دعواهم هذه حيث يقول فى ذلك ما نصه : ولا يخفى أن قولهم هذا لا مستند له من دليل شرعى أصلاً ، بل الحق الذى لا شك فيه أن كل مَنْ له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معانى الكتاب والسُّنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما ، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعًا ، وأما ما علمه منهما علمًا صحيحًا ناشئًا عن تعلم صحيح ؛ فله أن يعمل به ولو كانت آية واحدة أو حديثًا واحدًا .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٧٧ (بتصرف) . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٣٠ .

وإيضاح ذلك هو أن كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين كلها دالٌ على أن العمل بكتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ لا يشترط له إلا شرط واحد وهو العلم بحُكم ما يعمل به منهما ؛ فلا يشترط فى العمل بالوحى شرط زائد على العلم بحكمه ألبته ، وهذا مما لا يكاد ينازع فيه أحد ، وإنما مراد متأخرى الأصوليين بجميع هذه الشروط التى اشترطوها (تحقيق المناط) لأن العلم بالوحى لما كان هو مناط العمل به ؛ لذا فقد أرادوا أن يحققوا هذا المناط ، أى يبينوا الطرق التى يتحقق بها حصول العلم الذى هو مناط العمل .

ومن ثم ؛ فقد اشترطوا جميع الشروط المذكورة ظنًا منهم أنه لا يمكن تحقيق حصول العلم بالوحى بدونها ، غير أن ظنهم هذا فيه نظر ؛ لأن كل إنسان له فَهْمٌ ؛ إذا أراد العمل بنص من كتاب أو سُنة ، فلا يمتنع عليه ، ولا يستحيل أن يتعلم معناه ، ويبحث عنه هل هو منسوخ أو مُخَصَّص أو مُقَيَّد ، حتى يعلم ذلك فيعمل به[1] .

ب - شروط المُجتَهَدِ فيه :

ويوجز الشنقيطى تلك الشروط من خلال عبارته المحدَّدَة التى يوجب بها الاتباع ويمنع الاجتهاد فى كل ما نصّتْ عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنة ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : والأمور المنصوصة فى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد ، بل ليس فيها إلا الاتباع ؛ ومن ثم فلا اجتهاد فيما دلّ عليه نَصٌ من كتاب أو سُنة سَالِمٌ من المُعَارِض[2] .

- لا اجتهاد مع النَّص :

وليس ثمة شك فى أنّ ما ذهب إليه الشنقيطى إنما يتفق مع ما يقصده الأصوليون بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) والحق أن هذا القول بحاجة فى رأينا إلى توجيهه من خلال الجوانب الثلاثة التالية :

١ - الاجتهاد الباطل :

نرى أن توجيه قول الأصوليين : (لا اجتهاد مع النص) إنما يعنى أنه (لا اجتهاد باطلاً أو معارضًا أو مخالفًا) لما تدلّ عليه نصوص أخرى من الكتاب والسُّنة ؛ ومن ثم فإنه يسوغ لنا أن نُوَصِّفَ قول الأصوليين هذا ليصير : (لا اجتهاد إلا مع النص) أى لا اجتهاد إلا فى ضوء ما تدل عليه النصوص الأخرى ، وفى ظل ما تهدى إليه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤٧٨ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٥٤٧ .

٢ - افتقاد النص :

ونعنى بذلك تحديد مجال الاجتهاد ؛ حيث لا يكون الاجتهاد إلاّ عند افتقاد وغياب النص مَحَلّ هذا الاجتهاد وموضعه ؛ ومن ثم فلا يَعْمَد العالم إلى الاجتهاد إلاّ عندما يفتقد النص فى المسألة التى يريد أن يجتهد فيها ، غير أن ذلك لا يكون إلا مع وجود النصوص الأخرى التى يستضىء بدلالاتها ، ويستهدى بمعانيها ، إزاء ما يجتهد فيه بشأن هذه المسألة أو تلك .

٣ - مَحَلُّ الاستنباط :

أما إعمالُ العالم عقلَه ، وإنعامُ نظرَه ، فيما تحت يديْه من نصوص الكتاب والسُّنة ؛ فهذا ما نُوَصِّفَه بـ : (الاستنباط) وليس بـ : (الاجتهاد) وذلك لما سبق أن فَصَّلْنَا فيه القول بشأن مُسْتَوَيَىْ التأويل اللذين يتمثلان فى كل من : (الاستنباط) الذى يعمل داخل إطار النص الخَفِى أو المُشْكَل ، فلا يتجاوز حدوده ، بل وينتهى بداخله ، ثم : (الاجتهاد) الذى يعمل عند غياب النص وافتقاده ؛ فلا يُحَدُّ بحدٍّ ، ولا يُقَيَّدُ بإطار ، اللهمّ إلا استضاءته بالنصوص الأخرى واسترشاده بها ؛ وذلك ضمانًا لسلامته من التعارض والتناقض اللذين يتأدّى عنهما بطلانه وعدم قَبُوله(١) .

وهو ذات القيد الذى يشير إليه الشنقيطى بقوله : واعلم أن كل اجتهاد يخالف النص ؛ فهو اجتهاد باطل ، لأن نصوص الكتاب والسُّنة حاكمة على كل المجتهدين ، فليس لأحد منهم مخالفتها كائنًا مَنْ كان(٢) .

المطلب الخامس

أنـــواع الـــرأى

وتتمثل أنواع الرأى عند الشنقيطى فى تلك الحالات الثلاث التى ساقها على لسان الأصوليين بشأن تقسيمهم للتأويل على النحو التالى :

أ - التأويل الصحيح :

وهو ما يُسَمَّى أيضًا عند أهل الأصول : (التأويل القريب) وذلك بأن يكون صَرْفُ اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح فى نفس الأمر يدل على ذلك كقول رسول الله ﷺ

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان · الشنقيطى ٥٤٧/٧ .

الثابت فى (الصحيح) : «الجارُ أَحَقُّ بِصَقَبِه» الحديث[1] فإن ظاهره المتبادر منه هو (ثبوت الشُّفْعَة للجار) غير أن حمل الجار فى هذا الحديث على خصوص (الشريك المقاسم) حَمْلٌ له على محتمل مرجوح ، إلاّ أنه دَلّ عليه الحديث المُصَرِّح بأنه : «إذا صُرِفَتْ الطرق ، وضُرِبَتْ الحدود ؛ فلا شُفْعَة» الحديث[2] .

ب - التأويل الفاسد :

وهو ما يُسَمَّى أيضًا عند أهل الأصول بـ : (التأويل البعيد) وذلك بأن يكون صَرْفُ اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً ، غير أنه ليس بدليل فى نفس الأمر ، وقد مَثَّلَ له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى المرأة فى قوله ﷺ : «أيما امرأة نُكِحَتْ بغير إذن وَلِيِّهَا ؛ فنكاحها باطل باطل» الحديث[3] على المكاتبة والصغيرة ، ومنه حمله أيضًا رحمه الله تعالى المسكين فى قول الله تعالى : ﴿ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ الآية[4] على (المُدّ) حيث أجاز إعطاء ستين مُدًّا لمسكين واحد[5] .

جـ - التأويل الباطل :

وهو ما يُسَمَّى أيضًا عند أهل الأصول بـ : (اللَّعِب) وذلك بأن يكون صَرْف اللفظ عن

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيه (كتاب) الحِيَل (باب) احتيال العامل لِيُهْدَى إليه - (طبع بيروت) .

والصَّقْب والصَّقَب : هو الطويل من كل شىء ، وقيل : هو العمود الطويل الذى يُعْمَدُ به البيت ويكون فى وسطه ، وأما قولهم : (مكان صَقَب وصقب) أى قريب ، وفى الحديث : «الجارُ أحَقُّ بصَقَبِه» قال ابن الأنبارى : أراد بالصَّقَب الملاصقة والقُرْب ؛ والمراد به : الشُّفْعَة ؛ فكأنه أراد به ما يليه أى ما يجاوره ويقترب منه - انظر مادة (صَقَبَ) فى لسان العرب : ٤/٢٤٦٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) البيوع (باب) بيع الشريك من شريكه - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) النكاح (باب) ما جاء لا نكاح إلا بِوَلِىّ - (طبع بيروت) - وأخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) النكاح (باب) فى الوَلِىّ - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٨٥١) - (طبع بيروت) .

(٤) المجادَلة : ٤ .

(٥) المُدُّ : هو نوع من المكاييل يساوى ربع صاع ، وهو مقدار مُدُّ النبىّ ﷺ والصاع خمسة أرطال ؛ وعليه فَيُقَدَّرُ المُدُّ برطل وربع الرَّطْل ، وقيل : الصاع أربعة أرطال ؛ وعليه فيُقَدَّرُ المُدُّ بِرِطْلٍ واحد ، كما قيل : إنّ المد رِطْل وثلث عند الشافعى وأهل الحجاز ، ورطْلاَن عند أبى حنيفة وأهل العراق .

وفى حديث فضل الصحابة ﷺ : «ما أَدْرَكَ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه» وقيل : إن أصل المد مُقَدّر بأن يَمُدَّ الرجل يديه فيملأ كفيه بالطعام ، وإنما قُدِّرَ بربع الصاع لأنه كان أقل ما يتصدقون به فى العادة ، والمفرد (مُدّ) والجمع (أَمْدَادٌ ومِدَدٌ ومِدَدَةٌ ومِدَادٌ كثيرة) انظر مادة (مَدَدَ) فى لسان العرب : ٥/٤١٥٦ .

ظاهره لا لدليل أصلاً كقول بعض الشيعة فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآية[1] يعنى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وإلى أنواع التأويل الثلاثة التى أوردها الشنقيطى يشير صاحب (مراقى السُّعود) بقوله :

حَمْلٌ لظاهر على المرجوح ... واقسمْهُ للفاسد والصحيح
صحيحُهُ وهو القريب : ما حُمِل ... مَعَ قوة الدليل عندَ المُسْتَدِل
وغيره : الفاسِدُ والبعيد ... ومَا خَلا : فـ (لَعِبًا) يُفِيد

إلى أن قال :

فَجَعْلُ مسكين بمعنى (المُدّ) ... عليه لائحٌ سِمَات البُعْد
كَحَمْلِ مَرْأَة عَلَى الصَّغِيرَه ... ومَا يُنَافى الحُرَّةَ الكَبِيرَه
وَحَمْلِ مَا وَرَدَ فى الصِّيَام ... عَلَى القَضَاءِ مَعَ الالتِزَام[2]

- **خلاصة موقف الشنقيطى :**

وهكذا يتلخص موقف الشنقيطى من التفسير بالأى من خلال قوله بمشروعيته لِمَنْ اتفقت له وسائله وأدواته المعروفة ، وفى إطار ضوابطه وشروطه المعتبرة ، وهو ما يؤكده من خلال رده على دعوى متأخرى الأصوليين من (أن الاجتهاد قد انقرض ، وأنّ بابه قد اسند ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك مجتهد قبل ظهور المهدى المنتظر) وعندئذ ينبرى للرد على هذه الدعوى مبطلاً إياها بقوله :

وهذا صريح فى أنهم حاكمون على الله العلىّ القدير الذى كل يوم هو فى شأن[3] بأنه لا يَخْلُقُ مجتهدًا قبل المهدى من مدة انقراض الاجتهاد المزعوم ؛ ولا شك أنك يا أخى إنْ لم يُعْمِكَ التعصب المذهبىّ فإنك تقطع بأنه لا مستند له ؛ لأن النبىّ ﷺ قد ثبت عنه فى (الصحيحين وغيرهما) أنه قال : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ؛ لا يضرهم

---

(١) البقرة : ٦٧ .

(٢) راجع فى أنواع التأويل الثلاثة كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٩-٣٣١ .
- نشر البنود على مراقى السُّعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ١/٢٦٩-٢٧٣ (حيث نص الأبيات وشرحها الذى نقل عنه الشنقيطى) .

(٣) هذا اقتباس من قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ الرحمن : ٢٩ .

مَنْ خَذَلَهُمْ حتـى يأتى أمر الله» الحديث[1] وهو حديث مـشهور متـفق عليه ، ولا نزاع فى صحته .

ومن ثم ؛ فإن دعوى أن الأرض لم يبق فيها مجتهد ألبتة ، وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدى المنتظر ؛ مناقضة لهذا الحديث الثابت ثبوتًا لا مطعن فيه عن النبىّ ﷺ ومما لا نزاع فيـه أن كل ما يناقض الحق فـهو الضلال ؛ لأن الله تعـالى يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ الآية[2] والعلم عند الله تعالى[3] .

• رأى البحث :

إنّ الشنقيطى وإنْ كان قـد ذهب إلى القول بمشروعية التفسـير بالرأى وجوازه ؛ إلاّ أننا نرى القول بوجوبه ولزومه ، وذلك متى اقتضـته الضرورة ، وكلما دعتْ إليه الحاجة ؛ لأنّ من أهم مقاصـد المفسِّر الكشف عن مراد الله تعالى فى تنزيله الحـكيم ؛ بما تنصلح به حياة الأمة، وبما يتقـوّم به سلوك العباد ، وبكل ما يـعترى ذلك من تغيرات ، ومـا يَرِدُ عليه من تطوراته ، فى مختلف الأمصار ، وشتى الأعصار .

ومن ثم ؛ فليس ثمة شك فى أن الرأى مطلوب لمواكبة كل تغير ، ومسايرة كل تطور ، بل إن الرأى لابد وأن يكون مستـمرًا باقيًا فى هذه الأمـة استمرار وبقاء هذه الحـياة ذاتها ، وهذا ما يوافقنـا فيه المحققـون من العلماء المعتبـرين بشأن ما ذهبوا إليه مـن قولهم بوجوب الرأى ولزومه ، ونكتفى فى التمـثيل لهم بذكر اثنين من جِلّتهم تنبيهًا بهـما على غيرهما ، ألا وهما :

١ - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

حـيث يقول فى ذلك مـا نصه : وهذا هو الـواجب على كل أحد ؛ فـإنه كمـا يجب السكوت عما لا عِلْمَ له به ، فكـذلك يجب القول فيما سُئِلَ عـنه مما يعلمه ؛ وذلك لقول الله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية[4] ولما جاء فى الحديث المروىّ من طرق :

---

(٣) أخرجـه البخارى فى صحـيحه (كـتاب) فرض الخُمْس (باب) قـول الله تعالى : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الأنفال: ٤١ - (طبع بيروت) - وأخـرجه مسلم فى صحيحـه (كتاب) الإمارة (باب) قوله ﷺ : «لا تزال طائفة» - والـلفظ لمسلم - (طبع بيروت) - كما أورده السـيوطى فى جامع الأحاديث من رواية معاوية ﷺ : ١٩٦/٧ - حديث رقم (٢٥١١٣) .

(٢) يونس : ٣٢ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨١/٧ (بتصرف يسير) .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

«مَنْ سئل عن عِلْمٍ فكتمه ؛ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار» الحديث[1] والله سبحانه وتعالى أعلم[2] .

٢ - الشيخ محيى الدين الكافيجى :

حيث يقول فى ذلك ما نصه : وأما التفسير بالرأى فيما يحتاج الناس إلى معرفة ما يتضمنه اللفظ من وجوب الاعتقاد والعمل ؛ فأمر ورد الشرع بإيجابه فضلاً عن الجواز[3] .

* * *

•• حصيلة القول :

وهكذا نرى كيف أن تفسير القرآن بالرأى عند الشنقيطى يمثل المحور الثانى ، بل ويأتى فى المرحلة التالية ، لتفسير القرآن بالمأثور ، وهذا ما نتفق معه فيه على وجه العموم من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصّلنا فيه القول بشأن رأينا فى (مصطلح الرأى) من حيث اقترانه وتلازمه ، بل ترابطه وتكامله ، مع (مصطلح المأثور) واللذين يمثلان طرفىْ (معادلة التفسير) التى يشهد لها واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيدها ما عليه عمل المفسِّرين أنفسهم ، وذلك من لدن عصر تابعىْ التابعين وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها[4] وهو ما يتفق فى ذات الوقت أيضاً مع ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين ، بل ويبدو مترجمًا بصورة فعليّة عند الشنقيطى من خلال تطبيقه العملىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

---

(١) سبق تخريج الحديث ص   من هذا البحث .

(٢) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيميّة ص ٥٥ .

(٣) التيسير فى قواعد علم التفسير : محيى الدين الكافيجى - ورقة (٤) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧) - (تفسير) .

(٤) راجع تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

المبحث الثانى

التطبيق العملى

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - **المطلب الأول** : أخـــذه بــــرأى عالــــم واحد .

٢ - **المطلب الثانى** : أخذه بما اتفقتْ عليه آراء العلماء .

٣ - **المطلب الثالث** : أخذه بما تعدَّدتْ فيه آراء العلماء .

ونعنى بـه ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبـعه الشنقيطى فى تفسير القـرآن بآراء العملاء ، والذى يُجَسِّدُ من خلاله تطبـيقه العملىّ على ما ذهـب إليه فى تقـعيده النظرىّ ، وقد تمثل هـذا السلوك الفـعلىّ فى طرقٍ ثلاثٍ نَعْرِض لتفـصيل شواهدها من خـلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

أخذه برأى عالمٍ واحدٍ

ومـن ذلك أخذه برأى أبى عبـد الله القرطبىّ فيما ذهب إليه من أن مـعنى (الحُجَّة) فى قول الله تعـالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ الآية[1] إنما يشمل جـميع الاحتجاجـات التى واجه بها نبىُّ الله إبراهيمُ على نبينا وعليه الصـلاة والسلام قومَه ، ذلك الشمول الذي يقول عنه الشنقيطي ما نصه:

وهذه الحُجَّـة هى قول الله تعـالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ الآية[2] وقد صَدَّقه الله تعالى وحكَـمَ له بالأمن والهداية فقـال سبـحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الآية[3] .

والظاهـــر : شمول هذه الحُجَّة لجميع احتـجاجاته عليهم كما جاء ذلك على لسانه فى قـول الله تعـالى : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ الآية[4] لأن الأُفُـول الواقع فى كـل من الكوكب والشمس والقمر هو أكبر دليل ، بل وأوضح حُجَّةٌ على انتفاء الربوبيّة عنها ، وقـد استدل إبراهيم على نبينا وعليه الـصلاة والسلام بهذا الأفول على انتفـاء الربوبيّة فـى قوله : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ فعـدم إدخـال هـذه الحُجَّة فـى قـول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ غير ظاهر ؛ وبمـا ذكرنا من شـمول هذه الحُجَّـة لجميع احتـجاجاته المذكورة صَـدَرَ القرطبىُّ ، والعلم عند الله تعالى[5] .

المطلب الثانى

أخذه بما اتفقتْ عليه آراء العلماء

ومن ذلك أخـذه بما اتفق عليه العـلماء من رفع الحـرج على الحاج إذا أراد أن يُحَصِّلَ

---

(1) الأنعام : ٨٣ . (2) الأنعام : ٨١ .
(3) الأنعام : ٨٢ . (4) الأنعام : ٧٦ .
(5) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٠٢ .

ربحًا عن طريق تجارة أو نحوها شريطة ألاّ ينشغل بذلك عن أداء المناسك ؛ حيث أخذ الشنقيطىُّ بذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية[1] فيقول ما نصه : وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أنه ليس على الحاج إثم ولا حرج إذا ابتغى ربحًا بتجارة فى أيام الحج ؛ إنْ كان ذلك لا يشغله عن شىء من أداء مناسكه[2] .

وإذا كان الشنقيطى قد أخذ فى ذلك بما أجمع عليه علماء التفسير ، إلاّ أنه يأخذ فى أحيان أخرى بما اتفق عليه بعض العلماء ، حيث يعبِّر عن ذلك بقوله : (قال بعض العلماء) أو : (قال بعض أهل العلم) ومن ذلك ما صَرَّحَ به الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ⑧ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ الآيتان[3] حيث يقول ما نصه :

قال بعض أهل العلم : الآية الأولى التى هى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ الآية[4] نازلة فى الأتباع الجَهَلَة الذين يجادلون بغير علم ؛ اتباعًا لرؤسائهم ، من شياطين الإنس والجن ، وهذه الآية الأخيرة فى الرؤساء الدعاة إلى الضلال المتبوعين فى ذلك ، ويدل لهذا أنه قال فى الأولى : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ ﴾ وقال فى هذه : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فتبيّن أنه مضل لغيره ، متبوع فى الكفر والضلال .

كما قال بعض العلماء فى قول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أى بدون علم ضرورى حاصل لهم بما يجادلون به ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا هُدًى ﴾ أى استدلال ونظر عقلى يهتدى به العقل للصواب ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أى وحى نيِّر واضح يَعْلَم به ما يُجَادِل به ، فليس عنده علم ضرورىّ ، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلىّ ، ولا علم من وحى ، فهو جاهل مَحْض من جميع الجهات ، وقوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ حال من ضمير الفاعل المُسْتكنّ فى ﴿ يُجَادِلُ ﴾ أى يخاصم بالباطل فى حال كونه ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ أى لاَوِيَ عنقه عن قَبُول الحق استكباراً وإعراضًا[5] .

(١) البقرة : ١٩٨ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٤٨٩ .
(٣) الحج : ٨-٩ (آيتان) .
(٤) الحج : ٣ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٣٩-٤٠ .

المطلب الثالث

أخذه بما تعددَتْ فيه آراء العلماء

ومن ذلك أخذه بما تعدّدت فيه آراء العلماء فيما ذهبوا إليه بشأن معنى (سُرَادِق) من أنه السور أو الدخان أو البحر المحيط ، حيث يَرُدُّهَا جميعها فى النهاية إلى شىء واحد وهو (إِحْدَاق النار بالكفار من كل جانب) وهذا ما صَرّحَ به فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ الآية[1] حيث يقول ما نصه :

وأما المراد بـ (السُّرَادِق) فى الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شىءٍ واحد وهو (إحداق النار بهم من كل جانب) فمن العلماء مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى سورها كما قاله ابن الأعرابى وغيره ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة كما قال الكلبىّ ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى دخان يحيط بهم وهو المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ الآيتان[2] وفى قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ الآيتان[3] ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أي البحر الذى يحيط بالدنيا[4] .

(١) الكهف : ٢٩ .
(٢) المرسلات : ٣٠-٣١ (آيتان) .
(٣) الواقعة : ٤٣-٤٤ (آيتان) .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٩٤ .

المبحث الثالث

التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

١ - الملاحظة الأولى : تخصيص الرأى .

٢ - الملاحظة الثانية : قِسْمَا الرأى .

٣ - الملاحظة الثالثة : الخلط فى الرأى .

٤ - الملاحظة الرابعة : ألفاظ الرأى .

٥ - الملاحظة الخامسة : غياب بعض أدلة الرأى .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بآراء غيره من العلماء ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

تخصيص الــــرأى

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن ما تناولناه من تفسير الشنقيطى للقرآن بالرأى إنما يختص بآراء غيره من العلماء المحققين ، وسالفيه من المفسرين المعتبرين ، الذين عَرَضُوا لمثل ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ؛ ومن ثم فقد اعتمد آراءهم ، وأخذ بأقوالهم ، بشروط الرأى المعروفة ، وضوابطه المعتبرة ، وذلك على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ، بَدْءً بعصر تابعىّ التابعين ، وإنتهاءً بعصره الذى كان يعيش فيه .

أما رأيه هو فيما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ؛ فذلكم ما سوف نتناوله من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

الملاحظة الثانية

قسما الــــرأى

ومن البدهىّ أن يشتمل ما يحشده المفسِّر من الرأى فى تفسيره على كل من القسمين التاليين :

١ - آراء السابقين عامة :

وتتمثل فى آراء السالفين ، من العلماء المعتبرين ، والتى يعتمدها المفسِّر ، ويأخذ بها فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وذلك من لدن عصر تابعى التابعين ، وحتى عصره الذى يعيش فيه .

لأن آراء أولئك العلماء السابقين ، وإنْ كانت تُعَدُّ من المأثور (بمعناه اللغوىّ) الذى يدل على (مجرد النقل) إلا أنها تختلف عن المأثور (بمعناه الاصطلاحىّ) والذى ينحصر فى المحاور الثلاثة المحدَّدَة بكل من (الكتاب) و (السُّنة) و (آثار الصحابة والتابعين ﷺ) ومن ثم فإنه ينبغى التفريق بين المأثور (بمعناه الاصطلاحى) والتفسير بآراء السابقين (بمعناه اللغوىّ) .

ب - رأى المفسِّر خاصة :

ويتمثل فيمـا يُنْتِجُه المفسِّر نفسه من جملة الآراء التفسـيرية ، والتى تعبّر فى المقام الأول عن رأيه الخاص ، وتُبَلْوِر نظرته الذاتية ، فيما يتناوله من قضـايا التفسير ، وفيما يَعْرِض له من مسائلـه المختلفة ، لأنه من البداهة بمكان أن يَعْـمَد هذا المفسِّر أو ذاك إلى مـا أنتجه من رأى خاص ، وما بَلْوَرَه من نظرة ذاتية ؛ ليـضيفهما بصورة طبيـعية ، وسلوك تلقائى ، إلى رصيد ما قبله من آراء السابقين الخاصة ، ونظراتهم الذاتية كذلك .

ومن ثم ؛ فإن رأيه هذا سـيُعَدُّ بدوره بمثابة تـفسيراً بالرأى لغـيره من اللاحقين ، فيـما يتعلق بهذه المسألة ، أو تلك القـضية ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ، وهذا مـا طبَّقه الشنقيطى بصورة عـملية فى تفسيره ، فكمـا أنه أخذ بآراء السالفين عليه من العلماء المعـتبرين من خلال (التفـسير بالرأى) كما سبق أن عـرَضْنَا له ؛ فإننا نجده يَعْمَد كذلك إلى رأيه الخاص ، ويعتبر نظرته الذاتية ، فيما يتناوله من الآيات ، وما يَعْرِض له بالتفسير ، وذلك من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) كـما سيأتى ذكرهما فى موضعهما من البحث .

الملاحظة الثالثة

الخلـط فــى الـــرأى

رأينا فيما سبق كيف أن الرأى عند الشنقيطى يتنازعه محوران رئيسان تمثلا فى موقفه من كل من : (التأويل) و (الاجتـهاد) بأدلتهمـا المعتبرة من الكتاب والـسُّنة والآثار ، فضلاً عن المعروف عنده من ضوابطهما وشروطهما وأنواعهما .

والحق أننا نخـتلف مع الشنقـيطى بشأن هذين المحـوردين اللذين يمثـلان الرأى عنده ؛ وذلك لما نراه من الخلط الحادث عنده بين (التـأويل) كأصل ، و (الاجتهـاد) كفرع ؛ وذلك لأن (التأويل) إنما يمثل فى رأينا الأساس الذى ينطلق منه (التفسير بالرأى) بل ويعتمد عليه ، فيما يتوصل إليه من آراء ، أو يتمخض عنه من نتائج، من خلال محورىْ التأويل التالين :

١ - المحور الأول (الاستنباط) :

ونعنى به حقيقة ما يمكن أن ينتهى إليه معنى كلٍّ من اللفظ القرآنى المفرد ، وكذا الجملة القرآنيـة المركبة، وذلك من خلال أقـصى ما يحتـملانه من مدلول غيـر مباشر ، وأبعـد ما يعطيانه من إيحـاء غير منظور ؛ وعليه فـإن (التأويل) إنما يتوجه من خـلال محوره هذا إلى استنطاق النص بأقصى ما يمكن الوصول إليه من مدلول ، وأبعد ما يعطيه من إيحاء .

ب - المحور الثانى (الاجتهاد) :

وهو أعلى من الاستنباط فى الرتبة ، وتَالٍ له فى الترتيب ؛ لأن الاستنباط وإن كان يتوجه إلى النص الموجود وينحصر فيه ؛ إلا أن الاجتهاد يتعدى حدود النص ليقيس عليه آراء غير مطروقة ، ويتمخض بذلك عن نتائج غير معروفة .

وبهذا يتأكد علو الاجتهاد على الاستنباط ؛ من حيث إن الاستنباط يبدأ بالنص وينتهى إليه ، أما الاجتهاد فيتجاوز النص ولا ينتهى إلا فيما هو أبعد من حدوده ، وأوسع من مقتضاه .

الملاحظة الرابعة

ألفاظ الـــــرأى

تختلف ألفاظ الشنقيطى التى يعبّر بها عن مشروعية الرأى من موطن إلى آخر ، غير أنها تنتهى جميعها إلى قوله بجوازه وعدم منعه ، وفيما يلى نسوق بعض هذه الألفاظ المعبّرة عن ذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة، والتى تشمل كلاً من :

قوله : (واجتهاد العالم حينئذ لا وجه لمنعه) وقوله : (وكان جاريًا بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين) وقوله : (ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، فإنه مُعْرِض عنها ، غير متدبّر لها ؛ ومن ثم فإنه يستحق الإنكار والتوبيخ إن كان الله تعالى قد أعطاه فهمًا يَقْدِر به على التدبّر) وقوله : (وتدبّر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به ، أمر لابد منه للمسلمين ، وقد بيَّن النبىّ ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ؛ ولذا فإنّ الإعراض عن ذلك لَهُوَ من أعظم المناكر وأشنعها ، وإنْ ظن فاعلوه أنهم على هُدًى) .

وأخيرًا فقد نراه يصرّح بمشروعية الاجتهاد فيقول : (ومن الأدلة الدالة على مشروعية الاجتهاد) أو قد يبطل مَنْ يمنعه بقوله : (وهذا يدلّ على بطلان قول مَنْ منع الاجتهاد من أصله) .

فتلكم هى جملة الألفاظ التى عبّر بها الشنقيطى عن مشروعيّة التفسير بالرأى من خلال دورانها وتكرارها فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية[1] وذلك على مدار مائة وست وخمسين صفحة كاملة[2] .

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/٤٢٨-٥٨٣ .

الملاحظة الخامسة

غيابُ بعض أدلة الرأى

ونعنى بذلك عدم ورود هذه الأدلة على لسان الشنقيطى فى مَعْرِض استشهاده على قوله بمشروعية الرزى وجوازه ، وتتمثل هذه الأدلة فى ثلاث آيات قرآنية أشار الشنقيطى إلى واحدة منها ، فى حين لم يُشِرْ إلى الآيتين الأخريين ، وذلك على النحو التالى :

أ - الآية التى أشار إليها :

حيث أشار الشنقيطى إلى عزمه على تناول آية فى (سورة الحشر) تُوَضِّح موقفه من الاجتهاد ورأيه فيه ، وفى ذلك يقول ما نصه : وسنوضح غاية الإيضاح إنْ شاء الله تعالى فى سورة (الحشر) مسألة الاجتهاد فى الشرع ، واستنباط حكم المسكوت عنه من المنطوق به بإلحاقه به ، قياسًا كان الإلحاق أو غيره[(١)] .

غير أن الشنقيطى قد اْختَرَمَتْه المنيّة بتفسير آخر آية من سورة (المجادلة) وقبل تفسير سورة (الحشر) التى بدأ بها تلميذه الشيخ عطية محمد سالم الجزء الأول من (تتمة الأضواء)[(٢)] .

ولعل الشنقيطى كان يقصد بذلك إحدى آيتين فى سورة (الحشر) أما أولاهما فهى قول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ الآية[(٣)] وأما الثانية فقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية[(٤)] وهى أرجح من الآية الأولى .

ومما يقوِّى ما ذهبنا إليه أن الشيخ عطية محمد سالم قد عَرَض لموضوع (الاجتهاد) من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة ، وهو ذات الموضوع الذى عناه الشنقيطى من خلال تناوله لـ : (التفسير بالرأى)[(٥)] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/٥٧٨-٤/٥٩٩ .

(٢) حيث ينتهى الجزء السابع من (أضواء البيان) بتفسير قوله الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة : ٢٢ - فى حين يبدأ الجزء الأول من (تتمة الأضواء) أو (الثامن من الأضواء) بتفسير قول الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر : ١ .

(٣) الحشر : ٢ . (٤) الحشر : ٢١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٨/١٠٦ (الجزء الأول من التتمة) .

ب - الآيتان اللتان لم يشر إليهما :

١ - الآية الأولى :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية[١] حيث أغفل الشنقيطى تناول هذه الآية من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأي ؛ ومن ثم فقد أسقطها فى تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ الآية[٢] وقوله تعالى : ﴿ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية[٣] .

٢ - الآية الثانية :

وهى قول الله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية[٤] حيث أغفل الشنقيطى تناول هذه الآية أيضًا من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأى ؛ ومن ثم فقد أسقطها فى تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ الآية[٥] وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية[٦] .

---

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) النساء : ٧٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٩٧ .

(٣) النساء : ٨٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٩٨ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٨٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٦٣ .

(٦) آل عمران : ١٩٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٦٤ .

جِمَاع القول
فـى هـــذا الباب

وفى ختام حديثنا عن هذا الباب بفصليْه ، حيث الفصل الأول المتعلِّق بتفسير الشنقيطى بالمأثور الذى يشمل كلاً من : (القرآن - السُّنة - الآثار) ثم الفصل الثانى المتعلِّق بتفسير الشنقيطى بالرأى الذى يعنى (تفسيره للقرآن بآراء غيره من العلماء المحققين ، وسالفيه من المفسِّرين المعتبرين) فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - تمامُ المنهجية :

وهو ما يتمثل فى تمام منهجيّة هذه السِّمَة الأولى التى جمع فيها الشنقيطى بين (التفسير بالمأثور) و (التفسير بالرأى) واللذين يمثلان (طرفىْ معادلة التفسير) من حيث اقترانهما وتلازمهما ، فضلاً عن ترابطهما وتكاملهما ، على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ؛ وهو ما يشهد له واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيده ما عليه عمل المفسِّرين أنفسهم .

وليس ثمة شك فى أنّ مَنْ جمع فى تفسيره للقرآن بين (تفسيره بالمأثور) و (تفسيره بالرأى) فقد تمت منهجيته ، واكتملت طريقته ؛ لأنه ليس بعد تفسير القرآن بالمأثور والرأى من شىء ، اللهمّ إلا رأيه الخاص ، ونظرته الذاتية ، وهو ما سوف نَعْرِض له من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

٢ - أصالة التفكير :

وهى ما تتمثل فى امتداد هذا (الأصل الجمعىّ) الذى سبق أن أجمع عليه العلماء والمحققون ، وتَوَاضَعَ عليه المفسِّرون المعتبرون ، من أن أعظم وأجلّ ما يُفَسَّر به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، ثم يلى ذلك تفسير القرآن بسُنة رسول الله ﷺ ثم يلى ذلك تفسير القرآن بآثار السلف الصالح من الصّحابة والتابعين ﷺ وهذه هى المحاور الثلاثة الرئيسة التى يدور عليها (التفسير بالمأثور) ثم يلى ذلك تفسير القرآن بـ (الرأى) بشروطه المعروفة ، وضوابطه المعتبرة .

وهو ذات ما سبق لنا تأصيله على لسان كل من شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة ، والشيخ محيى الدين الكافيجى ، من حيث نقلهما اتفاقَ العلماء المحققين ، وتَوَاضُعَ المفسِّرين المعتبرين ، على تفسير القرآن بالمأثور أولاً ، ثم تفسيره بالرأى ثانيًا ؛ الأمر الذى تتأكد معه (أصالة تفكير الشنقيطىّ) فضلاً عن (تمام منهجيته) من خلال تناوله لهذا (الجمع بين المأثور والرأى) والذى يُعَدُّ السِّمَةَ الأولى من (سِمَات منهجه التفسيرىّ) .

وبهذا ينتهى هذا الباب